استراتيجية الدعوة الإسلامية في القرن ٢١

كما تقدمها دعوة الإحياء الإسلامي

جمال البنا



استراتيجية
الدعوة الإسلامية في القرن ٢١

كما تقدمها

دعوة الإحياء الإسلامي

جمال البنا

فهرس

القســم الأول:

استراتيجية الدعوة الإسلامية في القرن ٢١..........- ٤ -

- ١ - مدخل .... - ٧ -

- ٢ - تحديات العصر تحاصر الإسلام ....- ١٤ -

- ٣ - المحاور الرئيسية في الاستراتيجية ......- ٢٥ -

- ٤ - قضية المراجع.........................- ٤٣ -

القسم الثانــي :

دعوة الإحياء الإسلامي....................................- ٥٠ -

- ١ - عن دعوة الإحياء الإسلامي بصفة عامة. - ٥١ -

- ٢ - ميثاق دعوة الإحياء الإسلامي "إيماننا".. - ٦٦ -

- ٣ - فكر وفقه دعوة الإحياء الإسلامي.......... - ٧٨ -

- ٤ - نزعة الماضوية تتناقض مع الإسلام ...... - ٩٤ -

- ٥ - الركائز الثلاث لدعوة الإحياء الإسلامي القرآن – الإنسان – الزمان....................................... - ١٠٢ -

- ٦ - موقف دعوة الإحياء من بعض القضايا.. - ١٣٨ -

- ٧ - مكتبة ومراجع دعوة الإحياء الإسلامي - ٢٣٠ -

القســـم الأول

استراتيجية

الدعوة الإسلامية في القرن ٢١

كما تقدمها

دعوة الإحياء الإسلامي



إلـــــى ...

- الـذين يطلبـون الحقيقـة ولا يخشـون المجابهـة ويرفضون التجاهل والاستخذاء.
- والذين يؤمنون أن الإسلام رسالة لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وجعـل الإنسـان خليفـة فـي الأرض.
- والذين يؤرقهم التساؤل:

لماذا ....

كيف ....

وإلى متى ....

نقول لكم: لا تيأسوا

لقد رسمنا الطريق،

وبدأنا المسيرة

وندعوكم للمشاركة

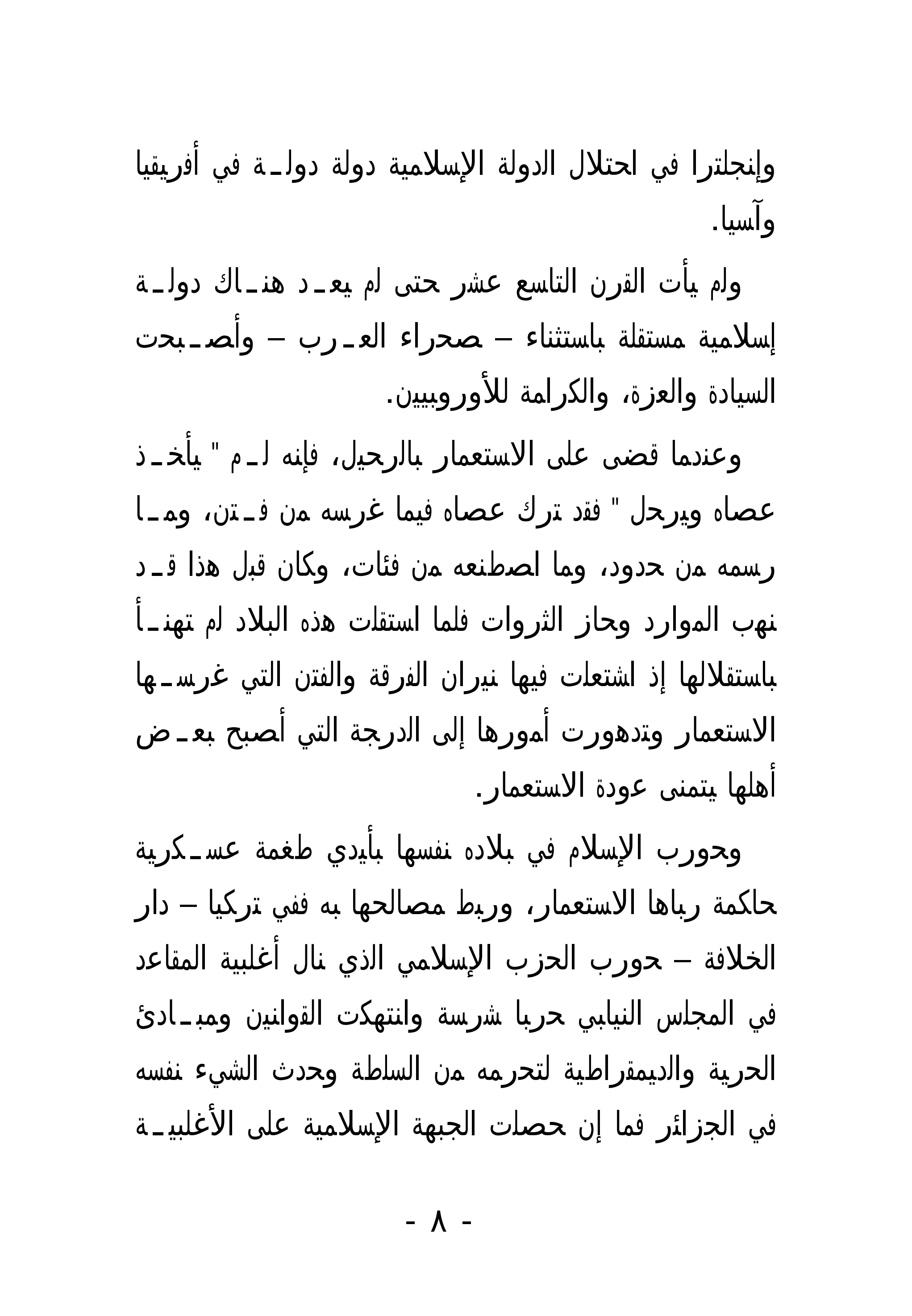
- ١ -

مدخل

بسم ا الرحمن الرحيم

والحمد والصلاة والسلام على رسول ا

يتمزق الكاتب المسلم أسى عندما يفكر فيما آلت إليه شئون المسلمين، والدرك الأسفل الـذي انتهـت إليـه أوضـاعهم وبلادهم، وعندما سلم الملك التعس أبـو عبـد ا مفـاتيح غرناطة سنة ١٤٩٢ إلى فرديناند، وإيزابيلا، فإن ٨٠٠ سنة من الوجود الإسلامي انتهى كأن لم يغن بالأمس، وتـداعت الدول الأوروبية دولة دولـة على استعمار بـلاد المسـلمين حتى البرتغال القميئة التي بدأت المسيرة المشئومة، واستولت روسيا على تلك المناطق التي كانت جنة الحـديث النبـوي ومهد شيوخه وعلمائه بخارى وسمرقند ومـا وراء النهـر. فقتلت الرجال وهدمت المساجد وأرغمت النساء على الزواج من روس. وقيل إن طبول الجيش الروسي كانت حتى القرن السابع عشر تصنع من جلود المسلمين!! وتسـابقت فرنسـا،



وإنجلترا في احتلال الدولة الإسلامية دولة دولـة في أفريقيا وآسيا.

ولم يأت القرن التاسع عشر حتى لم يعـد هنـاك دولـة إسلامية مستقلة باستثناء – صحراء العـرب – وأصـبحت السيادة والعزة، والكرامة للأوروبيين.

وعندما قضى على الاستعمار بالرحيل، فإنه لـم " يأخـذ عصاه ويرحل " فقد ترك عصاه فيما غرسه من فـتن، ومـا رسمه من حدود، وما اصطنعه من فئات، وكان قبل هذا قـد نهب الموارد وحاز الثروات فلما استقلت هذه البلاد لم تهنـأ باستقلالها إذ اشتعلت فيها نيران الفرقة والفتن التي غرسـها الاستعمار وتدهورت أمورها إلى الدرجة التي أصبح بعـض أهلها يتمنى عودة الاستعمار.

وحورب الإسلام في بلاده نفسها بأيدي طغمة عسـكرية حاكمة رباها الاستعمار، وربط مصالحها به ففي تركيا – دار الخلافة – حورب الحزب الإسلامي الذي نال أغلبية المقاعد في المجلس النيابي حربا شرسة وانتهكت القوانين ومبـادئ الحرية والديمقراطية لتحرمه من السلطة وحدث الشيء نفسه في الجزائر فما إن حصلت الجبهة الإسلامية على الأغلبيـة

في الانتخابات حتى قبض علـى زعمائهـا وزج بهـم فـي السجون. فكيف يمكن للدعوة الإسلامية أن تنتصر إذا كانـت تحارب في الداخل بأيدي فريق من شعبها.. وفـي الخـارج بالاستكبار العالمي والعربدة التي تمارسها القوى الكبرى.

وخلال القرون الخمسة التي تلت تسليم غرناطـة ١٤٩٢ وأوربا تتقدم في مجالات الفنون والعلوم، وفي الثلـث الأول من القرن الثامن عشر بـدأت أولـى قفزاتهـا " النوعيـة " بتوصلها إلى القوة البخارية والآلات الحديدية التـي أطلـق عليها الثورة الصناعية فظهر القطار البخاري وظهرت السفن التي تمخر المحيطات ثم ظهرت السيارات التي تعمل بالوقود وبعد ذلك بخمسين عاما اكتشفت الكهرباء وكانت تلك قفـزة أخرى نوعية أيضا فتحت آفاق الإضاءة والطاقة والاتصالات حتى انتهى أخيرا إلى الذرة والحاسوب وثورة الاتصالات..

وازدان سجل الاكتشاف والاختـراع والبحـث بأسـماء عشرات الألوف من العلماء في مجالات الطبيعة والكيميـاء والفلك والطب والرياضة إلخ.. وظفر أبرزهم بجوائز نوبل.. بينما لم يظهر من العالم الإسلامي بأسره إلا اسـم واحـد أو اثنان.. ولا تعرف مساهمة يعتد بها لعالم إسلامي بينما يعمل

العدد القليل الذي أثبت نبوغًا من العلماء المسلمين في خدمـة الدول الأوروبية أو الأمريكية ويزيدون تقدمها.

أليس عارا – لا يعدله عار – أن يعيش المسلمون عالـة على غيرهم، وأن لا يظهر منهم من يـذكر اسـمه وسـط عشرات الألوف من الأسماء المضيئة النشـطة، المبدعـة، المستكشفة التي تطلق الآن على النجـوم، وعلـى أعضـاء الجسم، وعلى قوانين العلم والرياضيات إلخ..

أليس عارا أن تكون " أمة محمد " هي أكثر الأمـم فقـرا وضعفًا ومرضا وجهلاً واستخذاء.

هذا الوضع المهين الذي يثقل النفس هما ويفعم القلب غما لا يهم في قليل أو كثير قادة " المؤسسة الدينية " في الأزهـر بمصر، أو الحوزات بإيران، أو الجامعات بالسعودية، فهؤلاء السادة يعيشون بعقولهم وأفكارهم في عالم يعود إلى ألف عام خلت، ولا يحرك منهم ساكنًا عالم العصر بكل ما فيـه مـن دوي وصخب، وهذا أمر طبيعي لأنه إذا كـان علـى أحـد الشيوخ أن يدرس الفقه الحنبلي مثلاً، فلا يعنيه في شـيء إلا ما قاله الإمام أحمد وأتباعه، وبقدر ما يتعمق في هذا بقدر ما يتدعم مركزه الأدبي والمادي ويتلقى الثناء والتقدير، وينـال

مرتبه، ويعيش عيشة راضية.. ولا يعنيه بعد هذا أن الإسلام كاد أن يشطب من على خريطة العصر، وأن دولة أصـبحت رموزا للتأخر والتبعية الذليلة، لأنهم لا يرون في الإسلام إلا التراث، وهم حماته، وهم في أفضل حال يظفرون من العامة بالاحترام وينالون من النظم الحاكمة التأييد والدعم وحسـبهم فخرا أن يقال عن مصر إنا بلد الأزهر!!

أما الحقيقة المؤلمة فهي أن الصورة التراثيـة الطقوسـية التي عرض بها الفقهاء الإسلام – ولم تخلص منها حتى أشد الدعوات الإسلامية تحررا – كانت من أكبر دواعي انصراف مجموعات عديد عن الإسلام. لأنهم لم يروا فيما يقدمونه إلا الحض على الشعائر والطقوس والتحذير من سماع الموسيقى والغناء ودخول السينما، وأن صوت المرأة عـورة وحلـق اللحية من الكبائر ولم يتحدثوا عن حرية الفكر التي جاء بهـا الإسلام وسبق بها الديمقراطية ولا العدل الذي أكده القـرآن مرارا وتكرارا وسبق به الاشتراكية، ولم يسمعوا كلمة عـن الإنسان وكرامته ولا عـن مشـاكل المجتمـع ولا معانـاة الجماهير وحذروهم من الثورة باعتبارها فتنة ومعصية، ولو كانت على أوضاع تبقى الناس في إسار الجهل والذل والفاقة

والمرض، ولم يوجهوهم وجهة المستقبل وإنما أبقوهم في ظل الماضي وتجاهلوا الطيبة التي من حق الناس أن يعيشوها بما فيها من رضا واستقرار وإشباع.. فأنفض الناس عنهم وعن الدعوة الإسلامية، ولاذوا بدعوات أخرى أو انطـووا علـى أنفسهم.

وفي العالم الخارجي، كادت هذه الصـورة الطقوسـية أن تمحو الإسلام من على خريطة العصر.

من هنا، فلا ينتظر أن يكون للمؤسسة الدينية، ولا للفقهاء التقليديين ولا للدعوات الإسلامية على الساحة دور في وضع الاستراتيجية الجديدة للدعوة الإسلامية، بل من المحقق أنهـم سيكونون أعداء ألداء لها وقد يصمون أصحابها بالخروج عن الملة!

وهذا ما يقال أيضا على الجماعات التي تدعي " الناصرية " أو " الاشتراكية " أو " القومية العربيـة " فهـؤلاء جميعـا يربطون أنفسهم وأفكارهم بدعوات نشأت عن ظروف معينة، ونجحت في الوصول إلى الحكم بوسائلها الخاصـة دون أن يكون لها أساس موضوعي متكامل أو أن تتفق مع الإسلام.

إن واضعي الاستراتيجية الإسلامية يرفضون هذا ويتمسكون بأن تكون استراتيجيتهم فوق المجاملات والمصانعات أو الأخذ بنصف الحقيقة خشية المصالح والقوى والعداوات أو حرصا على الاستكثار من الجماهير. فالحقيقة كاملة، ولا شيء غير الحقيقة. هي ما يجب أن تقوم عليه الاستراتيجية حتى ولو تكتلات القوى ضدها، وهو ما يجعل واضعيها يقفون في العصر الحديث – دون مبالغة – الموقف الذي قال عنده الرسول في بدر " إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد بعد اليوم ".



- ٢ -

تحديات العصر تحاصر الإسلام

كل يوم يمر يزداد إحساس المسلم بوطأة تحديات العصر، ويحس بالخناق يضيق عليه، ذلك أن اليوم في العصر الحديث يعني شيئًا أكثر بكثير مما كان يعنيه سابقًا فهو بألف يوم من الأيام السابقة، وقد تكون بعض أيامه بألف عام، وفي كل يوم تظهر اكتشافات، واختراعات وتظهر مستجدات، ويحدث هذا لا في دولة واحدة، ولكن في عشرات الدول. في الولايات المتحدة، في اليابان، في ألمانيا، في فرنسا، في سويسرا، في إيطاليا، في الصين حتى نصل إلى دولة صغيرة مثل كوريا، ففي كل دولة من هذه الدول تظهر.. في صباح كل يوم.. اختراعات أو اكتشافات جديدة، وقد يكون لبعضها آثار مدوية على الحياة اليومية للناس في الاقتصاد، والزراعة والصناعة والصحة، والتعليم والخدمة الاجتماعية والاتصال إلخ..

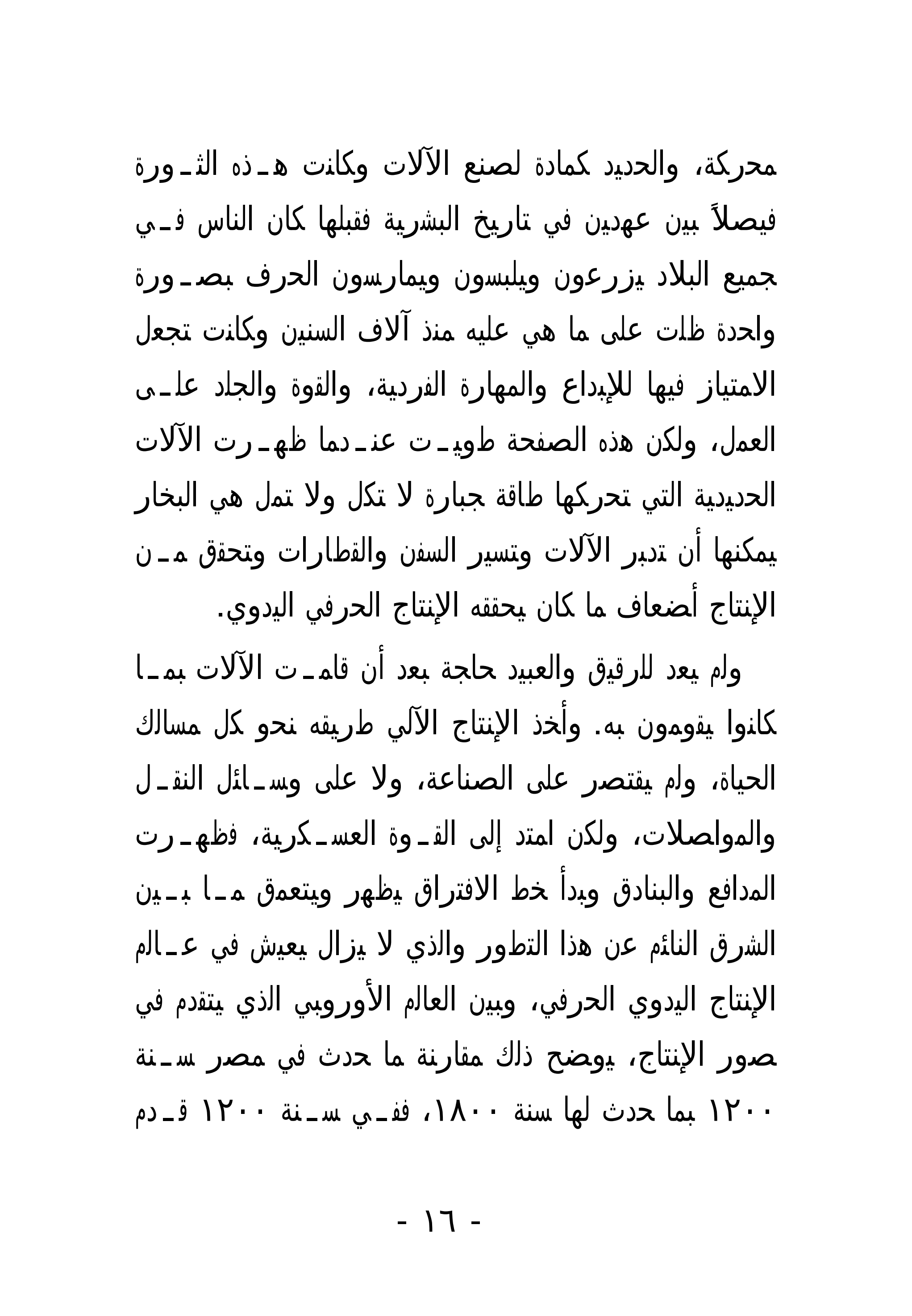
وتتعاظم آثار هذا الإحساس لدى المواطن المسلم بما يلحظه من تخلف في بلاده ذاتها، وأنها ليست فحسب لا

تستطيع التقدم، بل إنها تضطر للتقهقر إزاء تعقد الأوضـاع وتفاقم الأزمات والعجز التام عن الإصلاح لعقم، بل لإجرام، بعض النظم الحاكمة في الدول الإسلامية وارتباطها برواسب سياسة داخلية، وعلاقات بالقوى الخارجية تجعلها عازفة عن أي إصلاح بل وتدفعها لحرب المصـلحين واللجـوء إلـى أساليب التزييف والادعاء وكتمان الحقائق وإظهار الأباطيـل والاستعانة بكل وسائل الإعلام وإثقال المـواطن بمشـكلات الحياة اليومية حتى لا يجد وقتًا أو جهدا أو مالاً للعمل العام.

يحدث هذا في الوقت الذي تنطلق في الغرب قوى العمل، والفكر، والعلم والعمل إلى الأمام قدما لا يقف فـي طريقهـا شيء، بل يجد المساندة والتأييد والدفع.

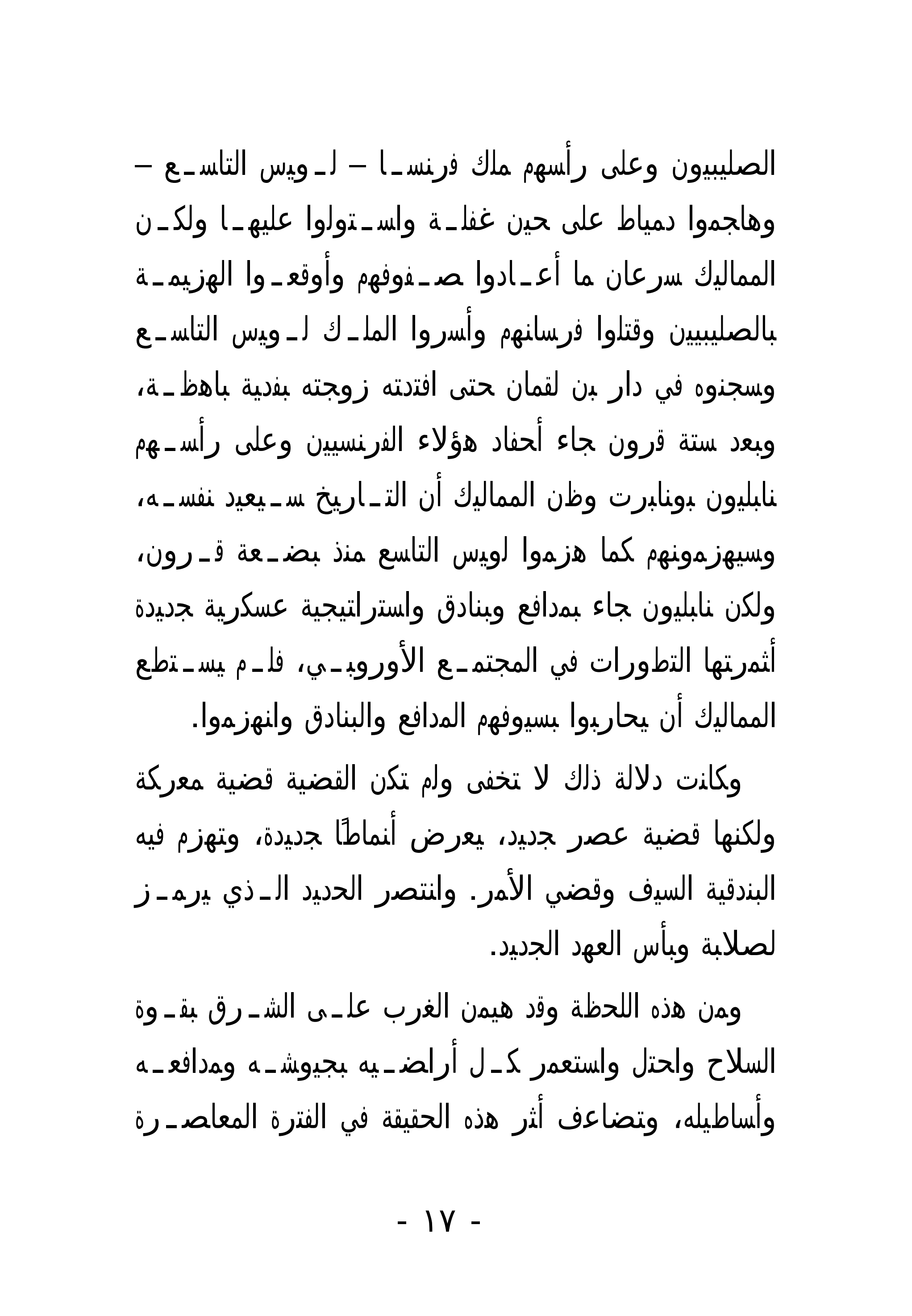
وليس المهم أن نعدد هذه الاختراعـات وآثارهـا فهـي معروفة وملموسة، ولكن المهم أن نعرف أن هذه المستجدات كلها أصبحت في مجموعها تمثل تحديين من أكبر تحـديات العصر، التحدي الأول وله طابع عملي ومادي هو " القـوة " والتحدي الثاني وله طابع فكري ومعنوي هو " الحرية ".

وبدأ التحدي الأول مع ظهـور الثـورة الصـناعية فـي منتصف القرن الثامن عشر بالتوصل إلـى البخـار كطاقـة



محركة، والحديد كمادة لصنع الآلات وكانت هـذه الثـورة فيصلاً بين عهدين في تاريخ البشرية فقبلها كان الناس فـي جميع البلاد يزرعون ويلبسون ويمارسون الحرف بصـورة واحدة ظلت على ما هي عليه منذ آلاف السنين وكانت تجعل الامتياز فيها للإبداع والمهارة الفردية، والقوة والجلد علـى العمل، ولكن هذه الصفحة طويـت عنـدما ظهـرت الآلات الحديدية التي تحركها طاقة جبارة لا تكل ولا تمل هي البخار يمكنها أن تدير الآلات وتسير السفن والقطارات وتحقق مـن الإنتاج أضعاف ما كان يحققه الإنتاج الحرفي اليدوي.

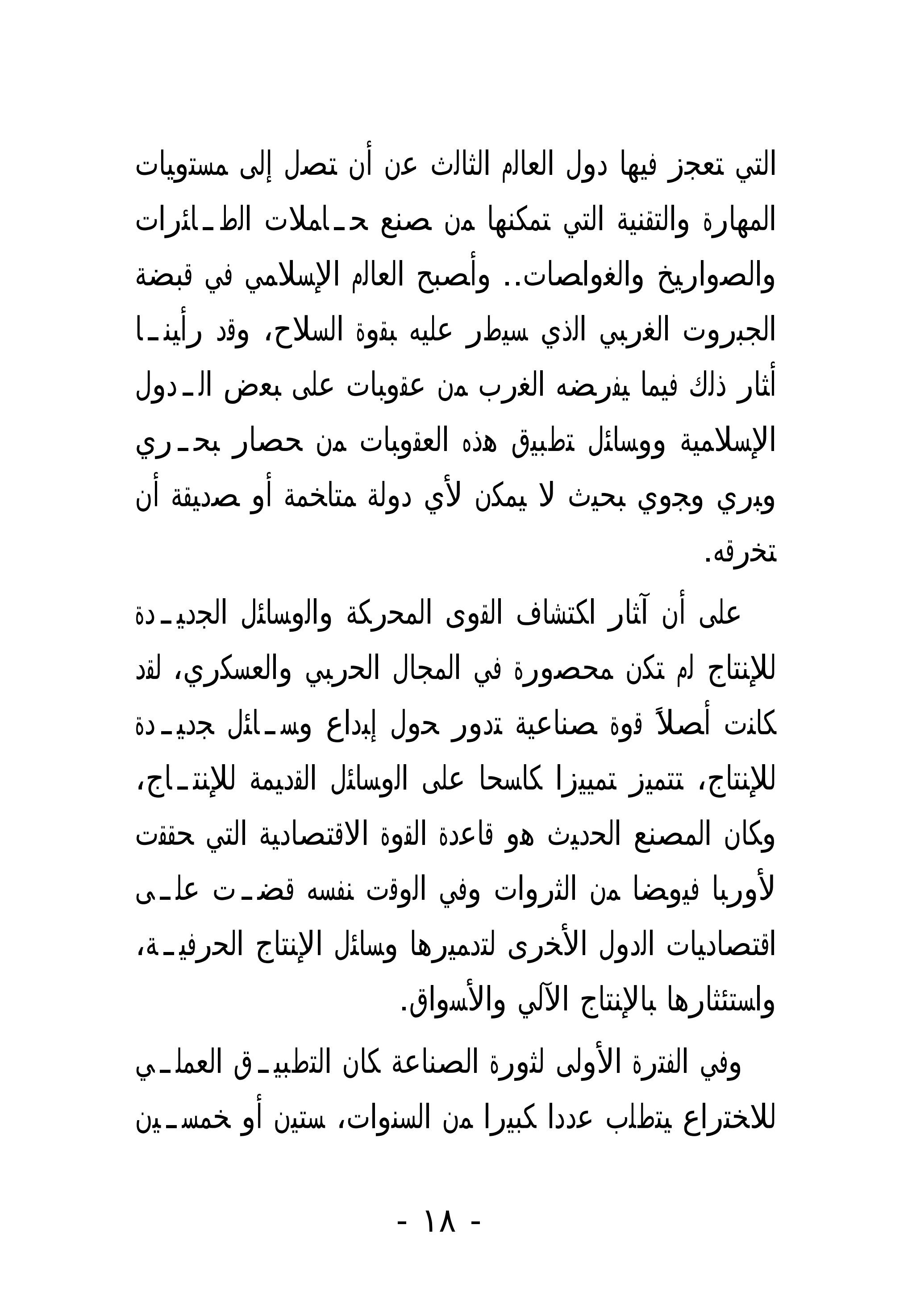
ولم يعد للرقيق والعبيد حاجة بعد أن قامـت الآلات بمـا كانوا يقومون به. وأخذ الإنتاج الآلي طريقه نحو كل مسالك الحياة، ولم يقتصر على الصناعة، ولا على وسـائل النقـل والمواصلات، ولكن امتد إلى القـوة العسـكرية، فظهـرت المدافع والبنادق وبدأ خط الافتراق يظهر ويتعمق مـا بـين الشرق النائم عن هذا التطور والذي لا يزال يعيش في عـالم الإنتاج اليدوي الحرفي، وبين العالم الأوروبي الذي يتقدم في صور الإنتاج، يوضح ذلك مقارنة ما حدث في مصر سـنة ١٢٠٠ بما حدث لها سنة ١٨٠٠، ففـي سـنة ١٢٠٠ قـدم



الصليبيون وعلى رأسهم ملك فرنسـا – لـويس التاسـع – وهاجموا دمياط على حين غفلـة واسـتولوا عليهـا ولكـن المماليك سرعان ما أعـادوا صـفوفهم وأوقعـوا الهزيمـة بالصليبيين وقتلوا فرسانهم وأسروا الملـك لـويس التاسـع وسجنوه في دار بن لقمان حتى افتدته زوجته بفدية باهظـة، وبعد ستة قرون جاء أحفاد هؤلاء الفرنسيين وعلى رأسـهم نابليون بونابرت وظن المماليك أن التـاريخ سـيعيد نفسـه، وسيهزمونهم كما هزموا لويس التاسع منذ بضـعة قـرون، ولكن نابليون جاء بمدافع وبنادق واستراتيجية عسكرية جديدة أثمرتها التطورات في المجتمـع الأوروبـي، فلـم يسـتطع المماليك أن يحاربوا بسيوفهم المدافع والبنادق وانهزموا.

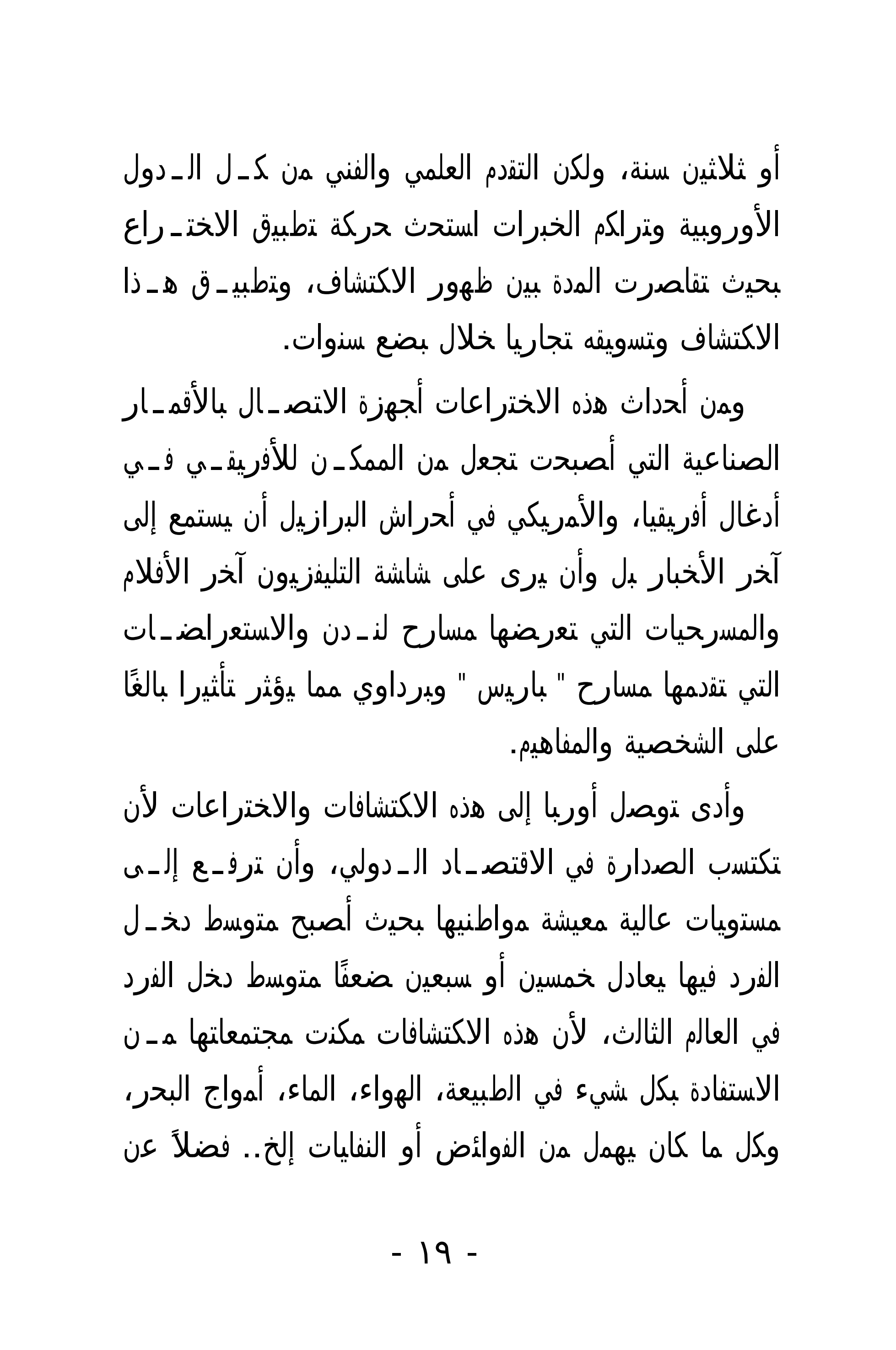
وكانت دلالة ذلك لا تخفى ولم تكن القضية قضية معركة ولكنها قضية عصر جديد، يعرض أنماطًا جديدة، وتهزم فيه البندقية السيف وقضي الأمر. وانتصر الحديد الـذي يرمـز لصلابة وبأس العهد الجديد.

ومن هذه اللحظة وقد هيمن الغرب علـى الشـرق بقـوة السلاح واحتل واستعمر كـل أراضـيه بجيوشـه ومدافعـه وأساطيله، وتضاعف أثر هذه الحقيقة في الفترة المعاصـرة


التي تعجز فيها دول العالم الثالث عن أن تصل إلى مستويات المهارة والتقنية التي تمكنها من صنع حـاملات الطـائرات والصواريخ والغواصات.. وأصبح العالم الإسلامي في قبضة الجبروت الغربي الذي سيطر عليه بقوة السلاح، وقد رأينـا أثار ذلك فيما يفرضه الغرب من عقوبات على بعض الـدول الإسلامية ووسائل تطبيق هذه العقوبات من حصار بحـري وبري وجوي بحيث لا يمكن لأي دولة متاخمة أو صديقة أن تخرقه.

على أن آثار اكتشاف القوى المحركة والوسائل الجديـدة للإنتاج لم تكن محصورة في المجال الحربي والعسكري، لقد كانت أصلاً قوة صناعية تدور حول إبداع وسـائل جديـدة للإنتاج، تتميز تمييزا كاسحا على الوسائل القديمة للإنتـاج، وكان المصنع الحديث هو قاعدة القوة الاقتصادية التي حققت لأوربا فيوضا من الثروات وفي الوقت نفسه قضـت علـى اقتصاديات الدول الأخرى لتدميرها وسائل الإنتاج الحرفيـة، واستئثارها بالإنتاج الآلي والأسواق.

وفي الفترة الأولى لثورة الصناعة كان التطبيـق العملـي للاختراع يتطلب عددا كبيرا من السنوات، ستين أو خمسـين



أو ثلاثين سنة، ولكن التقدم العلمي والفني من كـل الـدول الأوروبية وتراكم الخبرات استحث حركة تطبيق الاختـراع بحيث تقاصرت المدة بين ظهور الاكتشاف، وتطبيـق هـذا الاكتشاف وتسويقه تجاريا خلال بضع سنوات.

ومن أحداث هذه الاختراعات أجهزة الاتصـال بالأقمـار الصناعية التي أصبحت تجعل من الممكـن للأفريقـي فـي أدغال أفريقيا، والأمريكي في أحراش البرازيل أن يستمع إلى آخر الأخبار بل وأن يرى على شاشة التليفزيون آخر الأفلام والمسرحيات التي تعرضها مسارح لنـدن والاستعراضـات التي تقدمها مسارح " باريس " وبرداوي مما يؤثر تأثيرا بالغًا على الشخصية والمفاهيم.

وأدى توصل أوربا إلى هذه الاكتشافات والاختراعات لأن تكتسب الصدارة في الاقتصـاد الـدولي، وأن ترفـع إلـى مستويات عالية معيشة مواطنيها بحيث أصبح متوسط دخـل الفرد فيها يعادل خمسين أو سبعين ضعفًا متوسط دخل الفرد في العالم الثالث، لأن هذه الاكتشافات مكنت مجتمعاتها مـن الاستفادة بكل شيء في الطبيعة، الهواء، الماء، أمواج البحر، وكل ما كان يهمل من الفوائض أو النفايات إلخ.. فضلاً عن

أن المنتجات الآلية أعلى بمراحل من المنتجـات الزراعيـة ووصلت هذه الآلية إلى أعلى مسـتوياتها فـي الكومبيـوتر ووسائل الاتصال وبهذا استحوذ الغرب على ثروات العـالم الثالث بفضل العلم بعد أن كان قد استحوذ على ثرواته بحكم الاستعمار.

فالتحدي الأول للعصر الحـديث: القـوة: سـواء كانـت عسكرية أو اقتصادية، وهو أكبر التحديات أثرا وقـد حـدث نتيجة لتطبيق العلم على العمل ولاعتبـار الأبحـاث أكثـر الأعمال استثمارية وربحية، فبقدر ما يتفق عليها بقـدر مـا يعوض هذا الاتفاق أضعافًا مضاعفة.

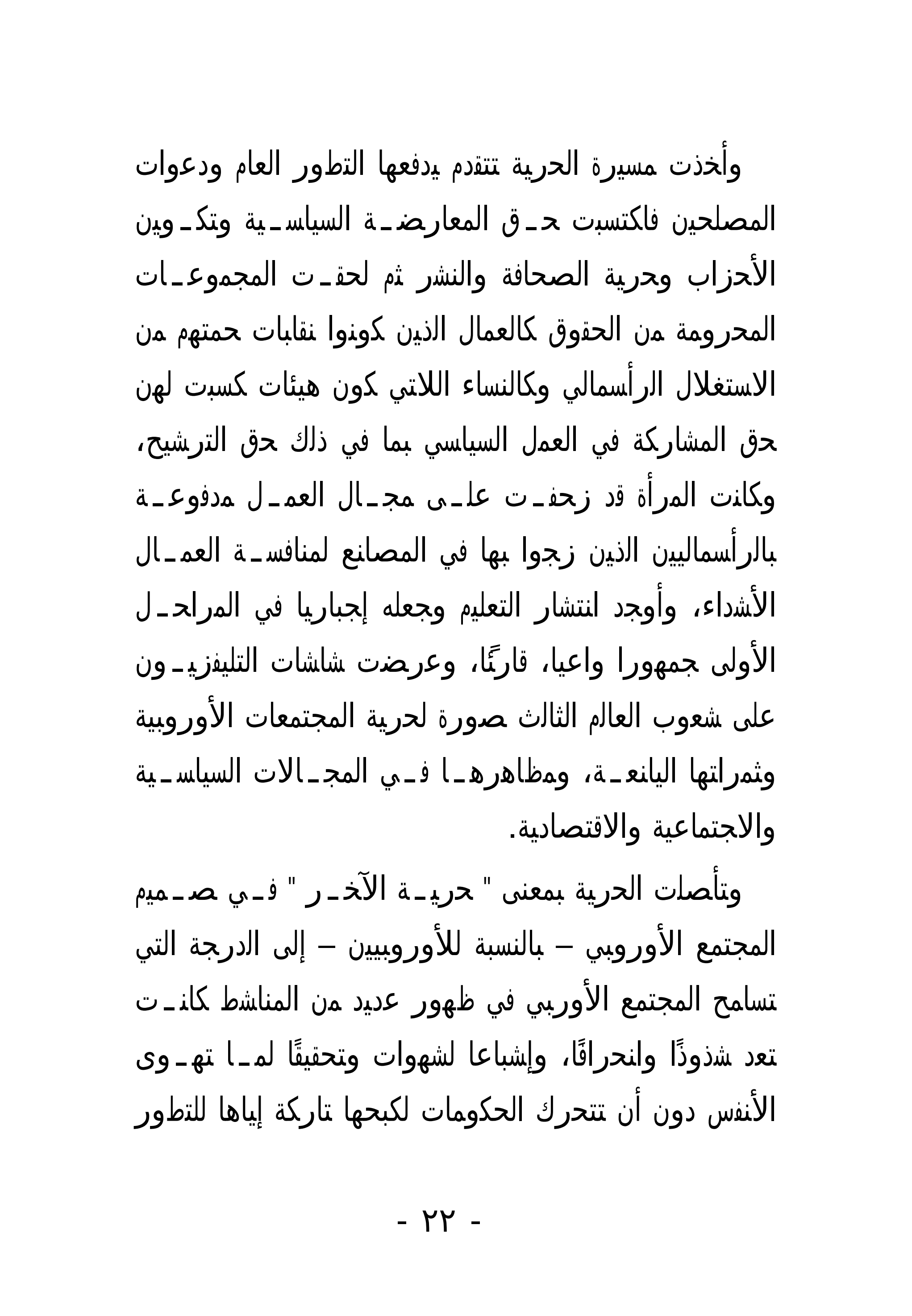
أما التحدي الثاني الأدبي والمعنوي فهو الحريـة: وهـو لا يقل تأثيرا عن الأول لأنـه يمـس إحـدى المقتضـيات الضرورية واللازمة لتقدم المجتمعات والحفاظ على كرامـة الإنسان..

وهناك عوامل عديدة أدت إلى بروز الحرية في المجتمـع الغربي واعتبارها إحدى القيم الرئيسية في حضارته، ولكـن يمكن التركيز على ظهور المطبعة في وقت مبكر (قرابة سنة

١٤٥٠) ولو في صورة بدائية للغاية، وقد تقدمت المطبعة خلال مائة عام وبدأ في إشاعة الثقافة بين الناس.

ومن المفارقات أن النهضة العلمية الفكرية، وكذلك فكرة تطبيق العلم على العمل، كانا من الأفكار التي قدمها الإسلام للغرب وقامت عليها حركة الإصلاح الديني من ناحية والثورة الصناعية من ناحية أخرى، وكان يمكن أن تنهض بالشرق لولا الحكم الاستبدادي الذي وأدها.

فقد قدم الإسلام للمصلحين المسيحيين فكرة استبعاد الكنيسة، ورفض وجود وسيط بين الإنسان وا ، والبساطة في المساجد وأداء الشعائر، وعدم عصمة " رجال الدين " حتى فكرة القضاء والقدر التي كانت أحد محاور كالفن، ولوثر وبقية دعاة الإصلاح الديني الذي حرر المجتمع الأوروبي من سيطرة البابوية وكفل انتصار المصلحين وأحرار الفكر الذي كانت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ إيذانًا به. كما قدم جابر بن حيان والخوارزمي وابن الهيثم وابن سينا، والبيروني، والزهراوي الوسائل التجريبية في العلوم وتطبيق العلم على العمل الذي قامت على أساسه الثورة الصناعية.



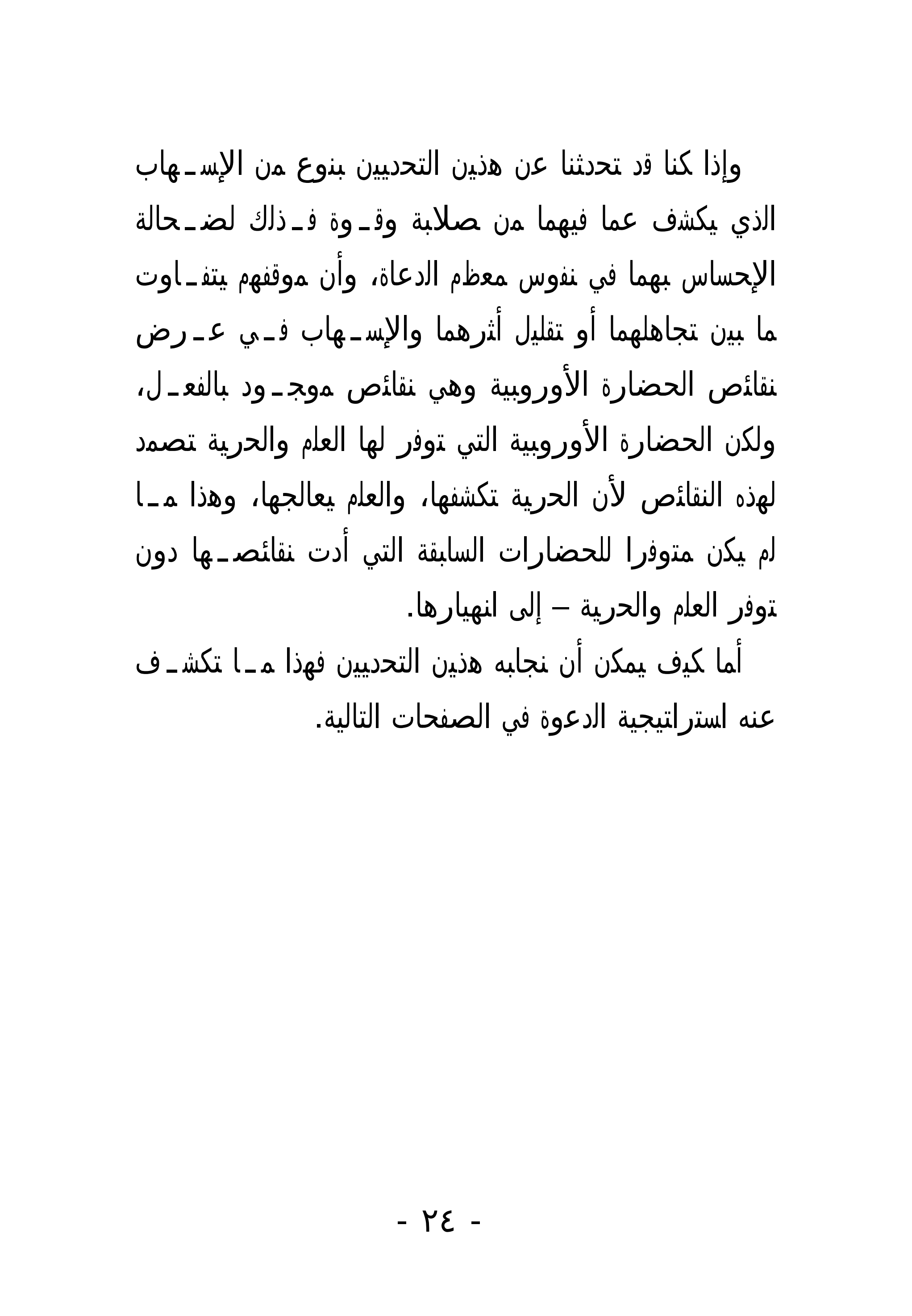
وأخذت مسيرة الحرية تتقدم يدفعها التطور العام ودعوات المصلحين فاكتسبت حـق المعارضـة السياسـية وتكـوين الأحزاب وحرية الصحافة والنشر ثم لحقـت المجموعـات المحرومة من الحقوق كالعمال الذين كونوا نقابات حمتهم من الاستغلال الرأسمالي وكالنساء اللاتي كون هيئات كسبت لهن حق المشاركة في العمل السياسي بما في ذلك حق الترشيح، وكانت المرأة قد زحفـت علـى مجـال العمـل مدفوعـة بالرأسماليين الذين زجوا بها في المصانع لمنافسـة العمـال الأشداء، وأوجد انتشار التعليم وجعله إجباريا في المراحـل الأولى جمهورا واعيا، قارئًا، وعرضت شاشات التليفزيـون على شعوب العالم الثالث صورة لحرية المجتمعات الأوروبية وثمراتها اليانعـة، ومظاهرهـا فـي المجـالات السياسـية والاجتماعية والاقتصادية.

وتأصلت الحرية بمعنى " حريـة الآخـر " فـي صـميم المجتمع الأوروبي – بالنسبة للأوروبيين – إلى الدرجة التي تسامح المجتمع الأوربي في ظهور عديد من المناشط كانـت تعد شذوذًا وانحرافًا، وإشباعا لشهوات وتحقيقًا لمـا تهـوى الأنفس دون أن تتحرك الحكومات لكبحها تاركة إياها للتطور

ومعتبرة إياها ثمنًا لا بد من دفعه للحرية وأنه إذا جاز التدخل هنا، فيمكن لهذا التدخل أن يتطرق إلى مجالات أخرى بحيث تتهدد الحرية.

هذان التحديان.. القوة العسكرية الباطشة التي تخضع كل دول العالم وتبقيها تحت سيطرتها، والحرية الطليقـة بكـل مظاهرها وتجلياتها.. هما أبرز التحـديات التـي أصـبحت تحاصر عالم الإسلام ولا يجد سبيلاً للتحرر منها، دع عنـك الانتصار عليها. فلا يمكن بالوسائل التقليدي أن يتوصل إلى ما توصلت إليه أمريكا من قوة باطشة.. كما تتملكه الحيـرة أمام الحرية ما بين الإعجاب بها، والخوف منها، لأنها مـن المحتمل أن تؤدي – رغم مزاياها – إلـى أن تهـز ثوابتـه وتزلزل قواعده، والأديان بصفة عامة دعوات يغلب عليهـا الحفاظ والثبات.

وقد يبدو أن التحدي الأول تحدي القوة – يضع الـدعوات الإسلامية أمام باب مسدود أو جدار مصمت، وأن التحـدي الثاني يشيع فيها الحيرة والقلق والتذبذب. ولكن الاستراتيجية الرشيدة للدعوة الإسلامية ترى نفسها قديرة علـى التصـدي لهذين..



وإذا كنا قد تحدثنا عن هذين التحديين بنوع من الإسهاب الذي يكشف عما فيهما من صلابة وقوة فذلك لضحالة الإحساس بهما في نفوس معظم الدعاة، وأن موقفهم يتفاوت ما بين تجاهلهما أو تقليل أثرهما والإسهاب في عرض نقائص الحضارة الأوروبية وهي نقائص موجود بالفعل، ولكن الحضارة الأوروبية التي توفر لها العلم والحرية تصمد لهذه النقائص لأن الحرية تكشفها، والعلم يعالجها، وهذا ما لم يكن متوفرا للحضارات السابقة التي أدت نقائصها دون توفر العلم والحرية – إلى انهيارها.

أما كيف يمكن أن نجابه هذين التحديين فهذا ما تكشف عنه استراتيجية الدعوة في الصفحات التالية.

- ٣ -

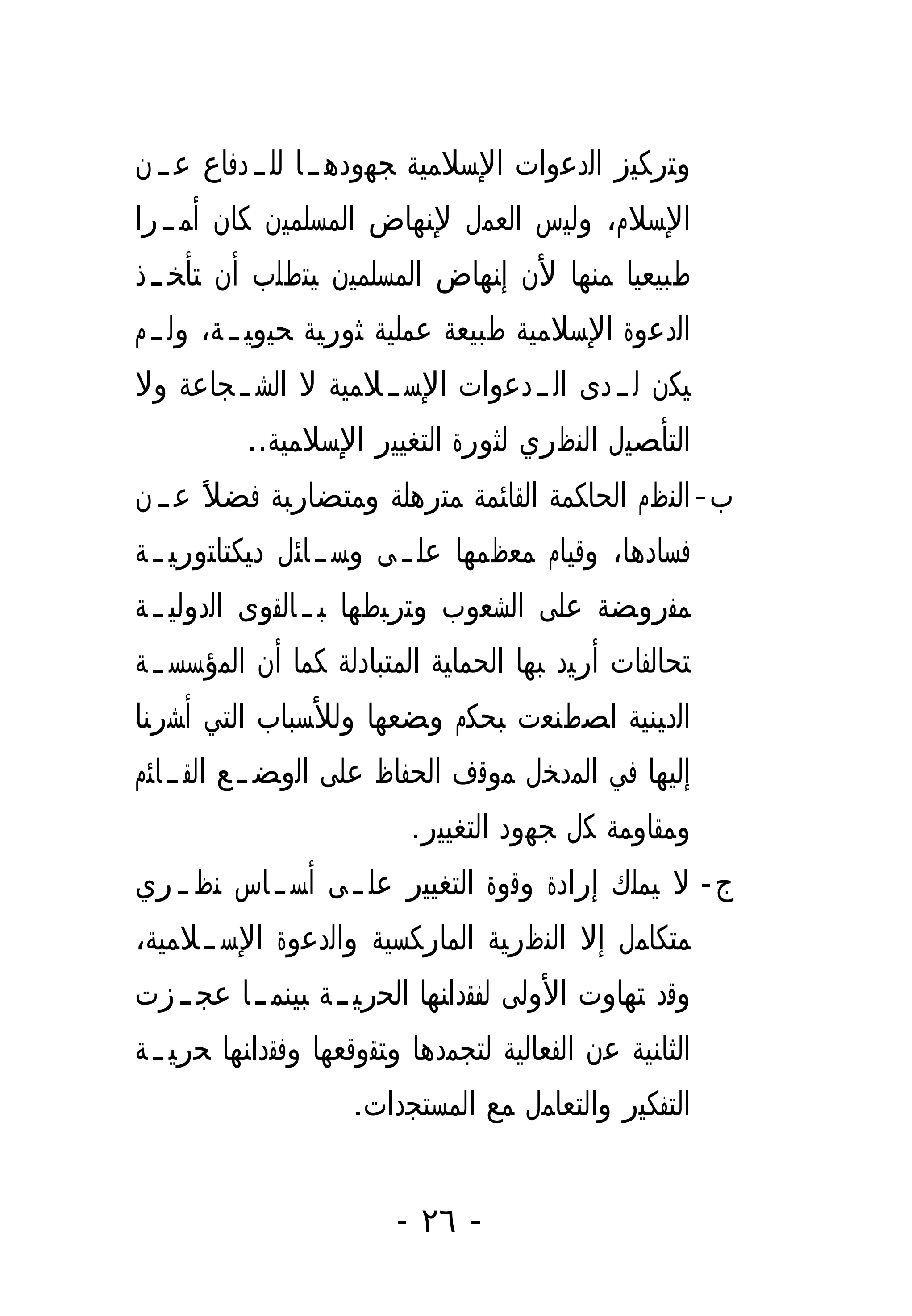
المحاور الرئيسية في الاستراتيجية

أولاً: الاستراتيجية المطلوبة يجـب أن تكـون استراتيجية تثوير(١) وبناء جديد:

أ- قامت الدعوات الإسلامية المعاصرة بفكرة الدفاع عن الإسلام وإبراز محاسنه إلخ.. والإسلام محفوظ بحفظ ا ، والدفاع عنه مهمة المفكـرين والكتـاب. أمـا الدعوات الإسلامية فليست مهمتها الدفاع عن الإسلام ولكن إنهاض المسلمين وهي المهمة التي لم تتصـدر لها، وكانت النتيجة حدوث فـراغ وانعـدام وجـود الدعوة الإسلام الحياتية، الشعبية.

---

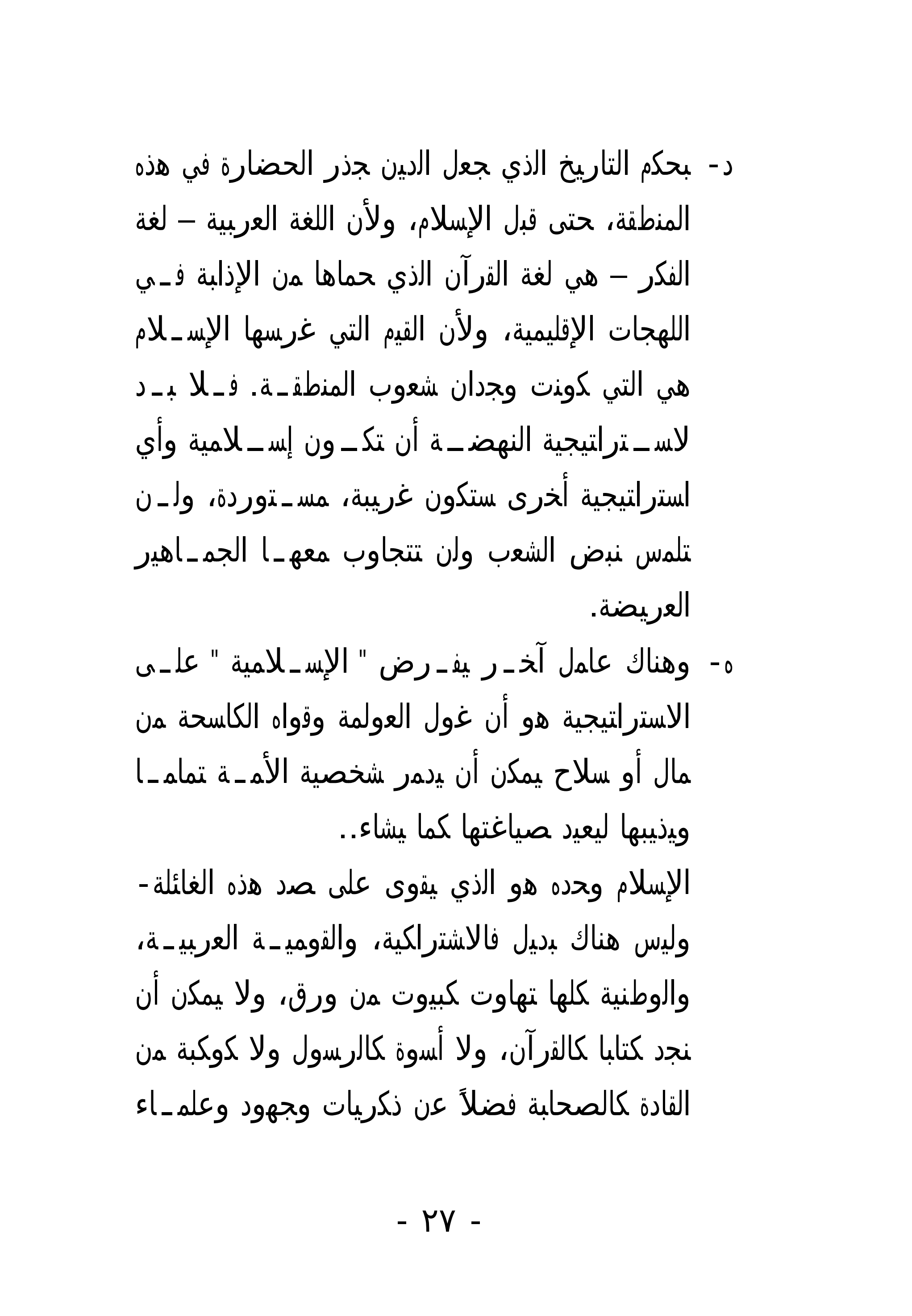
(١) المقصود باللفظة المعنى الذي جاء به الأثر النبوي " أثيروا " القرآن أو من أراد العلم " فليثور " القرآن.



وتركيز الدعوات الإسلامية جهودها للدفاع عن الإسلام، وليس العمل لإنهاض المسلمين كان أمرا طبيعيا منها لأن إنهاض المسلمين يتطلب أن تأخذ الدعوة الإسلامية طبيعة عملية ثورية حيوية، ولم يكن لدى الدعوات الإسلامية لا الشجاعة ولا التأصيل النظري لثورة التغيير الإسلامية..

ب- النظم الحاكمة القائمة مترهلة ومتضاربة فضلاً عن فسادها، وقيام معظمها على وسائل ديكتاتورية مفروضة على الشعوب وتربطها بالقوى الدولية تحالفات أريد بها الحماية المتبادلة كما أن المؤسسة الدينية اصطنعت بحكم وضعها وللأسباب التي أشرنا إليها في المدخل موقف الحفاظ على الوضع القائم ومقاومة كل جهود التغيير.

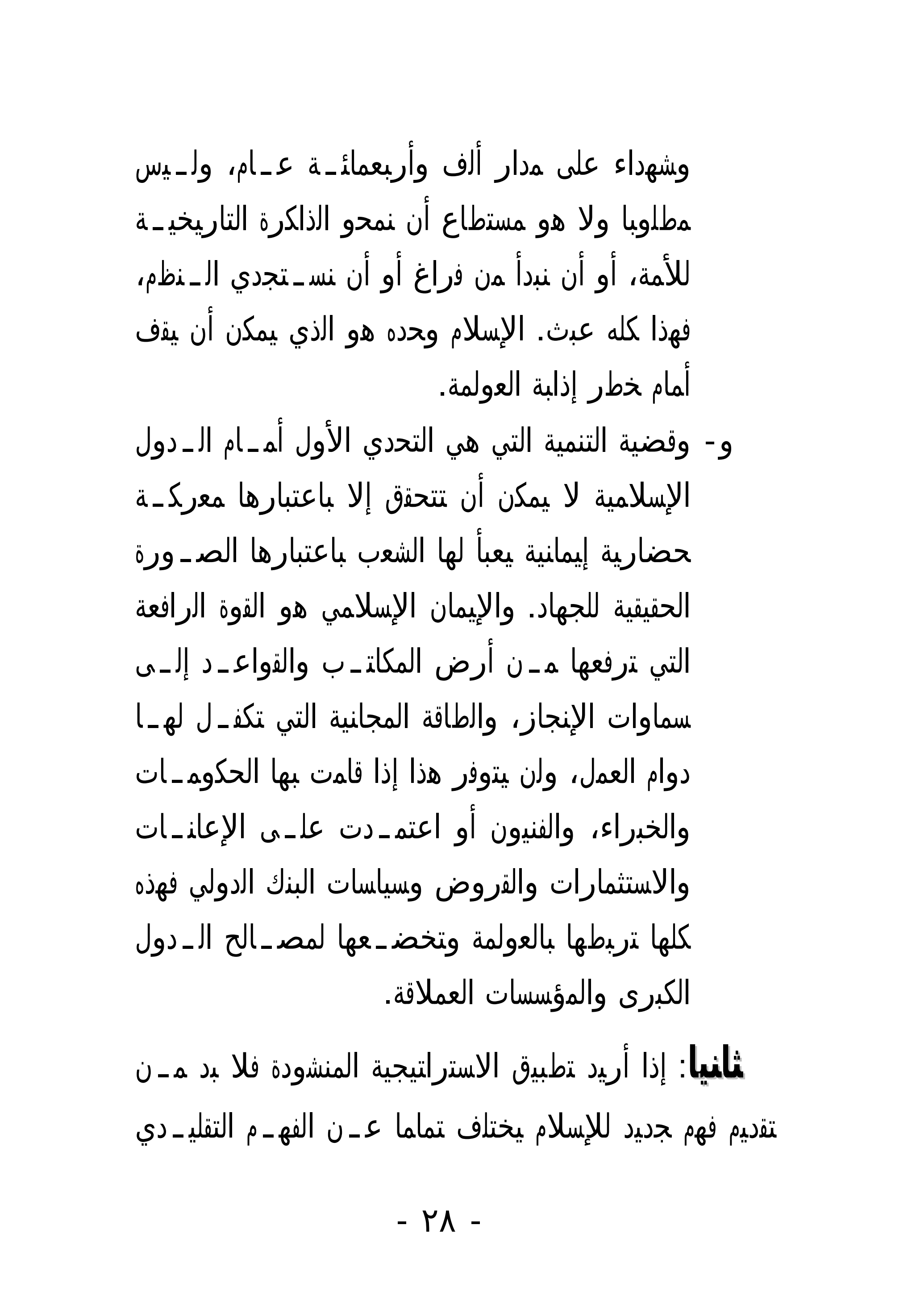
ج- لا يملك إرادة وقوة التغيير على أساس نظري متكامل إلا النظرية الماركسية والدعوة الإسلامية، وقد تهاوت الأولى لفقدانها الحرية بينما عجزت الثانية عن الفعالية لتجمدها وتقوقعها وفقدانها حرية التفكير والتعامل مع المستجدات.



د- بحكم التاريخ الذي جعل الدين جذر الحضارة في هذه المنطقة، حتى قبل الإسلام، ولأن اللغة العربية – لغة الفكر – هي لغة القرآن الذي حماها من الإذابة فـي اللهجات الإقليمية، ولأن القيم التي غرسها الإسـلام هي التي كونت وجدان شعوب المنطقـة. فـلا بـد لاسـتراتيجية النهضــة أن تكـون إسـلامية وأي استراتيجية أخرى ستكون غريبة، مسـتوردة، ولـن تلمس نبض الشعب ولن تتجاوب معهـا الجمـاهير العريضة.

ه- وهناك عامل آخـر يفـرض " الإسـلامية " علـى الاستراتيجية هو أن غول العولمة وقواه الكاسحة من مال أو سلاح يمكن أن يدمر شخصية الأمـة تمامـا ويذيبها ليعيد صياغتها كما يشاء..

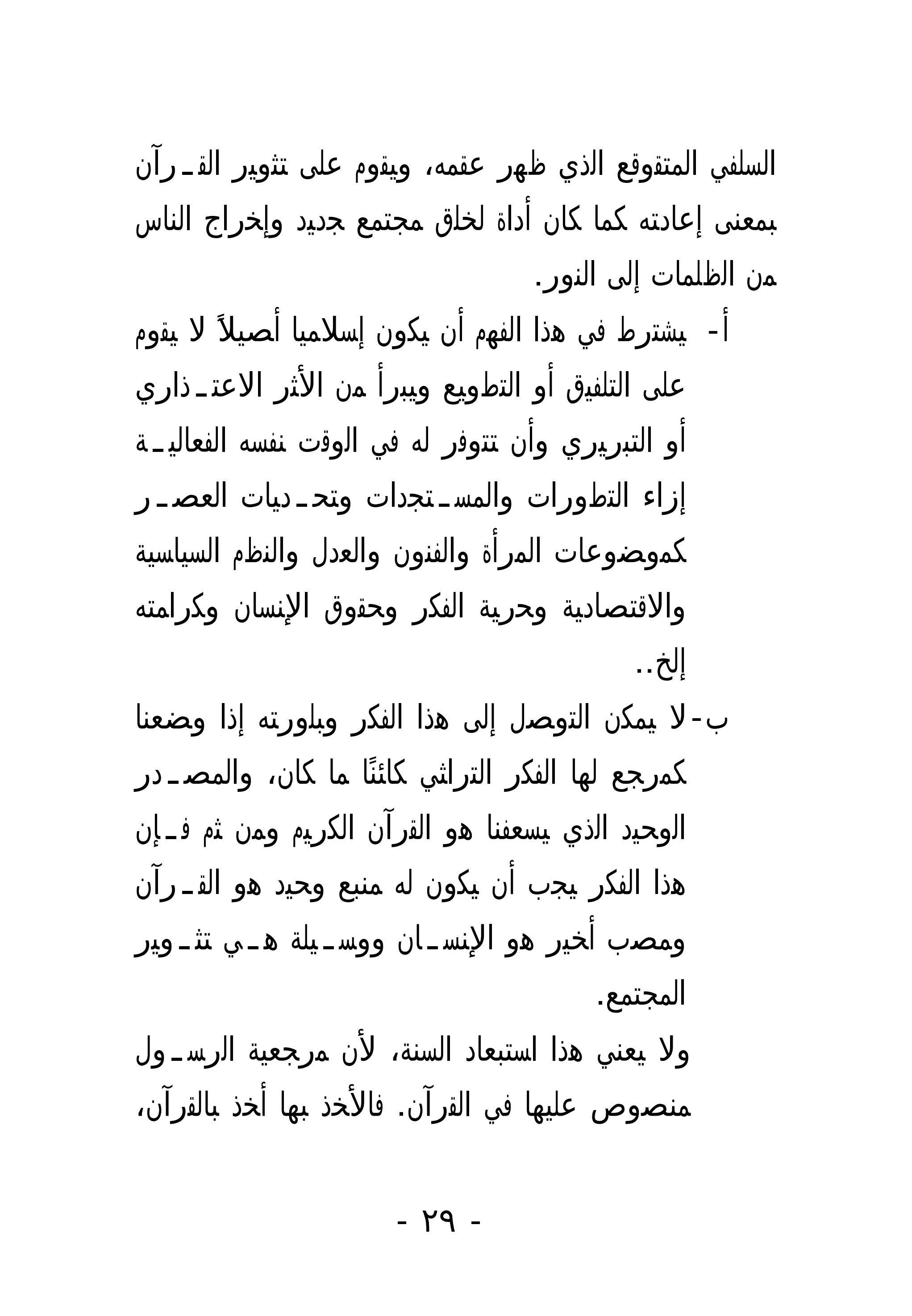
الإسلام وحده هو الذي يقوى على صد هذه الغائلة- وليس هناك بديل فالاشتراكية، والقوميـة العربيـة، والوطنية كلها تهاوت كبيوت من ورق، ولا يمكن أن نجد كتابا كالقرآن، ولا أسوة كالرسول ولا كوكبة من القادة كالصحابة فضلاً عن ذكريات وجهود وعلمـاء



وشهداء على مدار ألف وأربعمائة عام، وليس مطلوبا ولا هو مستطاع أن نمحو الذاكرة التاريخية للأمة، أو أن نبدأ من فراغ أو أن نستجدي النظم، فهذا كله عبث. الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يقف أمام خطر إذابة العولمة.

و- وقضية التنمية التي هي التحدي الأول أمام الدول الإسلامية لا يمكن أن تتحقق إلا باعتبارها معركة حضارية إيمانية يعبأ لها الشعب باعتبارها الصورة الحقيقية للجهاد. والإيمان الإسلامي هو القوة الرافعة التي ترفعها من أرض المكاتب والقواعد إلى سماوات الإنجاز، والطاقة المجانية التي تكفل لها دوام العمل، ولن يتوفر هذا إذا قامت بها الحكومات والخبراء، والفنيون أو اعتمدت على الإعانات والاستثمارات والقروض وسياسات البنك الدولي فهذه كلها تربطها بالعولمة وتخضعها لمصالح الدول الكبرى والمؤسسات العملاقة.

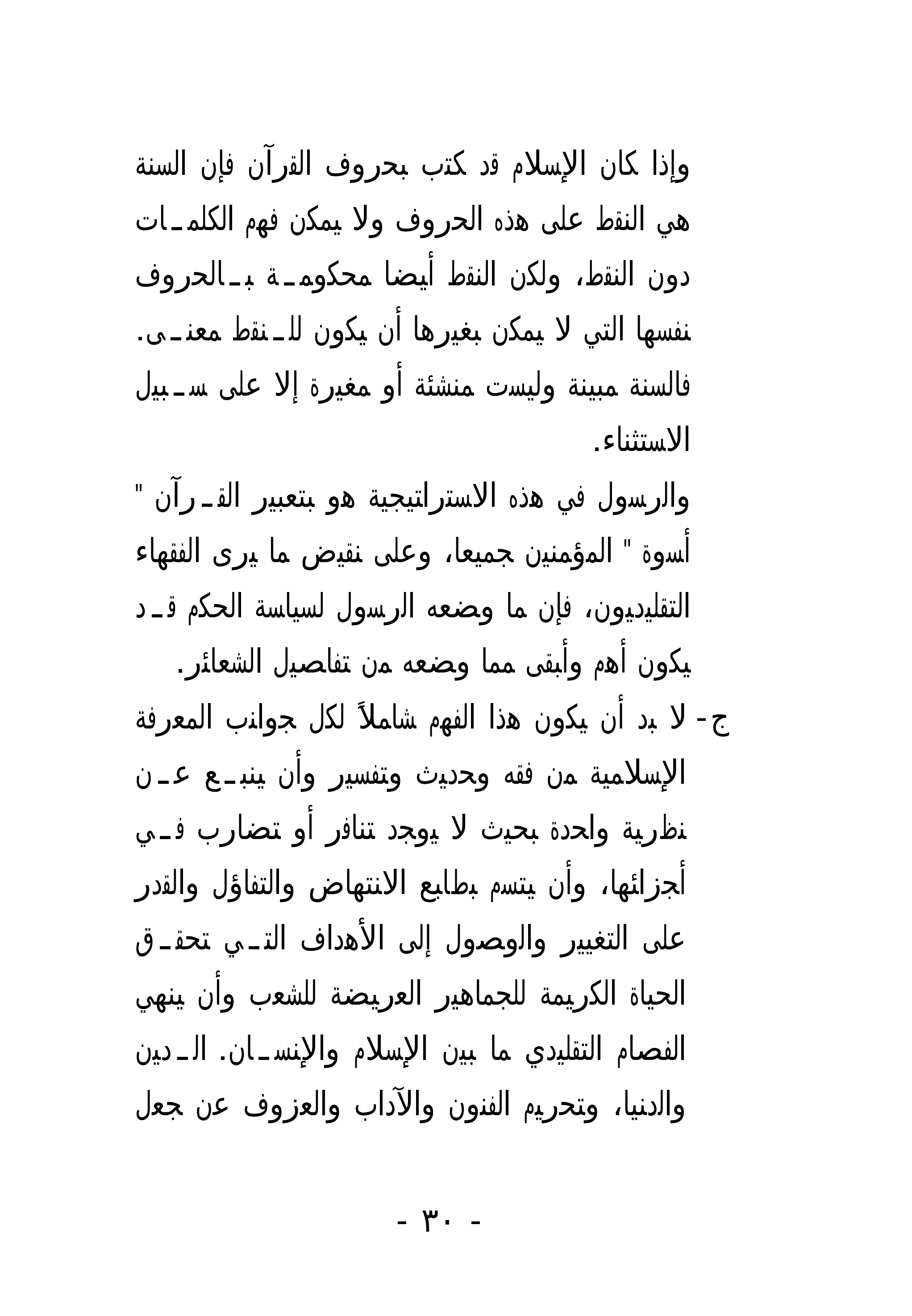
ثانيا: إذا أريد تطبيق الاستراتيجية المنشودة فلا بد من تقديم فهم جديد للإسلام يختلف تماما عن الفهم التقليدي


السلفي المتقوقع الذي ظهر عقمه، ويقوم على تثوير القـرآن بمعنى إعادته كما كان أداة لخلق مجتمع جديد وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

أ- يشترط في هذا الفهم أن يكون إسلاميا أصيلاً لا يقوم على التلفيق أو التطويع ويبرأ من الأثر الاعتـذاري أو التبريري وأن تتوفر له في الوقت نفسه الفعاليـة إزاء التطورات والمسـتجدات وتحـديات العصـر كموضوعات المرأة والفنون والعدل والنظم السياسية والاقتصادية وحرية الفكر وحقوق الإنسان وكرامته إلخ..

ب- لا يمكن التوصل إلى هذا الفكر وبلورته إذا وضعنا كمرجع لها الفكر التراثي كائنًا ما كان، والمصـدر الوحيد الذي يسعفنا هو القرآن الكريم ومن ثم فـإن هذا الفكر يجب أن يكون له منبع وحيد هو القـرآن ومصب أخير هو الإنسـان ووسـيلة هـي تثـوير المجتمع.

ولا يعني هذا استبعاد السنة، لأن مرجعية الرسـول منصوص عليها في القرآن. فالأخذ بها أخذ بالقرآن،



وإذا كان الإسلام قد كتب بحروف القرآن فإن السنة هي النقط على هذه الحروف ولا يمكن فهم الكلمـات دون النقط، ولكن النقط أيضا محكومـة بـالحروف نفسها التي لا يمكن بغيرها أن يكون للـنقط معنـى. فالسنة مبينة وليست منشئة أو مغيرة إلا على سـبيل الاستثناء.

والرسول في هذه الاستراتيجية هو بتعبير القـرآن " أسوة " المؤمنين جميعا، وعلى نقيض ما يرى الفقهاء التقليديون، فإن ما وضعه الرسول لسياسة الحكم قـد يكون أهم وأبقى مما وضعه من تفاصيل الشعائر.

ج- لا بد أن يكون هذا الفهم شاملاً لكل جوانب المعرفة الإسلامية من فقه وحديث وتفسير وأن ينبـع عـن نظرية واحدة بحيث لا يوجد تنافر أو تضارب فـي أجزائها، وأن يتسم بطابع الانتهاض والتفاؤل والقدر على التغيير والوصول إلى الأهداف التـي تحقـق الحياة الكريمة للجماهير العريضة للشعب وأن ينهي الفصام التقليدي ما بين الإسلام والإنسـان. الـدين والدنيا، وتحريم الفنون والآداب والعزوف عن جعل

الاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا هـدفًا مـن أهـداف الدعوة الإسلامية. إن الحياة في سبيل ا   لا تتنـافى مع " الموت في سبيل ا   " بـل لعلهـا أن تكـون الطريق إليه.

- ومن القسمات الرئيسية في هذا الفهـم إنقـاذ الفكـر الإسلامي من المنطق " الصوري الطقوسي " إلى عالم الحياة وإبراز القيم الحضارية من العلم والعدل والعمل والحرية التي هي في الحقيقة لـب الأديـان، وبوجـه خاص الإسلام.
- ومن القسمات الرئيسية في هذا الفكر الإيمان بحريـة الفكر والاعتقاد إلى آخر مدى " فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر ".
- ومن القسمات الرئيسية في هذا الفكر أيضـا تحريـر المرأة المسلمة من القيود التي فرضها الفقهاء وعزلوها بها عن الحياة.

إن العلم، والعمـل والمشـاركة السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية هي حقوق للمرأة كفلها القـرآن عنـدما قـال: ﴿ **وَالْمُؤْمِنُون وَالْمُؤْمِنَاتُ بعضهم أَوْلِيَاء بعـض يـأْمرون**

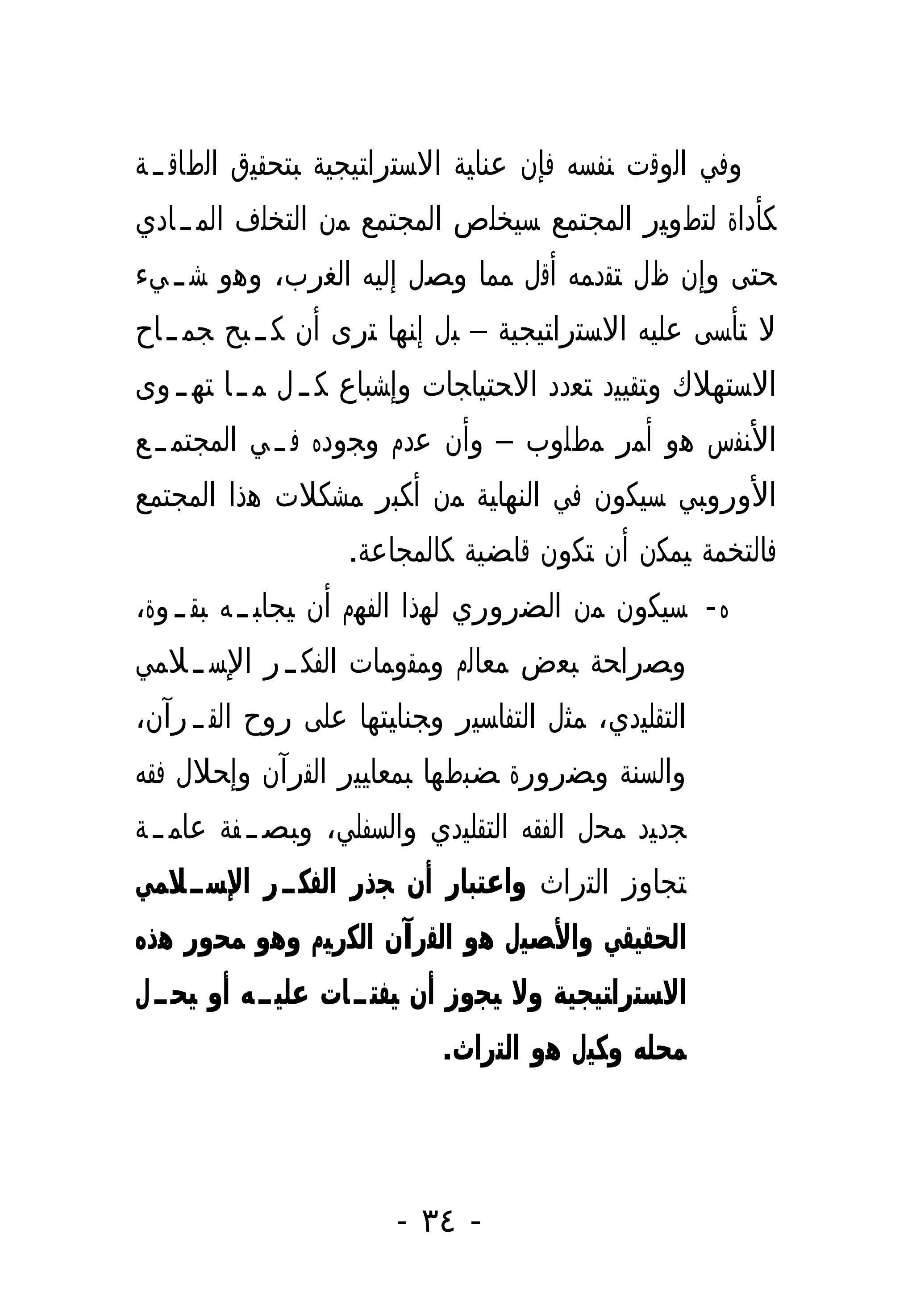
بِالْمعروفِ وينْهون عن الْمنْكر ﴾ إلى آخر الآية، ولا يمكـن لأمة الإسلام أن تنهض ونصفها مشلول، ومن الخطأ الفاحش أن تختزل قضية المرأة في " الحجاب ".

د- لا بد أن تتضمن الدعوة الإسلامية الجديدة كجزء لا يتجزأ منها صورة للإمكانيات الهائلة التي يمكـن أن تتغير بها صورة الحياة الواقعة، بل تقلب الأوضـاع الدولية رأسا على عقب، **ويكون ذلك بـأن يوضـع كهدف استراتيجي التوصل إلى طريقـة اسـتخدام الطاقة الشمسية استخداما " تجاريا " ولـن يعجـز العلماء المسلمون عن التوصل إلى ذلك،** وسـيعيد هذا مراكز القوة في أوروبا إلـى البحـر الأبـيض المتوسط (كما كانت قبل الثورة الصناعية) وستغرس الحياة الكريمة والنور في القارة التي أطلقوا عليهـا القارة المظلمة، وستصبح الصحراء الكبرى – التـي تماثل مساحتها الولايات المتحدة، وتزيـد مـزارع ومصانع، ومدن تكفل الحياة الكريمة لكل أبنائها.

وإذا حق لأوروبا أن تفخر بالعدد الكبيـر مـن العلمـاء والمكتشـفين والمختـرعين، والفنـانين والفلاسـفة فـإن

الاستراتيجية الإسلامية تبرز دور " الأنبياء " الذين أنعـم ا
على الشرق بهم، وكيف كانوا القادة الذين هـدوا الشـعوب
والجماهير إلى الحياة الرضية الخيرة، وإلى مـا قامـت بـه
الأديان من تعميق الضمير، وإرساء القيم وتنظـيم المجتمـع
وهذا كله يعدل، ويفوق ما أنجبته أوروبا من نوابغ.

وفي حقيقة الحال فإن المؤمنين بهذه الاستراتيجية لا يمكن أن يتطرق إليهم شعور بالدونية، أو أن يصابوا بانبهار لأنهم يؤمنون أن الحضارة التي يدعون إليها أفضل من الحضـارة الأوربية في جوانب رئيسية فالإنجـاز الأعظـم للحضـارة الأوربية هو في " الأداء " وطريقة الصنع والإنتاج والتعامل وسرى هذا في عروق هذه الحضارة بحيث غلبـت عليهـا " الشكلانية " إلى درجة أصبحت تعتبـر كـل مـن لا يأكـل بالشوكة والسكين ويلم بأتيكيت المائدة همجيا متخلفًا حتى إن كان لديه الصدق، والإخلاص والعدالة والعقل والذكاء إلـخ.. فاستراتيجية الدعوة الإسلامية أبعد عن أن تؤخذ بالحضـارة الأوروبية، إنها تعمل – فيمـا تعمـل – لإصـلاح نقـص الحضارة الأوروبية المميت، إلا وهو ابتعادهـا عـن عـالم الروح والقيم.



وفي الوقت نفسه فإن عناية الاستراتيجية بتحقيق الطاقة كأداة لتطوير المجتمع سيخلص المجتمع من التخلف المادي حتى وإن ظل تقدمه أقل مما وصل إليه الغرب، وهو شيء لا تأسى عليه الاستراتيجية – بل إنها ترى أن كبح جماح الاستهلاك وتقييد تعدد الاحتياجات وإشباع كل ما تهوى الأنفس هو أمر مطلوب – وأن عدم وجوده في المجتمع الأوروبي سيكون في النهاية من أكبر مشكلات هذا المجتمع فالتخمة يمكن أن تكون قاضية كالمجاعة.

٥- سيكون من الضروري لهذا الفهم أن يجابه بقوة، وصراحة بعض معالم ومقومات الفكر الإسلامي التقليدي، مثل التفاسير وجنايتها على روح القرآن، والسنة وضرورة ضبطها بمعايير القرآن وإحلال فقه جديد محل الفقه التقليدي والسفلي، وبصفة عامة تجاوز التراث **واعتبار أن جذر الفكر الإسلامي الحقيقي والأصيل هو القرآن الكريم وهو محور هذه الاستراتيجية ولا يجوز أن يفتات عليه أو يحل محله وكيل هو التراث.**

و- لا بد من صياغة مفردات هذا الفم في كتابات سائغة، بأسلوب مفهوم بعيد عن التعقيد الأكاديمي والتفيهـق التقليدي تفند كل ما يوجه إليها من اتهامات أو ما قد يحيط بها من شبهات، وتنتهي إلى النتائج المنشودة.

على أن لا يمس هذا درجة الإحكام والأستاذية التي يجب أن تتوفر في مراجع لنظرية جديدة أو استراتيجية شاملة.

***

عندما يتم التوصل إلى هذا الفهم الجديد المنشود والـذي يمثل الأساس النظري للاستراتيجية يمكن الانتقال إلى طريقة تحويل هذا الفكر إلى عمل، والنظرية إلى سياسـة policy مع **التنبيه إلى مخاطر الانتقال من الفكر إلـى العمـل قبـل استكمال الجانب النظري واستيعاب الجماهير له.**

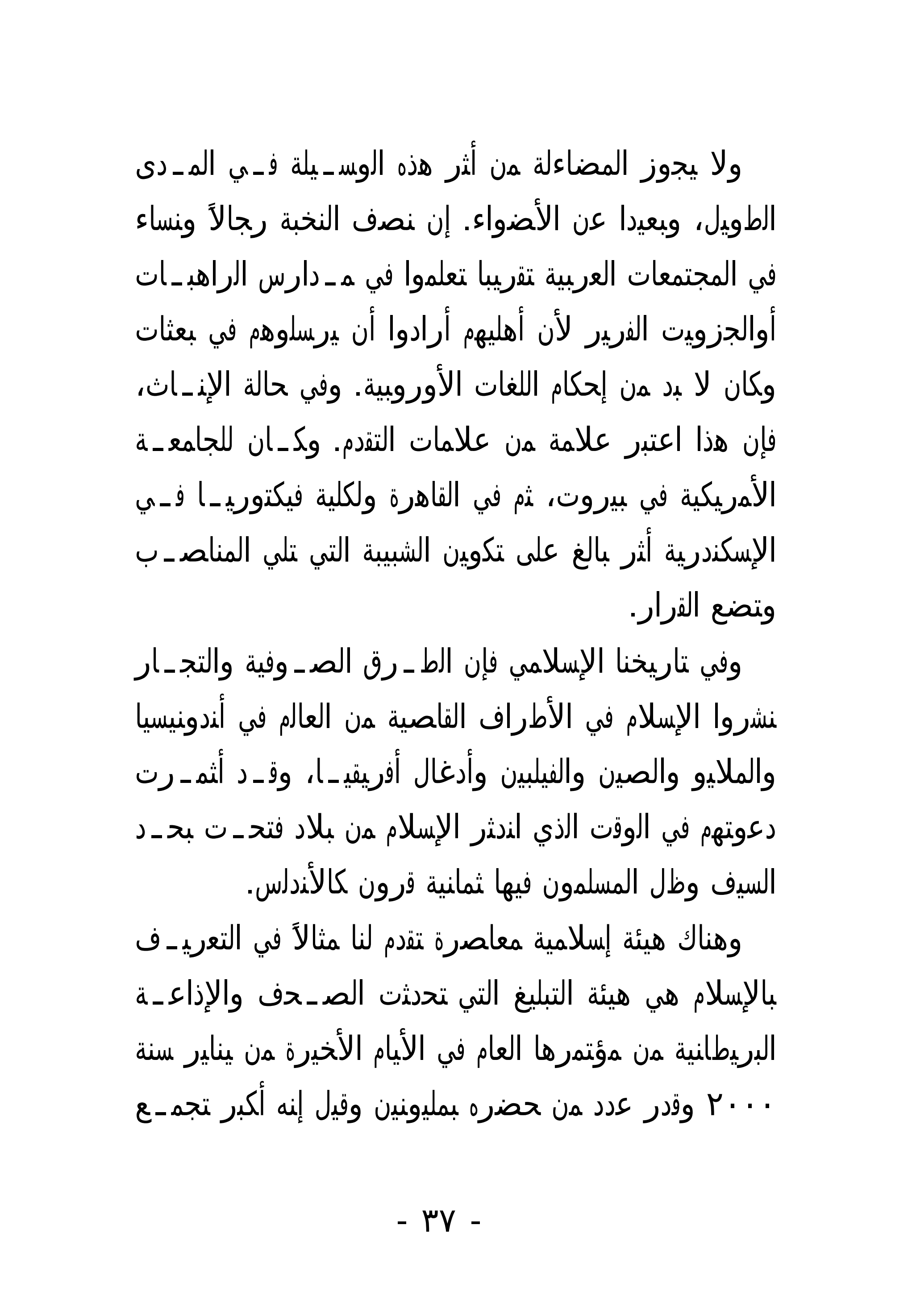
ثالثًا: طرق التغيير وهي:

أ- التغيير الثوري – بانقلاب عسكري كالذي حدث في سوريا والعراق وكانقلاب ٢٣ يوليو العسكري فـي مصر.

ب-التغيير التدريجي – بالحكم والموعظة الحسنة بحيث يمكن التوصل إلى تغيير الرأي العام واكتساب رأي

عام جديد ومثاله في العصر الحديث الجمعية الفابية Fabian Society التي أسسها في إنجلترا في أواخر القرن التاسع عشر لفيف محدود جدا (خمسة أو ستة) من ذوي الاتجاه الاشتراكي واستبعدوا لوثاته وعملوا لإذاعة هذا الفكر بالنشر أساسا ونجحوا بحيث استطاع حزب العمال سنة ١٩٤٥ أن يحقق ثورة اجتماعية دون حاجة إلى الشرعية الدموية المزعومة للثورات.

كما يمكن أيضا دراسة سياسات ووسائل التبشير بالمسيحية والشخصيات البارزة في الفكر المسيحي مثل القديس بول واجنازيودي ليولا وفرانسيس الأزيسي وسان فنسان دي بول وقيادات الكنيسة الأرثوذكية في مصر التي قاومت الاضطهاد البيزنطي، بالاختصار القيادات التي قامت بالتبشير بالمسيحية داخل أوروبا ونشرتها خارجها وكانت وسائلها التبشير والنشر والمدارس. وقد كانت هي التي جعلت معظم زعماء وحكام أفريقيا مسيحيين لأنها أدخلتهم أطفالاً في مدارسها ونصرتهم وكانوا قبلاً مسلمين أوثنيين.



ولا يجوز المضاءلة من أثر هذه الوسـيلة فـي المـدى الطويل، وبعيدا عن الأضواء. إن نصف النخبة رجالاً ونساء في المجتمعات العربية تقريبا تعلموا في مـدارس الراهبـات أوالجزويت الفرير لأن أهليهم أرادوا أن يرسلوهم في بعثات وكان لا بد من إحكام اللغات الأوروبية. وفي حالة الإنـاث، فإن هذا اعتبر علامة من علامات التقدم. وكـان للجامعـة الأمريكية في بيروت، ثم في القاهرة ولكلية فيكتوريـا فـي الإسكندرية أثر بالغ على تكوين الشبيبة التي تلي المناصـب وتضع القرار.

وفي تاريخنا الإسلامي فإن الطـرق الصـوفية والتجـار نشروا الإسلام في الأطراف القاصية من العالم في أندونيسيا والملايو والصين والفيلبين وأدغال أفريقيـا، وقـد أثمـرت دعوتهم في الوقت الذي اندثر الإسلام من بلاد فتحـت بحـد السيف وظل المسلمون فيها ثمانية قرون كالأندلس.

وهناك هيئة إسلامية معاصرة تقدم لنا مثالاً في التعريـف بالإسلام هي هيئة التبليغ التي تحدثت الصـحف والإذاعـة البريطانية من مؤتمرها العام في الأيام الأخيرة من يناير سنة ٢٠٠٠ وقدر عدد من حضره بمليونين وقيل إنه أكبر تجمـع

إسلامي بعد الحج وفكرة التبليغ رغم وعورة وصعوبة القيام بها (لأنها تتطلب عادة السفر إلـى أقطـار بعيـدة للتبليـغ بالإسلام) من أنجح الدعوات لأنها بسيطة وسائغة **والـنقص الرئيسي أن ما يقومون به يدور حول التعريف بالشعائر من صلاة أو صيام والدعوة الإسلامية عندما تنفصل عن روحها تصبح مجرد طقوس ولو بلغ دعاتها روح الإسلام لأسهمت إلى حد كبير في النهضة بالمسلمين وكل من تـبلغهم هـذه الدعوة..**

كما يجب دراسة قيادات الفكر الاشتراكي ماركس وإنجلز وروزا لوكسمبرج ولينين وتروتسكي والقيادات التي نشـرت الفكر الاشتراكي في مختلف دول العالم والمشـكلات التـي عانوها والمآزق التي تعرضوا إلخ..

ج- العمل السياسي – بتكوين حزب والوصول للحكم، ويمكن لهذا الحزب أن يتقلد الحكم بطريقة ديمقراطية (حزب العمال في بريطانيا سنة ١٩٤٥) أو بطريقة انقلابية (حزب النازي والحزب الفاشي في ألمانيا وإيطاليا).

الوسيلة الثانية (ب) أي التغيير التـدريجي للـرأي العـام واكتساب رأي عام جديد هي الأمثل لأنها:

- تبرأ من مخاطر الديكتاتورية العسكرية، والانتهازية الحزبية.
- تكفل الإيمان الحقيق الذي لا يتأتى إلا بتعميق الفكر.
- تتفق مع الإسلام الذي يعني بإصلاح الفـرد – قبـل وأهم – من إصلاح الأوضاع وتتبع تكتيكه " المرحلة المكية – مرحلة العقيـدة قبـل المدينـة ومرحلـة الشريعة".
- مع أنها تتطلب وقتًا طويلاً، وعادة ما لا تكون لها " الجاذبية الثورية " فإنها آمنة، ولا يمكن أن تتسـبب في مثل نكسة ٦٧ التي أخرت العرب مائة سـنة أو في تراجيديا " أم المعـارك " وموبقـات الشـرعية الثورية المزعومة كما تكفل البعـد عـن هسـتيريا الجماعات الإسلامية التي تتصور أنه يمكن بـالعنف إقامة الدولة الإسلامية.

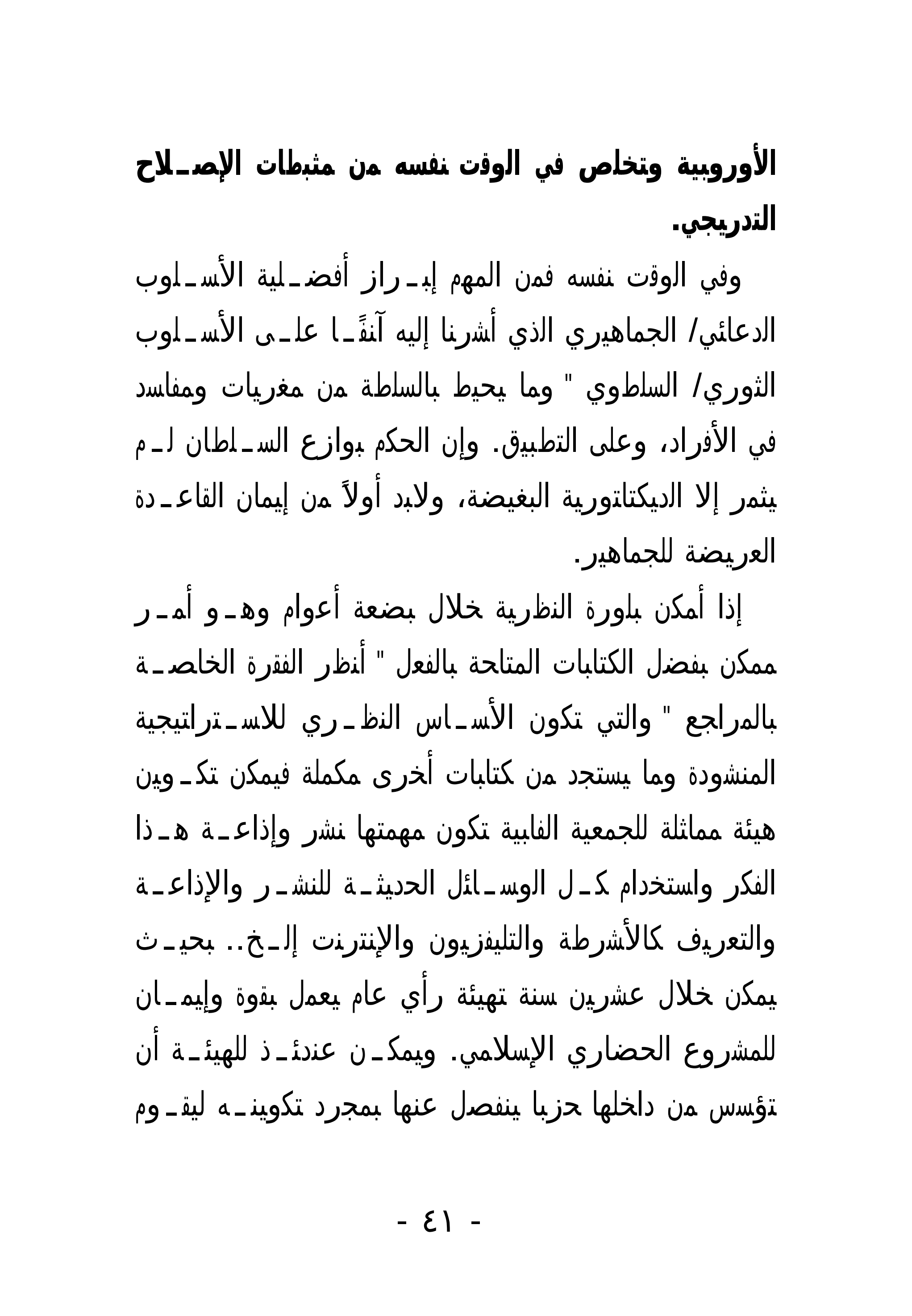
ولكن لما كان الأسـلوب الإصـلاحي التـدريجي الـذي ستنتهجه الاستراتيجية سيؤدي بروح ثوريـة نتيجـة تثـوير

القرآن فإن هذا سيوفر له قدرا كبيرا من الحماسـة والثقـة بسلامة الفكرة وقيامها على أعظم المرتكـزات – القـرآن – وفي الوقت نفسه معايشتها للحاضر واستشرافها للمسـتقبل، وأن ما تطرحه من حلول هي حلول سليمة ليسـت فحسـب لمشكلة المجتمع العربي الإسلامي، بل أيضـا لحـل أزمـة المجتمع الأوروبي/ الأمريكي.

إنها ثورة الكلمة التي تريد أن تعيد مرة أخرى ما قالـت عائشة " فتحت المدينة بالقرآن " دون حاجة إلـى قتـال أو دماء.

إن هذا لا يقل أهمية في الثورية عن مضـمون الـدعوة نفسها وقد نجحت دعوة الإخـوان المسـلمين والجماعـات الإسلامية الشاردة في تحقيق قدر من الجو الحماسي ولكن لما كانت مرتكزاتها ماضوية، سـلفيه، عـاجزة عـن مجابهـة مشكلات العصر، دع عنك المستقبل، فلم يثمر إيمانها عملاً. **لقد كانوا على استعداد " للموت في سبيل ا " وليس للحياة في سبيل ا .**

إن المناخ الانتهاضي الروحي المطلوب هو مـا يثمـره تثوير القرآن – هذه العملية التي تبرأ من لوثات الثـورات



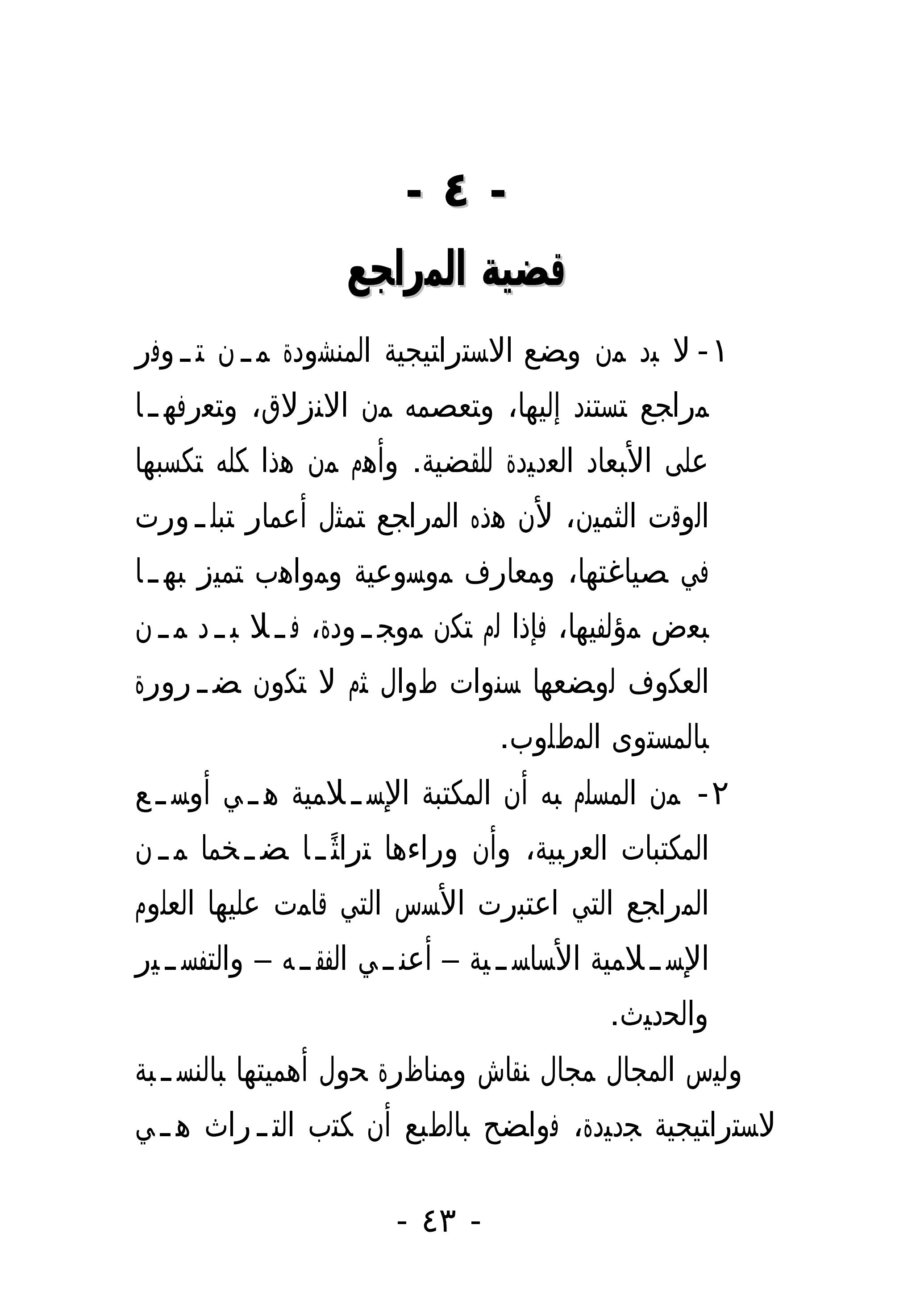
الأوروبية وتخاص في الوقت نفسه من مثبطات الإصـلاح التدريجي.

وفي الوقت نفسه فمن المهم إبـراز أفضـلية الأسـلوب الدعائي/ الجماهيري الذي أشرنا إليه آنفًـا علـى الأسـلوب الثوري/ السلطوي " وما يحيط بالسلطة من مغريات ومفاسد في الأفراد، وعلى التطبيق. وإن الحكم بوازع السـلطان لـم يثمر إلا الديكتاتورية البغيضة، ولابد أولاً من إيمان القاعـدة العريضة للجماهير.

إذا أمكن بلورة النظرية خلال بضعة أعوام وهـو أمـر ممكن بفضل الكتابات المتاحة بالفعل " أنظر الفقرة الخاصـة بالمراجع " والتي تكون الأسـاس النظـري للاسـتراتيجية المنشودة وما يستجد من كتابات أخرى مكملة فيمكن تكـوين هيئة مماثلة للجمعية الفابية تكون مهمتها نشر وإذاعـة هـذا الفكر واستخدام كـل الوسـائل الحديثـة للنشـر والإذاعـة والتعريف كالأشرطة والتليفزيون والإنترنت إلـخ.. بحيـث يمكن خلال عشرين سنة تهيئة رأي عام يعمل بقوة وإيمـان للمشروع الحضاري الإسلامي. ويمكـن عندئـذ للهيئـة أن تؤسس من داخلها حزبا ينفصل عنها بمجرد تكوينـه ليقـوم

بالتطبيق خلال الحكم بوسائل ديمقراطيـة. وتبقـى الهيئـة لتراقب حزبها حتى لا ينحرف وتزوده بالعناصـر المؤمنـة ولتآزره عند الحاجة ولكنها تظل في جميع الحـالات هيئـة دعوة.

ولما كانت دعوة الإحياء الإسلامي (انظر البـاب الثاني من هذا الكتاب) قد بدأت بالفعل فـي بلـورة النظرية، فإن الجزء الأعظم من " طرح الاستراتيجية " يكون قد تم ولو في مرحلة أولية، ويبقى بعد ذلـك العمل والممارسة التي ستصقل التنظيـر وستكشـف عن نواحي الكمال أو القصور، ما يجب أن يضاف. وما يحسن أن يحذف. حساب الأولويات إلخ.. وهـو ما لا يتضح تمامـا إلا بالعمـل الميـداني ووسـط الجماهير الذي ستمارسه دعوة الأحياء الإسلامي وما يكشف عنه هذا العمل من أولويات أو تعديلات.



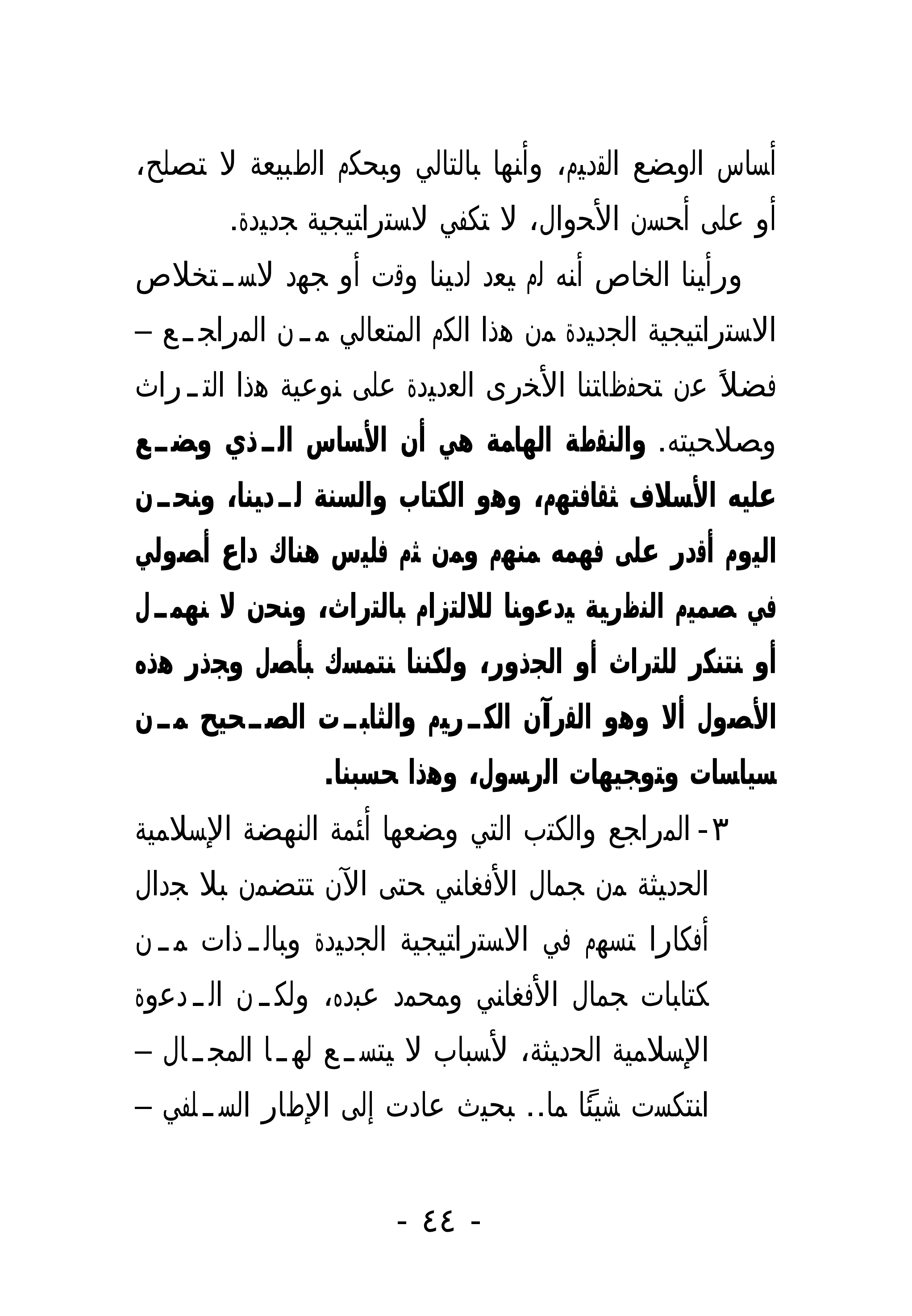
- ٤ -

قضية المراجع

١- لا بد من وضع الاستراتيجية المنشودة مـن تـوفر مراجع تستند إليها، وتعصمه من الانزلاق، وتعرفهـا على الأبعاد العديدة للقضية. وأهم من هذا كله تكسبها الوقت الثمين، لأن هذه المراجع تمثل أعمار تبلـورت في صياغتها، ومعارف موسوعية ومواهب تميز بهـا بعض مؤلفيها، فإذا لم تكن موجـودة، فـلا بـد مـن العكوف لوضعها سنوات طوال ثم لا تكون ضـرورة بالمستوى المطلوب.

٢- من المسلم به أن المكتبة الإسـلامية هـي أوسـع المكتبات العربية، وأن وراءها تراثًـا ضـخما مـن المراجع التي اعتبرت الأسس التي قامت عليها العلوم الإسـلامية الأساسـية – أعنـي الفقـه – والتفسـير والحديث.

وليس المجال مجال نقاش ومناظرة حول أهميتها بالنسـبة لاستراتيجية جديدة، فواضح بالطبع أن كتب التـراث هـي


أساس الوضع القديم، وأنها بالتالي وبحكم الطبيعة لا تصلح، أو على أحسن الأحوال، لا تكفي لاستراتيجية جديدة.

ورأينا الخاص أنه لم يعد لدينا وقت أو جهد لاستخلاص الاستراتيجية الجديدة من هذا الكم المتعالي من المراجع – فضلاً عن تحفظاتنا الأخرى العديدة على نوعية هذا التراث وصلاحيته. **والنقطة الهامة هي أن الأساس الذي وضع عليه الأسلاف ثقافتهم، وهو الكتاب والسنة لدينا، ونحن اليوم أقدر على فهمه منهم ومن ثم فليس هناك داع أصولي في صميم النظرية يدعونا للالتزام بالتراث، ونحن لا نهمل أو نتنكر للتراث أو الجذور، ولكننا نتمسك بأصل وجذر هذه الأصول ألا وهو القرآن الكريم والثابت الصحيح من سياسات وتوجيهات الرسول، وهذا حسبنا.**

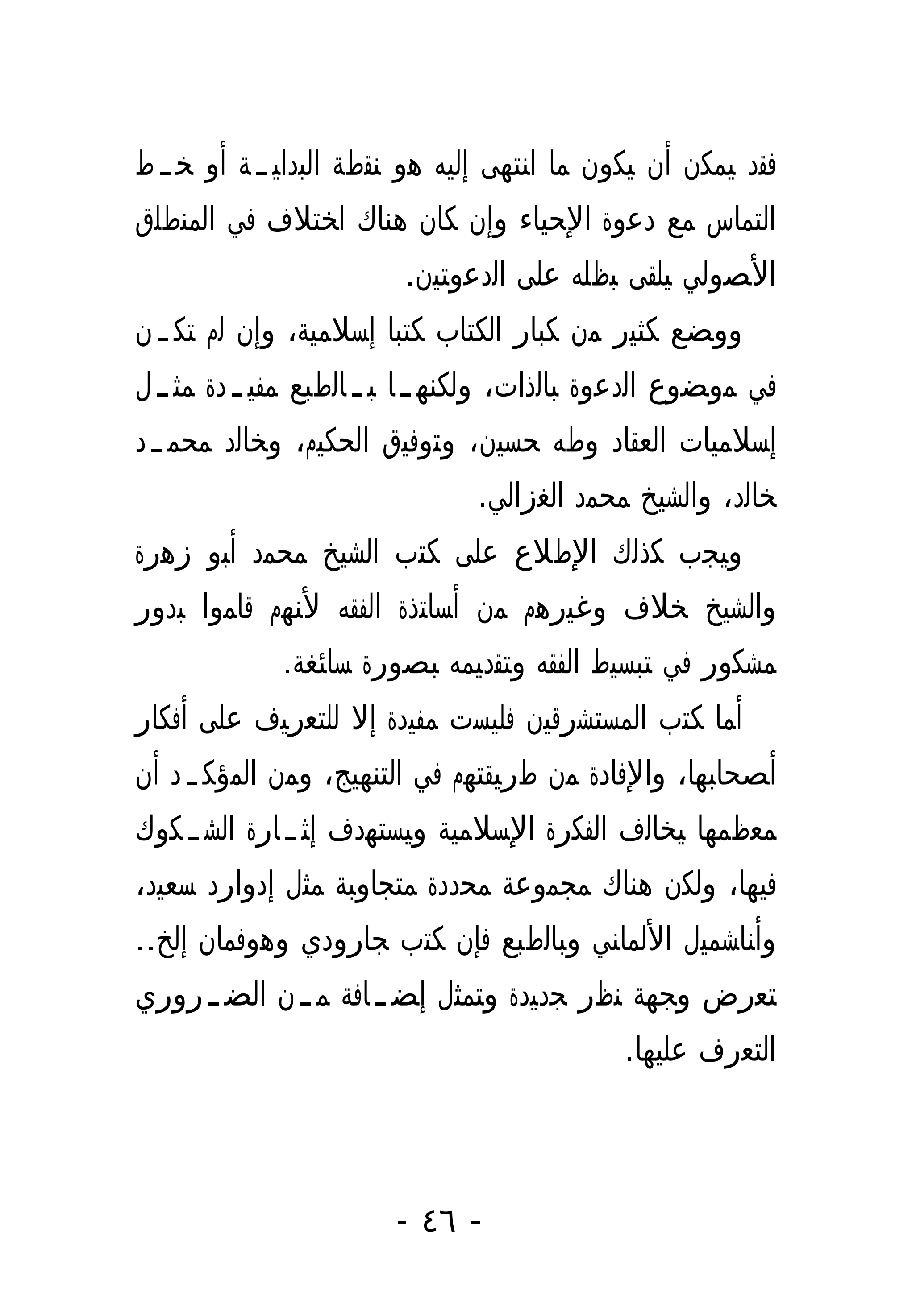
٣- المراجع والكتب التي وضعها أئمة النهضة الإسلامية الحديثة من جمال الأفغاني حتى الآن تتضمن بلا جدال أفكارا تسهم في الاستراتيجية الجديدة وبالذات من كتابات جمال الأفغاني ومحمد عبده، ولكن الدعوة الإسلامية الحديثة، لأسباب لا يتسع لها المجال – انتكست شيئًا ما.. بحيث عادت إلى الإطار السلفي –

سواء في هذا دعوة الإخـوان المسـلمين أو دعـوات الجماعات الإسلامية على اختلافها (الجهاد – القطبيون إلخ..) وأصبحت داعية للإطار السلفي..

وبقدر ما تتعمق كتابات منظري هذه الجماعات بقدر مـا تصدق هذه الحقيقة كما تظهر بوجه خـاص فـي كتابـات منظري هذه الجماعات بقدر ما تصدق هذه الحقيقة كما تظهر بوجه خاص في كتابات السيد أبو الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب.

وقد يكون أقرب الكتابات إلى فكرة الاسـتراتيجية كتـاب إقبال " تجديد الفكر الإسلامي " (مع بعض تحفظات) وكتابات النمساوي المسلم أسد " ليوبولد زيف " وهـي فـي الصـميم ولعلها الأفضل، وكذلك محاولات الجزائري مالك بن نبـي. كما أن للدكتور حسن الترابـي والشـيخ راشـد الغنوسـي والدكتور فتحي عثمان والدكتور محمد شحرور مسـاهمات طيبة.

واستطاع الشيخ يوسف القرضاوي باجتهاداته ومرونته أن يوسع في إطار الفقه السلفي إلى آخر مـدى يحتملـه هـذا الإطار، ولما كان فقه دعوة الإحياء هو خارج هذا الإطـار،



فقد يمكن أن يكون ما انتهى إليه هو نقطة البداية أو خط التماس مع دعوة الإحياء وإن كان هناك اختلاف في المنطلق الأصولي يلقي بظله على الدعوتين.

ووضع كثير من كبار الكتاب كتبا إسلامية، وإن لم تكن في موضوع الدعوة بالذات، ولكنها بالطبع مفيدة مثل إسلاميات العقاد وطه حسين، وتوفيق الحكيم، وخالد محمد خالد، والشيخ محمد الغزالي.

ويجب كذلك الإطلاع على كتب الشيخ محمد أبو زهرة والشيخ خلاف وغيرهم من أساتذة الفقه لأنهم قاموا بدور مشكور في تبسيط الفقه وتقديمه بصورة سائغة.

أما كتب المستشرقين فليست مفيدة إلا للتعريف على أفكار أصحابها، والإفادة من طريقتهم في التنهيج، ومن المؤكد أن معظمها يخالف الفكرة الإسلامية ويستهدف إثارة الشكوك فيها، ولكن هناك مجموعة محددة متجاوبة مثل إدوارد سعيد، وأناشميل الألماني وبالطبع فإن كتب جارودي وهوفمان إلخ.. تعرض وجهة نظر جديدة وتمثل إضافة من الضروري التعرف عليها.

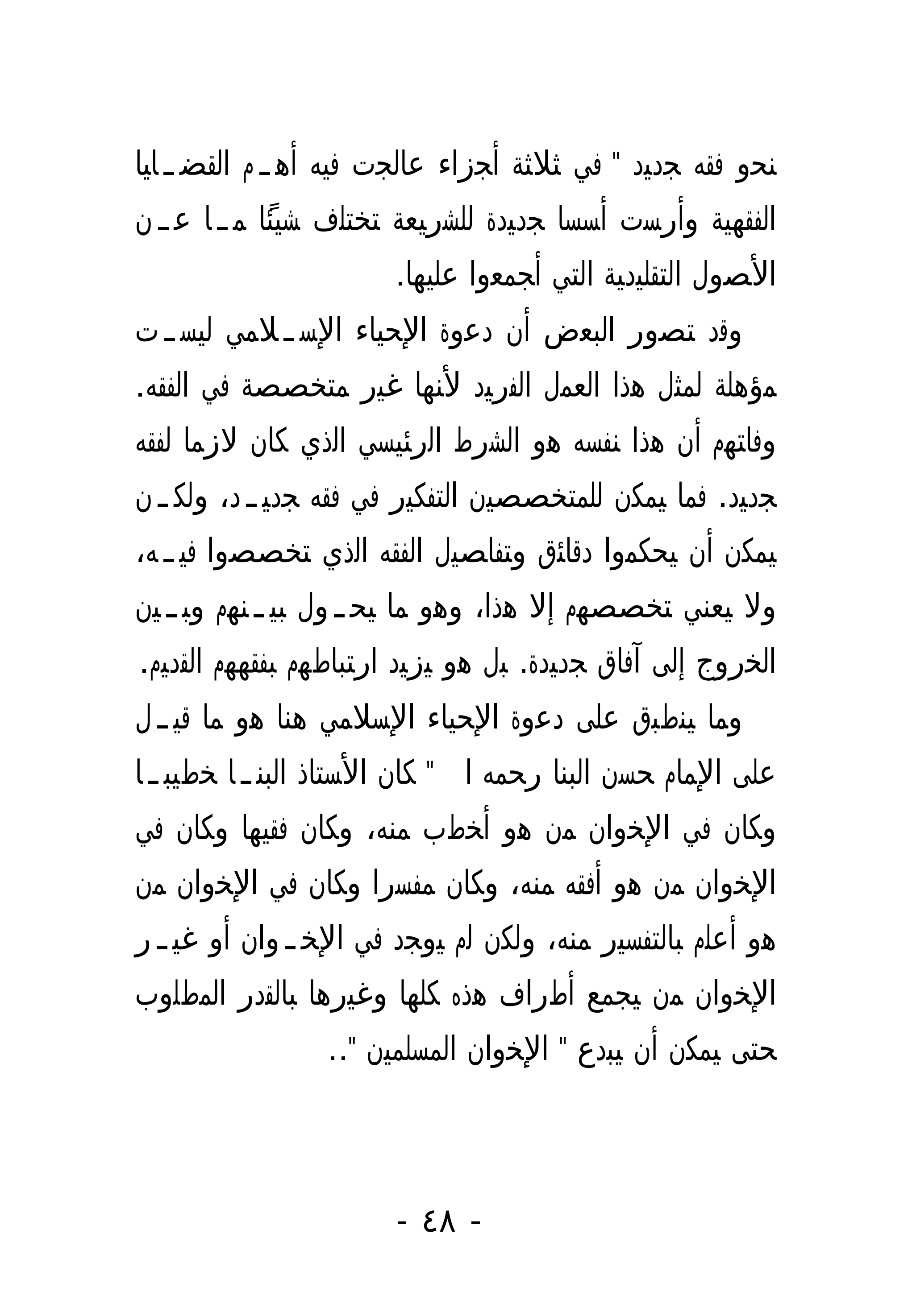
تظل الحقيقة أن هذه المراجع كلها لم تستهدف وضع استراتيجية، لأن الحارس القوي للفهم التقليدي والإطار السلفي حال دون وضع أسس استراتيجية تجابه تحديات العصر، وهذا الحارس هو الفقه وما وضعه الأسلاف من أصول أو تفريعات، وما استندوا عليه من تكييف للسنة وتفسير القرآن، وقد أخذ الجميع أصول الفقه الأربعة ومقاصد الشريعة الخمسة كمسلمات لا نقاش فيها، ولا تعقيب عليها[1].

كما لم يجادل أحد في مرجعية ومصداقية تفسيرات المفسرين للقرآن أو ما أقامه المحدثون من فنون الرواية والدراية والجرح والتعديل. وقد كان هذا التأصيل للفقه والحديث والتفسير كافيا في وقته، ولكنه غير كاف الآن، بل إنه أصبح عقبة كئود – أمام التجديد المنشود، وأمام هذه العقبة وقف الجميع. دون أن يتوصلوا – أو حتى يفكروا – في فقه جديد يحل هذه المعضلة.

وهذا الأمل الطموح والإنجاز المرموق هو ما خص ا تعالى به دعوة الإحياء الإسلامي فتصدت له، وأصدرت "

---

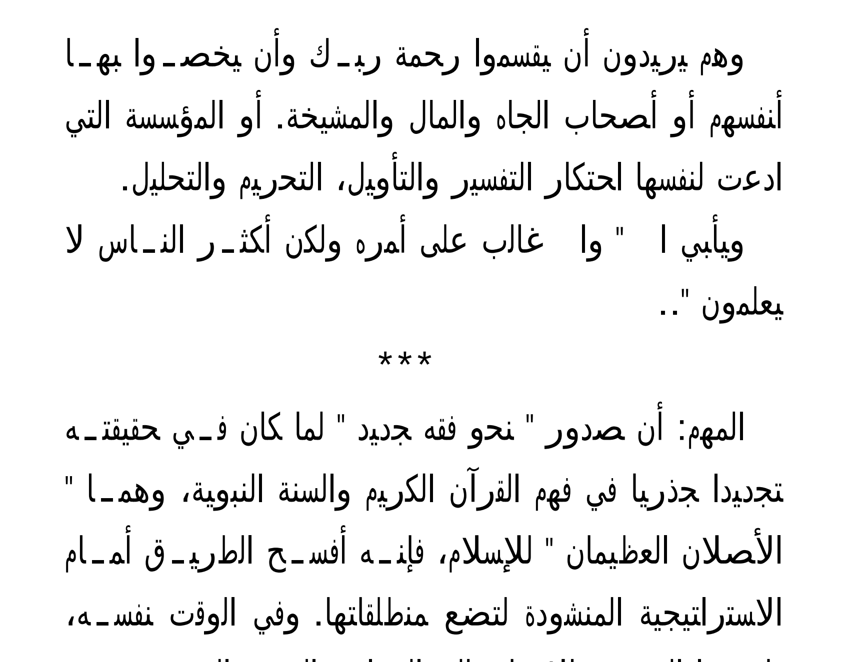
(1) انظر الجزء الثالث من نحو فقه جديد – جمال البنا – الذي يعرض وجهة نظر مختلفة.



نحو فقه جديد " في ثلاثة أجزاء عالجت فيه أهـم القضـايا الفقهية وأرست أسسا جديدة للشريعة تختلف شيئًا مـا عـن الأصول التقليدية التي أجمعوا عليها.

وقد تصور البعض أن دعوة الإحياء الإسـلامي ليسـت مؤهلة لمثل هذا العمل الفريد لأنها غير متخصصة في الفقه. وفاتهم أن هذا نفسه هو الشرط الرئيسي الذي كان لازما لفقه جديد. فما يمكن للمتخصصين التفكير في فقه جديـد، ولكـن يمكن أن يحكموا دقائق وتفاصيل الفقه الذي تخصصوا فيـه، ولا يعني تخصصهم إلا هذا، وهو ما يحـول بيـنهم وبـين الخروج إلى آفاق جديدة. بل هو يزيد ارتباطهم بفقههم القديم.

وما ينطبق على دعوة الإحياء الإسلامي هنا هو ما قيـل على الإمام حسن البنا رحمه ا " كان الأستاذ البنـا خطيبـا وكان في الإخوان من هو أخطب منه، وكان فقيها وكان في الإخوان من هو أفقه منه، وكان مفسرا وكان في الإخوان من هو أعلم بالتفسير منه، ولكن لم يوجد في الإخـوان أو غيـر الإخوان من يجمع أطراف هذه كلها وغيرها بالقدر المطلوب حتى يمكن أن يبدع " الإخوان المسلمين "..



وهم يريدون أن يقسموا رحمة ربـك وأن يخصـوا بهـا أنفسهم أو أصحاب الجاه والمال والمشيخة. أو المؤسسة التي ادعت لنفسها احتكار التفسير والتأويل، التحريم والتحليل.

ويأبي ا " وا غالب على أمره ولكن أكثـر النـاس لا يعلمون "..

***

المهم: أن صدور " نحو فقه جديد " لما كان فـي حقيقتـه تجديدا جذريا في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية، وهمـا " الأصلان العظيمان " للإسلام، فإنـه أفسـح الطريـق أمـام الاستراتيجية المنشودة لتضع منطلقاتها. وفي الوقت نفسـه، فإن هذا المرجع بالإضافة إلى المراجع العديدة التـي سـترد عند الحديث عن دعوة الإحيـاء الإسـلامي حلـت مشـكلة المراجع.

القسم الثاني

دعوة الإحياء الإسلامي

إذا كنت قد أعجبت بالاستراتيجية التي عرضناها آنفًا، فلعلك مشوق لتتعرف على الدعوة التي وضعت الاستراتيجية وترفع لواءها: دعوة الإحياء الإسلامي.

- ١ -

عن دعوة الإحياء الإسلامي بصفة عامة

ما هي دعوة الإحياء الإسلامي:

ليست دعوة الإحياء الإسلامي هيئة، أو تنظيما أو جمعية لها كيان إداري ولائحة ونظام أساسي إلخ.. كما هو الشـأن في الهيئات والأحزاب والجمعيات.

إنها ببساطة دعوة، أو حركة، أو تيار فكري وصل إلـى درجة البلورة والتنظير التي تجعل له كينونة خاصة متميـزة تبرئه من السطحية أو التلفيق أو الانتقائية أو الاتباعية.

إنها نهاية عمر وليست بداية فكر، وهي نهايـة المطـاف وليست بداية المسيرة وهي ثمرة لثقافة موسـوعية متعـددة الأبعاد وليست نتيجة لتخصص فني أو دراسة أكاديمية فـي فرع معين من المعرفة الإسلامية، أو حتى فيها كلها، وتعود بذرتها إلى خمسين عاما مضت عندما أفرد داعيتها الأسـتاذ جمال البنا في كتابه " ديمقراطيـة جديـدة " (١٩٤٦) بابـا

بعنوان " فهم جديد للدين " تضمن نواة فكرتها المحورية " **لا تؤمنوا بالإيمان، ولكن آمنوا بالإنسان** " التي أخذت صيغتها الأخيرة " **إن الإسلام أراد الإنسـان ولكـن الفقهـاء أرادوا الإسلام** " فالفكرة الرئيسية في هذه الدعوة هي إعادة الإسلام لما كان عليه عندما نزل منذ أربعة عشر قرنًا ثورة لتحريـر الناس وإخراجهم من الظلمات إلـى النـور، وإرادة تغييـر مجتمع يعبد ما كان عليه الآباء والأجداد وإشاعة للقيم النبيلة وتكريم الإنسان.

وقد كانت هذه الفكرة هي مدار معالجة الأستاذ جمال البنا طوال خمسين عاما وعنها صدرت كتاباته العديدة، ومع هذا فإنه لم يسمح لنفسه بإعلان دعوة الإحياء الإسلام إلا بعد أن أصدر الجزء الثالث من " نحو فقه جديد" وأصبح على بـاب الثمانين من العمر ووجد أن من واجبـه أن يبلـور الفكـر المنشور في ثلاثين كتابا، وينسق بينها، وينظمها فـي سـلك دعوة واحدة، يسلمها لجيل جديـد حتـى لا تمـوت بمـوت صاحبها[1].

---

[1] لعل مما يستحق الذكر أن الأستاذ جمال البنا في كتابه "ما بعد الإخوان المسلمين" عرض دعوة الإحياء عليهم ليجددوا بها شباب =

ولما كانت دعوة الإحياء الإسلامي تيارا فكريا ونظريـة في فهم الإسلام. فإنها تصبح ملكًا لكـل مـن يـؤمن بهـا، فالأفكار لا تكون موضوعا لاحتكار وما إن ينشرها صاحبها الأول حتى تصبح ملكًا للجميع. ومع أن حرصنا قدر الطاقة على الكمال.. فإن هذا لا يمنع من ظهور مـن يقـدم لهـذه الدعوة إضافة تثريها أو يكشف مأخذًا فيها.

ودعوة الإحياء تحذر من أن تتحول إلى مؤسسة يكون لها كما يحدث لكل المؤسسات مصلحة خاصة بها – حتى على حساب فكرتها نفسها، وتأمل أن تظل دعوة حرة أو على أسوأ الأحوال مؤسسة مفتوحة.

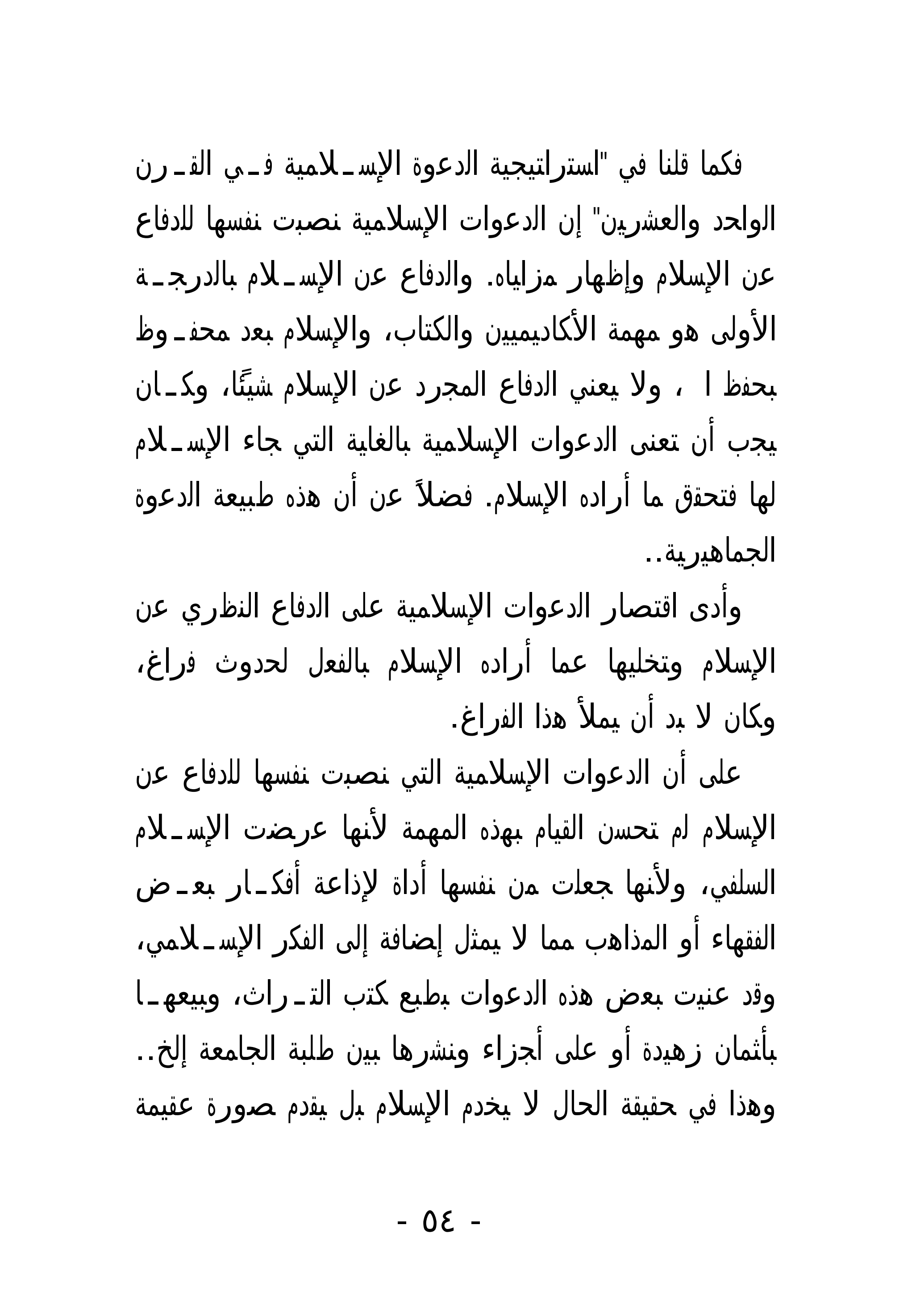
لماذا دعوة الإحياء الإسلامي؟

قد يتساءل البعض عن سبب قيام هذه الدعوة، والسـاحة تحفل بالدعوات الإسلامية.

والرد ببساطة أن الدعوات الإسلامية قد ضلت الطريق.

=

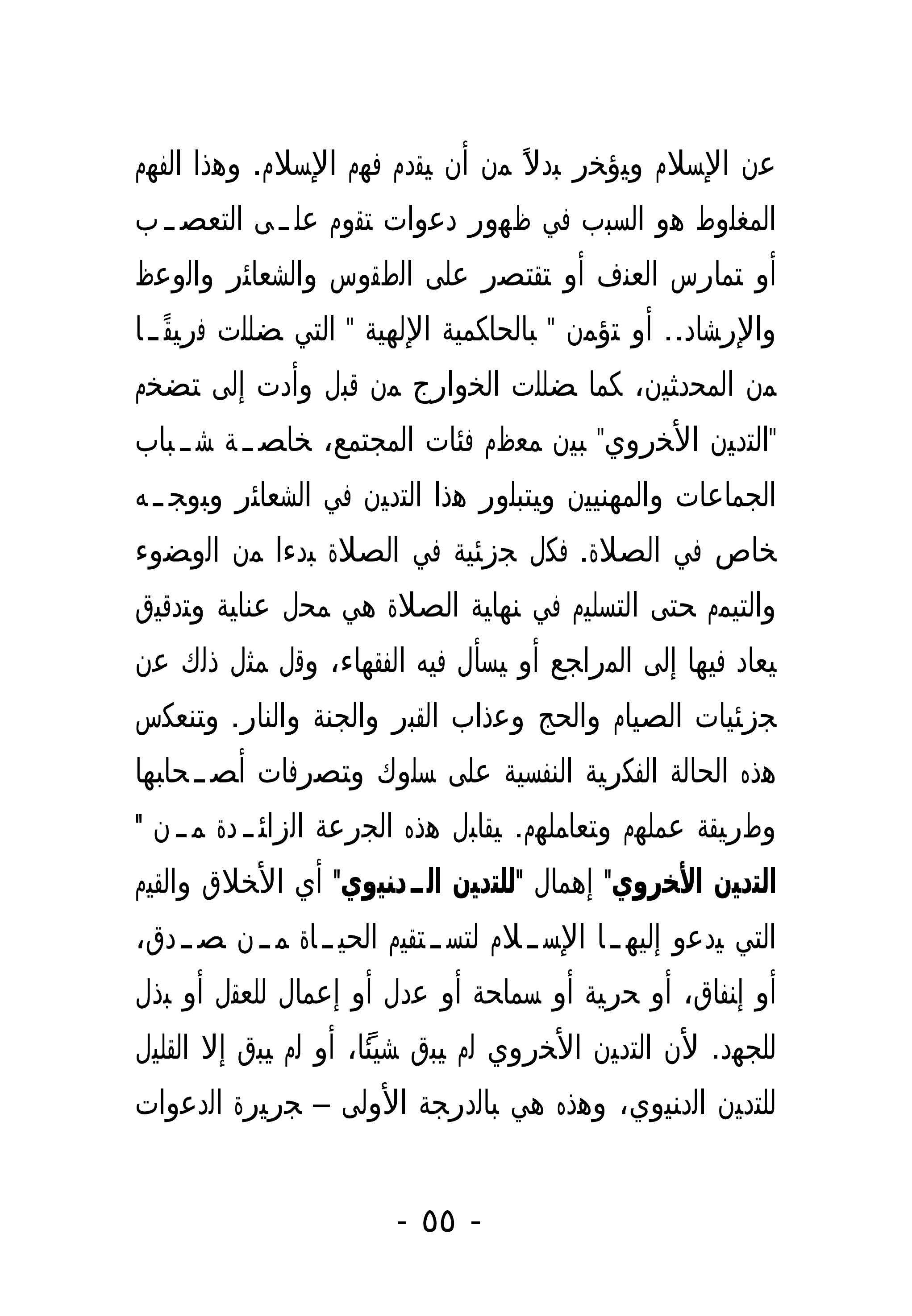
هيئتهم ولعله عندئذ ما كان يفكر في إعلان دعوته ولكن الإخوان وقفوا موقفًا سلبيا.



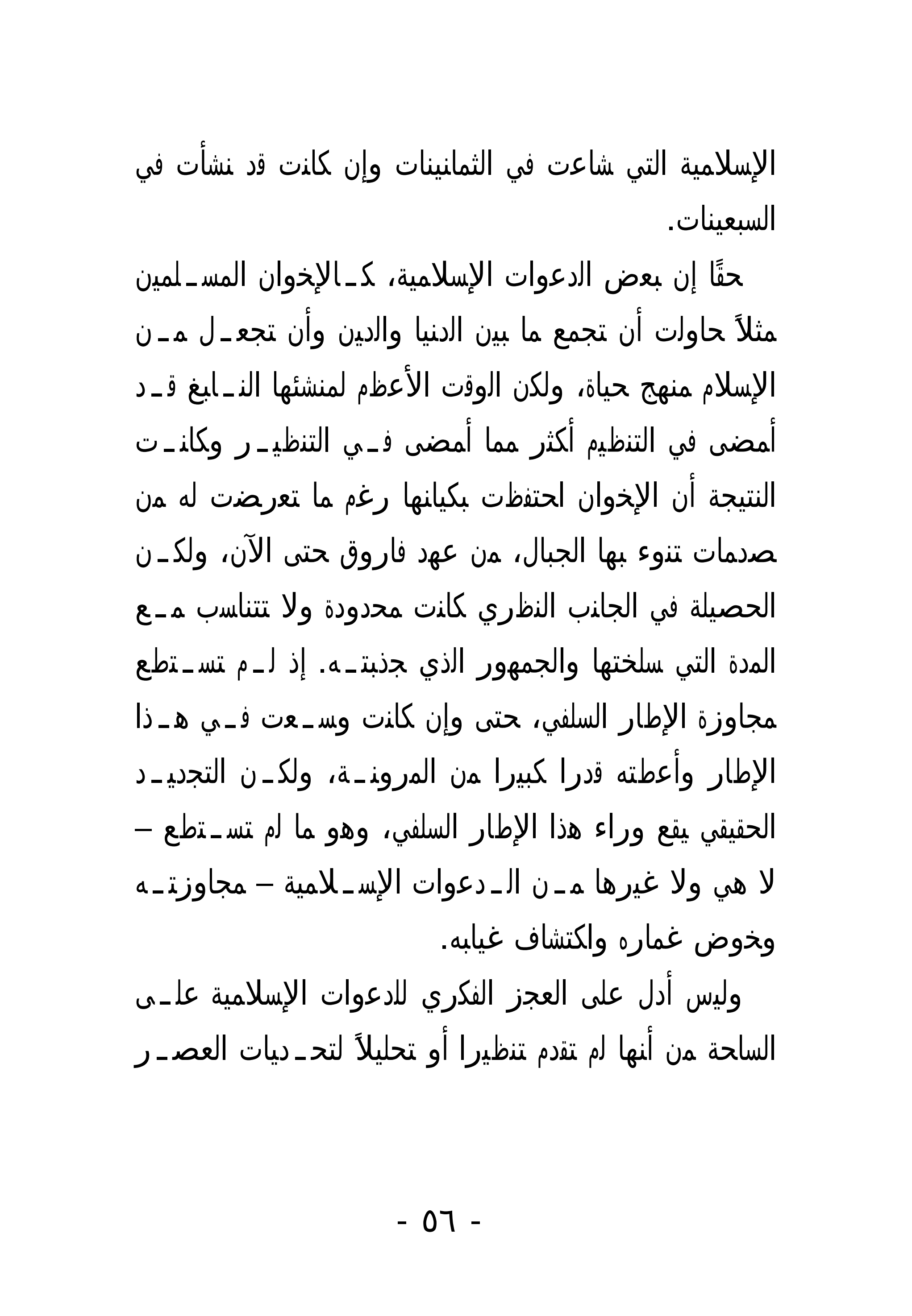
فكما قلنا في "استراتيجية الدعوة الإسـلامية فـي القـرن الواحد والعشرين" إن الدعوات الإسلامية نصبت نفسها للدفاع عن الإسلام وإظهار مزاياه. والدفاع عن الإسـلام بالدرجـة الأولى هو مهمة الأكاديميين والكتاب، والإسلام بعد محفـوظ بحفظ ا ، ولا يعني الدفاع المجرد عن الإسلام شيئًا، وكـان يجب أن تعنى الدعوات الإسلامية بالغاية التي جاء الإسـلام لها فتحقق ما أراده الإسلام. فضلاً عن أن هذه طبيعة الدعوة الجماهيرية..

وأدى اقتصار الدعوات الإسلامية على الدفاع النظري عن الإسلام وتخليها عما أراده الإسلام بالفعل لحدوث فراغ، وكان لا بد أن يملأ هذا الفراغ.

على أن الدعوات الإسلامية التي نصبت نفسها للدفاع عن الإسلام لم تحسن القيام بهذه المهمة لأنها عرضت الإسـلام السلفي، ولأنها جعلت من نفسها أداة لإذاعة أفكـار بعـض الفقهاء أو المذاهب مما لا يمثل إضافة إلى الفكر الإسـلامي، وقد عنيت بعض هذه الدعوات بطبع كتب التـراث، وبيعهـا بأثمان زهيدة أو على أجزاء ونشرها بين طلبة الجامعة إلخ.. وهذا في حقيقة الحال لا يخدم الإسلام بل يقدم صورة عقيمة



عن الإسلام ويؤخر بدلاً من أن يقدم فهم الإسلام. وهذا الفهم المغلوط هو السبب في ظهور دعوات تقوم علـى التعصـب أو تمارس العنف أو تقتصر على الطقوس والشعائر والوعظ والإرشاد.. أو تؤمن " بالحاكمية الإلهية " التي ضللت فريقًـا من المحدثين، كما ضللت الخوارج من قبل وأدت إلى تضخم "التدين الأخروي" بين معظم فئات المجتمع، خاصـة شـباب الجماعات والمهنيين ويتبلور هذا التدين في الشعائر وبوجـه خاص في الصلاة. فكل جزئية في الصلاة بدءا من الوضوء والتيمم حتى التسليم في نهاية الصلاة هي محل عناية وتدقيق يعاد فيها إلى المراجع أو يسأل فيه الفقهاء، وقل مثل ذلك عن جزئيات الصيام والحج وعذاب القبر والجنة والنار. وتنعكس هذه الحالة الفكرية النفسية على سلوك وتصرفات أصـحابها وطريقة عملهم وتعاملهم. يقابل هذه الجرعة الزائـدة مـن " **التدين الأخروي**" إهمال "**للتدين الـدنيوي**" أي الأخلاق والقيم التي يدعو إليهـا الإسـلام لتسـتقيم الحيـاة مـن صـدق، أو إنفاق، أو حرية أو سماحة أو عدل أو إعمال للعقل أو بذل للجهد. لأن التدين الأخروي لم يبق شيئًا، أو لم يبق إلا القليل للتدين الدنيوي، وهذه هي بالدرجة الأولى – جريرة الدعوات



الإسلامية التي شاعت في الثمانينات وإن كانت قد نشأت في السبعينات.

حقًا إن بعض الدعوات الإسلامية، كـالإخوان المسـلمين مثلاً حاولت أن تجمع ما بين الدنيا والدين وأن تجعـل مـن الإسلام منهج حياة، ولكن الوقت الأعظم لمنشئها النـابغ قـد أمضى في التنظيم أكثر مما أمضى فـي التنظيـر وكانـت النتيجة أن الإخوان احتفظت بكيانها رغم ما تعرضت له من صدمات تنوء بها الجبال، من عهد فاروق حتى الآن، ولكـن الحصيلة في الجانب النظري كانت محدودة ولا تتناسب مـع المدة التي سلختها والجمهور الذي جذبتـه. إذ لـم تسـتطع مجاوزة الإطار السلفي، حتى وإن كانت وسـعت فـي هـذا الإطار وأعطته قدرا كبيرا من المرونـة، ولكـن التجديـد الحقيقي يقع وراء هذا الإطار السلفي، وهو ما لم تسـتطع – لا هي ولا غيرها مـن الـدعوات الإسـلامية – مجاوزتـه وخوض غماره واكتشاف غيابه.

وليس أدل على العجز الفكري للدعوات الإسلامية علـى الساحة من أنها لم تقدم تنظيرا أو تحليلاً لتحـديات العصـر

ولكيفية تعامل الإسلام فيها، لأنها جميعا محكومة بالأطر السلفية التي ليس لديها ما تقدم حلاً لمشكلات العصر..

إن تجاوز الأطر السلفية، والعودة إلى القرآن واعتباره صيحة إنقاذ، ودعوة هداية وإرادة تغيير ورسالة لإشاعة القيم وإعمال العقل – **باختصار تثوير القرآن وليس تفسير القرآن** هي المهمة التي ادخرها ا تعالى لهذه الدعوة وهي وحدها القديرة على التنظير لها والتبشير بها. لأنها مؤصلة الفكر ومتحررة تماما من الروابط والصلات التي يمكن أن تقيدها أو المصالح أو الضغوط الأخرى وليس أدل على تميزها من أنها عالجت بقوة وصراحة التحديات التي يثيرها المجتمع. كل تحد في كتاب، وهي تتقدم إلى الجمهور وفي يمينها ثلاثون كتابا تغطي مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.. فأي دعوة يمكن أن تبدأ حياتها بمثل هذا الرأسمال الضخم..

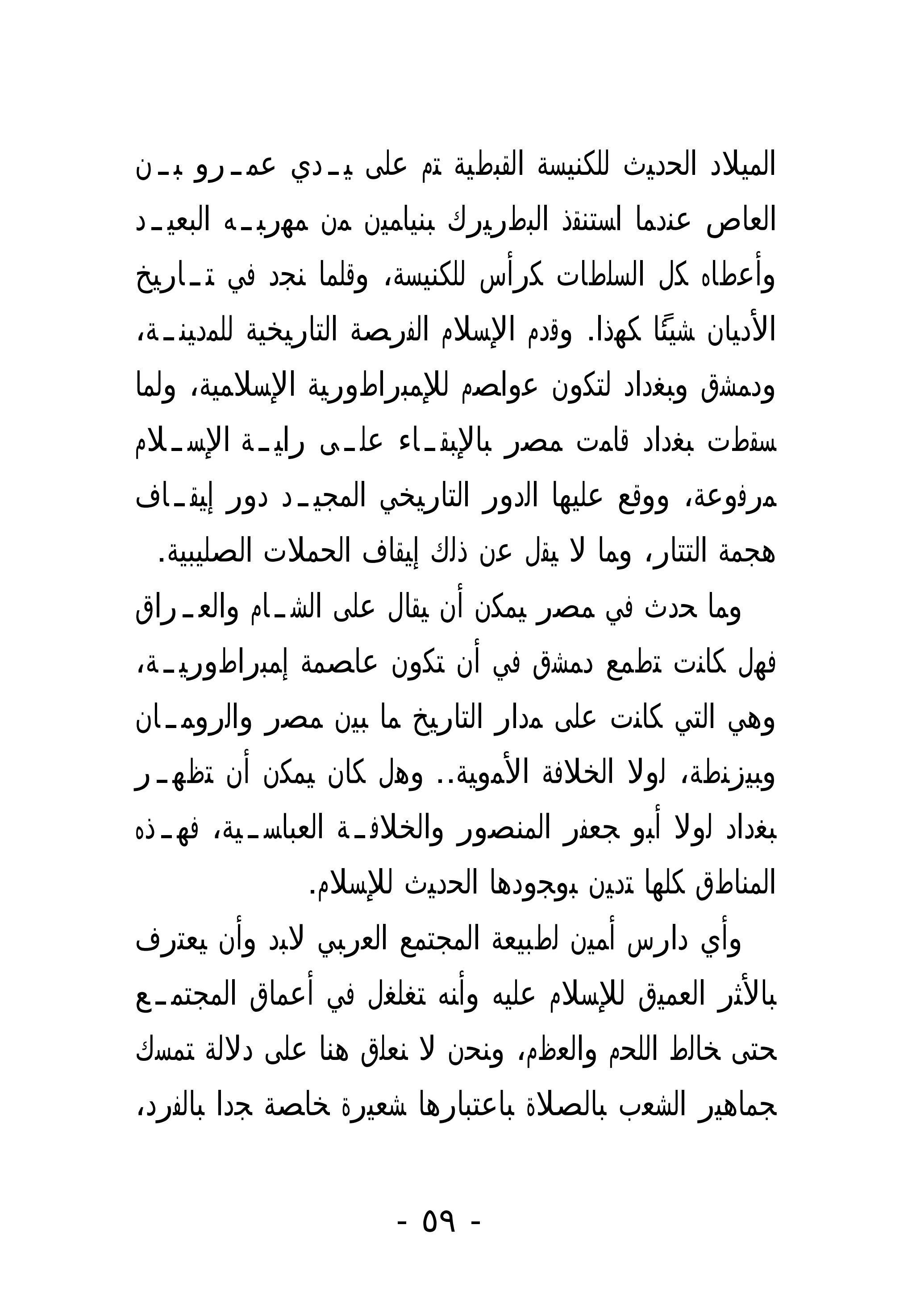
من هنا يتضح أن هناك مبررا قويا لظهور دعوة الإحياء الإسلامي. لأنها هي التي يمكن أن ترد على التساؤل الحائر "كيف الخلاص".

هل من الضروري أن تكون دعوة الإحياء "إسلامية "؟

بعض الناس ممن لا يمتون بوجـه خـاص إلـى الفكـر الإسلامي، أو ممن تغلب عليهم ثقافات غريبة، أو من غيـر المسلمين يسأل هل من الضروري لدعوة الإحيـاء أن تأخـذ الطابع الإسلامي؟ هل يمكن أن تكون " علمانية " تقوم علـى المصلحة، أو القومية، أو غير ذلك من المرتكزات..

والرد أنه إذا أريد لهذه الـدعوة أن تكـون جماهيريـة، **شعبية، يتجاوب معها عامة الناس فلابد أن تكون إسلامية، أما إذا كانت دعوة نخب تعتمد على الفكر المجرد** أو تستلهم التجارب والدعوات الأوروبية، بصرف النظر عن المجتمـع العربي.. فإن دعوتهم ستكون دعوة "صالونات".

ذلك أن الدين كان في المنطقة العربية منذ أقدم العصـور نبع القيم والضمير وأساس التشريع والقانون وبتـأثيره أقـام المصريون القدماء معجزات الآثار فـي الجيـزة والصـعيد وعندما ظهرت المسيحية قامت مصر بدور مؤثر في تاريخها وظهر فيها في وقت واحد قطبا الفكر المسـيحي اثناسـيوس وآريوس وأبدعت فكرة الرهبنة التي كانت إلى حـد كبيـر ملاذًا من عدوان المحتل البيزنطي، وأخيـرا عنـدما جـاء الإسلام رحب به الأقباط لأنهم وجدوا فيـه السـماحة، ولأن



الميلاد الحديث للكنيسة القبطية تم على يـدي عمـرو بـن العاص عندما استنقذ البطريرك بنيامين من مهربـه البعيـد وأعطاه كل السلطات كرأس للكنيسة، وقلما نجد في تـاريخ الأديان شيئًا كهذا. وقدم الإسلام الفرصة التاريخية للمدينـة، ودمشق وبغداد لتكون عواصم للإمبراطورية الإسلامية، ولما سقطت بغداد قامت مصر بالإبقـاء علـى رايـة الإسـلام مرفوعة، ووقع عليها الدور التاريخي المجيـد دور إيقـاف هجمة التتار، وما لا يقل عن ذلك إيقاف الحملات الصليبية.

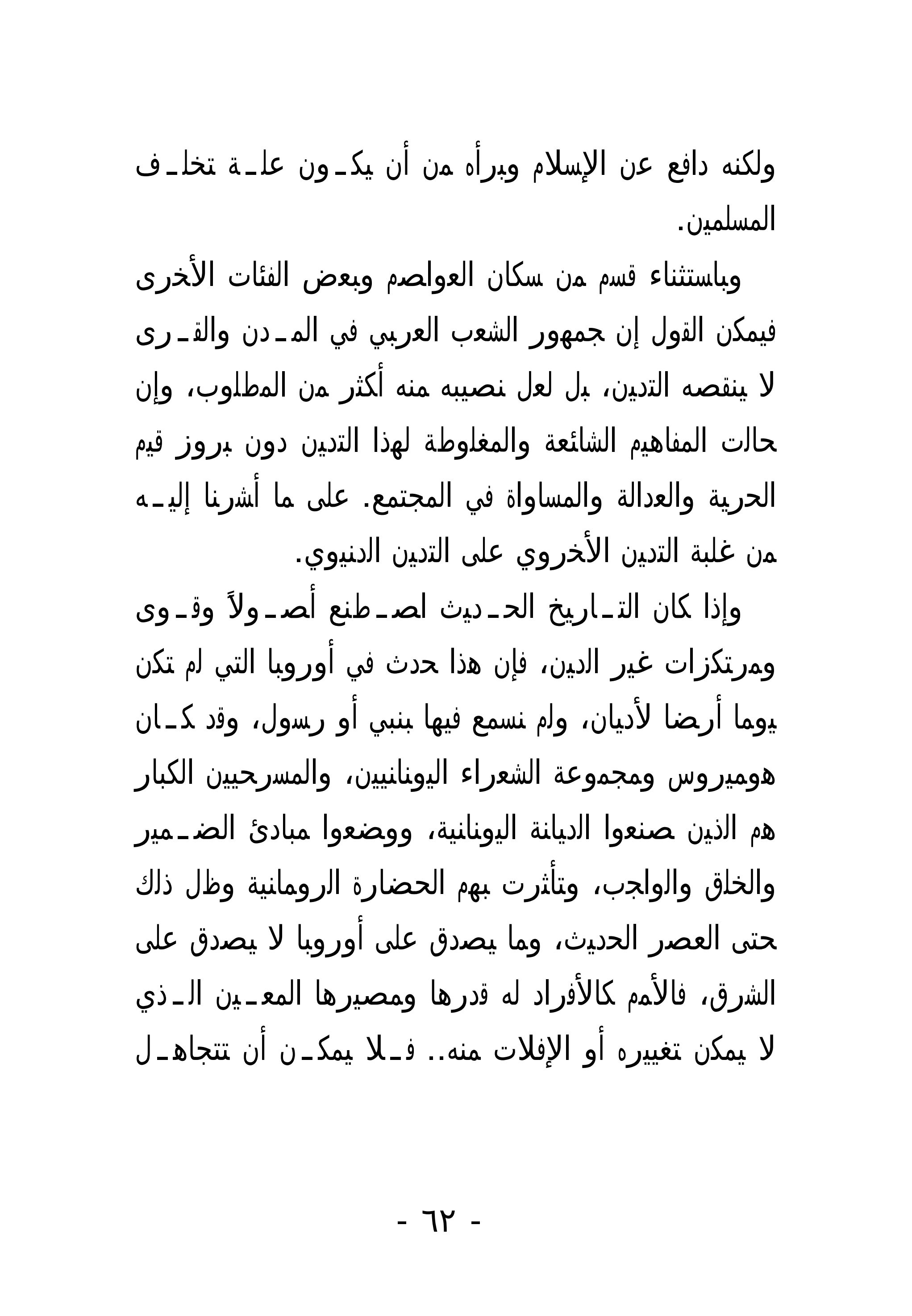
وما حدث في مصر يمكن أن يقال على الشـام والعـراق فهل كانت تطمع دمشق في أن تكون عاصمة إمبراطوريـة، وهي التي كانت على مدار التاريخ ما بين مصر والرومـان وبيزنطة، لولا الخلافة الأموية.. وهل كان يمكن أن تظهـر بغداد لولا أبو جعفر المنصور والخلافـة العباسـية، فهـذه المناطق كلها تدين بوجودها الحديث للإسلام.

وأي دارس أمين لطبيعة المجتمع العربي لابد وأن يعترف بالأثر العميق للإسلام عليه وأنه تغلغل في أعماق المجتمـع حتى خالط اللحم والعظم، ونحن لا نعلق هنا على دلالة تمسك جماهير الشعب بالصلاة باعتبارها شعيرة خاصة جدا بالفرد،

وقد لا يظهر مردودها بشكل مباشر، ولكن خذ الصيام مـثلاً الذي يشمل أثره الفرد كما يشمل المجتمع.. فـالمجتمع كلـه يتغير في رمضان، تبعا لما يقتضيه الصيام بما في ذلك تغيير مواعيد الوجبات والأخذ "بالسحور" الذي يسبق الفجر، ومـا يفرضه رمضان على المجتمع من ابتعـاد عـن المجـاهرة بالفواحش إلخ، ولا يقل عن ذلك أهمية الزكاة فإن نسبة كبيرة من الأغنياء يقدمون الزكاة إلى الفقراء من الجيرة أو الأهـل أو المعارف مما حال دون زيادة تدهور الفئات الفقيرة وأوجد قدرا من التراحم والتماسك الاجتماعي، كما قام نظام الوقـف بدور الممول الأكبر للمدارس وللهيئات العلميـة ولمختلـف وجوه البر، وهذا كله إنما تحقق بفضل الإيمـان الإسـلامي وتطبيق ما أمر به الدين وما كان المجتمع القـديم ليسـتطيع التماسك في ظل استبداد الحكام وجورهم، إلا بفضل وجـود هذه النظم.

ولم تأخذ حركات التجديد في الشرق العربي طابع الثورة على الإسلام – كما أخذته فـي أوروبـا ضـد المسـيحية أو الكنيسة – بل بدأت بأفراد يمتون إلى الأصل الإسلامي – مثل رفاعة رافع الطهطاوي، وعلي مبارك في مصـر أيـام

عباس الأول (الذي خلف محمد علي) ثـم جمـال الأفغـاني ومحمد عبده في عهد الخديوي إسماعيل وتوفيق بل إن أحمد لطفي السيد سافر إلى الأستانة ليلقى جمال الأفغاني ويتتلمـذ عليه، وعندما ظهر جيل جديد يبحث عن أيديولوجيات أخرى كالماركسية أو الفرعونية والأخذ باللهجة العامية دون العربية الفصحى فإن هذا الجيل فشل تماما ولم يـرزق أي شـعبية. فالتكتلات الماركسية ظلت غريبة على المجتمع المصـري. واعترف محمد حسين هيكل بفضله في فكرة الفرعونية آونة، والمثل الأوروبية مرة أخرى، وعاد إلى الأصل الإسلامي بل إننا نجد كاتبا قبطيا ويسـاريا وداعيـة لاسـتخدام العاميـة كالدكتور لويس عوض وهو يفشل في ذلك ويقلع عنه حتـى في"مذكرات طالب بعثة" التي بدأ بها تجربة الكتابة بالعامية إذ تتخللها عبارات قرآنية أو إسلامية. كما نجد الاستشهاد بآيات قرآنية أو بأقوال لعمر بن الخطاب وخالد بـن الوليـد فـي خطاب الحزب الشيوعي السوري – الذي كان يعد من أقوى الأحزاب في العالم العربي. وقد كان شبلي شميل وهو طبيب لبناني استوطن مصر – ملحدا وترجم أصل الأنواع لدارون.



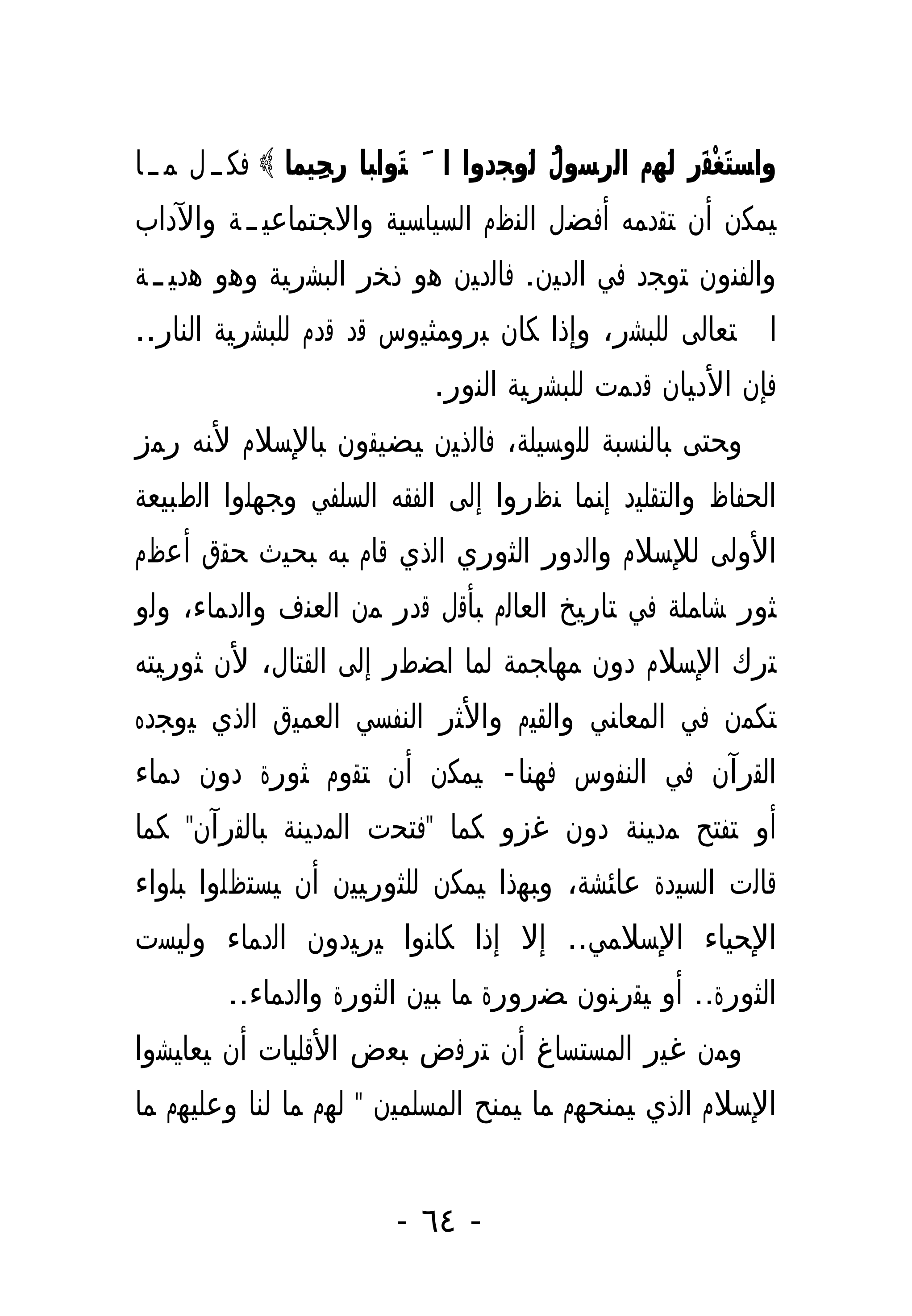
ولكنه دافع عن الإسلام وبرأه من أن يكـون علـة تخلـف المسلمين.

وباستثناء قسم من سكان العواصم وبعض الفئات الأخرى فيمكن القول إن جمهور الشعب العربي في المـدن والقـرى لا ينقصه التدين، بل لعل نصيبه منه أكثر من المطلوب، وإن حالت المفاهيم الشائعة والمغلوطة لهذا التدين دون بروز قيم الحرية والعدالة والمساواة في المجتمع. على ما أشرنا إليـه من غلبة التدين الأخروي على التدين الدنيوي.

وإذا كان التـاريخ الحـديث اصـطنع أصـولاً وقـوى ومرتكزات غير الدين، فإن هذا حدث في أوروبا التي لم تكن يوما أرضا لأديان، ولم نسمع فيها بنبي أو رسول، وقد كـان هوميروس ومجموعة الشعراء اليونانيين، والمسرحيين الكبار هم الذين صنعوا الديانة اليونانية، ووضعوا مبادئ الضـمير والخلق والواجب، وتأثرت بهم الحضارة الرومانية وظل ذلك حتى العصر الحديث، وما يصدق على أوروبا لا يصدق على الشرق، فالأمم كالأفراد له قدرها ومصيرها المعـين الـذي لا يمكن تغييره أو الإفلات منه.. فـلا يمكـن أن نتجاهـل

تاريخنا ونستجدي تاريخًا آخر. إن هذا غير ممكـن وغيـر مطلوب.

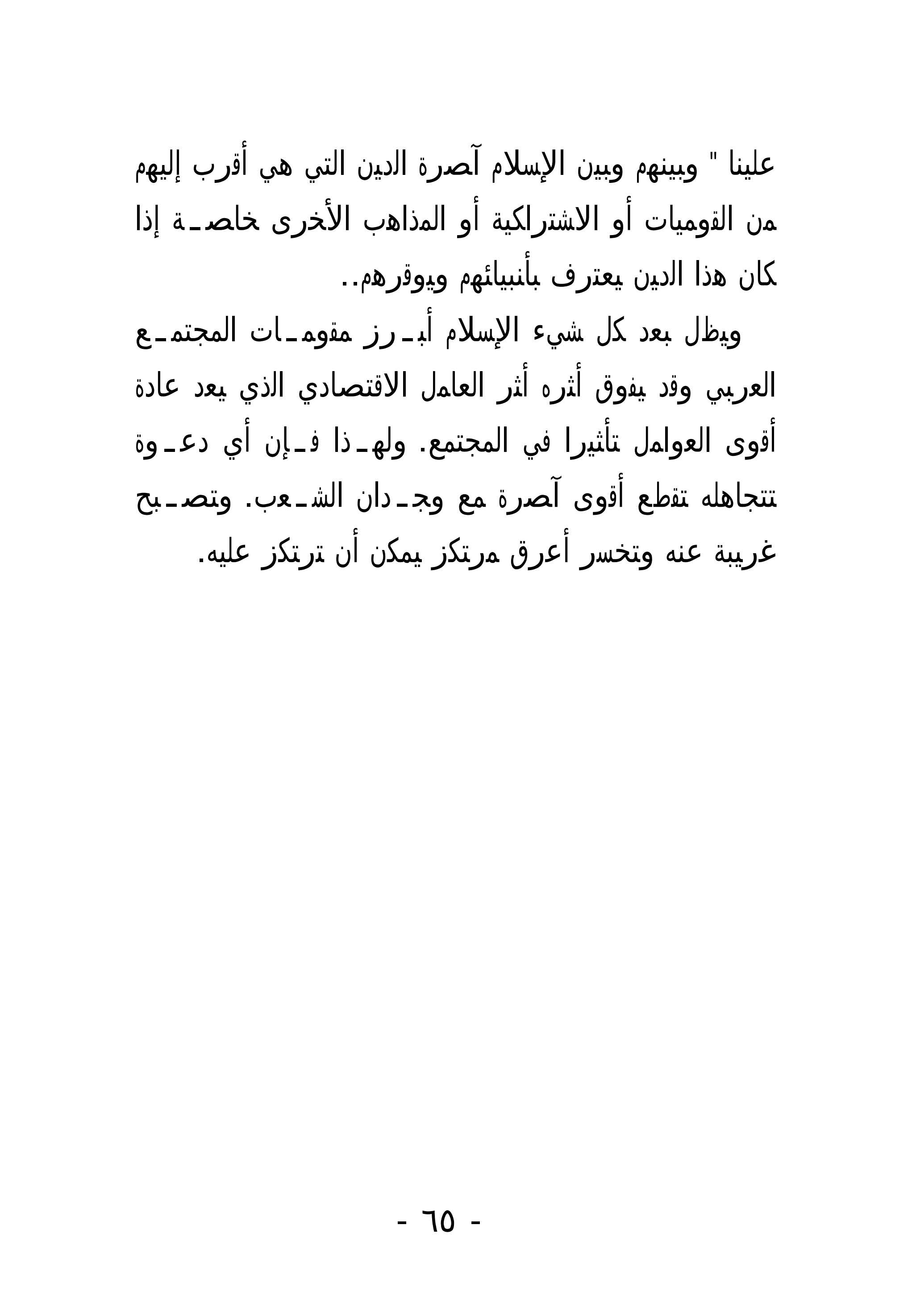
من ناحية أخرى فإن الزهد في أن يكون للـدعوة طابعـا إسلاميا يغلب أن يعود إلى الفكرة المغلوطة المـأخوذة عـن الدين التي يروج لها ويدعو إليها رجال المؤسسة الدينية من شيوخ وخطباء مساجد من الذين لا يعرفـون عـن إسـلام إلا الطقوس العبادية والشعائر والمظاهر التي هي من الـدين كالجسد من الروح، ولعله معذور في ذلك. ولكن الحقيقة هي أن الأديان أعظم وأنبل فكر أراد ا به هداية البشـر وهـو يمثل قيم الخير والحب والمساواة والعدل والحرية وهو الذي يغرس في النفوس مبدأ الإيثار والإحسان والرحمـة.. وهـو الذي يلهم الفنانين والكتاب روائعهم وهو الذي يلمس أسـرار الروح وعوالم القلوب، وهو الذي يلـزم الحكـام والأغنيـاء العدل في السياسة والاقتصاد ويبقى على البيـت والأسـرة ويربطها برباط من المحبة والتذمم، وحتى بالنسـبة للـذين يضعفون أمام الإغراءات فإن الدين لا يرفضهم لأنه يعترف بالطبيعــة البشــرية وهــو يــدعوهم إلــى الاســتغفار  **ولَو أَنهم إِذ ظلمـوا أَنفُسـهم جـاءوك فَاسـتَغْفَروا ا**



واستَغْفَر لهم الرسولُ لوجدوا الله توابا رحِيما ﴾ فكل ما يمكن أن تقدمه أفضل النظم السياسية والاجتماعية والآداب والفنون توجد في الدين. فالدين هو ذخر البشرية وهو هدية الله تعالى للبشر، وإذا كان بروميثيوس قد قدم للبشرية النار.. فإن الأديان قدمت للبشرية النور.

وحتى بالنسبة للوسيلة، فالذين يضيقون بالإسلام لأنه رمز الحفاظ والتقليد إنما نظروا إلى الفقه السلفي وجهلوا الطبيعة الأولى للإسلام والدور الثوري الذي قام به بحيث حقق أعظم ثور شاملة في تاريخ العالم بأقل قدر من العنف والدماء، ولو ترك الإسلام دون مهاجمة لما اضطر إلى القتال، لأن ثوريته تكمن في المعاني والقيم والأثر النفسي العميق الذي يوجده القرآن في النفوس فهنا- يمكن أن تقوم ثورة دون دماء أو تفتح مدينة دون غزو كما "فتحت المدينة بالقرآن" كما قالت السيدة عائشة، وبهذا يمكن للثوريين أن يستظلوا بلواء الإحياء الإسلامي.. إلا إذا كانوا يريدون الدماء وليست الثورة.. أو يقرنون ضرورة ما بين الثورة والدماء..

ومن غير المستساغ أن ترفض بعض الأقليات أن يعايشوا الإسلام الذي يمنحهم ما يمنح المسلمين " لهم ما لنا وعليهم ما



علينا " وبينهم وبين الإسلام آصرة الدين التي هي أقرب إليهم من القوميات أو الاشتراكية أو المذاهب الأخرى خاصـة إذا كان هذا الدين يعترف بأنبيائهم ويوقرهم..

ويظل بعد كل شيء الإسلام أبـرز مقومـات المجتمـع العربي وقد يفوق أثره أثر العامل الاقتصادي الذي يعد عادة أقوى العوامل تأثيرا في المجتمع. ولهـذا فـإن أي دعـوة تتجاهله تقطع أقوى آصرة مع وجـدان الشـعب. وتصـبح غريبة عنه وتخسر أعرق مرتكز يمكن أن ترتكز عليه.

- ٢ -

ميثاق دعوة الإحياء الإسلامي (*) "إيماننا"

- ١ -

نؤمن بالله. إنه محور الوجود ورمـز الكمـال والعقـل والغائية. وما ينبثق عنها من قيم، وبدونه يصبح الوجود عبثًا، والكون تحت رحمة الصدفة الشـرود، والإنسـان حيوانًـا متطورا أو "سوبر حيوان".

والإيمان بالله الذي يكون قوة ملهمة هو ما يغرسـه فـي النفس تصوير القرآن الكريم لله تعالى، أما ما يرد في كتـب التوحيد فلا يغني شيئًا، بل قد يضر.

(*) وضع الأستاذ جمال البنا هذا الميثاق لمؤسسة "فوزية وجمال البنا للثقافة والإعلام الإسلامي" التي تكونت سنة ١٩٩٦ ولم يزد الميثاق الحالي إلا فقرة واحدة هي الخاصة "بتثوير القرآن" في بند ٩.

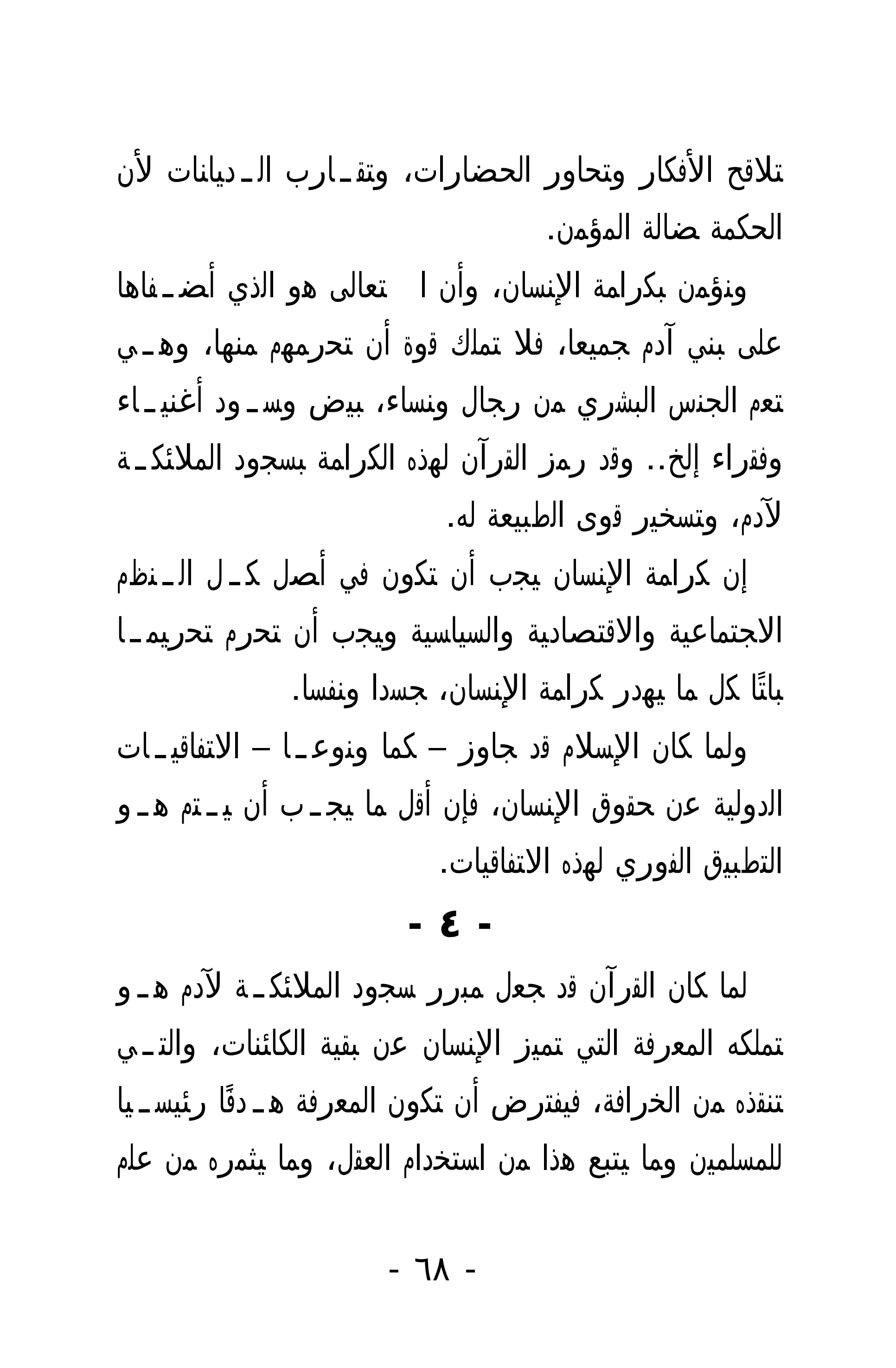
- ٢ -

الأنبياء هم القادة الحقيقيون للبشرية، ويجب جعلهم المثـل في القيادة، وإطراح أحكام الطـاغوت مـن قـادة جيـوش أو أباطرة أو ملوك إلخ.. وما وضعوه من سياسـات القهـر التي لوثت فكرة الحكم والقيادة وأساءت إلى البشرية.

ونحن نؤمن أن الإسلام قـد قـدم الصـورة المثلـى والرسول. على أننا نفهم الصـور التـي قـدمتها الأديـان الأخرى، لأن الدين أصلاً واحد، ولكـن الشـرائع متعـددة، ونحن نؤمن بالرسل جميعـا، وإن الله تعـالى أراد التعـدد والتنوع ﴿ **ولَو شَاء ربكَ لَجعلَ الناس أُمـةً واحِـدةً** ﴾ وأن الفصل في هذا التعدد هو إلى الله تعالى يوم القيامة.

- ٣ -

ونؤمن أن الدين هو المقوم الأعظم للمجتمع العربي، وأنه يمثل التاريخ والحضـارة والضـمير، وأن تجاهلـه يقطـع التواصل مع الشعب، ولا ينفي هذه الحقيقة أن تكون الفلسـفة والآداب والفنون قد حلت محل الدين في المجتمع الأوروبـي فلكل مجتمع طبيعته الخاصة وقدره الذي لا يمكـن التمـرد عليه أو التنكر له، وفي الوقت نفسه – فإنـه لا يحـول دون



تلاقح الأفكار وتحاور الحضارات، وتقـارب الـديانات لأن الحكمة ضالة المؤمن.

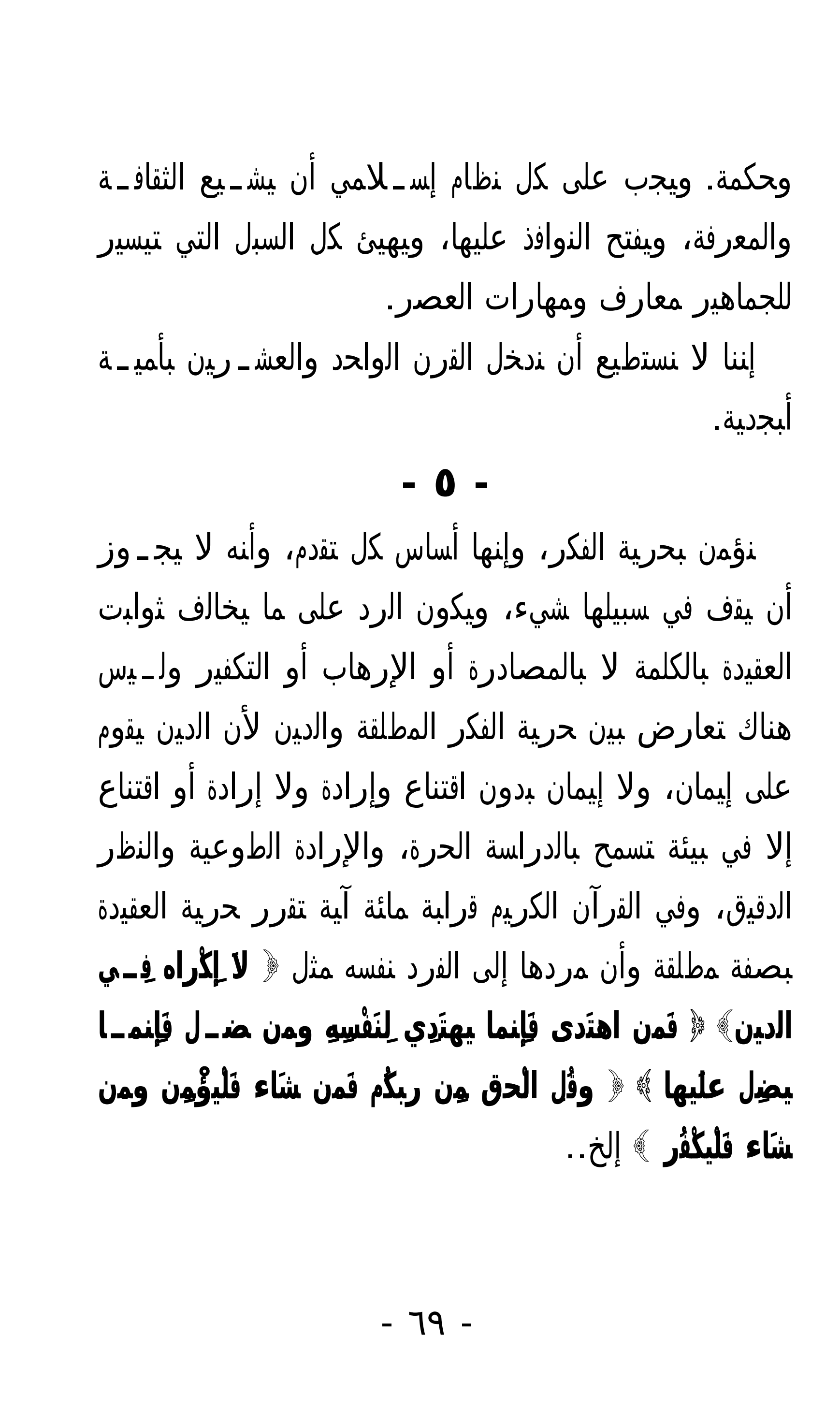
ونؤمن بكرامة الإنسان، وأن ا تعالى هو الذي أضـفاها على بني آدم جميعا، فلا تملك قوة أن تحرمهم منها، وهـي تعم الجنس البشري من رجال ونساء، بيض وسـود أغنيـاء وفقراء إلخ.. وقد رمز القرآن لهذه الكرامة بسجود الملائكـة لآدم، وتسخير قوى الطبيعة له.

إن كرامة الإنسان يجب أن تكون في أصل كـل الـنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويجب أن تحرم تحريمـا باتًا كل ما يهدر كرامة الإنسان، جسدا ونفسا.

ولما كان الإسلام قد جاوز – كما ونوعـا – الاتفاقيـات الدولية عن حقوق الإنسان، فإن أقل ما يجـب أن يـتم هـو التطبيق الفوري لهذه الاتفاقيات.

- ٤ -

لما كان القرآن قد جعل مبرر سجود الملائكـة لآدم هـو تملكه المعرفة التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات، والتـي تنقذه من الخرافة، فيفترض أن تكون المعرفة هـدفًا رئيسـيا للمسلمين وما يتبع هذا من استخدام العقل، وما يثمره من علم

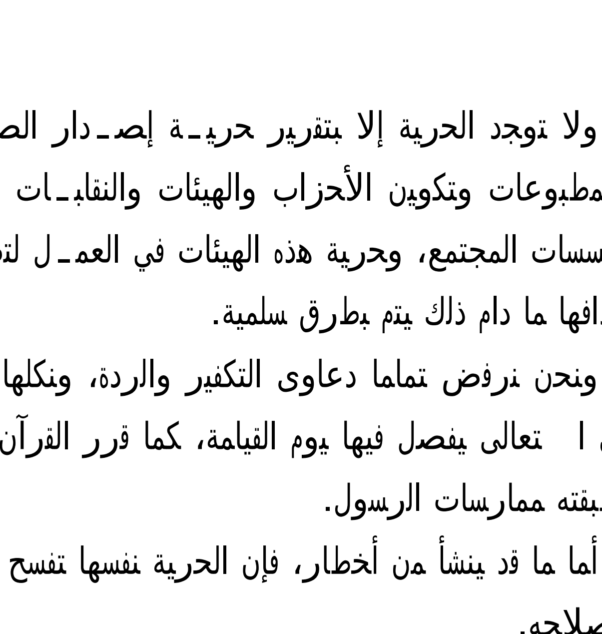


وحكمة. ويجب على كل نظام إسلامي أن يشيع الثقافة والمعرفة، ويفتح النوافذ عليها، ويهيئ كل السبل التي تيسير للجماهير معارف ومهارات العصر.

إننا لا نستطيع أن ندخل القرن الواحد والعشرين بأمية أبجدية.

- ٥ -

نؤمن بحرية الفكر، وإنها أساس كل تقدم، وأنه لا يجوز أن يقف في سبيلها شيء، ويكون الرد على ما يخالف ثوابت العقيدة بالكلمة لا بالمصادرة أو الإرهاب أو التكفير وليس هناك تعارض بين حرية الفكر المطلقة والدين لأن الدين يقوم على إيمان، ولا إيمان بدون اقتناع وإرادة ولا إرادة أو اقتناع إلا في بيئة تسمح بالدراسة الحرة، والإرادة الطوعية والنظر الدقيق، وفي القرآن الكريم قرابة مائة آية تقرر حرية العقيدة بصفة مطلقة وأن مردها إلى الفرد نفسه مثل ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ ﴿ **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا** ﴾ ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ إلخ..



ولا توجد الحرية إلا بتقرير حريـة إصـدار الصـحف والمطبوعات وتكوين الأحزاب والهيئات والنقابـات وبقيـة مؤسسات المجتمع، وحرية هذه الهيئات في العمـل لتطبيـق أهدافها ما دام ذلك يتم بطرق سلمية.

ونحن نرفض تماما دعاوى التكفير والردة، ونكلها كلهـا إلى ا تعالى يفصل فيها يوم القيامة، كما قرر القرآن ذلـك وطبقته ممارسات الرسول.

أما ما قد ينشأ من أخطار، فإن الحرية نفسها تفسح المجال لإصلاحه.

- ٦ -

يجب أن يكون العـدل أسـاس التعامـل بـين الحكـام والمحكومين، الرؤساء والمرءوسين، الرأسماليين والعمـال، الرجال والنساء إلخ.. لأن كل ما يمت إلـى عـالم العمـل والعلاقات لا يمكن أن يستقر إلا على أساس العدل ولا يجوز إعطاء فئات.. سلطات تمكنها من أن تحيف على حقوق فئات أخرى. إن هذا نوع من الظلـم يماثـل الكفـر، ويجـب أن لا يسمح به.

- ٧ -

إن التحدي العملي الذي يجابه الدول الإسلامية اليوم هـو التخلف اقتصاديا وعسكريا وسياسيا واجتماعيـا، ولا يمكـن وقف هذا التخلف إلا بجعل " التنمية " معركة حضارية تـتم تحت لواء الإسلام باعتبارها النمط المطلوب من " الجهـاد " واستنفار كل أفراد الشعب للمشاركة فيها من وضع الخطـة حتى متابعتها وتقييمها. ويجب أن تكون هذه التنمية إنسانية.. تبدأ من محطة العدالة الممكن تحقيقها لتصـل إلـى محطـة الكفاية المطلوب تحقيقها، إن الإيمان وحده هو الـذي يولـد الطاقة المجانية اللازمة ويوظفهـا لـدفع التنميـة وتجـاوز المعوقات دون حاجة للاستثمارات التي تفسح المجال للتبعية والسير في مسار وإسار الدول الكبرى.

وأي محاولة للتنمية تستسلم لادعاءات البنك الدولي أو تقلد النماذج الأوروبية والأمريكية لن تسفر إلا عن مزيـد مـن التخلف والفاقة والتخبط.

وبالمثل فإن أي محاولة للتنمية يضعها خبراء أو حكومات دون أن يكون لها الأساس الإيماني والمشاركة الجماهيريـة

أو تستهدف مصلحة الأقلية على حساب الجماهير العريضة هي تنمية محكوم عليها بالفشل.

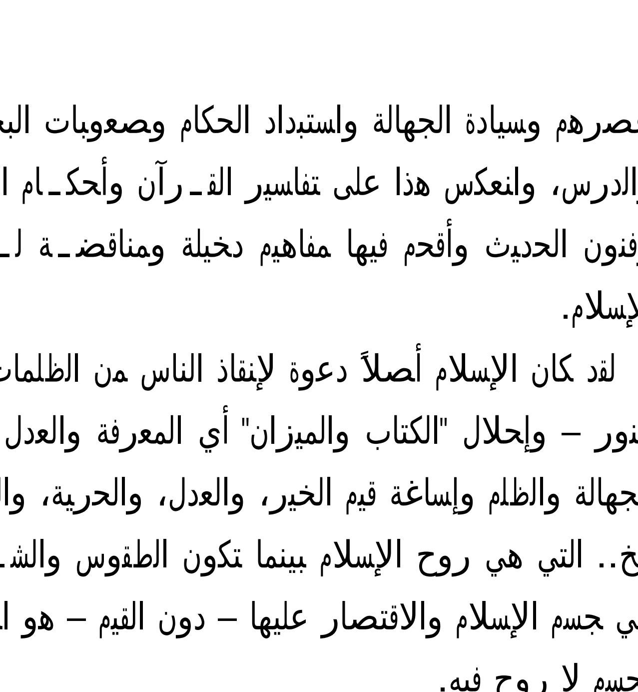
- ٨ -

إن الصورة النمطية لشخصية المسلم التي تتسم عادة بالسلبية والماضوية والتركيز على الطقوس والشعائر ليست هي صورة المسلم أيام الرسول، ويعود هذا الاختلاف إلى أن قصر مدة الرسالة النبوية والخلافة الراشدة (٥٠ سنة) لم تكن كافية لتعميق جذور الشخصية الإسلامية. ثم جاء الملك العضوض، وتدهور الخلافة وسد باب الاجتهاد لأكثر من ألف عام، وغلبة الجهالة والاستبداد إلخ.. وتمخض هذا كله عن الصورة المعروفة اليوم والتي تتقبلها وتبقى عليها المؤسسات الدينية والنظم الحاكمة لأسباب تتعلق بالقصور.. أو الإبقاء على المصالح المكتسبة.

ونحن نرفض هذه الصورة، ونعمل لإحياء إسلامي.

- ٩ -

لا يمكن تحقيق أي إحياء إسلامي إلا بالعودة رأسا إلى القرآن الكريم – وضبط السنة بضوابطه وعدم التقييد بما وضعه الإسلام من فنون واجتهادات تأثروا فيها بروح



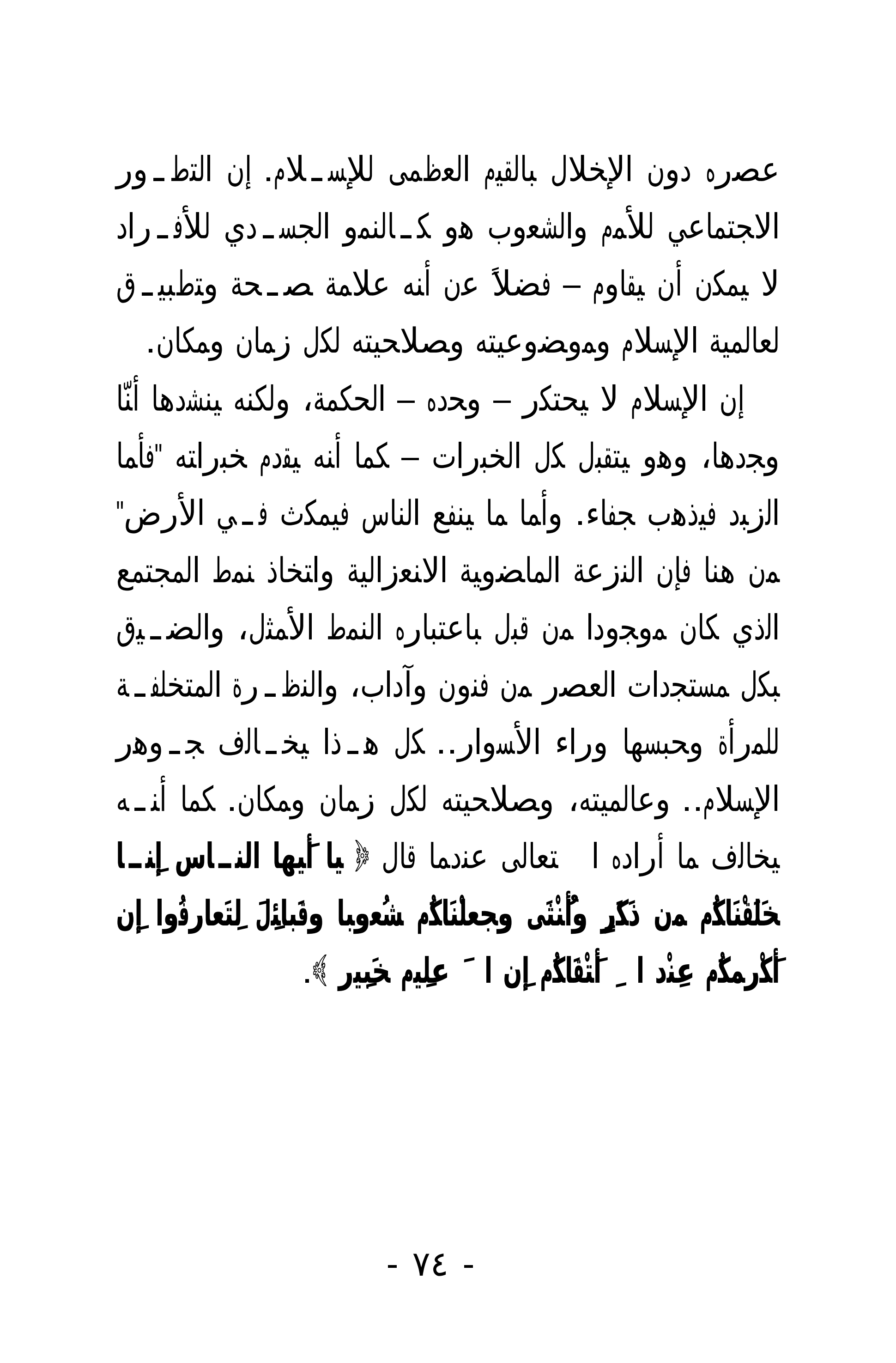
عصرهم وسيادة الجهالة واستبداد الحكام وصعوبات البحث والدرس، وانعكس هذا على تفاسير القرآن وأحكام الفقه وفنون الحديث وأقحم فيها مفاهيم دخيلة ومناقضة لروح الإسلام.

لقد كان الإسلام أصلاً دعوة لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور – وإحلال "الكتاب والميزان" أي المعرفة والعدل محل الجهالة والظلم وإساغة قيم الخير، والعدل، والحرية، والعلم إلخ.. التي هي روح الإسلام بينما تكون الطقوس والشعائر هي جسم الإسلام والاقتصار عليها – دون القيم – هو احتفال بجسم لا روح فيه.

بالنسبة لدعوة الإحياء الإسلامي، فليس المهم الآن تفسير القرآن، ولكن تثوير القرآن.. وهو ما دعا إليه الرسول وطبقه الصحابة، فإنهم لم يعكفوا على تفسير القرآن. وإنما هبوا كإعصار ليقوموا بأكبر حركة تغيير في العالم القديم.

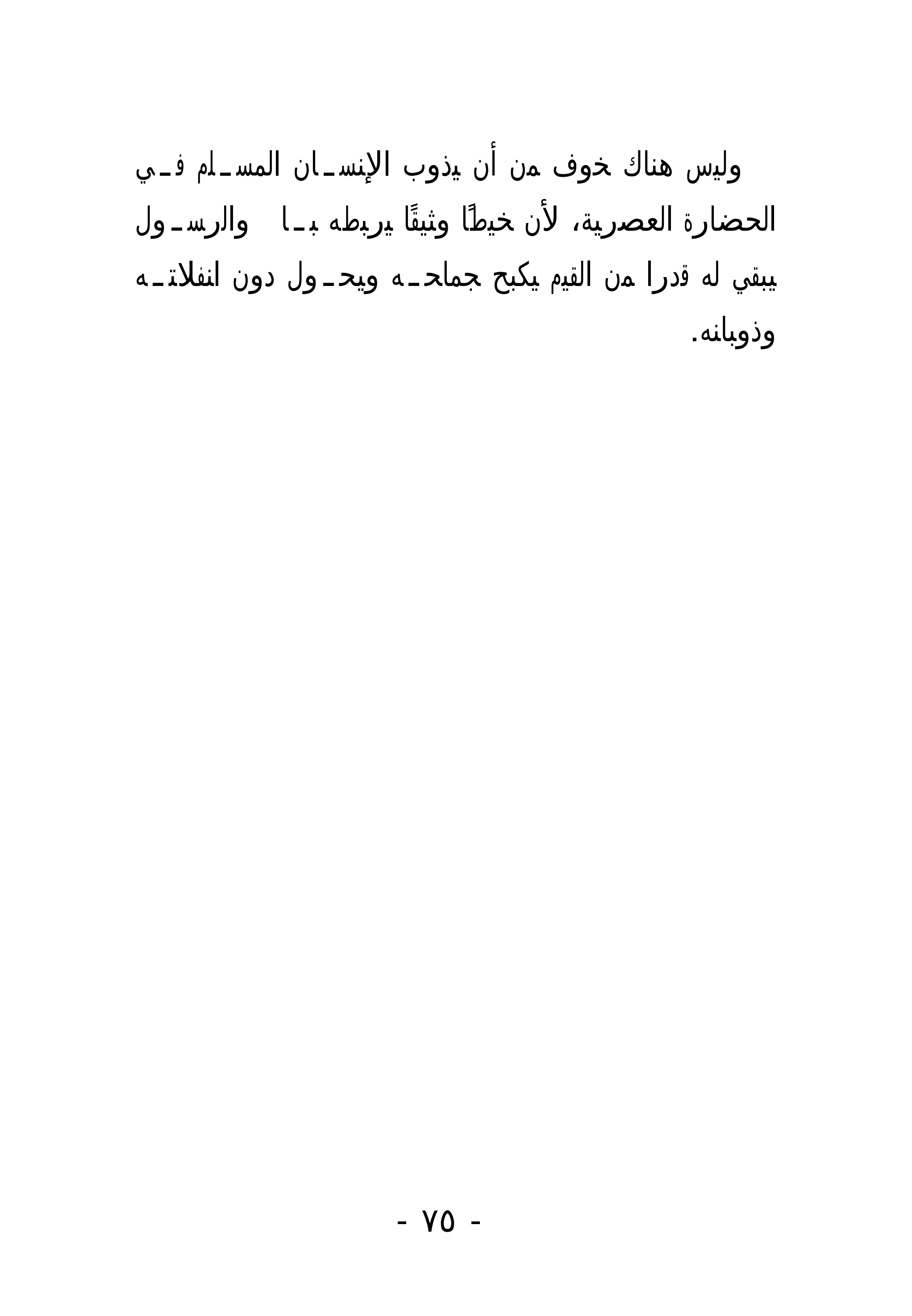
- ١٠ -

هناك حقيقة تصل إلى مستوى البداهة، وإن أخفتها الغشاوات الكثيفة. تلك هي أن على كل جيل أن يعيش

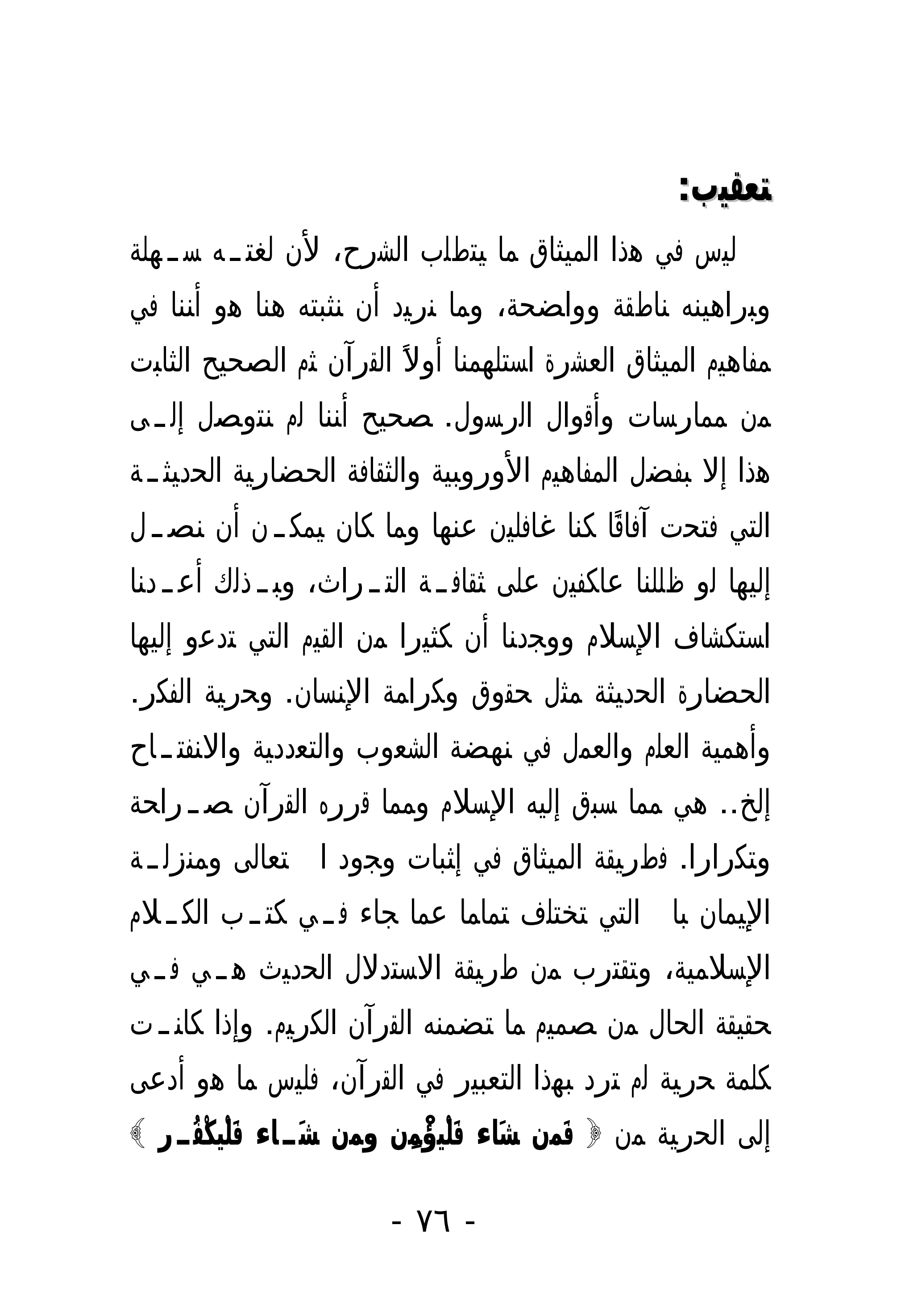


عصره دون الإخلال بالقيم العظمى للإسلام. إن التطور الاجتماعي للأمم والشعوب هو كالنمو الجسدي للأفراد لا يمكن أن يقاوم – فضلاً عن أنه علامة صحة وتطبيق لعالمية الإسلام وموضوعيته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

إن الإسلام لا يحتكر – وحده – الحكمة، ولكنه ينشدها أنّا وجدها، وهو يتقبل كل الخبرات – كما أنه يقدم خبراته "فأما الزبد فيذهب جفاء. وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" من هنا فإن النزعة الماضوية الانعزالية واتخاذ نمط المجتمع الذي كان موجودا من قبل باعتباره النمط الأمثل، والضيق بكل مستجدات العصر من فنون وآداب، والنظرة المتخلفة للمرأة وحبسها وراء الأسوار.. كل هذا يخالف جوهر الإسلام.. وعالميته، وصلاحيته لكل زمان ومكان. كما أنه يخالف ما أراده ا تعالى عندما قال ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا أتقاكم إن ا عليم خبير** ﴾.

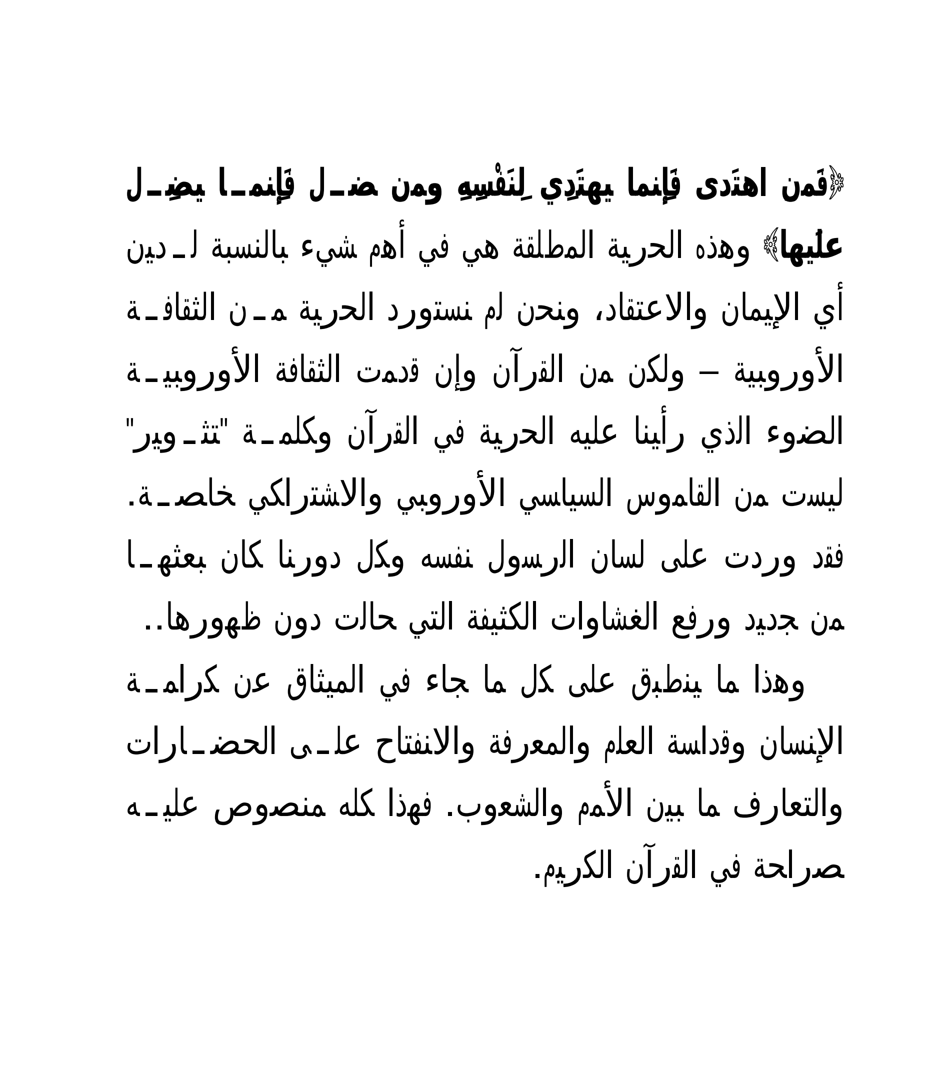


وليس هناك خوف من أن يذوب الإنسـان المسـلم فـي الحضارة العصرية، لأن خيطًا وثيقًا يربطه بـا والرسـول يبقي له قدرا من القيم يكبح جماحـه ويحـول دون انفلاتـه وذوبانه.



تعقيب:

ليس في هذا الميثاق ما يتطلب الشرح، لأن لغته سهلة وبراهينه ناطقة وواضحة، وما نريد أن نثبته هنا هو أننا في مفاهيم الميثاق العشرة استلهمنا أولاً القرآن ثم الصحيح الثابت من ممارسات وأقوال الرسول. صحيح أننا لم نتوصل إلى هذا إلا بفضل المفاهيم الأوروبية والثقافة الحضارية الحديثة التي فتحت آفاقًا كنا غافلين عنها وما كان يمكن أن نصل إليها لو ظللنا عاكفين على ثقافة التراث، وبذلك أعدنا استكشاف الإسلام ووجدنا أن كثيرا من القيم التي تدعو إليها الحضارة الحديثة مثل حقوق وكرامة الإنسان. وحرية الفكر. وأهمية العلم والعمل في نهضة الشعوب والتعددية والانفتاح إلخ.. هي مما سبق إليه الإسلام ومما قرره القرآن صراحة وتكرارا. فطريقة الميثاق في إثبات وجود ا تعالى ومنزلة الإيمان با التي تختلف تماما عما جاء في كتب الكلام الإسلامية، وتقترب من طريقة الاستدلال الحديث هي في حقيقة الحال من صميم ما تضمنه القرآن الكريم. وإذا كانت كلمة حرية لم ترد بهذا التعبير في القرآن، فليس ما هو أدعى إلى الحرية من ﴿ **فَمن شَاء فَلْيؤْمِن ومن شَاء فَلْيكْفُر** ﴾



﴿**فمن اهتَدى فَإنما يهتَدِي لِنَفْسِهِ ومن ضل فَإنما يضِل عليها**﴾ وهذه الحرية المطلقة هي في أهم شيء بالنسبة لـ دين أي الإيمان والاعتقاد، ونحن لم نستورد الحرية من الثقافة الأوروبية – ولكن من القرآن وإن قدمت الثقافة الأوروبية الضوء الذي رأينا عليه الحرية في القرآن وكلمة "تنوير" ليست من القاموس السياسي الأوروبي والاشتراكي خاصة. فقد وردت على لسان الرسول نفسه وكل دورنا كان بعثها من جديد ورفع الغشاوات الكثيفة التي حالت دون ظهورها..

وهذا ما ينطبق على كل ما جاء في الميثاق عن كرامة الإنسان وقداسة العلم والمعرفة والانفتاح على الحضارات والتعارف ما بين الأمم والشعوب. فهذا كله منصوص عليه صراحة في القرآن الكريم.

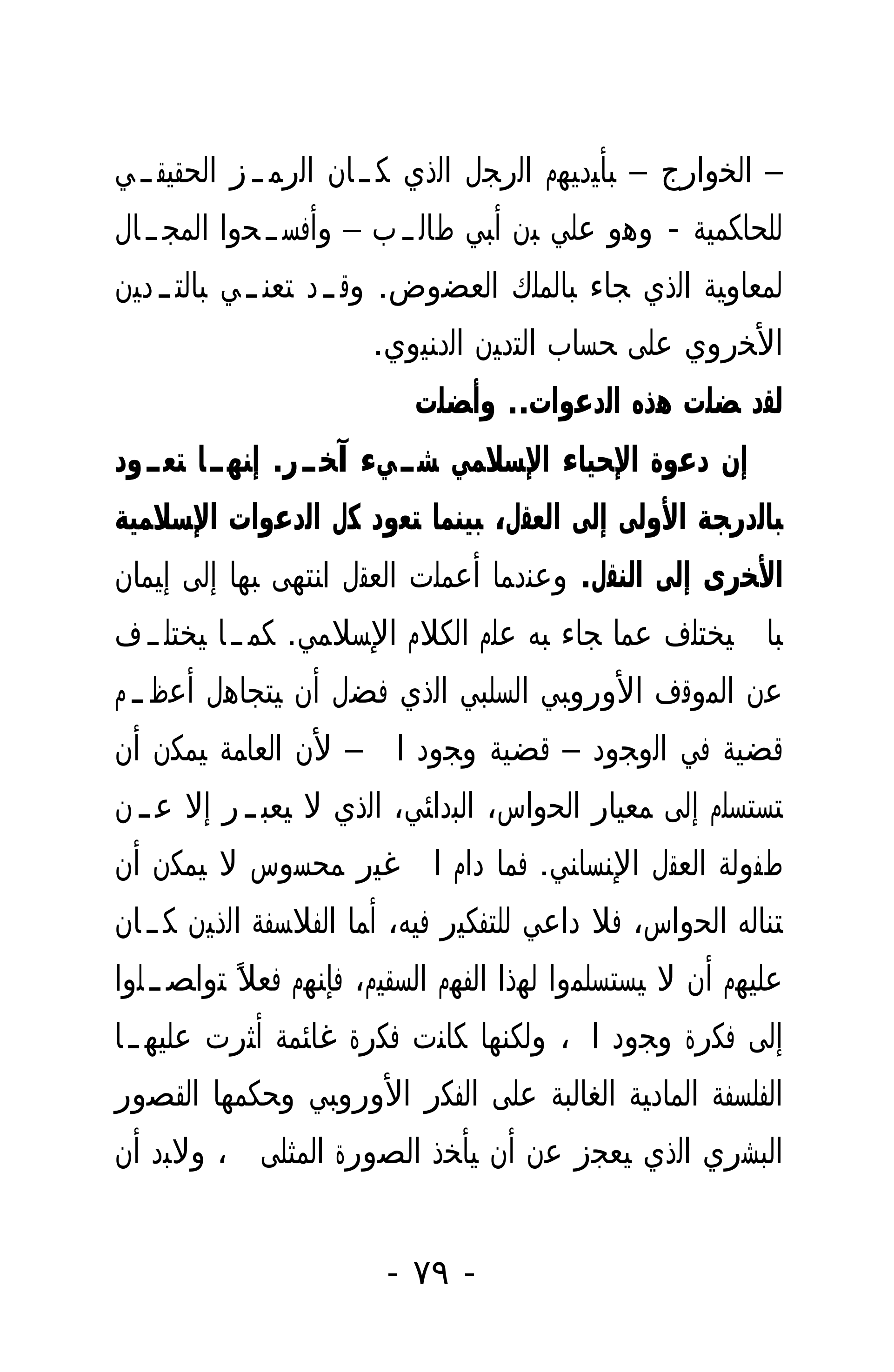


- ٣ -

فكر وفقه دعوة الإحياء الإسلامي

أشرنا ببعض الإجمال إلى تميز دعوة الإحياء الإسلامي على غيرها، وقد آن الأوان لبسط هذه الفكرة وإقامتها على قواعدها.

فالدعوات الإسلامية قد ترحل ميدان الإصلاح بفكر سلفي فلا تجدد شيئًا. بل تفرض القديم على الجديد وتتمسك بما جاء به الفقهاء؛ لأنهم لم يتصوروا أبدا أن من الممكن الاستغناء عنهم، باختصار تريد أن تعيد الساعة إلى الوراء، وتأبى طبائع الأشياء ذلك. ومن ثم فعملها كله مردود وليس إلا صورة من التماحك مع العصر.. وقد تدخل لعلاج ناحية واحدة، وهذا ما لا يمكن تحقيقه لأن الناحية الواحدة مرتبطة ببقية النواحي ولا يمكن إصلاحها على حدة، وقد تدخل الساحة حاملة شعارا أخاذًا مثل " الحاكمية الإلهية " دون أن تعني بدراسة المضامين العملية له والوسائل التي يمكن به تطبيقه وأثار ردود الفعل إلخ.. ولعل هذه الدعوات "الشعارية" أن تكون أخطر وأسوأ الدعوات. وقد قتل أصحابها في القديم


– الخوارج – بأيديهم الرجل الذي كـان الرمـز الحقيقـي للحاكمية - وهو علي بن أبي طالـب – وأفسـحوا المجـال لمعاوية الذي جاء بالملك العضوض. وقـد تعنـي بالتـدين الأخروي على حساب التدين الدنيوي.

لقد ضلت هذه الدعوات.. وأضلت

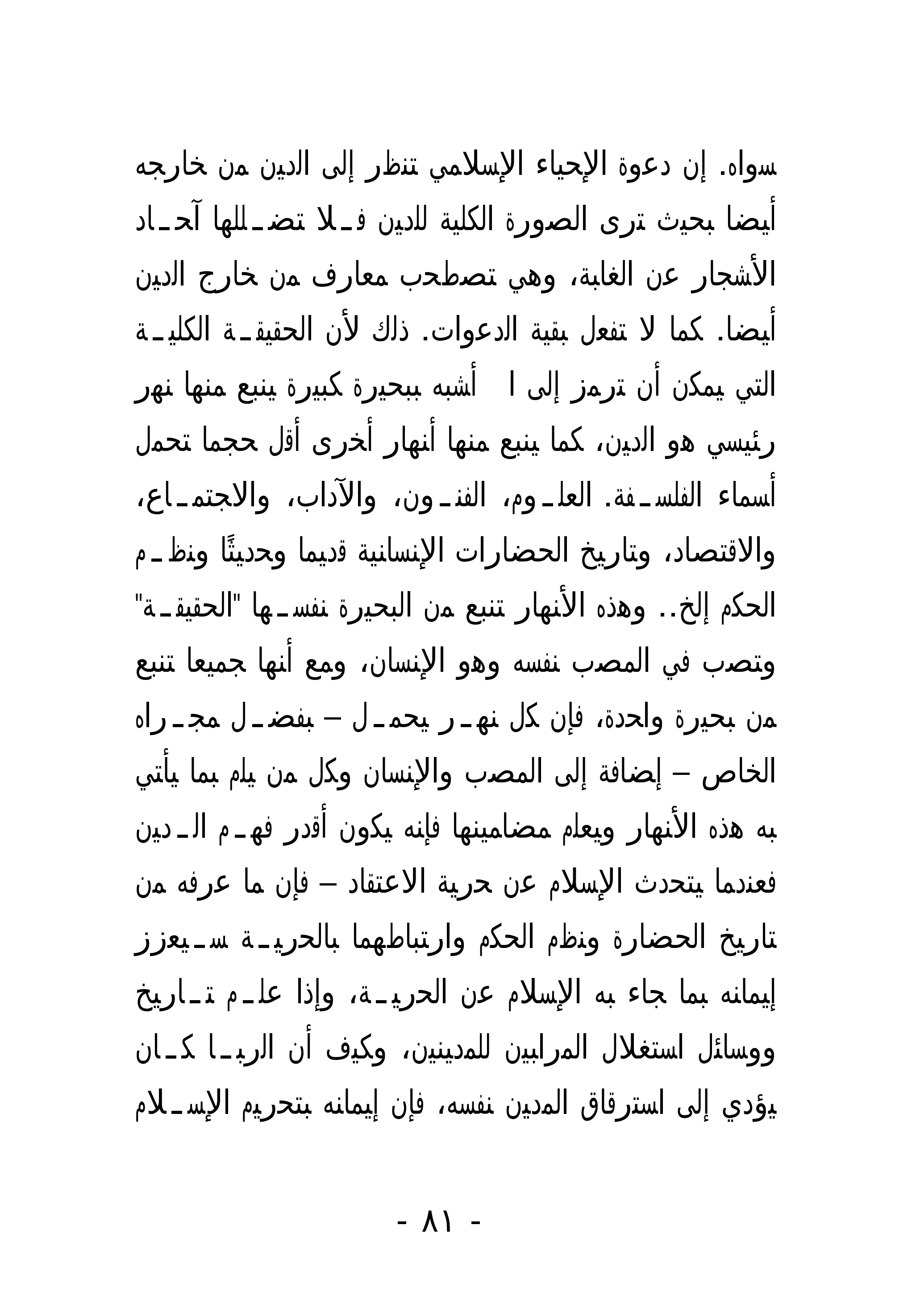
إن دعوة الإحياء الإسلامي شـيء آخـر. إنهـا تعـود بالدرجة الأولى إلى العقل، بينما تعود كل الدعوات الإسلامية الأخرى إلى النقل. وعندما أعملت العقل انتهى بها إلى إيمان با يختلف عما جاء به علم الكلام الإسلامي. كمـا يختلـف عن الموقف الأوروبي السلبي الذي فضل أن يتجاهل أعظـم قضية في الوجود – قضية وجود ا – لأن العامة يمكن أن تستسلم إلى معيار الحواس، البدائي، الذي لا يعبـر إلا عـن طفولة العقل الإنساني. فما دام ا غير محسوس لا يمكن أن تناله الحواس، فلا داعي للتفكير فيه، أما الفلاسفة الذين كـان عليهم أن لا يستسلموا لهذا الفهم السقيم، فإنهم فعلاً تواصـلوا إلى فكرة وجود ا ، ولكنها كانت فكرة غائمة أثرت عليهـا الفلسفة المادية الغالبة على الفكر الأوروبي وحكمها القصور البشري الذي يعجز عن أن يأخذ الصورة المثلى ، ولابد أن

يأتي بها وحي من السماء، ولما كانوا فلاسفة وليسوا أنبيـاء، فقد وقفوا في منتصف الطريق.

وفي الوقت الذي رفض فكر الإحياء الإسـلامي طريقـة ومنهج علم الكلام، فإنه وجد طلبه في منهج القرآن الكـريم وتلاقي العقل مع الوحي في اعتبار أن القضية المحورية في الإسلام (وبالطبع في كل دين) هي الإيمان با . ومن أصـل هذا جاء البند ٨ الأول من ميثاق دعوة الإحيـاء الإسـلامي يبرز هذا الإيمان أولاً وقبل كل شيء. ويبـرزه بالصـورة العقلانية/القرآنية. وتعتبر نقطة البداية وواسطة العقـد فـي الإيمان الإسلامي الذي يغطي الكون كله وليس الإنسان الذي يعيش على كوكب من أصغر كواكب الكون..

وهذه الصور المميزة للإيمان با هي ما تميـز دعـوة الإحياء الإسلامي عن بقيـة الـدعوات كافـة.. أوروبيـة. أو إسلامية.. وما يعطيها رشد الحياة وعمق الدين والتواصل مع الكون.

ومن خصائص دعوة الإحياء الإسلامي أنها لا تقتصر في النظر إلى الدين على النظر إليه من داخله، كما تفعـل بقيـة الدعوات الإسلامية فتحصر نفسها فيه، ولا تعرف شيئًا عمـا



سواه. إن دعوة الإحياء الإسلامي تنظر إلى الدين من خارجه أيضا بحيث ترى الصورة الكلية للدين فـلا تضـللها آحـاد الأشجار عن الغابة، وهي تصطحب معارف من خارج الدين أيضا. كما لا تفعل بقية الدعوات. ذلك لأن الحقيقـة الكليـة التي يمكن أن ترمز إلى ا أشبه ببحيرة كبيرة ينبع منها نهر رئيسي هو الدين، كما ينبع منها أنهار أخرى أقل حجما تحمل أسماء الفلسـفة. العلـوم، الفنـون، والآداب، والاجتمـاع، والاقتصاد، وتاريخ الحضارات الإنسانية قديما وحديثًا ونظـم الحكم إلخ.. وهذه الأنهار تنبع من البحيرة نفسـها "الحقيقـة" وتصب في المصب نفسه وهو الإنسان، ومع أنها جميعا تنبع من بحيرة واحدة، فإن كل نهـر يحمـل – بفضـل مجـراه الخاص – إضافة إلى المصب والإنسان وكل من يلم بما يأتي به هذه الأنهار ويعلم مضامينها فإنه يكون أقدر فهـم الـدين فعندما يتحدث الإسلام عن حرية الاعتقاد – فإن ما عرفه من تاريخ الحضارة ونظم الحكم وارتباطهما بالحريـة سـيعزز إيمانه بما جاء به الإسلام عن الحريـة، وإذا علـم تـاريخ ووسائل استغلال المرابين للمدينين، وكيف أن الربـا كـان يؤدي إلى استرقاق المدين نفسه، فإن إيمانه بتحريم الإسـلام

للربا سيتأكد، وبالمثل فإنه عندما يعـرف مـا يـؤدي إليـه الاستئثار والاستبداد من الكوارث فإن تنديد القرآن بطغيـان الحكام والفراعن سيتدعم، وبهذا يكون إيمان المؤمن إيمانـًا بصيرا وليس أعمى، عميقا وليس سطحيا. وانعـدام معرفـة الشيوخ والفقهاء بهذه المعارف واقتصارهم في فهـم الـدين على الدين نفسه ووحده جعل إحساسهم بكل ما القرآن من قيم كالحرية والعدالة إلخ.. ضحلاً وسـطحيا. فهـم يتحـدثون باستمرار عن أن القرآن كرم بني آدم، وندد بالاستغلال ولكن هذا الكلام ليس له أي مضمون عملي لديهم، وهـم أنفسـهم يمتهنون كرامة الإنسان ويمارسون الاستغلال لأن المضمون العملي الذي هو روح كلامهم إنما يتعزز بفضل معرفة النظم السياسية في العالم بأسره، وطرق الحكم وأنماط الحضـارات وحركات الجماهير إلخ.. وهم يجهلون هذا كله "لأنه يخـرج فيما رأوا عن إطار العلم الديني".

ومن هنا اتسمت دعوى الإحياء بالشمول والفهـم عامـة والتسامح التي لا يطيقها، ولا يقبلها، الذين حصروا أنفسـهم في "النصوص".

ولم يحدث أي تفارق بين مـا تقدمـه العلـوم والفنـون والتاريخ إلخ.. وما يقدمه الإسلام لأننا من البداية – وعلـى نقيض مسلك الآخرين. عمدنا رأسا إلى القرآن الكريم. ولـو أننا – أخذنا بكلام الفقهاء والمفسرين لوجدنا تعارضا كبيرا.

إن دعوة الإحياء الإسلامي عندما انطلقت مـن القـرآن وحده، رافضة الالتزام بكلام المفسرين تراءت لهـا عظمـة وروعة وعبقرية القرآن وتفتحت آفاقه وعطاؤه الذي لا يحد، وكانت تحجبه غشاوات مجلدات التفسير. ومن ثم أمكـن أن نستلهم معظم مبادئ وأصول دعوة الإحياء الإسـلامي مـن القرآن الكريم نفسه، ووحده. وأن نعززها بشواهد التاريخ.

وقد وجد فقه دعوة الإحياء. أن نصوص القرآن الكـريم عن كرامة الإنسان، وحرية الفكر، والمساواة مع المرأة، تزيد عما وضعته المعايير الدولية لها.

بعد هذا المنطق القرآني وجدنا أمامنا السنة، وهي مـادة الفقه الإسلامي ولحمته وسداه، وإليها أكثر من القرآن – يعود بناء الفقه الإسلامي والفكر الإسلامي عامة. وإليهـا ينسـب الفقهاء معظم أحكامهم.

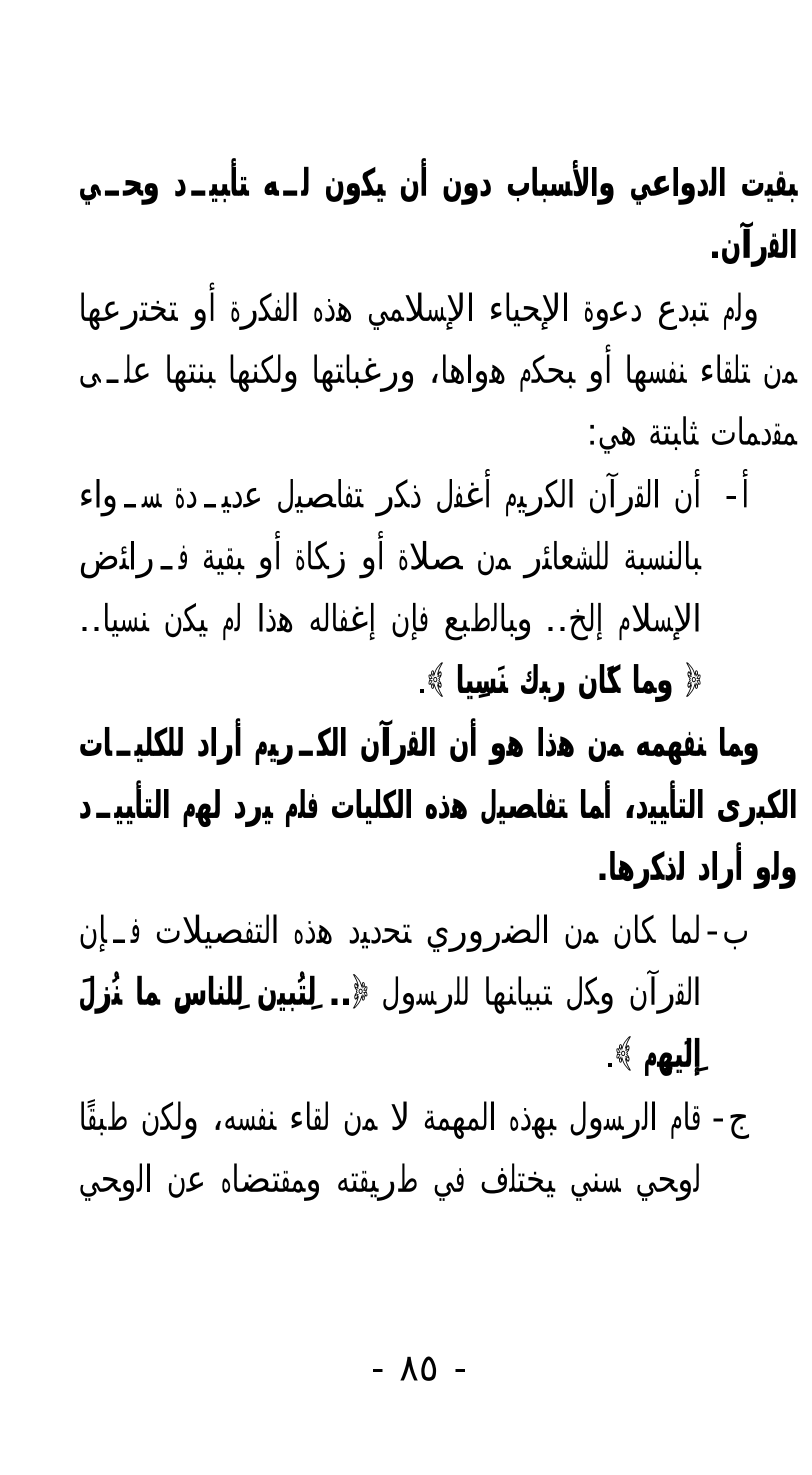
ولكن دعوة الإحياء الإسلامي لم تتقاعس، أو تستسلم فأبدعت تخريجين حلت بهما أزمة السنة المستعصية.

التخريج الأول: ضبط السنة بضوابط القرآن الكريم. وهذا ما لا يمكن أن يرفضه أنصار السنة نفسها، وفي الوقت نفسه، فإنه عند تطبيقه بالفعل (وهو الأمر الذي أحجموا عن ممارسته) قد يستبعد ربع أو خمس ما جاء في الصحاح.

وترفض دعوة الإحياء الإسلامي كل ما يوجه إليها من ادعاءات.. هل خفي ذلك على البخاري ومسلم واستكشفتموه أنتم؟ وهي تراه نوعا من الفرار من المقولة إلى القائل وشكلاً من أشكال الإرهاب وتقديس الأسلاف الذي ندد به القرآن **﴿إِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾**.

نقول نعم، لقد تهيأ لنا من وسائل البحث والتمحيص وبفضل شيوع الثقافة والمعرفة ما لم يتهيأ للسابقين، ومن الطبيعي أن نصل إلى ما لم يصلوا إليه، ولا يمس هذا في شيء إخلاصهم وتفانيهم وتقواهم.

التخريج الثاني: هو أن كل ما قاله أو فعله الرسول خارج الإطار القرآن إنما جاء بوحي سني، أريد به البقاء ما



بقيت الدواعي والأسباب دون أن يكون لـه تأبيـد وحـي القرآن.

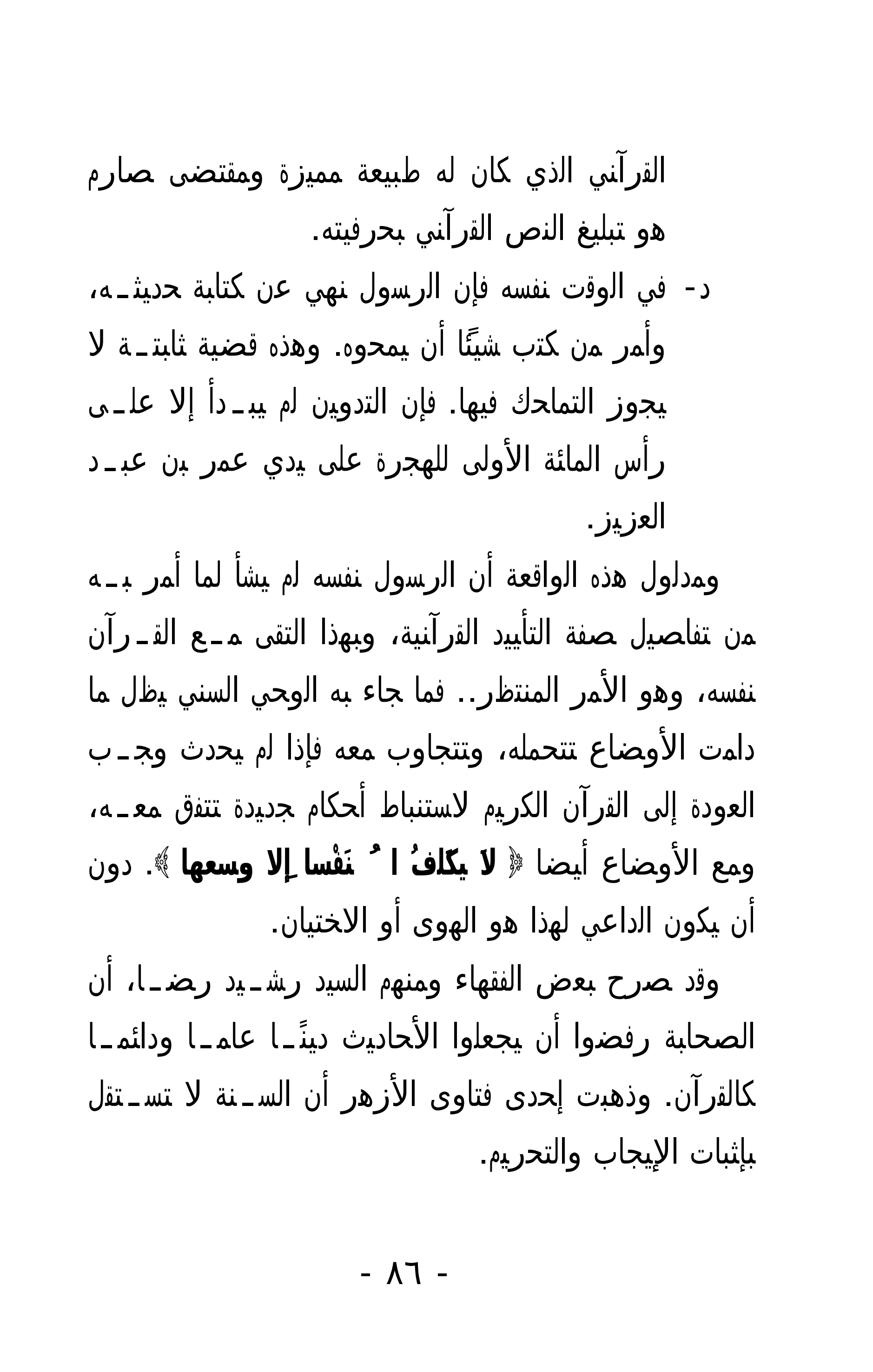
ولم تبدع دعوة الإحياء الإسلامي هذه الفكرة أو تخترعها من تلقاء نفسها أو بحكم هواها، ورغباتها ولكنها بنتها علـى مقدمات ثابتة هي:

أ- أن القرآن الكريم أغفل ذكر تفاصيل عديـدة سـواء بالنسبة للشعائر من صلاة أو زكاة أو بقية فـرائض الإسلام إلخ.. وبالطبع فإن إغفاله هذا لم يكن نسيا.. ﴿ **وما كان ربك نَسِيا** ﴾.

وما نفهمه من هذا هو أن القرآن الكـريم أراد للكليـات الكبرى التأييد، أما تفاصيل هذه الكليات فلم يرد لهم التأييـد ولو أراد لذكرها.

ب- لما كان من الضروري تحديد هذه التفصيلات فـإن القرآن وكل تبيانها للرسول ﴿ **.. لِتُبين لِلناس ما نُزلَ إِليهم** ﴾.

ج- قام الرسول بهذه المهمة لا من لقاء نفسه، ولكن طبقًا لوحي سني يختلف في طريقته ومقتضاه عن الوحي



القرآني الذي كان له طبيعة مميزة ومقتضى صارم هو تبليغ النص القرآني بحرفيته.

د- في الوقت نفسه فإن الرسول نهي عن كتابة حديثـه، وأمر من كتب شيئًا أن يمحوه. وهذه قضية ثابتـة لا يجوز التماحك فيها. فإن التدوين لم يبـدأ إلا علـى رأس المائة الأولى للهجرة على يدي عمر بن عبـد العزيز.

ومدلول هذه الواقعة أن الرسول نفسه لم يشأ لما أمر بـه من تفاصيل صفة التأييد القرآنية، وبهذا التقى مـع القـرآن نفسه، وهو الأمر المنتظر.. فما جاء به الوحي السني يظل ما دامت الأوضاع تتحمله، وتتجاوب معه فإذا لم يحدث وجـب العودة إلى القرآن الكريم لاستنباط أحكام جديدة تتفق معـه، ومع الأوضاع أيضا ﴿ **لاَ يكَلافُ ا ُ نَفْسا إِلا وسعها** ﴾. دون أن يكون الداعي لهذا هو الهوى أو الاختيان.

وقد صرح بعض الفقهاء ومنهم السيد رشـيد رضـا، أن الصحابة رفضوا أن يجعلوا الأحاديث دينًـا عامـا ودائمـا كالقرآن. وذهبت إحدى فتاوى الأزهر أن السـنة لا تسـتقل بإثبات الإيجاب والتحريم.

بل إن هذا هو ما صرح به الرسول عليـه السـلام فـي الحديث عن عوف بن مالك قال: خرج علينا رسول ا وهو مرعوب متغير اللون فقال: " أطيعوني ما دمت فيكم، وعليكم بكتاب ا عز وجل فأحلوا حلاله وحرموا حرمـه " وفـي رواية " خطبنا رسول ا بالهجير وهـو مرعـوب فقـال " أطيعوني ما كنت بين أظهركم وعليكم بكتاب ا أحلو حلاله وحرموا حرامه " هذا الحديث الذي اجتمع فيه أربعـة مـن الصحابة يروي بعضهم عن بعـض ينبـئ بـأن الرسـول استشرف أن المسلمين سيحلون السنة دون أن يكون موجودا ليظهر ما تطرق إليها من خطأ أو نسيان أو وضـع محـل القرآن الكريم فتملكه الكرب.. [١].

بهذين التخريجين لم تعد السنة عقبة فضلاً عن أن دعـوة الإحياء الإسلامي تجعل الرسول المثـل البشـري الأعلـى

---

[١] انظر الحديث في زيادات محاسن الإطلاع على مقدمة ابن الصلاح للبلقيني تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن (دار المعارف بمصر) ص ٦٨٤ – والحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٧٠ وقال رواه الطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

والأسوة لكل المؤمنين، وأنها تتمسك بما وضعه من تقاليد كرئيس دولة، وهو جانب يرى الفقهاء أنه ليس تشريعا[1].

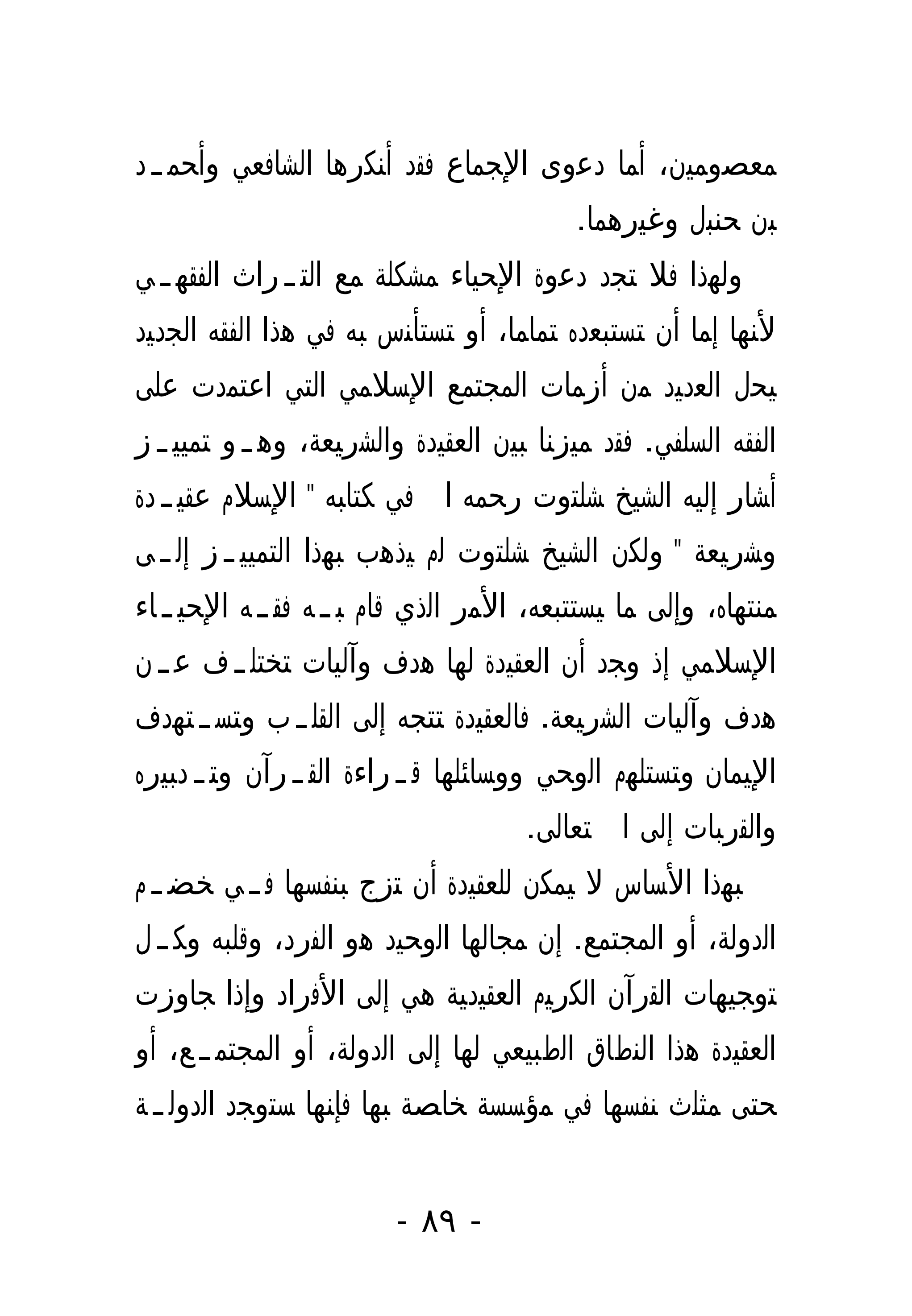
***

بعد القرآن والسنة – وجدت دعوة الإحياء الإسلامي – أمامها التلال المتعالية، والمجلدات المتعددة من أحكام المذاهب وما وضعه الفقهاء على مدار ألف عام. ودعوة الإحياء الإسلامي تنحي كل هذا جانبا، لأنها لا تقبل أن يفكر الآخرون لها أو ترى الأمور بعيون ميتة، ولأنها تؤمن أن القرآن الكريم يحثها على الفكر، وعلى " ما أنزل ا " وليس إتباع الآباء والأسلاف. فهؤلاء الأسلاف رغم تفانيهم وإخلاصهم – لم يرزقوا الكمال.

ولا تجد دعوة الإحياء الإسلامي حرجا في أن تعلن أن الفقهاء عندما أجمعوا على النسخ في القرآن وعلى تحديد القتل عقوبة للمرتد كانوا يصدرون عن روح عصرهم، والصناعة الفقهية التي وضعوها – ذلك لأنهم ليسوا

---

[1] لا يتسع المجال للتفصيل وقد عولج الأمر في الجزء الثاني من كتاب " نحو فقه جديد " وهو المخصص للسنة فعلى من يريد التفصيل إليه. وكذلك في كتابنا"الأصلان العظيمان. الكتاب والسنة ".



معصومين، أما دعوى الإجماع فقد أنكرها الشافعي وأحمـد بن حنبل وغيرهما.

ولهذا فلا تجد دعوة الإحياء مشكلة مع التـراث الفقهـي لأنها إما أن تستبعده تماما، أو تستأنس به في هذا الفقه الجديد يحل العديد من أزمات المجتمع الإسلامي التي اعتمدت على الفقه السلفي. فقد ميزنا بين العقيدة والشريعة، وهـو تمييـز أشار إليه الشيخ شلتوت رحمه ا في كتابه " الإسلام عقيـدة وشريعة " ولكن الشيخ شلتوت لم يذهب بهذا التمييـز إلـى منتهاه، وإلى ما يستتبعه، الأمر الذي قام بـه فقـه الإحيـاء الإسلامي إذ وجد أن العقيدة لها هدف وآليات تختلـف عـن هدف وآليات الشريعة. فالعقيدة تتجه إلى القلـب وتسـتهدف الإيمان وتستلهم الوحي ووسائلها قـراءة القـرآن وتـدبيره والقربات إلى ا تعالى.

بهذا الأساس لا يمكن للعقيدة أن تزج بنفسها فـي خضـم الدولة، أو المجتمع. إن مجالها الوحيد هو الفرد، وقلبه وكـل توجيهات القرآن الكريم العقيدية هي إلى الأفراد وإذا جاوزت العقيدة هذا النطاق الطبيعي لها إلى الدولة، أو المجتمـع، أو حتى مثلت نفسها في مؤسسة خاصة بها فإنها ستوجد الدولـة

الثيولوجية التي لا تكـون دول العقيـدة [١] ولكـن دولـة الكهنوت، وهو أسوأ تشويه يمكن أن تصاب به العقيدة. بـل ويقضي عليها كعقيدة.

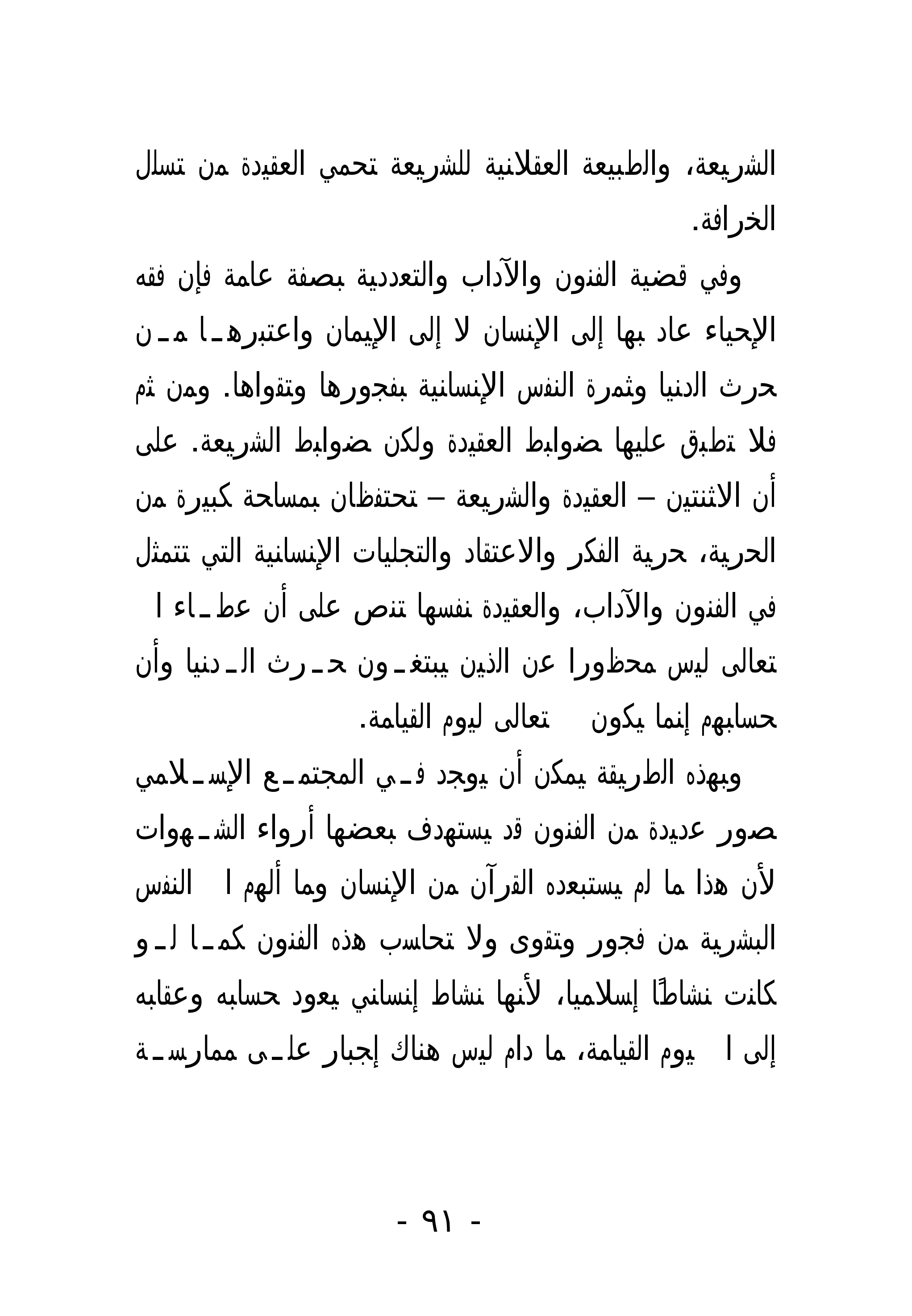
إن هذا التكييف قد حل أكبر أزمة فـي مشـكلة الحكـم الإسلامي لأنه أبعد العقيدة عن مجال الحكم وحصـرها فـي الأفراد، ولم يكن هذا تحكما أو هوى ولكن بناء على طبيعـة العقيدة.

أما الذي يدخل في مجـال الحكـم فهـو " الشـريعة "، والشريعة هي عالم العلاقات الإنسانية: أصحاب الأعمال مع العمال، الحكام مع المحكومين، الأغنياء مع الفقراء، الرجال مع النساء إلخ.. ففي هذه العلاقات يكون الهدف هـو العـدل وتكون الوسيلة هي القانون، ويكون الفيصل هو العقل وبهـذا يصبح للدولة الإسلامية في أحكامها طابعا عقلانيا.

وإيمان الأفراد بالعقيدة يتفاعل تفاعلاً جدليا مـع التنظـيم العقلاني للدولة فإيمان الأفـراد يجعلهـم يطلبـون تطبيـق

---

[١] والمصطلح نفسه سقيم، فليس هناك دولة للعقيدة ولكن يمكن أن نقول أمة العقيدة.



الشريعة، والطبيعة العقلانية للشريعة تحمي العقيدة من تسلل الخرافة.

وفي قضية الفنون والآداب والتعددية بصفة عامة فإن فقه الإحياء عاد بها إلى الإنسان لا إلى الإيمان واعتبرهـا مـن حرث الدنيا وثمرة النفس الإنسانية بفجورها وتقواها. ومن ثم فلا تطبق عليها ضوابط العقيدة ولكن ضوابط الشريعة. على أن الاثنتين – العقيدة والشريعة – تحتفظان بمساحة كبيرة من الحرية، حرية الفكر والاعتقاد والتجليات الإنسانية التي تتمثل في الفنون والآداب، والعقيدة نفسها تنص على أن عطـاء ا تعالى ليس محظورا عن الذين يبتغـون حـرث الـدنيا وأن حسابهم إنما يكون تعالى ليوم القيامة.

وبهذه الطريقة يمكن أن يوجد فـي المجتمـع الإسـلامي صور عديدة من الفنون قد يستهدف بعضها أرواء الشـهوات لأن هذا ما لم يستبعده القرآن من الإنسان وما ألهم ا النفس البشرية من فجور وتقوى ولا تحاسب هذه الفنون كمـا لـو كانت نشاطًا إسلاميا، لأنها نشاط إنساني يعود حسابه وعقابه إلى ا يوم القيامة، ما دام ليس هناك إجبار علـى ممارسـة

هذه الفنون أو مشاهدتها أو الاشتراك فيهـا بقـوة أو بـأمر السلطة[1].

أما قضية الاقتصاد ومشكلة الربا المعقدة فإنها بنظرة واحدة رأت أن كلمة " وتظلمون" الأخيرة في الآية ﴿ **وإن تُبتُم فَلَكُم رؤُوس أَموالِكُم لا تَظْلِمون ولاَ تُظْلَمون** ﴾ يتضمن اعترافًا بأثر التضخم حتى لا يؤدي تجاهله إلى الحيف على الدائن وظلمه لأن الظلم كريه في الإسلام سواء كان للمدين أو الدائن، ومن ثم فليس هناك تحريم على أكثر أنواع الربا انتشارا في عصر يجعل التضخم أمرا لازما..

وتوصل الفقه الجديد إلى نظرية تلاقي الحقوق والواجبات بين العمال وأصحاب الأعمال التي تحسـم شـأفة تنـاقض المصالح والصراع الطبقي وتحوله إلى اختلاف حول قسـمة العائد يحسمه العدل الإسلامي. كما لم نجد صعوبة من تفسير الآية ٢٨٢ من سورة البقرة تفسيرا يوجب ويقر الاتفاقيـات الجماعية أو عقد العمل المشترك كما قد يطلق عليه في بعض الحالات وهو جوهر النقابية [2].

---

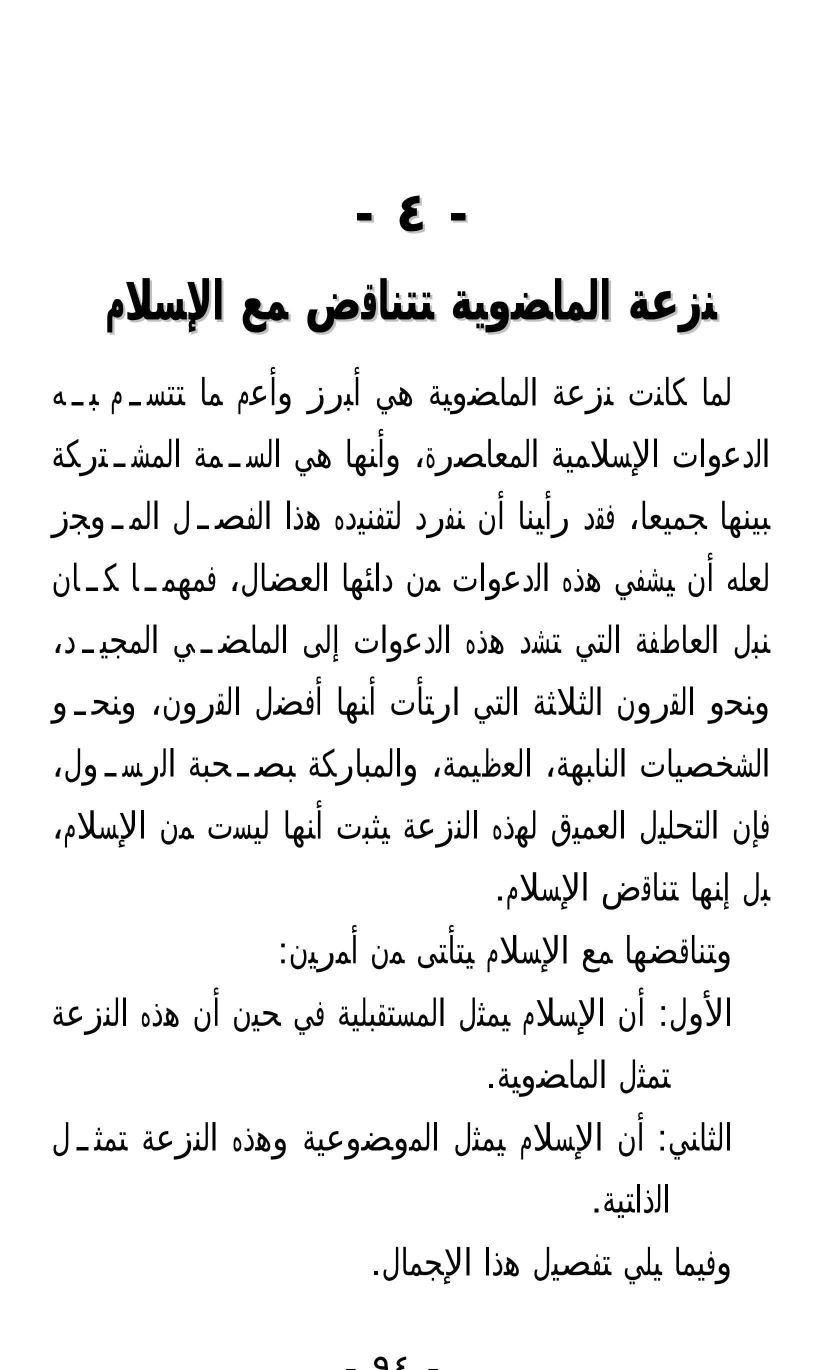
[1] وانظر أيضا في الفصل الخامس الموقف من الفنون.

[2] انظر كتابنا الإسلام والحركة النقابية من ص ٨٢ إلى ص ٨٥

وقد عزز الفقه الجديد قاعدة "إساءة استخدام الحق " ومـا تتطلبه من ضبط لأنها تحقق العدل، وهو الهـدف الرئيسـي للشريعة، قدر ما عزف عن " سد الذرائع " لأنهـا تخـالف أسلوب المقاصة الذي وضعه القرآن الكريم ﴿**إن الْحسـنَاتِ يذْهِبن السيئاتِ**﴾ كما تتناقض مـع منطقـة – أي منطـق المقاصة – في آيات عديدة.

***

هذا عرض سريع للطريق التي توصلت بها دعوة الإحياء الإسلامي إلى أسسها، ووسيلة تعاملها مع هذه الأسس، وكيف أنها بذلك بددت الكثير من الشـبهات وحلـت الكثيـر مـن المشكلات التي أوجدتها تعقيـدات الفكـر السـلفي والفقـه التقليدي. وستقدم بقية فصول هذا البحث المزيد من الشـرح والإبانة.



- ٤ -

نزعة الماضوية تتناقض مع الإسلام

لما كانت نزعة الماضوية هي أبرز وأعم ما تتسم به الدعوات الإسلامية المعاصرة، وأنها هي السمة المشتركة بينها جميعا، فقد رأينا أن نفرد لتفنيده هذا الفصل الموجز لعله أن يشفي هذه الدعوات من دائها العضال، فمهما كان نبل العاطفة التي تشد هذه الدعوات إلى الماضي المجيد، ونحو القرون الثلاثة التي ارتأت أنها أفضل القرون، ونحو الشخصيات النابهة، العظيمة، والمباركة بصحبة الرسول، فإن التحليل العميق لهذه النزعة يثبت أنها ليست من الإسلام، بل إنها تناقض الإسلام.

وتناقضها مع الإسلام يتأتى من أمرين:

الأول: أن الإسلام يمثل المستقبلية في حين أن هذه النزعة تمثل الماضوية.

الثاني: أن الإسلام يمثل الموضوعية وهذه النزعة تمثل الذاتية.

وفيما يلي تفصيل هذا الإجمال.

المستقبلية والماضوية:

يغرس الفلاح البذور في الأرض ناظرا للمستقبل الذي سيجعل هذه البذرة نباتات باسقة، وهو لا يتصور أنه سيأكل منها فورا، كما أنه عندما غرسها في الأرض حرم نفسه لذة استهلاكها، ولو أنه استهلكها لكسب الحاضر وخسر المستقبل، ولحصل على حمل جوال من " التقاوي " بينما كان من الممكن لو زرع هذه التقاوي أن توجد له أطنانًا من المحاصيل..

ويوفر التاجر من أرباحه فلا ينفقها على ملذاته، ولكنه يدخرها ويعيد استثمارها ويحرم نفسه مما توفره من استمتاع لأنه يعمل للمستقبل.. لا للحاضر..

الإسلام كهذا الفلاح والتاجر، إنه يجعل الحياة الدنيا بأسرها مزرعة للآخرة، فهو ينظر للمستقبل إلى مدى أبعد مما يتصوره كل المستقبليين، لأنه يستخدم الحياة الدنيا بأسرها كقنطرة للحياة الآخرة. بحيث تكون الحياة عملاً ودأبا وكدحا وكفاحا ومجالاً لأداء الصالحات وكبح الشهوات وهذا العم والكفاح هو سمة كل الدعوات "المستقبلية " وتميز الإسلام هو أنه يجعل الدنيا بأسرها قنطرة للمستقبل في حين

أن الدعوات المستقبلية الأخرى تضـع مـدى محـددا أو أن يسخر الأب حياته لمستقبل أبنائه.

ففكرة العكوف على الماضي واستلهامه مخـالف تمامـا للإسلام لأنها تحول دون العمل والإبـداع وأداء الصـالحات وكبح الشهوات وتوجد بديلاً عن هذا كله في التغزل في هذا الماضي والإشادة به. أو تجعل الشحاذة منه عملاً وحرفـة، وهي في أعماقها مرض نفسي تبرر به النفس عجزها عـن العمل، وسيادة السلبية عليها، والإسلام في مستقبليته لا ينظر إلى الماضي ولا يقدس القبور، أو يعلي بنيانها، بل يطمـس معالمها، وإذا كان قد سمح بزيارتها فللاعتبار، وقـد رأى أن التمسح بأركانها أو تصور أي قوة فيها نـوع مـن الشـرك والماضوية في حقيقتها " قبورية" ووثنية..

الموضوعية والذاتية:

والجانب الثاني الذي تتنافى فيه الماضوية مع الإسلام. أن الإسلام موضوعي. أي أنه يمثل الفكر، والمبدأ والقـيم فـي حين أن الماضوية تمثل التراث، والأشخاص والممارسـات، وفي حين أطلق الإسلام على أتباعه اسـم " المسـلمين " أي الذي يؤمنون بالإسلام وقيمه الموضوعية فـإن الماضـوية

جعلت أصحابها يحملون اسم " السلفية " وما السلفية إلا أتباع السلف وطرائقهم ومذاهبهم ولو كان الإسلام له طبيعة ذاتيـة لكان الاسم الطبيعة لأتباعه " المحمـديين " ولكـن الإسـلام رفض هذا وسمي أتباعه المسلمين أو المؤمنين ويتضح مدى الفرق في أن وسيلة الموضوعية هـي الفكـر، وأن وسـيلة السلفية هي التقليد فالفرق بين الموضوعية والسلفية هو الفرق بين التفكير والتقليد، وقد يصور هذا الآيات العديدة التي تندد بالذين إذا دعوا إلى ما أنزل ا (الموضوعية) قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا (السلفية).

ولما كان الإسلام محكما في بنائه، كالجسد الواحد الـذي يعمل كل عضو فيه لمصلحة الجسم كله دون أن تتنافر مهمة عضو مع مهمة بقية الأعضاء أو تعمل ما يسيء إلى الجسد بل تتلاقى كلها في العمل له. فإن عـزوف الإسـلام عـن الماضوية يتلاقى مع نفوره من الذاتية ويجمع هذا وذاك فـي نهيه عن تقديس الأشخاص أو توثين الأشياء أو إتباع الآبـاء والأجداد. ومن دلائل ذلك تمجيده للمسجد وتنديـده بـالقبور وأمره بالتفكير ونهيه عن التقليـد وبهـذا يكـون الإسـلام

بمستقبليته وموضوعيته في واد والسلفية بماضويتها وذاتيتها في واد آخر.

وقد يجعلنا هذا نفهم كيف أن الدعوات الإسلامية عندما تمسكت بالماضوية كأحد رموزها ومقدساتها، فإنها في الحقيقة كانت تؤمن بفكرة تناقض الإسلام وأن هذا هو من أكبر أسرار فشل هذه الدعوات وعجزها عن التعامل مع الواقع، ولو كانت الماضوية من الإسلام لكان يجب أن تنتصر ولو دعوة واحدة من هذه الدعوات.

والقرآن الكريم والسنة النبوية سواء في رفض الماضوية وسلفيتها وذاتيتها لأنهما معا يدعوان إلى المستقبلية والموضعية.

وأي شيء أكثر حسما وقوة في التنديد بإتباع الآباء والأجداد من هذه الآيات.

﴿ قِيلَ لهم اتبِعوا ما أَنْزلَ ا ُ قَالُوا بلْ نَتبِع ما أَلْفَينَا علَيهِ آباءنَا أَولَو كَان آباؤُهم لاَ يعقِلُون شَيئًا ولاَ يهتَدون ﴾

(١٧٠ البقرة)

﴿ قَالُوا حسبنَا ما وجدنَا علَيهِ آباءنَا أَولَو كَان آباؤُهم لاَ يعلَمون شَيئًا ولاَ يهتَدون ﴾

(١٠٤ المائدة)

﴿ **قالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عما وجدنَا عليهِ آباءنَا** ﴾

(٧٨ يونس)

﴿ **ما تَعبدون مِن دونِهِ إلا أَسماء سميتُموها أَنْتُم وآباؤُكُم** ﴾

(٤٠ يونس)

﴿ **لقَد كُنْتُم أَنْتُم وآباؤُكُم فِي ضلالٍ مبِينٍ** ﴾

(٥٤ الأنبياء)

﴿ **إِنا وجدنَا آباءنَا على أُمةٍ وإِنا على آثَارِهِم مهتَدون** ﴾

(٢٢ الزخرف)

﴿ **أَتَنْهانَا أَن نعبد ما يعبد آباؤُنَا** ﴾

(٦٢ هود)

وكل الآيات أو الأحاديث التي تشيد بأشخاص فإنما يكون هذا لأعمالهم وليس لأشخاصهم كما لا يضفي القرآن على أحد من المخلوقين عصمة أو توثينًا وقد خص ا تعالى رسله بوحيه وتوجيهه ولهذا جاز للمؤمنين أن يكون الرسول أسوة لهم وهي صفة ليست لغيره، وعندما أمتدح الصحابة فإنه أمتدحه لأنهم ﴿ **أَشِداء على الْكُفارِ رحماء بينَهم تَراهم ركعا سجدا يبتَغُون فَضلاً من ا ورِضوانًا** ﴾ وختم الآية ﴿ **وعد ا الَّذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ مِنْهم مغْفِرةً وأَجرا عظِيما** ﴾ وكل آيات المدح في القرآن تنصب على ﴿ **الذِين**

آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ ﴾ ولم يعد ا تعالى العرب بوراثة الأرض ولكن " الصالِحِين " ولم يعط للأنبياء من سلطة سوى التبليغ والبيان وحذرهم في عبارات جازمة نجاوز هذا.

وقال الرسول " مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم أخره ". بل لقد فضل الرسول ﷺ الذين آمنوا به ولم يروه، وأرد الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عددا من الأحاديث بهذا المعنى منها:

- عن أبي محيزيز قال قلت لأبي جمعة رجل من الصحابة رضي ا عنه حدثنا حديثًا سمعته من رسول ا ﷺ قال نعم أحدثكم حديثًا جيدا، تغدينا مع رسول ا ﷺ ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فقال يا رسول ا هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال نعم قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني.
- وعن أنس بن مالك رضي ا عنه قال: قال رسول ا ﷺ وددت أني لقيت إخواني فقال أصحاب النبي ﷺ نحن إخوانك. قال أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني.

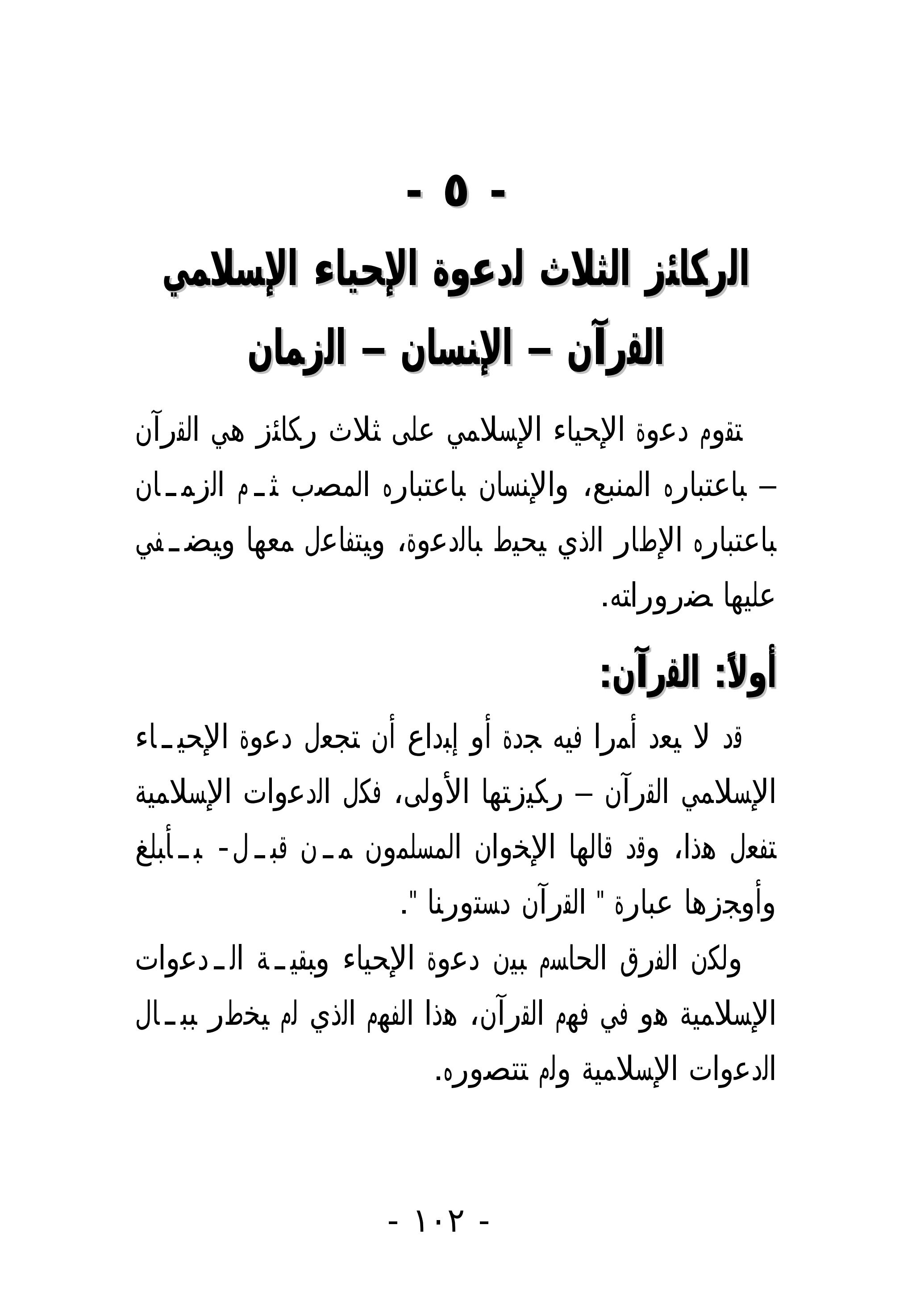
- وعن أبي أمامة رضي ا عنه قال: رسول ا ﷺ طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات.
- وعن أنس بن مالك رضي ا عنه قال قـال رسول ا ﷺ طوبى لمن آمن بي ورآني مرة وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات[1].

وهذا يدل على أن الأخلاف قـد يكونـون أفضـل مـن الأسلاف وأن الذين لم يشاهدوا النبي وآمنوا به أفضل مـن الذين شاهدوه وآمنوا به.

فإذا قيل إن الرسول قال عن أصحابه " والذي نفس محمد بيده لو أن أحدا أنفق مثل أحد ذهبا مـا بلـغ مـد أحـدهم ولا نصيفه " فإن ذلك إنما كان لأن كفاحهم مع الرسول أدى لظهور ونجاح الإسلام، وهو – في النهاية – يصب في تيار المستقبلية والموضوعية.

---

[1] انظر الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني للشيخ الوالد رحمه ا ج١ ص ١٠٥ – ١٠٧ وقد أورد البخاري في خلق أفعال العباد رواية عن أبي جمعة بالمعنى نفسه.



- ٥ -

الركائز الثلاث لدعوة الإحياء الإسلامي

القرآن – الإنسان – الزمان

تقوم دعوة الإحياء الإسلامي على ثلاث ركائز هي القرآن – باعتباره المنبع، والإنسان باعتباره المصب ثم الزمان باعتباره الإطار الذي يحيط بالدعوة، ويتفاعل معها ويضفي عليها ضروراته.

أولاً: القرآن:

قد لا يعد أمرا فيه جدة أو إبداع أن تجعل دعوة الإحياء الإسلامي القرآن – ركيزتها الأولى، فكل الدعوات الإسلامية تفعل هذا، وقد قالها الإخوان المسلمون من قبل- بأبلغ وأوجزها عبارة " القرآن دستورنا ".

ولكن الفرق الحاسم بين دعوة الإحياء وبقية الدعوات الإسلامية هو في فهم القرآن، هذا الفهم الذي لم يخطر ببال الدعوات الإسلامية ولم تتصوره.

فالدعوات الإسلامية تفهم القرآن عبر التفاسير المعتمـدة (الطبري – القرطبي – ابن كثير – الرازي إلخ..) في حـين أن دعوة الإحياء ترفض الالتزام بها تماما، كما ترفض مـا جاء به السلف من " علوم القرآن " مثـل النسـخ وأسـباب النزول[1].

وسلكوا مسلك الأمم الغابرة من كتـبهم المقدسـة، رغـم تحذير الرسول واليوم تنقذ دعوة الإحياء الإسلامي القرآن من هذه الغشاوات والإضافات والإسقاطات التي حجبـت نـوره ليشرق من جديد وليهدي الأبصار، ويحرر الأذهان.

***

إن دعوة الإحياء الإسلامي تستشف بـالقراءة المتكـررة للقرآن الكريم وما تخلفه هذه القراءة مـن انطباعـات روح

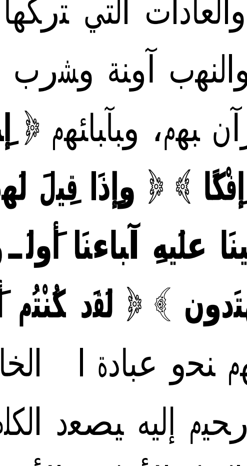
---

[1] نقصد بأسباب النزول هنا ما تورده الكتب التقليدية ككتب السيوطي وغيره التي تورد أسبابا للنزول بناء على أحاديث أغلبها موضوعة ولكن يمكن الاستثناء بملابسات النزول التي توردها الوقائع الثابتة كما هو الشأن في بعض الآيات التي سمحت بالقتال ردا على العدوان أو درءا للفتنة؟

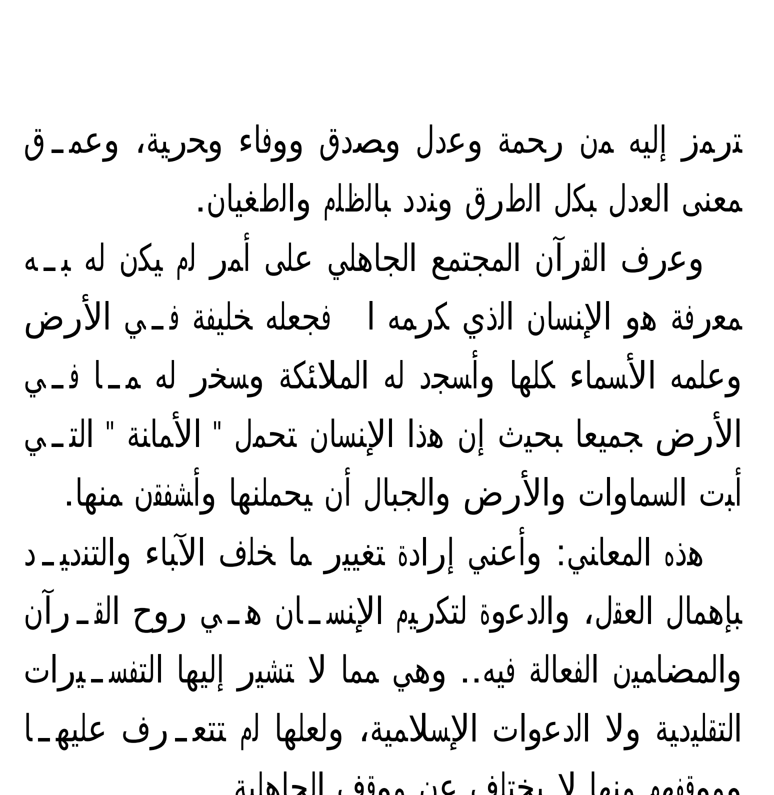
القرآن والمضامين الرئيسية التـي تنطـوي عليهـا سـوره وآياته..

فالقرآن الكريم أولاً إرادة تغيير كاسحة لم تعرف البشرية لها مثيلاً بحيث لا يكون من المبالغة القول إن الثورة التـي أحدثها القرآن كانت أعظم ثورة جماهيريـة فـي التـاريخ لا يستثنى من ذلك ثورة اليهودية وإنقاذها بني إسرائيل مـن الاستغلال الفرعوني وثورة المسيحية وتحريها للمستضـعفين في الأرض من الطغيان الروماني، إذ اجتمع لثورة الإسـلام من عناصر الكمال ما لم يكتمل لهذين.

قبل الإسلام كان العرب يعبدون أوثانًا لا تنفع ولا تضـر ويقدسون الأعراف والعادات التي تركها لهم آباؤهم وتقـوم حياتهم على السلب والنهب آونة وشرب الخمر ولعب الميسر آونة أخرى فندد القرآن بهم، وبآبائهم ﴿ **إنما تعبدون من دون ا ـ أوثانًا وتخلقون إفكًا** ﴾ ﴿ **وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل ا ُ قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولـو كـان آبـاؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون** ﴾ ﴿ **لقد كنتم أنتم وآبـاؤكم فـي ضلال مبين** ﴾ وجههم نحو عبادة ا الخالق بديع السـماوات



والأرض الرحمن الرحيم إليه يصعد الكلم الطيـب والعمـل الصالح يرفعه، وله المثل الأعلى والأسماء الحسـنى، ومـا


ترمز إليه من رحمة وعدل وصدق ووفاء وحرية، وعمق معنى العدل بكل الطرق وندد بالظلم والطغيان.

وعرف القرآن المجتمع الجاهلي على أمر لم يكن له به معرفة هو الإنسان الذي كرمه ا فجعله خليفة في الأرض وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة وسخر له ما في الأرض جميعا بحيث إن هذا الإنسان تحمل " الأمانة " التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها.

هذه المعاني: وأعني إرادة تغيير ما خاف الآباء والتنديد بإهمال العقل، والدعوة لتكريم الإنسان هي روح القرآن والمضامين الفعالة فيه.. وهي مما لا تشير إليها التفسيرات التقليدية ولا الدعوات الإسلامية، ولعلها لم تتعرف عليها وموقفهم منها لا يختلف عن موقف الجاهلية.

لقد أدى انشغال التفاسير التقليدية بالإعجاز البياني وتأثرها بالإسرائيليات والأحاديث الموضوعة والأبيات الشعرية المنحولة إلى عدم تبين القسمات التي بدونها لا يمكن فهم طبيعة وروح القرآن.

ففي القرآن الكريم إيماءات وإيحاءات تنطلق بسرعة البرق أو كلمح البصر – من الخاص إلى العام، ومن الواقع إلى الواجب، ومن الحاضر إلى المستقبل، وهناك من الألفاظ

ما يقبل العديد من المعاني دون ابتسار أو تطويـع، بحيـث يمكن إعمال تفسيرات عديدة، كل واحد فـي وقـت معـين، أو بالنسبة لمكان معين، بحيث يكون القرآن الكريم مرجعـا لكل الناس في كل العصور، ونحن لم نجد صعوبة في تفسير الآية ٢٨٢ من سورة البقرة (وهي آية الدين – أطول آيـات القرآن) تفسيرا نقابيا يجعلها أصلاً للاتفاقيات الجماعيـة [١] مع أن مثل هذا التفسير ما كان يمكن أن يخطر لمفسر فـي العصر القديم لأن الاتفاقيات الجماعية لم تظهر فـي العـالم إلا في منتصف القرن التاسع عشر عندما اسـتطاع العمـال البريطانيون والأمريكيون تكوين نقابات قوية تستطيع إبـرام اتفاقيات أو عقود جماعية مع الشركات وأصحاب الأعمـال. كما أن كلمة تظلمون الثانية في الآية ﴿ **فَلَكُم رؤُوس أَموالِكُم لاَ تَظْلِمون ولاَ تُظْلَمون** ﴾ تفسح المجال لتفسيرها بأن تكـون قيمة الدين هي القيمة الحقيقية – وليست الاسـمية – للنقـود وهي التي تهبط نتيجة للتضخم وبهذا تحل مشكلة الربا علـى أساس عادل ومعقول، كما قال القرآن أربعة كلمـات لحـل مشكلة الرق.. " فأما منا بعد، وإما فداء "، وبهذا يمكن سـد

---

[١] انظر الإسلام والحركة النقابية – جمال البنا ص ٨٢ – ٨٥.

منبع الرق، أما القائم بالفعل فيمكن سده أيضا مـن القـرآن بالاستجابة لطلب المكاتبة. ولكي يبرهن القرآن على وجـود ا ، قال تعالى: ﴿**أَم خُلِقُوا مِن غَيرِ شَيءٍ أَم هم الْخَالِقُون**﴾ وهي أقوى من أي منطق يمكن أن يأتي به أرسطو، ولو فسر أحد اليساريين الآية ﴿**الذِي أَطْعمهم من جوعٍ وآمـنَهم مـن خَوفٍ**﴾ بأن الدين هو "الخبز والحرية" لما كان متجنيـا لأن "أطعمهم" إشارة صريحة إلى الخبز، ولأن "آمنهم من الخوف" لا يمكن أن يتحقق إلا بالحرية، ففي المجتمعات العريقة فـي الحرية ينام المواطن ملء عينيه دون أن يخطـر ببالـه أن يدهمه زائر الفجر.

وهل كان أحد في العصر القديم يدرك أن تعبيـر "بلـى قادرين على أن نسوى بنانه" ليس له من تفسير يبين الإعجاز إلا ما أظهره العلم الحديث من تفرد كل بنـان لكـل واحـد ببصمة متميزة لا تشبه ملايين البصمات.

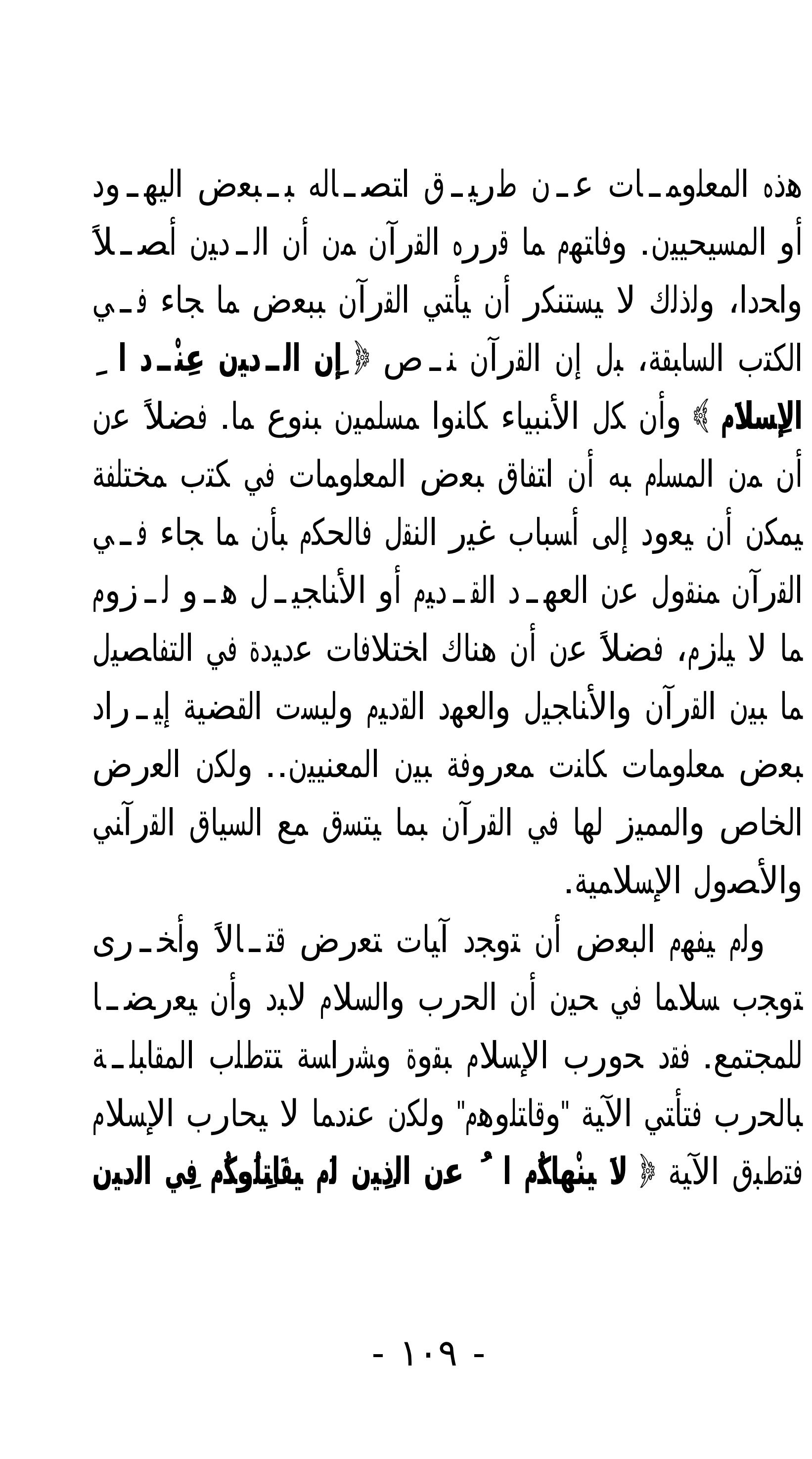
أما الإعجاز العلمي والإعجاز العددي وما تلهمـه أوائـل بعض السور فهذا ما أوحى إلى لفيف من العلمـاء بإصـدار مئات الكتب ولو استبعدنا معظمها، فإن الباقي يكفي لتأكيـد صحة ما ذهبنا إليه من أن اللفظة القرآنيـة أشـبه ببويضـة

مخصبة. لا يعلم أحد ما فيها حتى يـأتي الوقـت المناسـب ليظهر معنى جديد خفي على السابقين.

ولعل عمر بن الخطاب وقف هذا الموقف عندما قال عما قد لا يفهمه من ألفاظ في القرآن "دعوها لخالقها" وما جعلـه لا يأسى لجهله معنى "أبا" في "وفاكهة وأبا" فهناك من الألفاظ ما قد يعجز جيل عن أن يدركها لأن فهمها لن يتأتى إلا لجيل لاحق.

ومثل هذا ما يقال عن أن القرآن حمال، ذو وجوه، وأنـه يمكن أن يتضمن حكما كما يتضمن نقيضه ويمكن أن يفهـم منه واحد ما لا يفهمه واحد آخر. فهذا كله من مزايا القرآن. لأنه يفسح المجال للتعددية. فالقرآن لا يريد أن يوقف النـاس على مثل حد السيف وهو يفسح لهـم الأخـذ بهـذا أو ذاك، فالإسلام منزل لكل الشعوب في كل الأزمان، وحتـى فـي المجتمع الواحد فإن هذا يثير الفكر ويحرك الحـزائم وفـي النهاية يذهب الزبد جفاء وأما ما ينفع النـاس فيمكـث فـي الأرض.

وظن بعـض السـاذجين أو المغرضـين خاصـة مـن المستشرقين أن وجود آيات في القرآن تتفق مع بعض ما جاء في العهد القديم أو الأناجيل يثبت أن الرسول نقل في القرآن



هذه المعلومـات عـن طريـق اتصـاله بـبعض اليهـود أو المسيحيين. وفاتهم ما قرره القرآن من أن الـدين أصـلاً واحدا، ولذلك لا يستنكر أن يأتي القرآن ببعض ما جاء فـي الكتب السابقة، بل إن القرآن نـص ﴿**إِن الـدين عِنْـد ا ـ الإِسلاَم**﴾ وأن كل الأنبياء كانوا مسلمين بنوع ما. فضلاً عن أن من المسلم به أن اتفاق بعض المعلومات في كتب مختلفة يمكن أن يعود إلى أسباب غير النقل فالحكم بأن ما جاء فـي القرآن منقول عن العهـد القـديم أو الأناجيـل هـو لـزوم ما لا يلزم، فضلاً عن أن هناك اختلافات عديدة في التفاصيل ما بين القرآن والأناجيل والعهد القديم وليست القضية إيـراد بعض معلومات كانت معروفة بين المعنيين.. ولكن العرض الخاص والمميز لها في القرآن بما يتسق مع السياق القرآني والأصول الإسلامية.

ولم يفهم البعض أن توجد آيات تعرض قتـالاً وأخـرى توجب سلاما في حين أن الحرب والسلام لابد وأن يعرضـا للمجتمع. فقد حورب الإسلام بقوة وشراسة تتطلب المقابلـة بالحرب فتأتي الآية "وقاتلوهم" ولكن عندما لا يحارب الإسلام فتطبق الآية ﴿**لاَ ينْهاكُم ا ُ عن الَّذِين لَم يقَاتِلُوكُم فِي الدين**

ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ (الممتحنة ٨)

وقد توجد آيات تعد بثواب جزيل وتأتي آيات أخرى تحذر من عذاب وبيل، وكان لابد من هذا لأن النفوس تتفاوت.

وكما قال شوقي..

ومن العقول جداول وجلامد

ومن القلوب حرائر وإماء

وصاحب الطبع الجاف والقلب الغليظ يحتاج إلى هذه القوارع التي تجلده وتجعله يتأثر بينما تكون آيات الصفح والسماح واللين والمغفرة لذوي المشاعر النبيلة كالنسمة الرقيقة.

ولو أن القرآن اقتصر على واحدة لما أثر ذلك على فئات عديدة من الناس موجودة بالفعل سواء أحببنا ذلك أو كرهناه ولا تزال فكرة الثواب والعقاب – رغم ما يوجه لها من نقد هي أكبر ما يؤثر في النفس البشرية وما يضبط سير المجتمع.

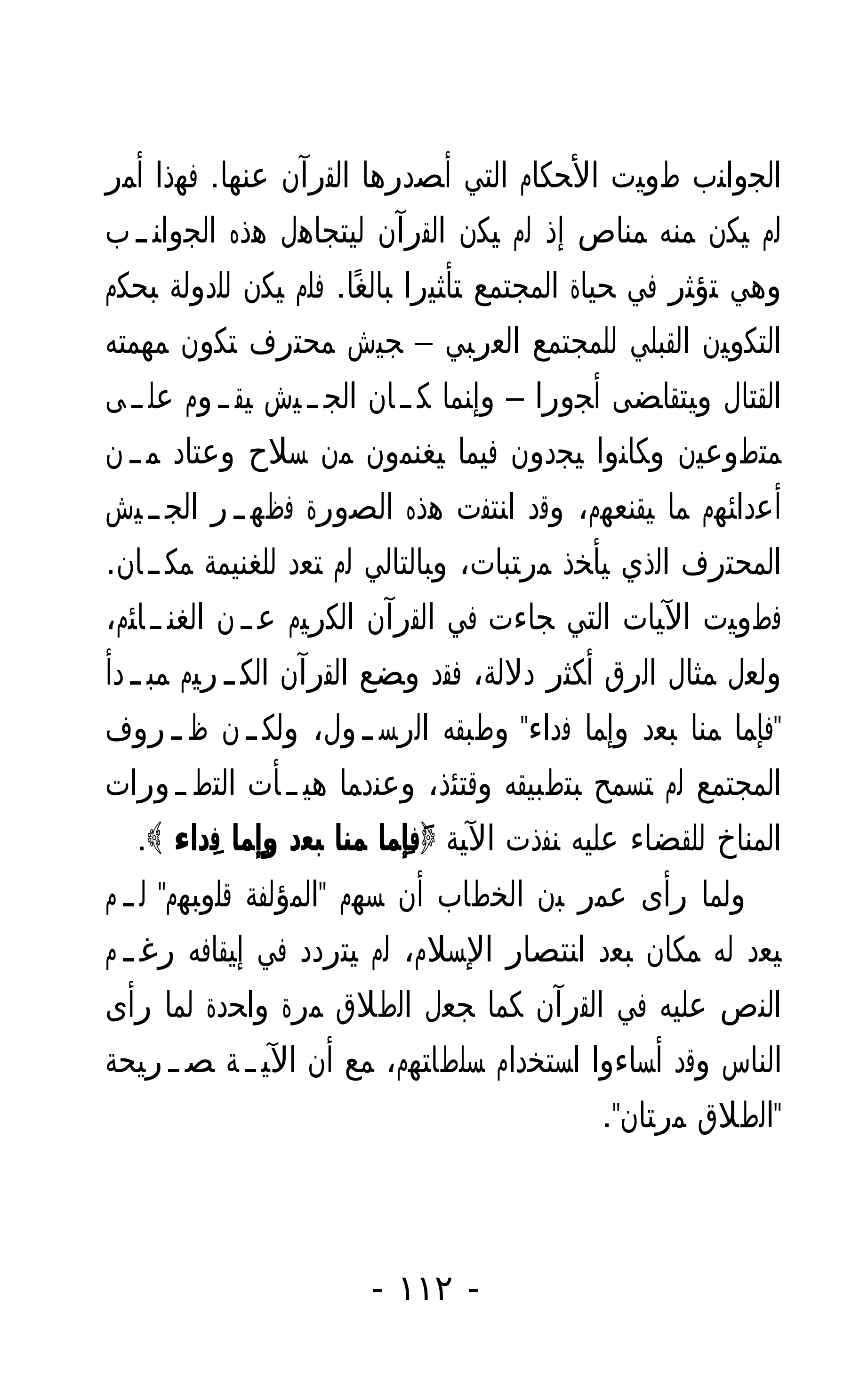
وقد يذكر البعض دفاعا عن " الحسد أو الجن " أن القرآن ذكرهما، ولكن ذكر القرآن لوجودهما لا يعني أن لهما الآثار التي ينسبها الناس إليهما خاصة وقد قرر القرآن أن لا شيء

يمكن أن يؤثر أو يحول السنن، أي الأصول والأسس التـي وضعها ا تعالى للمجتمع أو الكون.

وكررت أستاذة في جامعة الأزهر بصـدد الـدفاع عـن تفضيل الرجال على النساء أن القرآن قال: "ولـيس الـذكر كالأنثى" وفاتها أن القرآن أورد هذا القول على لسان مـريم التي كانت تعبر عن فكرة اليهود وتفضـيلهم الأبنـاء علـى البنات. واستشهد آخر مبرهنًا على كيد النساء أن القرآن قال "إن كيدهن عظيم" ولكن هذا إنما كان كـلام أحـد حاشـية فرعون. فلا يحسب على القرآن في شيء..

ومن الممارسات المرفوضة أن ينتزع بعض الناس آيـة أو جزءا من آية من سياقها ثم يستدل بها أو يسـتنبط منهـا حكما لأن السياق في القرآن هو الذي يحكـم المعنـى وقـد يتضمن ما قبل الفقرة المنتزعة ما لا يجعلها حكما أو يرتفق عليها باستثناء أو غيره. ولهذا فيجب لمن يريد الاستشهاد أن يأتي بأية أو اثنتين قبل الآية التي يستشهد بها وكـذلك آيـة أو اثنتين بعدها وبذلك يستبعد الالتباس.

ولا يمس قداسة القرآن في شيء أن تتضمن بعض آياتـه أحكاما خاصة بالمجتمع العربي في القرن السابع المـيلادي تعالج جوانب مما كان قائما وقتئذ، فلما جاوز التطـور هـذه



الجوانب طويت الأحكام التي أصدرها القرآن عنها. فهذا أمر لم يكن منه مناص إذ لم يكن القرآن ليتجاهل هذه الجوانـب وهي تؤثر في حياة المجتمع تأثيرا بالغًا. فلم يكن للدولة بحكم التكوين القبلي للمجتمع العربي – جيش محترف تكون مهمته القتال ويتقاضى أجورا – وإنما كـان الجـيش يقـوم علـى متطوعين وكانوا يجدون فيما يغنمون من سلاح وعتاد مـن أعدائهم ما يقنعهم، وقد انتفت هذه الصورة فظهـر الجـيش المحترف الذي يأخذ مرتبات، وبالتالي لم تعد للغنيمة مكـان. فطويت الآيات التي جاءت في القرآن الكريم عـن الغنـائم، ولعل مثال الرق أكثر دلالة، فقد وضع القرآن الكـريم مبـدأ "فإما منا بعد وإما فداء" وطبقه الرسـول، ولكـن ظـروف المجتمع لم تسمح بتطبيقه وقتئذ، وعندما هيـأت التطـورات المناخ للقضاء عليه نفذت الآية ﴿**فإما منا بعد وإما فِداء**﴾.

ولما رأى عمر بن الخطاب أن سهم "المؤلفة قلوبهم" لـم يعد له مكان بعد انتصار الإسلام، لم يتردد في إيقافه رغـم النص عليه في القرآن كما جعل الطلاق مرة واحدة لما رأى الناس وقد أساءوا استخدام سلطاتهم، مع أن الآيـة صـريحة "الطلاق مرتان".

وقل مثل ذلك التوقف عن تطبيق الحدود في الغزو أو في المجاعات إلخ..

وهذه السوابق توضح لنا أن الصحابة لم يكونوا جامدين، مغلقي الفهم أمام القرآن، ولعلهم تذكروا أن القرآن نفسه قال ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا** ﴾..

***

لقد كان مفتاح الفهم السلفي للقرآن الكريم أنه كتاب أدب، ولهذا صال المفسرون وجالوا في الإعجاز البياني، والحقيقة أن القرآن كتاب فن وأن معجزته العظمى هي تسخير اللغة والألفاظ لخدمة الفن بحيث تكون تصويرا فنيا آونة أو نظما موسيقيا آونة أخرى أو معالجة نفسية للمشاعر والوجدان، ولهذا كان القرآن أعظم كتاب فني وهو ينتظر الموسيقى الذي يدرسه ليكشف أسرار الإعجاز الموسيقي فيه وقد كان الإعجاز الفني في القرآن يكفي لإحداث الهزة النفسية بمجرد سماعه. وهذه هي الخصيصة التي يتسم بها الفن. فمجرد سماع إحدى سيمفونيات بيتهوفن أو مشاهدة إحدى روائع رافائيل ومايكل أنجلو ودافنشي يحدث هزة نفسية بقدر روعة

وإعجاز الفن[1] وقد قال القرآن: ﴿ **لَو أَنْزلْنَا هذَا الْقُرآن علَى جبلٍ لرأَيتَه خَاشِعا متَصدعا من خَشْيةِ ا ـِ** ﴾ (٢١ الحشر).

---

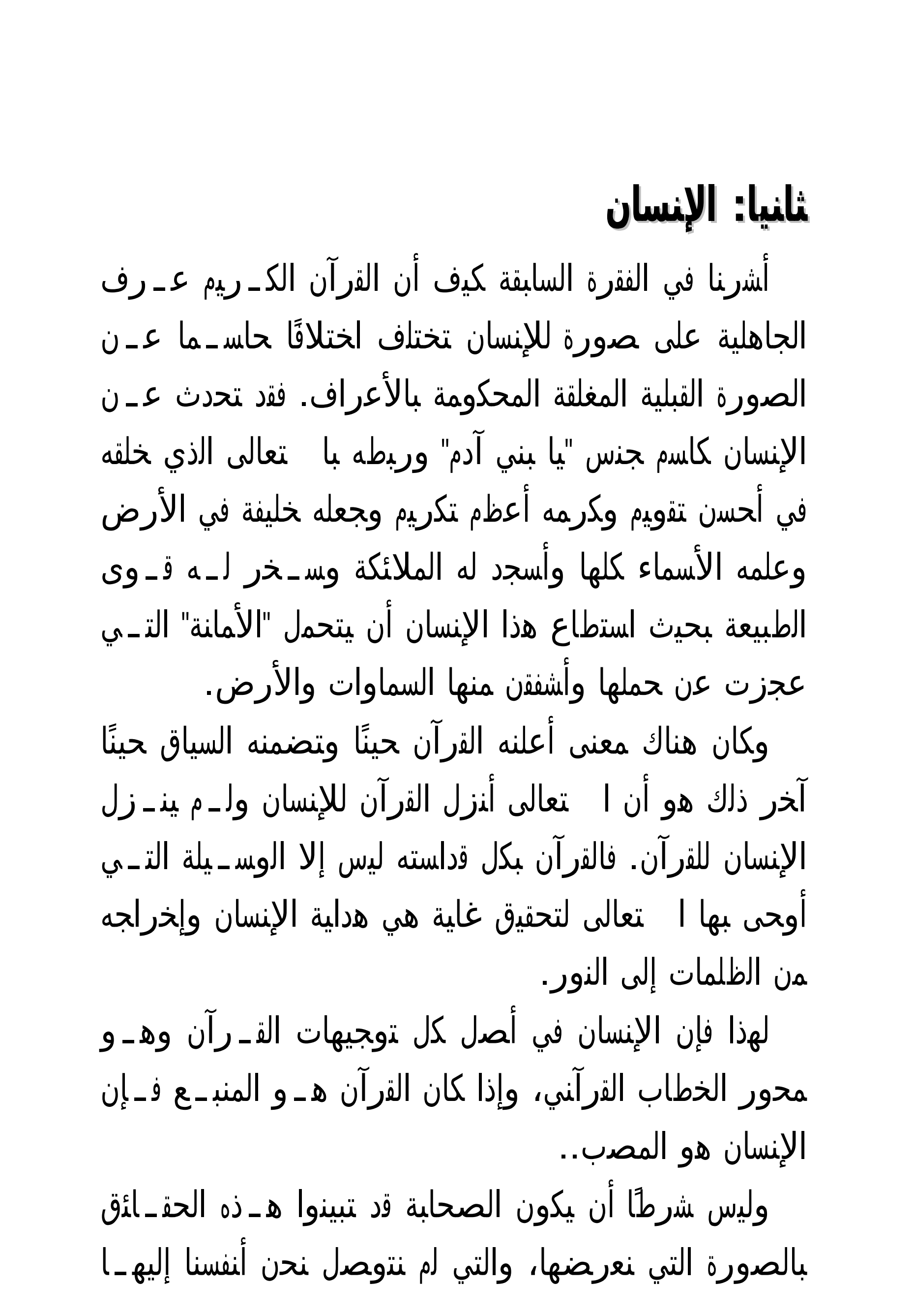
[1] إن لدينا شواهد عديدة توضح الانفعال التلقائي بالفنون فعندما سمع الموسيقار محمد عبد الوهاب لأول مرة ألحان سيد درويش امتلأت نفسه بشحنة عاطفية جعلته يجري حتى بلغ باب الحديد قبل أن تنفد هذه الشحنة. وعندما توغلت قوات الحملة الفرنسية في صعيد مصر وجاس جنودها خلال القرى والكفور والوحل والقنوات والهوام والحشرات وصلوا في الساعة التاسعة من صباح يوم ٢٧ يناير إلى منحنى النهر فطالعهم على جانبي النهر مشهد طيبة القديمة كاملاً بما احتوته من معابد في الأقصر والكرنك. فوقفت الفرقة كلها من تلقاء نفسها، ودون أن يصدر أمر لهم. وقفوا في طوابيرهم وأدوا التحية العسكرية على قرع الطبول وعزف الموسيقى وقال رسام الحملة "دينون" كنت على الدوام مبتئسا مريضا ولكن دندرة أبرأتني، فما رأيته اليوم عوضني عن كل تعاستي وأنا لا أبالي اليوم ما يحدث لي فيما بقى من هذه الحملة. وسأظل أبدا سعيدا بأنني انخرطت في صفوفه – انظر كتاب بونابرت في مصر تأليف ج كريستوفر هيرولد ترجمة فؤاد اندرواس ص ٣٤٣ ومعروف جيدا ما يحدثه في نفس العاشق رؤية حبيبته وقد يجمده في مكانه" وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متقدم عنه ولا متأخر إلخ..

وقال: ﴿ **قُلْ آمِنُوا بِهِ أَو لاَ تُؤْمِنُوا إِن الذِين أُوتُوا الْعِلْم مِن قَبلِهِ إِذَا يتْلَى علَيهم يخِرون لِلأَذْقَان سجدا. ويقُولُون سبحان ربنَا إِن كَان وعد ربنَا لَمفْعولاً. ويخِرون لِلأَذْقَان يبكُون ويزِيدهم خُشُوعا** ﴾ (١٠٧ – ١٠٨ الإسراء).

وهذه الحقيقة هامة جدا، لأنها تثبت أن القـرآن وحـده، وبحكم نظمه ومعانيه يغزو النفس البشرية، ويخترقها ويهيئها للإيمان، والوقائع التاريخية في بدء النبوة تثبت ذلك وحادثـة الوليد بن المغيرة الذي جاء ليثني الرسول عن دعوته فأسمعه الرسول آيات من سورة فصلت.. فامتقع وعاد "بغير الوجـه الذي ذهب به" ونصح كبراء قريش بأن يكفوا عن الرسـول وقال هؤلاء: "لقد سحرك محمد.. " وقالت عائشة في إحـدى كلماتها النافذة "فتحت المدينة بالقرآن" وكان هذا هـو الفـتح الأعظم، والذي حقق فيما بعد انتصار بدر.

وهذا التأثير هو مما لا يأتي مطلقًا للتفاسير التي تهدر أثر الإعجاز الفني في الوقت الذي لا تأتي بجديد يماثله، وإنمـا تنقل الأقوال والحواديت واختلافات المذهبين واللغويين إلخ..

***



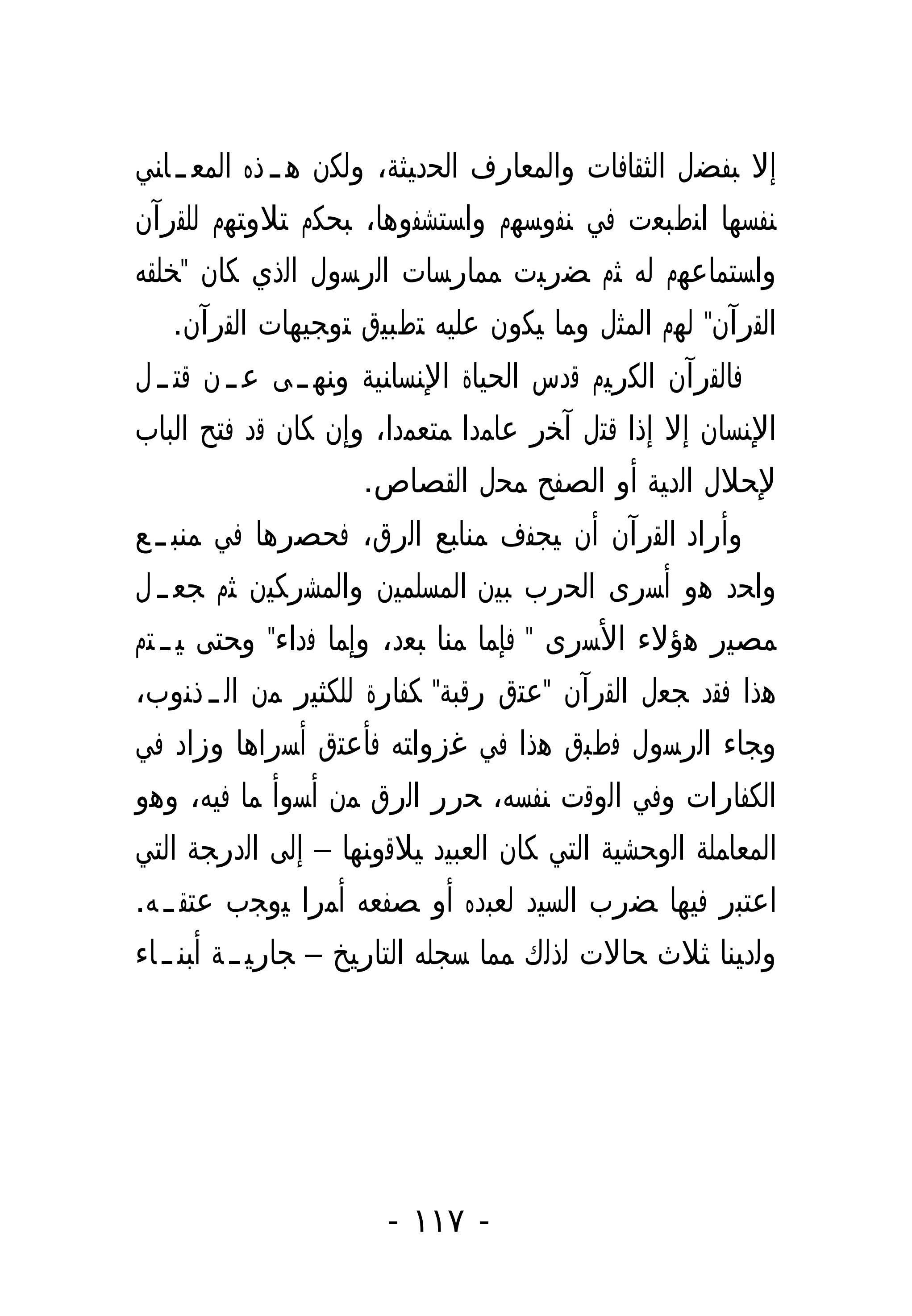
ثانيا: الإنسان

أشرنا في الفقرة السابقة كيف أن القرآن الكريم عرف الجاهلية على صورة للإنسان تختلف اختلافًا حاسما عن الصورة القبلية المغلقة المحكومة بالأعراف. فقد تحدث عن الإنسان كاسم جنس "يا بني آدم" وربطه با تعالى الذي خلقه في أحسن تقويم وكرمه أعظم تكريم وجعله خليفة في الأرض وعلمه الأسماء كلها وأسجد له الملائكة وسخر له قوى الطبيعة بحيث استطاع هذا الإنسان أن يتحمل "الأمانة" التي عجزت عن حملها وأشفقن منها السماوات والأرض.

وكان هناك معنى أعلنه القرآن حينًا وتضمنه السياق حينًا آخر ذلك هو أن ا تعالى أنزل القرآن للإنسان ولم ينزل الإنسان للقرآن. فالقرآن بكل قداسته ليس إلا الوسيلة التي أوحى بها ا تعالى لتحقيق غاية هي هداية الإنسان وإخراجه من الظلمات إلى النور.

لهذا فإن الإنسان في أصل كل توجيهات القرآن وهو محور الخطاب القرآني، وإذا كان القرآن هو المنبع فإن الإنسان هو المصب..

وليس شرطًا أن يكون الصحابة قد تبينوا هذه الحقائق بالصورة التي نعرضها، والتي لم نتوصل نحن أنفسنا إليها



إلا بفضل الثقافات والمعارف الحديثة، ولكن هـذه المعـاني نفسها انطبعت في نفوسهم واستشفوها، بحكم تلاوتهم للقرآن واستماعهم له ثم ضربت ممارسات الرسول الذي كان "خلقه القرآن" لهم المثل وما يكون عليه تطبيق توجيهات القرآن.

فالقرآن الكريم قدس الحياة الإنسانية ونهـى عـن قتـل الإنسان إلا إذا قتل آخر عامدا متعمدا، وإن كان قد فتح الباب لإحلال الدية أو الصفح محل القصاص.

وأراد القرآن أن يجفف منابع الرق، فحصرها في منبـع واحد هو أسرى الحرب بين المسلمين والمشركين ثم جعـل مصير هؤلاء الأسرى " فإما منا بعد، وإما فداء" وحتى يـتم هذا فقد جعل القرآن "عتق رقبة" كفارة للكثير من الـذنوب، وجاء الرسول فطبق هذا في غزواته فأعتق أسراها وزاد في الكفارات وفي الوقت نفسه، حرر الرق من أسوأ ما فيه، وهو المعاملة الوحشية التي كان العبيد يلاقونها – إلى الدرجة التي اعتبر فيها ضرب السيد لعبده أو صفعه أمرا يوجب عتقـه. ولدينا ثلاث حالات لذلك مما سجله التاريخ – جاريـة أبنـاء

مقرن – عبد أبي مسعود – عبيد من استفتى الرسول في ضربه إياهم مما دفعه لتحريرهم[1].

وساوى الإسلام ما بين الرجال والنساء ولم يفضل القرآن الرجال على النساء أو النساء على الرجال وإنما قال: ﴿ **ولاَ تَتَمنوا ما فَضلَ ا ُ بِهِ بعضكُم على بعضٍ للرجالِ نَصِيب مما اكْتَسبوا وللنساءِ نَصِيب مما اكْتَسبن واسأَلُوا ا َ مِن فَضلِهِ**﴾ أما درجة القوامة فهي مسئولية رعاية المرأة في وقت ما كان يمكن للنساء أن يقمن بها، وأحاط الرسول النساء بكرامة خاصة وقال الرسول أنه لو كان مفضلاً أحدا لفضل النساء، وجعل الجنة تحت أقدام الأمهات إلى آخر ما هو معروف وما كان موضوعا لعدد كبير من الكتب.

واعتبر الإسلام "بني آدم" سواء لا تفصل بينهم حواجز اللون أو العنصر أو اللغة إلخ.. وأي شيء أجمل من الآية ﴿**يا أَيها الناس إِنا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنْثَى وجعلْنَاكُم شُعوبا وقَبائِلَ لِتَعارفُوا إِن أَكْرمكُم عِنْد ا ِ أَتْقَاكُم**﴾ فانظر إلى الإعجاز الذي جعل هذه الكلمات الموجزة تستبعد الفروق

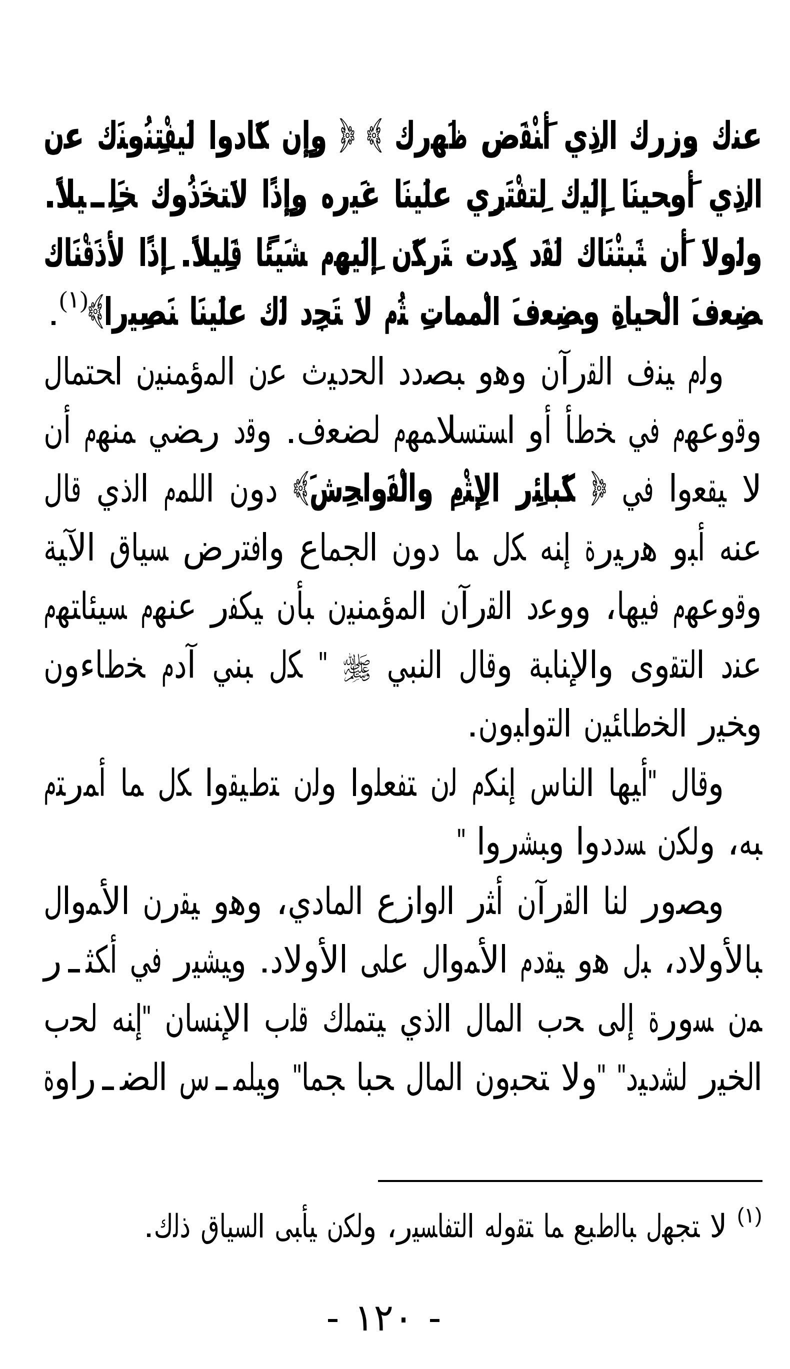
---

[1] انظر تفصيل ذلك في " نحو فقه جديد " – جمال البنا ح ٣ ص ٢٦

العرقية وتساوي بين الذكر والأنثى وتجعل الأفضلية للتقوى. وتأمر بالتعارف بين الشعوب بعضها بعضا.

وفي المجتمع الإسلامي أيام الرسول كان صهيب الرومي، وبلال الحبشي وسلمان الفارسي، كما كان العبيد الذي حررهم أبو بكر وغيرهم يكونون جميعا أسرة واحدة يعاملون جميعا على قدم المساواة ولا يتفاضلون إلا بالعمل والتقوى إلى درجة تمني فيها عمر "لو كان سالم (وهو مولى أبي حذيفة) حيا لأوصي له بالخلافة. وعندما طعن في المسجد أمر صهيب بأن يؤم الناس.

ويعرض القرآن الكريم الإنسان كما خلقه ا بضعفه وقوته بفجوره وتقواه وتحدث عن الضعف البشري.. ﴿**وخُلِقَ الإِنْسان ضعِيفًا**﴾ وقد بدأ هذا الضعف في آدم ثم تطرق إلى البشر عامة، بما في ذلك الأنبياء أنفسهم فيما لم يكلفوا بتبليغه فقال عن آدم: ﴿ **فَنَسِي ولم نَجِد له عزما** ﴾ وعن سليمان: ﴿**ولقَد فَتَنا سليمان وَألْقَينا على كُرسِيهِ جسدا** ﴾ وقال عن يوسف: ﴿ **ولقَد همتْ بِهِ وهم بِها لولا أن رأى برهان ربهِ** ﴾ وروى عن موسى: ﴿ **وقَتَلْتَ نَفْسا فَنَجيناك مِن الْغَم وفَتَناك فُتُونًا** ﴾ وقال عن ذي النون: ﴿ **وذَا النون إِذ ذهب مغَاضِبا فَظَن أن لن نقْدِر عليهِ** ﴾ وقال عن محمد ﷺ: ﴿ **ووضعنَا**



عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلا. ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا. إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا**﴾[1].

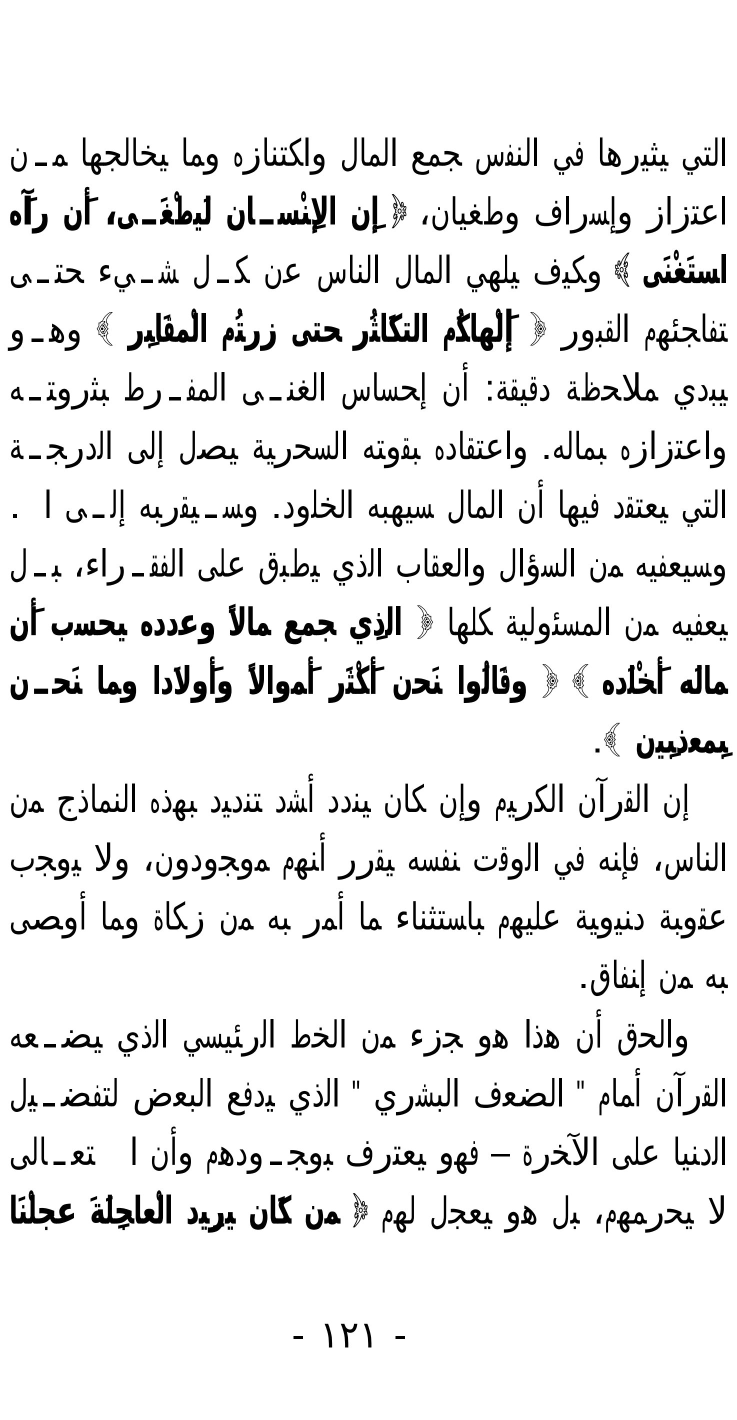
ولم ينف القرآن وهو بصدد الحديث عن المؤمنين احتمال وقوعهم في خطأ أو استسلامهم لضعف. وقد رضي منهم أن لا يقعوا في ﴿ **كبائر الإثم والفواحش**﴾ دون اللمم الذي قال عنه أبو هريرة إنه كل ما دون الجماع وافترض سياق الآية وقوعهم فيها، ووعد القرآن المؤمنين بأن يكفر عنهم سيئاتهم عند التقوى والإنابة وقال النبي ﷺ " كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون.

وقال "أيها الناس إنكم لن تفعلوا ولن تطيقوا كل ما أمرتم به، ولكن سددوا وبشروا "

وصور لنا القرآن أثر الوازع المادي، وهو يقرن الأموال بالأولاد، بل هو يقدم الأموال على الأولاد. ويشير في أكثر من سورة إلى حب المال الذي يتملك قلب الإنسان "إنه لحب الخير لشديد" "ولا تحبون المال حبا جما" ويلمس الضراوة

---

[1] لا تجهل بالطبع ما تقوله التفاسير، ولكن يأبى السياق ذلك.



التي يثيرها في النفس جمع المال واكتنازه وما يخالجها من اعتزاز وإسراف وطغيان، ﴿ **إن الإنسان ليطغى، أن رآه استغنى** ﴾ وكيف يلهي المال الناس عن كل شيء حتى تفاجئهم القبور ﴿ **ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر** ﴾ وهو يبدي ملاحظة دقيقة: أن إحساس الغنى المفرط بثروته واعتزازه بماله. واعتقاده بقوته السحرية يصل إلى الدرجة التي يعتقد فيها أن المال سيهبه الخلود. وسيقربه إلى ا . وسيعفيه من السؤال والعقاب الذي يطبق على الفقراء، بل يعفيه من المسئولية كلها ﴿ **الذي جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده** ﴾ ﴿ **وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولادا وما نحن بمعذبين** ﴾.

إن القرآن الكريم وإن كان يندد أشد تنديد بهذه النماذج من الناس، فإنه في الوقت نفسه يقرر أنهم موجودون، ولا يوجب عقوبة دنيوية عليهم باستثناء ما أمر به من زكاة وما أوصى به من إنفاق.

والحق أن هذا هو جزء من الخط الرئيسي الذي يضعه القرآن أمام " الضعف البشري " الذي يدفع البعض لتفضيل الدنيا على الآخرة – فهو يعترف بوجودهم وأن ا تعالى لا يحرمهم، بل هو يعجل لهم ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا**

له فِيها ما نَشَاء لِمن نريد ثُم جعلْنَا له جهنم يصلاَها مذْموما مدحورا. ومن أَراد الآخِرةَ وسعى لَها سعيها وهو مؤْمِن فَأُولَئِك كَان سعيهم مشْكُورا. كُلا نمِد هؤُلاَءِ وهؤُلاَءِ مِن عطَاءِ ربك وما كَان عطَاء ربك محظُورا (الإسراء ١٨ – ٢٠).

وهو كذلك يتحدث عن المؤمنين الذين يغلبهم الضعف في بعض الحالات فيرتكبون فاحشة فإذا استغفروا غفر ا لهم ﴿**والَّذِين إِذَا فَعلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَموا أَنْفُسهم ذَكَروا ا فَاستَغْفَروا لِذُنُوبِهِم ومن يغْفِر الذُّنُوب إِلا ا ولَم يصِروا علَى ما فَعلُوا وهم يعلَمون**﴾ (آل عمران ـ ١٣٥).

﴿ **والَّذِين يجتَنِبون كَبائِر الإِثْمِ والْفَواحِشَ وإِذَا ما غَضِبوا هم يغْفِرون** ﴾ (الشورى ـ ٣٧).

﴿ **أُولَئِك الَّذِين نَتَقَبلُ عنْهم أَحسن ما عمِلُوا ونَتَجاوز عن سيئَاتِهِم** ﴾ (الأحقاف ـ ١٦)

ففي هذه الآيات جميعا نجد النهي عن " كبائر الإثم والفواحش " أما ما هو دون ذلك فإن ا تعالى يتجاوز عنه، وما يزيد عن ذلك يجبه الاستغفار والتوبة.

هذا التصوير من القرآن للإنسان لابد وأن يؤدي إلى وجود "تعددية" ولابد أن تتجلى عواطف هذا الإنسان ومشاعره في فنون وآداب " يمكن أن تشبع ميله الغريزي من

غناء أو رقص أو موسيقى إلخ.. ولا يعد مع هذا خارجا عن الإطار الذي وضعه القرآن للإنسان.

ولكن صورة "الإنسان القرآني" لا توجد في التراث الفقهي أو الدعوات الإسلامية التي أبدعت إنسانها الخاص بها "الإنسان الفقهاني" إذا جاز التعبير، كم أبدع الرأسماليون "الإنسان الاقتصادي" الذي لا يعمل أو يتحرك إلا بوازع الربح، والإنسان الفقهاني يختلف تماما عن الإنسان القرآني، فهو الإنسان الذي أسلم أمره للفقهاء، فملئوا نفسه رعبا وذعرا من الإثم والذنوب وجعلوا هاجسه الأول هو كيف يتقي الوقوع فيها فهو قبل أن يقدم على شيء أو يتخذ قرارا يستفتى ويتأكد من سلامة و "حلية" هذا الإجراء وأعانه الفقهاء على هذا بإقامة سد عال يحول بينه وبين كل ما يظن فيه أو يشتم منه الحرمة بقاعدة سد الذرائع وهي "صوبة" يترعرع في ظلها الإنسان الفقهاني ولكن ما أن ترفع عنه حتى يذهب به عصف الرياح وأشعة الشمس.

وواضح تماما أن هذه السياسة تناقض سياسة القرآن التي أوردنا الشواهد عليها من الآيات العديدة كما تخالف سياسة الرسول الذي ارتأى أن الصلاة تجب السيئات، وقال كتب على بني آدم حظه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان

زناهما النظر والأذنان ذناهما الاستماع واللسان زناه الكـلام واليد زناهما البطش والرجل زناها الخطي، والقلـب يهـوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه " رواه البخاري مختصرا ورمز له صاحب فيض القدير بالصـحة ودعـوة الإحيـاء الإسلامي تأخذ الإنسان كما صوره القرآن والرسول لا كمـا أراد له الفقهاء – وبالتالي فإنها ترى في شتي مظاهر الحرية التي يمارسها الإنسان أمرا مقررا، وطبيعيا وهي لا تدين هذه الحرية لأن الإسلام جعل التعامل معها رهن بصاحبها فـإذا كان فيها ما يظن به مخالفة للإسلام فقد يسـتغفر، أو يتـوب وستجب التوبة والاستغفار ما يظن أنه يجاف آداب الإسـلام كما قد يصر عليه ويمضي على غلوائه، وفي هذه الحالة فإن ا تعالى سيتولى محاسبته يوم الحساب وليس هناك ما هـو أصرح ﴿ **من كان يريد الْعاجِلَةَ عجلْنَا له فِيها ما نَشَاء ِلمن نريد ثُم جعلْنَا له جهنم يصلاَها مذْموما مدحورا** ﴾ (الإسراء ١٨) والقرآن لم يحدد عقوبة على ما ينزلق إليـه الضـعف ولكن على الشر كالسرقة والظلـم، أو إذا اشـتط الضـعف البشري بصاحبه إلى الاغتصاب – وهي الموبقة العظمى.

والهدف من هذا هو تحرير الإنسان من وصـاية تحكـم الآخرين الذين لا يسيغون ما يقوم بـه الـبعض فينصـبون

أنفسهم قضاة، وإذا سمح بمثل هذا فلن توجد حرية في المجتمع، ولا كرامة للفرد، فلنترك ما لا نوافق عليه لصاحبه، ونعرف أن له حقًا، كما أن لنا حقنا في انتهاج ما نريد، وسيحاسبنا ا جميعا يوم القيامة، فضلاً عن أن المسلك السلبي المجتمع سيسهم في الحكم على التصرفات لأنه عندما يعزف عن تصرف ما، فإن هذا سيؤدي إلى انحسار هذا التصرف، وهذا العزوف السلبي حق للرد لا يمكن أن ينكره عليه أحد وهو يكفي وحده للحكم على التصرفات ووجوه النشاط التي يقوم بها البعض.

ومرة أخرى فإن الحكمة التي قد تدق على مدارك الذين يعطون أنفسهم سلطة التحريم والتحليل هي أن إطلاق حريات الأفراد وإفساح المجال للمبادءات سيؤدي إلى فتح أفاق جديدة أمام المجتمع ولا جدال في أن القرآن والرسول أدركا هذا في حين أنه دق على الفقهاء.

ومن هنا، فيجب ألا نتصور أن المجتمع الإسلامي لابد وأن يبرأ من وقوع ما يجاوز الآداب الإسلامية. فما دام هناك إنسان، فلابد أن يظهر شيء من فجور هذا الإنسان – أو ابتغائه حرث الدنيا – وقد وكل ا الحكم فيها إليه يوم الأخيرة وليس هذا إلا نتيجة منطقية لطبيعة كما خلقه ا ،

ولو لم توجد هذه التجاوزات ففيم تحدث التوبة والاستغفار؟ ولمن يوجه "النهي عن المنكر"؟ إن مجرد الوجود والحدوث يجب أن يعد أمرا طبيعيا ومنطقيا، وليس معنى هذا الاستسلام له ولكن مجابهته بالحكم والموعظة الحسنة، وكل واحد ميسر لما خلق له.. ﴿ **فَأَما من أَعطَى واتقَى. وصدقَ بِالْحسنَى. فَسنُيسره لِلْيسرى. وأَما من بخِلَ واستَغْنَى. وكَذب بِالْحسنَى. فَسنُيسره لِلْعسرى. وما يغْنِي عنْه مالُه إِذَا تَردى**﴾.

ثالثًا: الزمان:

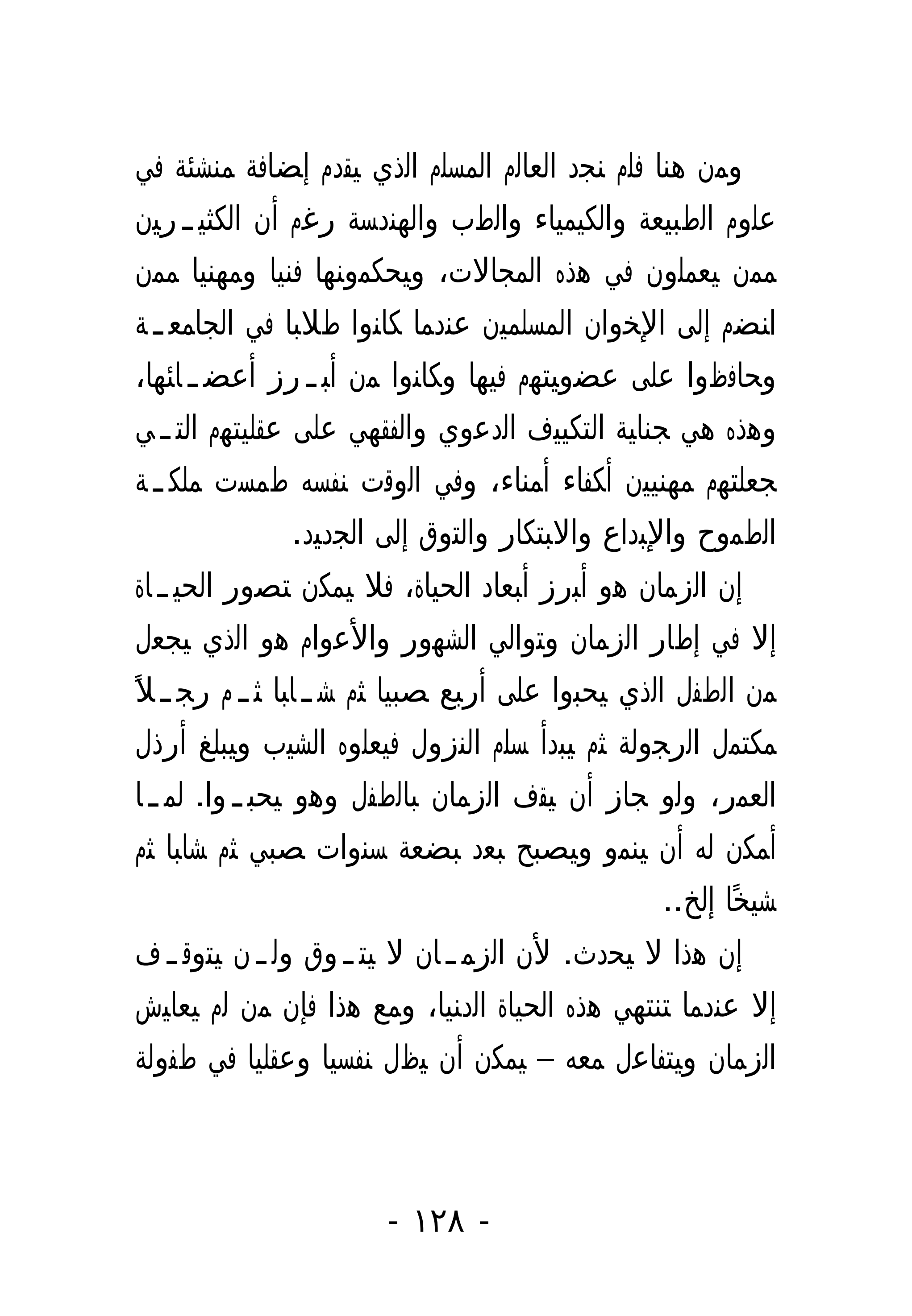
في الزمان يصل تجاهل الدعوات الإسلامية إلى غايته، لأن عاملين تضافرا على ذلك.

العامل الأول العاطفية التي تجعل الدعوات الإسلامية ماضوية حتى النخاع، تتمنى لو ترد إلى أحد القرون الثلاثة التي قيل عنها إنها أفضل القرون.

والعامل الثاني غلبة النظرية والنصوصية عليها، وهي بطبيعتها جامدة، مجردة، فمرور ألف عام وتطور أساليب الحياة تطورا مذهلاً لا يعني شيئًا من قريب أو بعيد بالنسبة لما قرره الفقهاء واكتسب منزلة النص المقدس..

وأدى تضافر هذين العـاملين لأن ينعـدم فـي الـدعوة الإسلامية الإحساس بالزمان فأتباعها يعيشون هـذا العصـر يستخدمون مبتكراته من السـيارات والطيـارات والتليفـون والتليفزيون كأنما خلقت كالخيل والبغـال والحميـر. فهـم موجودون بحكم ميلادهم في هذا العصر، ولكنهم لا يعايشون العصر، أو يتفاعلون معه لأن روحهم ومثلهم وخيالاتهم فـي الماضي البعيد.

ولا ينفي هذا أن يوجد بين أعضـاء بعـض الـدعوات الإسلامية أطباء بارزون ومهندسون حاذقون إلخ.. فهـؤلاء يتقنون مهنتهم إتقانًا فنيا، ولديهم الأمانة والخلق، ولكـنهم إذا جاوزوا دائرة تخصصهم المهني تاهوا وحتى لا يحدث هـذا أقامت الدعوات الإسلامية حولهم سورا يفصل بيـنهم وبـين عالم العصر، فعاشوا داخل هذا السور آمنين مطمئنين بعيدين عن معمعة الحياة وغمرات الدنيا، ولا يفكر واحد منهم فـي أن يحقق اكتشافًا أو اختراعا رغم أن لدى بعضهم التأسـيس الفني الذي يسمح بالانطلاق لو وجدت الـروح ولكـن هـذه الروح لا توجد. إذ وراء كل اكتشاف أو اختـراع طمـوح وطلعة ورغبة في إثراء الحياة وهذه كلهـا غيـر موجـودة لديهم.



ومن هنا فلم نجد العالم المسلم الذي يقدم إضافة منشئة في علوم الطبيعة والكيمياء والطب والهندسة رغم أن الكثيرين ممن يعملون في هذه المجالات، ويحكمونها فنيا ومهنيا ممن انضم إلى الإخوان المسلمين عندما كانوا طلابا في الجامعة وحافظوا على عضويتهم فيها وكانوا من أبرز أعضائها، وهذه هي جناية التكييف الدعوي والفقهي على عقليتهم التي جعلتهم مهنيين أكفاء أمناء، وفي الوقت نفسه طمست ملكة الطموح والإبداع والابتكار والتوق إلى الجديد.

إن الزمان هو أبرز أبعاد الحياة، فلا يمكن تصور الحياة إلا في إطار الزمان وتوالي الشهور والأعوام هو الذي يجعل من الطفل الذي يحبوا على أربع صبيا ثم شابا ثم رجلاً مكتمل الرجولة ثم يبدأ سلم النزول فيعلوه الشيب ويبلغ أرذل العمر، ولو جاز أن يقف الزمان بالطفل وهو يحبوا. لما أمكن له أن ينمو ويصبح بعد بضعة سنوات صبي ثم شابا ثم شيخًا إلخ..

إن هذا لا يحدث. لأن الزمان لا يتوق ولن يتوقف إلا عندما تنتهي هذه الحياة الدنيا، ومع هذا فإن من لم يعايش الزمان ويتفاعل معه – يمكن أن يظل نفسيا وعقليا في طفولة

وأمية حتى وإن بلغ الثلاثين فقد نما الجسم بفعل الزمان بينما وقف الفكر؛ لأنه لم يزود بمعارف العصر..

ويعبر القرآن الكريم عن أهمية الزمـان عنـدما ينسـب الشعوب القديمة إلى قرونها فيقول:

- ﴿ **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا** ﴾ (١٣ يونس)
- ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد** ﴾ (١١٦ هود)
- ﴿ **وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح** ﴾ (١٧ الإسراء)
- ﴿ **قال فما بال القرون الأولى** ﴾ (٥١ طه)

وأمثال هذه الآيات كثيرة وعديدة

وقد وضع الإسلام تقسيما موقوتًا لليـوم عنـدما جعـل الصلوات خمسا كل واحدة تبدأ مع مرحلة معينة بـدءا مـن الفجر.. حتى غروب الشمس وكأن تلك الصلوات هي ساعة الجماهير قبل أن تخترع الساعة وكان يمكن التوصـل إلـى درجة معقولة من دقة التوقيت بفضلها؛ لأن هذه الصـلوات الخمس تنتظم اليوم.

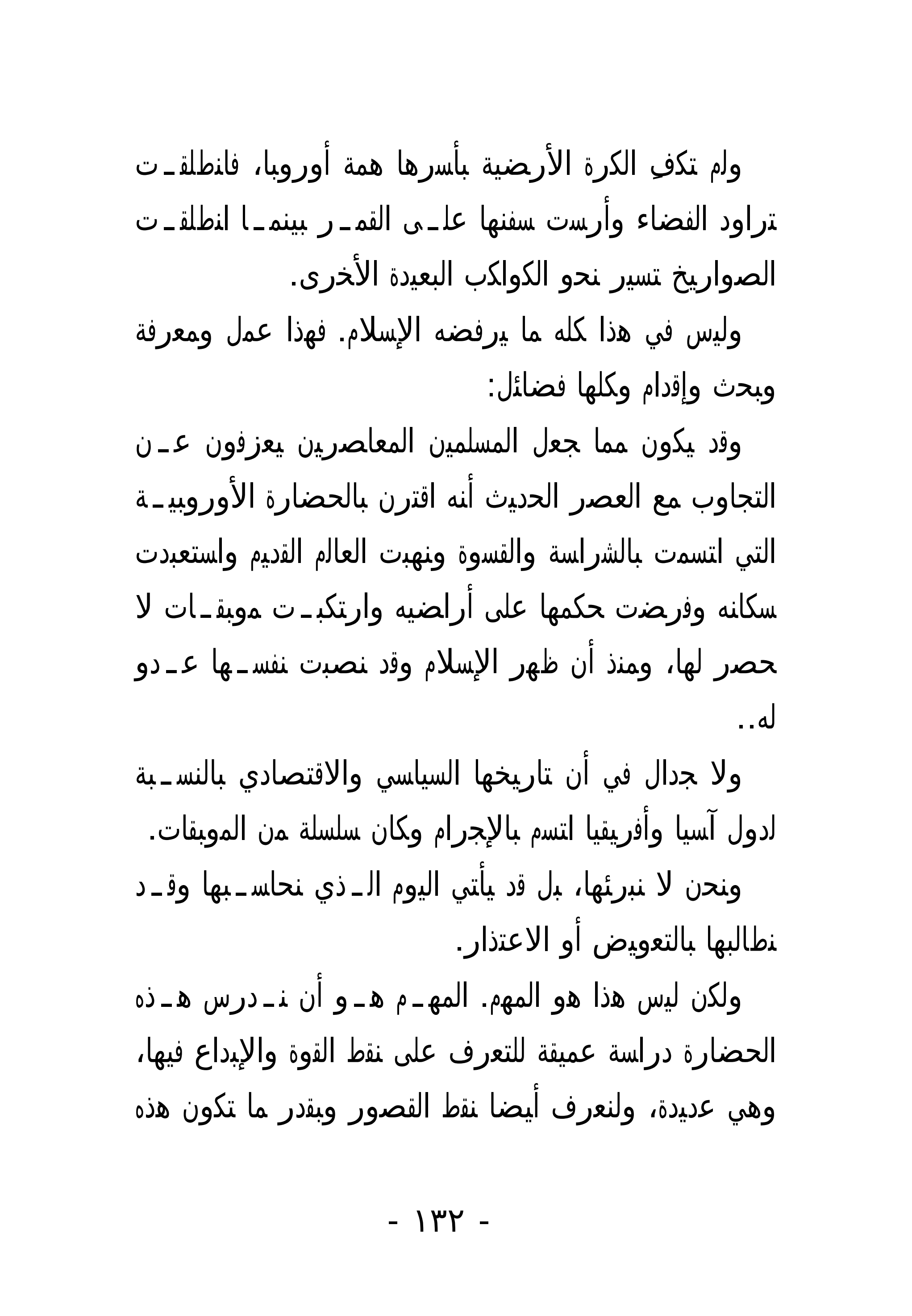
وزماننا يعد زمن عجيب، فخلال القرون الثلاثة الأخيـرة قفزت البشرية في الفكر، والعلم، والمادة قفزات لم يتصورها الإنسان إلا في مثل ألف ليلة وليلة وسيف بن ذي يزن. فقـد تحدث هؤلاء عن حكماء يطيـرون.. وعـن سـحر يغيـر الطبائع. وعن علي بابا الذي ما إن يقول " افتح يا سمسـم " حتى يفتح بابا المغارة..

إن اختراعات العصر فاقت كل هذا، ولم يعد علـي بابـا بحاجة لأن يأمر.. لأن الباب سيفتح من تلقاء نفسه ما دام هو على خطوات منه.

لقد أعطى العصر الحـديث للإنسـان مـا لـم يؤتـه إلا سليمان.. كمعجزة لا كممارسـة.. وأدى إعمـال العقـل وانفساح الزمان الحضارة لتصل من الشرق إلى الغرب فـي غمضة عين وأوجد تلك التحديات التـي أشـير إليهـا فـي "استراتيجية الدعوة الإسلامية في القرن الواحد والعشـرين " وأبرزها القوة الباهرة اقتصاديا وعسكريا نتيجـة لاسـتخدام العلوم في الصناعة، والتقدم الاجتماعي القائم على الحرية..

في العصور القديمة كان العنصـر الأكثـر تـأثيرا فـي المجتمع هو " المكان " لأن الناس كـانوا مربـوطين إليـه،

وخاضعين له، فلا يستطيعون تركه لصعوبة وسائل الاتصال، ولعدم المعرفة بما وراءه كما لم تكن وسائل " تكييف الجو " أو تعبيد الطرق إلخ ميسرة فكان الناس تحت رحمة المكـان، ولكن العصر الحديث غير هذه الصورة بحيث ظهر " الزمان " وما يمثله مـن تطـور، واختـراع واكتشـاف وتيسـير للمواصلات وإبداع لوسائل تكييف إلخ.. بحيث فقد المكـان أهميته، ثم جاء الطيران فأصبح الانتقال يتم فـي السـماوات العلا، وفوق السحاب، وظهرت الأقمار الصناعية والإذاعات المرئية والمسموعة التي لا يمكن لأي قوة حجبها فتلاشـت الحدود، وأصبح العامل الأكثر أهمية وتأثيرا في حياة النـاس هو الزمان، وخضع المكان لسطوة الزمان. فقد يكون شخص ما في أدغال خط الاستواء ومع هذا يكون بيته مكيفًا، وبـه الثلاجة، وكل المعدات الحديثة وتأتي الطائرة لتنقل صـاحبه من حر خط الاستواء إلى جليد أوروبا وهكذا فقـد المكـان آثاره وأصبح الإنسان هو الإنسان " الزماني " وهو ما يوضح لنا جريمة تجاهل الزمان. فإن من يتجاهله ينفي نفسـه مـن عالم العصر.



ولم تكفِ الكرة الأرضية بأسرها همة أوروبا، فانطلقـت تراود الفضاء وأرست سفنها علـى القمـر بينمـا انطلقـت الصواريخ تسير نحو الكواكب البعيدة الأخرى.

وليس في هذا كله ما يرفضه الإسلام. فهذا عمل ومعرفة وبحث وإقدام وكلها فضائل:

وقد يكون مما جعل المسلمين المعاصرين يعزفون عـن التجاوب مع العصر الحديث أنه اقترن بالحضارة الأوروبيـة التي اتسمت بالشراسة والقسوة ونهبت العالم القديم واستعبدت سكانه وفرضت حكمها على أراضيه وارتكبـت موبقـات لا حصر لها، ومنذ أن ظهر الإسلام وقد نصبت نفسـها عـدو له..

ولا جدال في أن تاريخها السياسي والاقتصادي بالنسـبة لدول آسيا وأفريقيا اتسم بالإجرام وكان سلسلة من الموبقات.

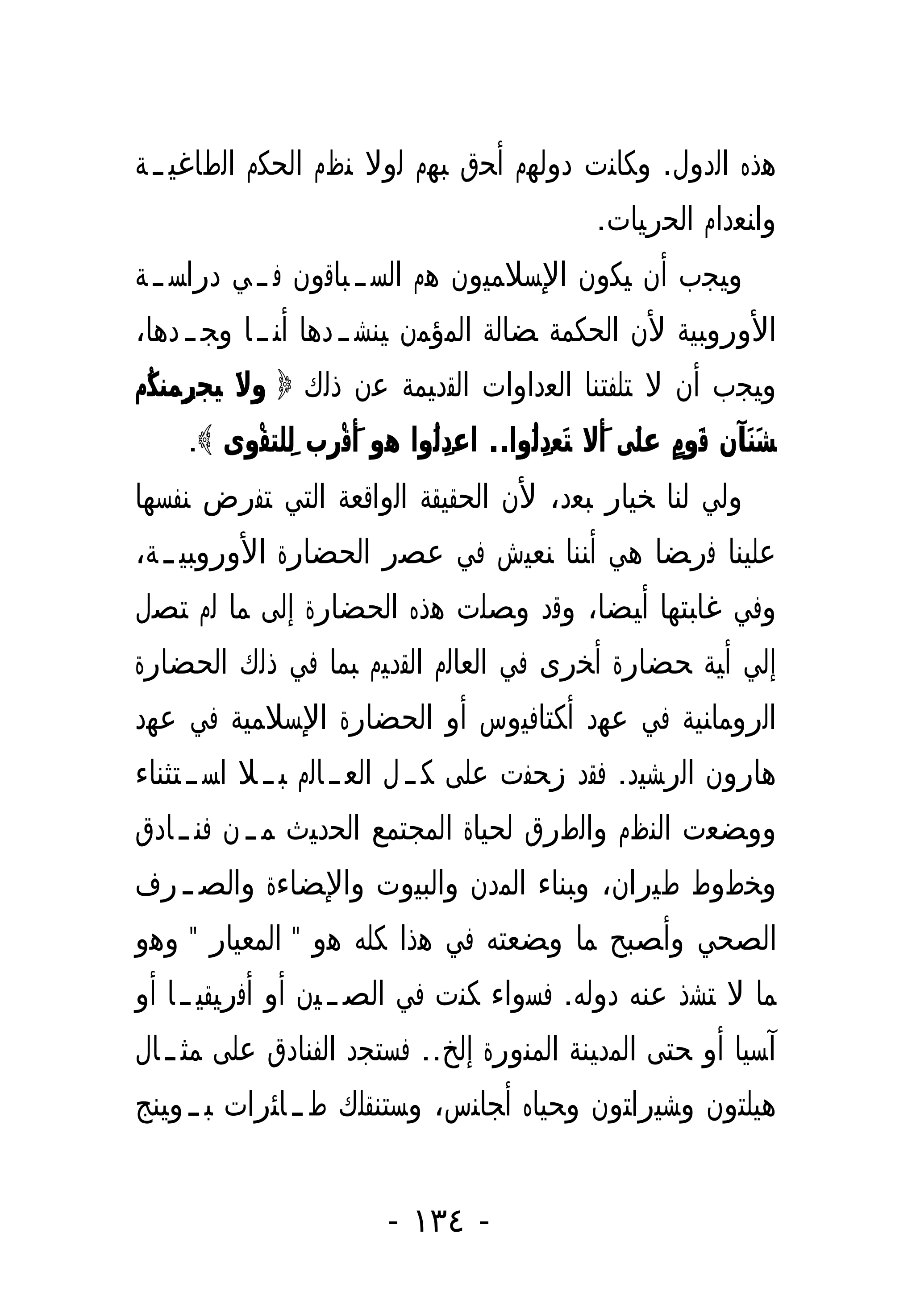
ونحن لا نبرئها، بل قد يأتي اليوم الـذي نحاسـبها وقـد نطالبها بالتعويض أو الاعتذار.

ولكن ليس هذا هو المهم. المهـم هـو أن نـدرس هـذه الحضارة دراسة عميقة للتعرف على نقط القوة والإبداع فيها، وهي عديدة، ولنعرف أيضا نقط القصور وبقدر ما تكون هذه

الدراسة عميقة وموضوعية بقدر ما تزداد مكانتهـا، لأنهـا ستمكنها من الأخذ بنقط القوة وتفادي نقط القصور، أمـا أن نقف موقف التجاهل، أو أن نضخم في نقط الضعف ونضائل في نقط القوة فلن يكون إلا تغريرا ومغالطة تجني في النهاية على أصحابها.

ويجب أن نعلم أن الحضارة الأوروبية وإن كانـت فـي أغلبيتها العظمى أوروبية، إلا أنها تضمنت أثارا لبقية شعوب العالم فيها ولقد أثبت " برنال " في كتابه " أثينـا السـوداء " مدى التأثير الطاغي للحضارة المصرية القديمة على اليونان.

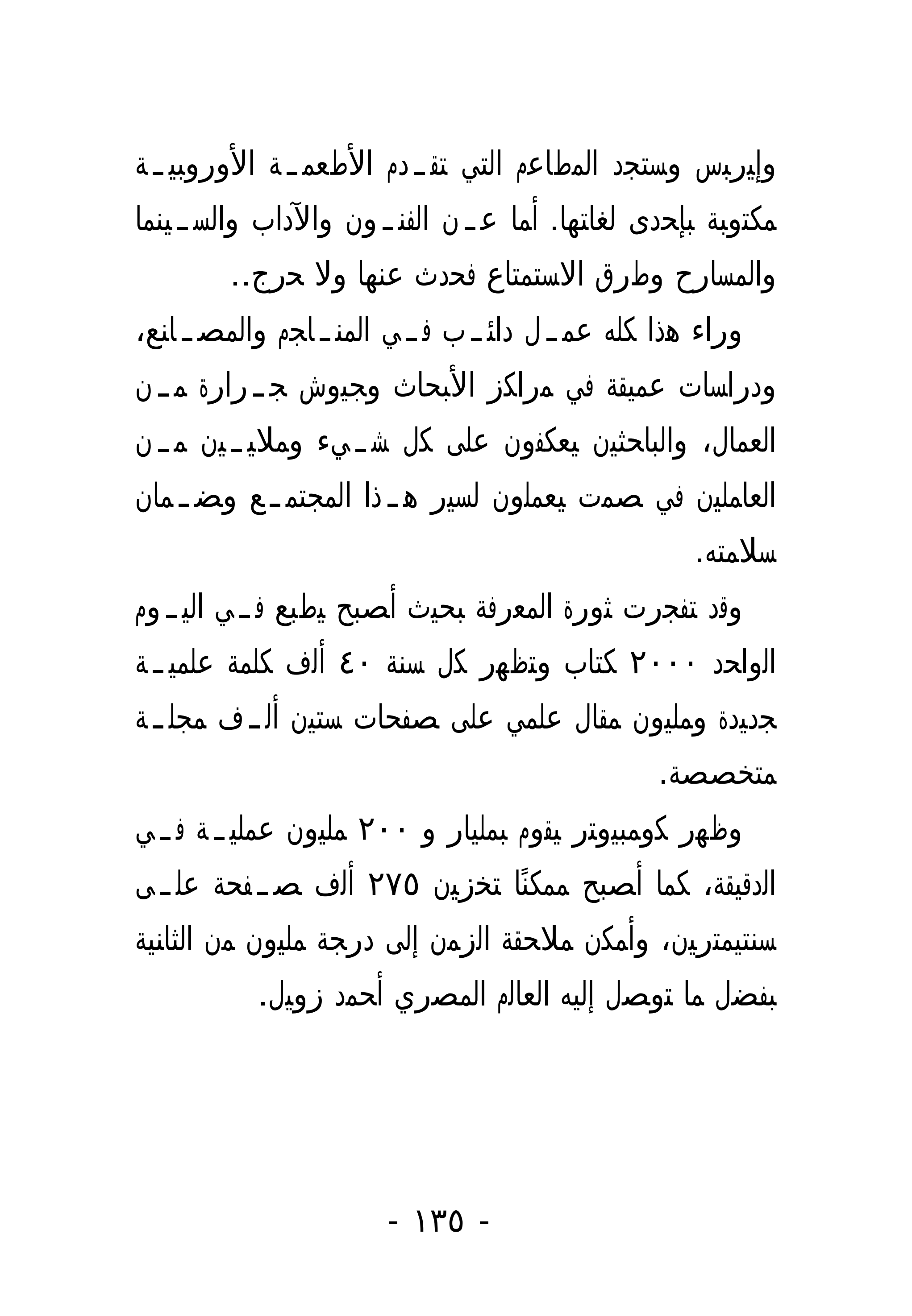
ونجد أثارا للحضارة الإسلامية انتقلت إلى أوروبا في عهد " الرينسانس " طريق أسبانيا وصقلية وظلت كتابات العلمـاء المسلمين تدرس في أوربا حتـى القـرن الخـامس عشـر والسادس عشر، وقد استفاد الأوروبيون منها أكثر مما استفاد بها أصحابها لأن أوروبا كانت متعطشة للمعرفة، وتوجد فيها " جيوب " حرة، بينما كان الشرق قد وقع في أيـد الطغـاة، والعلم لا يزدهر إلا في البيئة الحرة، وهي الصـورة التـي تتكرر الآن، فإن العلماء الأفريقيين والآسيويين يشغلون فـي معاهد البحوث الأوروبية والأمريكية مكانًا مرموقًا وتفيد منهم



هذه الدول. وكانت دولهم أحق بهم لولا نظم الحكم الطاغية وانعدام الحريات.

ويجب أن يكون الإسلاميون هم السباقون في دراسة الأوروبية لأن الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنى وجدها، ويجب أن لا تلفتنا العداوات القديمة عن ذلك ﴿ **ولاَ يجرمنكُم شنَآن قَومٍ علىٰ ألا تَعدِلُوا.. اعدِلُوا هو أقرَب لِلتقوىٰ** ﴾.

ولي لنا خيار بعد، لأن الحقيقة الواقعة التي تفرض نفسها علينا فرضا هي أننا نعيش في عصر الحضارة الأوروبية، وفي غابتها أيضا، وقد وصلت هذه الحضارة إلى ما لم تصل إلي أية حضارة أخرى في العالم القديم بما في ذلك الحضارة الرومانية في عهد أكتافيوس أو الحضارة الإسلامية في عهد هارون الرشيد. فقد زحفت على كل العالم بلا استثناء ووضعت النظم والطرق لحياة المجتمع الحديث من فنادق وخطوط طيران، وبناء المدن والبيوت والإضاءة والصرف الصحي وأصبح ما وضعته في هذا كله هو " المعيار " وهو ما لا تشذ عنه دوله. فسواء كنت في الصين أو أفريقيا أو آسيا أو حتى المدينة المنورة إلخ.. فستجد الفنادق على مثال هيلتون وشيراتون وحياه أجانس، وستنقلك طائرات بوينج



وإيريس وستجد المطاعم التي تقـدم الأطعمـة الأوروبيـة مكتوبة بإحدى لغاتها. أما عـن الفنـون والآداب والسـينما والمسارح وطرق الاستمتاع فحدث عنها ولا حرج..

وراء هذا كله عمـل دائـب فـي المنـاجم والمصـانع، ودراسات عميقة في مراكز الأبحاث وجيوش جـرارة مـن العمال، والباحثين يعكفون على كل شـيء وملايـين مـن العاملين في صمت يعملون لسير هـذا المجتمـع وضـمان سلامته.

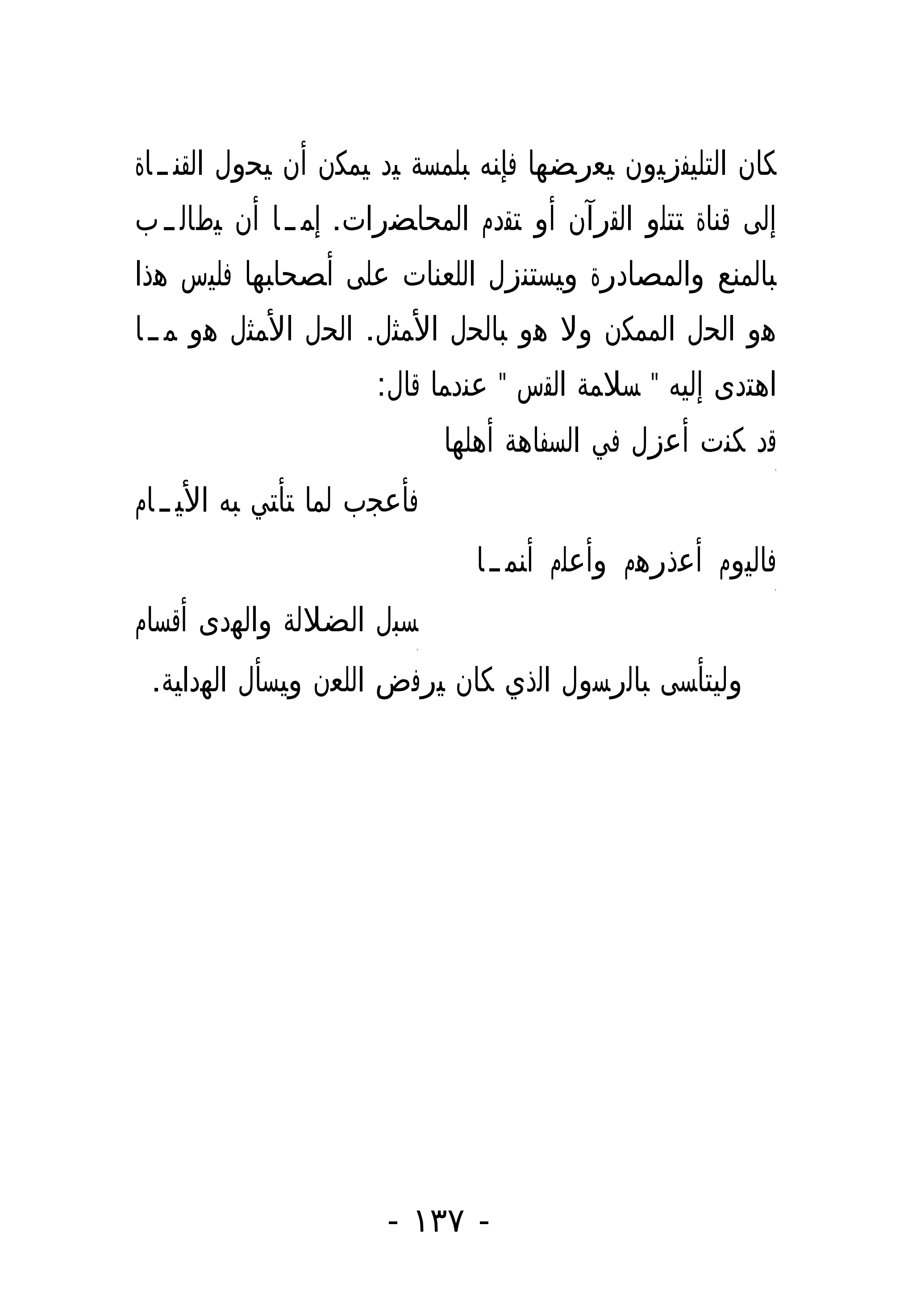
وقد تفجرت ثورة المعرفة بحيث أصبح يطبع فـي اليـوم الواحد ۲۰۰۰ كتاب وتظهر كل سنة ٤٠ ألف كلمة علميـة جديدة ومليون مقال علمي على صفحات ستين ألـف مجلـة متخصصة.

وظهر كومبيوتر يقوم بمليار و ۲۰۰ مليون عمليـة فـي الدقيقة، كما أصبح ممكنًا تخزين ۲۷٥ ألف صـفحة علـى سنتيمترين، وأمكن ملاحقة الزمن إلى درجة مليون من الثانية بفضل ما توصل إليه العالم المصري أحمد زويل.

ولا تزال " صورايخ " المعرفة منطلقـة مـن قواعـدها (مراكز البحوث) في اليابان والولايات المتحدة وألمانيا وبقية دول العالم المتقدمة.

هذه الإنجازات كلها هي بعـض مـا تقدمـه الحضـارة الأوروبية متلبسة ثوب الزمان، وما يكون علينـا ملاحقتهـا بقدر ما نستطيع إلا إذا قبلنا الدنية أو أن نكون فـي وضـع التبعية الذليل. ولن يثمر التجاهل إلا زيـادة شـقة التخلـف وتدهور الوضع لأننا لا يمكن أن ننعزل بأنفسنا ونحميها من آثاره التي تتنزل علينا من السماوات المفتوحة، وقد أراد لنـا الإسلام العزة والمنعة والكرامة. ولن يتحقق لنا شيء من ذلك ما لم نطرح السلبية ونعمل لكي نعايش هذا التقـدم العلمـي المذهل بقدر ما نستطيع، حتى لو كرهناه فلم يعد لنا خيار.

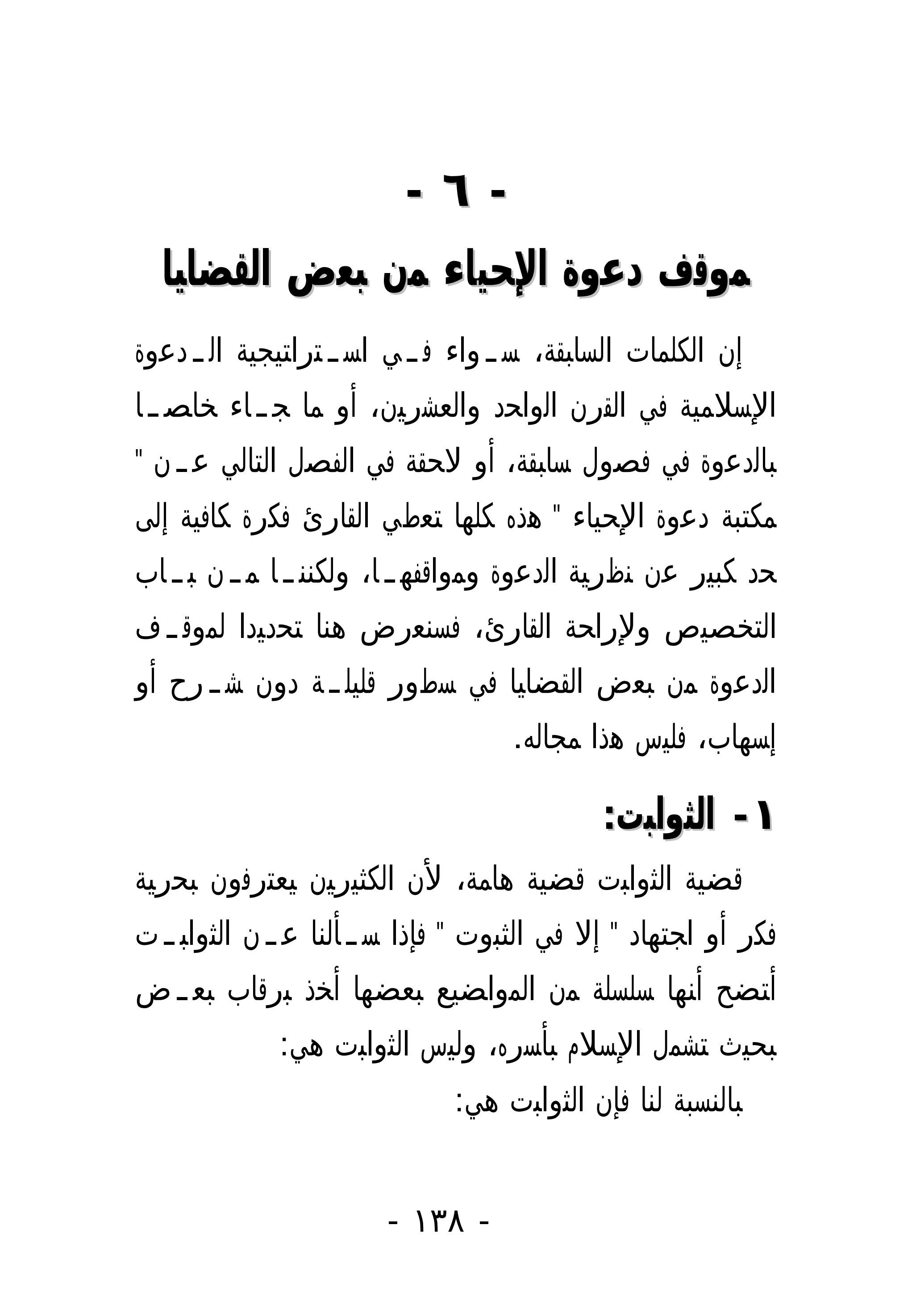
وأما الفنون والآداب التي تأتي بها حضارة العصر فهـي جانب من جوانب وفيها السامي والوضيع، ما يلمـس أنبـل المشاعر، وما يرضي أرذل الشهوات وقد فرضـت نفسـها علينا فرضا مع ظهور القنـوات القضـائية وشـيوع البـث المباشر من مختاف دول العالم على أنه لا يستطيع أحـد أن يفرض على مسلم تقي مشاهدة فنون هابطة أو متحللة " وإذا



كان التليفزيون يعرضها فإنه بلمسة يد يمكن أن يحول القنـاة إلى قناة تتلو القرآن أو تقدم المحاضرات. إمـا أن يطالـب بالمنع والمصادرة ويستنزل اللعنات على أصحابها فليس هذا هو الحل الممكن ولا هو بالحل الأمثل. الحل الأمثل هو مـا اهتدى إليه " سلامة القس " عندما قال:

قد كنت أعزل في السفاهة أهلها
فأعجب لما تأتي به الأيـام
فاليوم أعذرهم وأعلم أنمـا
سبل الضلالة والهدى أقسام

وليتأسى بالرسول الذي كان يرفض اللعن ويسأل الهداية.



- ٦ -

موقف دعوة الإحياء من بعض القضايا

إن الكلمات السابقة، سـواء فـي اسـتراتيجية الـدعوة الإسلامية في القرن الواحد والعشرين، أو ما جـاء خاصـا بالدعوة في فصول سابقة، أو لاحقة في الفصل التالي عـن " مكتبة دعوة الإحياء " هذه كلها تعطي القارئ فكرة كافية إلى حد كبير عن نظرية الدعوة ومواقفهـا، ولكننـا مـن بـاب التخصيص ولإراحة القارئ، فسنعرض هنا تحديدا لموقـف الدعوة من بعض القضايا في سطور قليلـة دون شـرح أو إسهاب، فليس هذا مجاله.

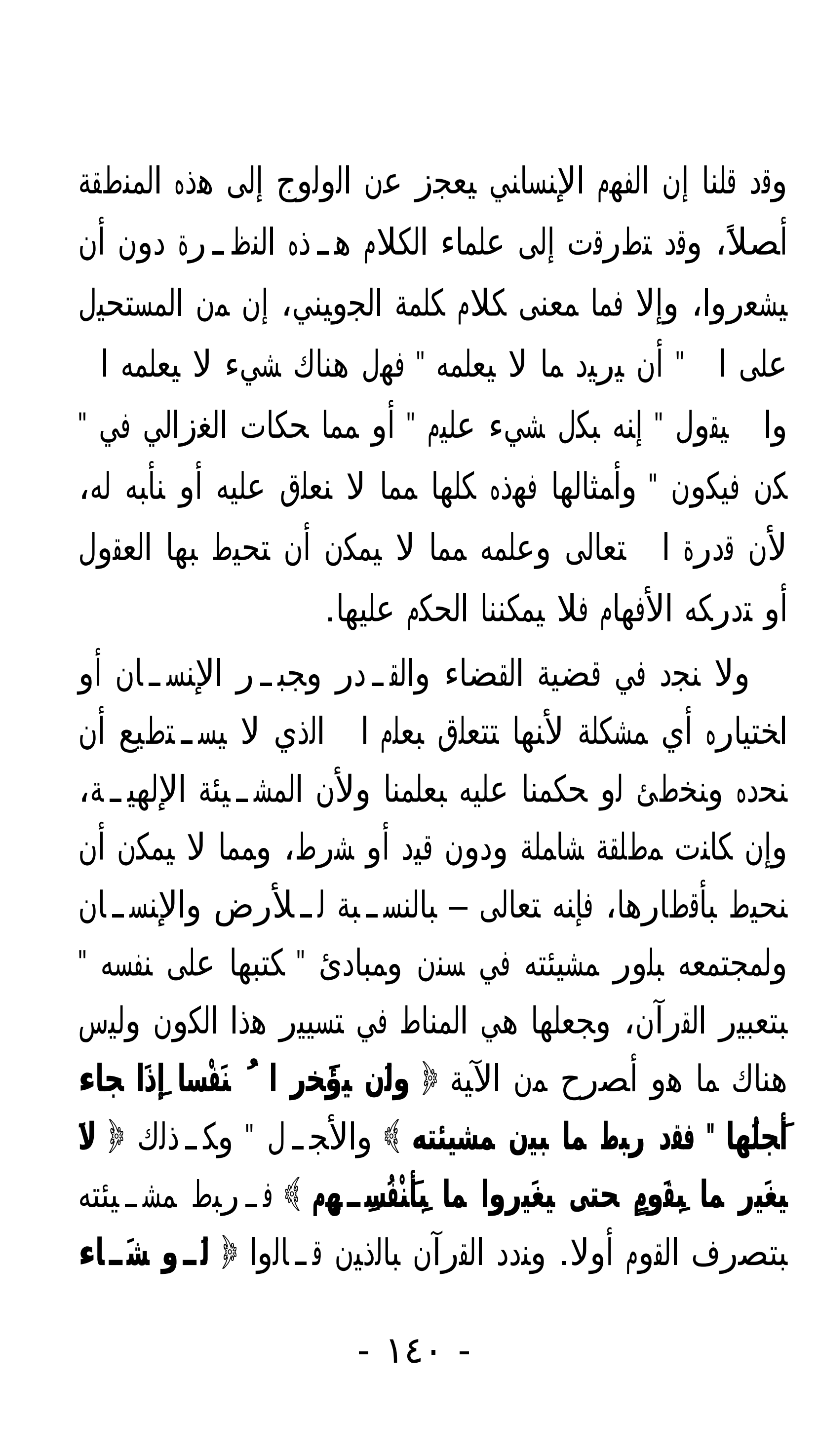
١- الثوابت:

قضية الثوابت قضية هامة، لأن الكثيرين يعترفون بحرية فكر أو اجتهاد " إلا في الثبوت " فإذا سـألنا عـن الثوابـت أتضح أنها سلسلة من المواضيع بعضها أخذ برقاب بعـض بحيث تشمل الإسلام بأسره، وليس الثوابت هي:

بالنسبة لنا فإن الثوابت هي:

أ- ذات الله تعالى وطبيعته فهذه ما لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها، وأي محاولة لذلك تزج بالإنسان إلى غير طائل بل تسلمه إلى الضلال، ونحن نرفض مجرد التفكير فيها، ونأخذها كما عرضها القرآن ولا نلحق بها ما يضيفونه إليها من أحاديث أو من تأويلات خاصة لآيات الصفات التي مزقت المسلمين، وكان لهم عن هذا مندوحة فالقرآن الكريم تحدث عن اليد فقال: ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ (٤٦ سبا)، وقال: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ (٣١ سبا) فهل يمكن القول إن للعذاب يدا، أو للقرآن يدا لا تشبه أيدي الناس كما يقول الوهابيون.. وهذا أكبر دليل على خطأ الاجتهاد فيما يتعلق بالله تعالى فإن هذا الاجتهاد كاد أن يصلهم بالمجسمة.

ومن الناحية المقابلة، فنحن نستبعد الأخذ بأسلوب علم الكلام للاستدلال على وجود الله أو إثبات صفاته، فهو أسلوب غريب على روح الإسلام لأنه يعود إلى روح فلسفات لا تؤمن بالله أصلاً، أو لا تؤمن به الإيمان الإسلامي ولذلك تصدر أحكامها على الله تعالى من منطلق فهمها الإنساني،



وقد قلنا إن الفهم الإنساني يعجز عن الولوج إلى هذه المنطقة أصلاً، وقد تطرقت إلى علماء الكلام هـذه النظـرة دون أن يشعروا، وإلا فما معنى كلام كلمة الجويني، إن من المستحيل على ا " أن يريد ما لا يعلمه " فهل هناك شيء لا يعلمه ا وا يقول " إنه بكل شيء عليم " أو مما حكات الغزالي في " كن فيكون " وأمثالها فهذه كلها مما لا نعاق عليه أو نأبه له، لأن قدرة ا تعالى وعلمه مما لا يمكن أن تحيط بها العقول أو تدركه الأفهام فلا يمكننا الحكم عليها.

ولا نجد في قضية القضاء والقـدر وجبـر الإنسـان أو اختياره أي مشكلة لأنها تتعلق بعلم ا الذي لا يسـتطيع أن نحده ونخطئ لو حكمنا عليه بعلمنا ولأن المشـيئة الإلهيـة، وإن كانت مطلقة شاملة ودون قيد أو شرط، ومما لا يمكن أن نحيط بأقطارها، فإنه تعالى – بالنسـبة لـلأرض والإنسـان ولمجتمعه بلور مشيئته في سنن ومبادئ " كتبها على نفسه " بتعبير القرآن، وجعلها هي المناط في تسيير هذا الكون وليس هناك ما هو أصرح من الآية ﴿ **ولن يؤَخر ا ُ نَفْسا إِذَا جاء أَجلُها** " **فقد ربط ما بين مشيئته** ﴾ والأجـل " وكـذلك ﴿ **لاَ يغَير ما بِقَومٍ حتى يغَيروا ما بِأَنْفُسِـهم** ﴾ فـربط مشـيئته بتصرف القوم أولا. وندد القرآن بالذين قـالوا ﴿ **لـو شَـاء**

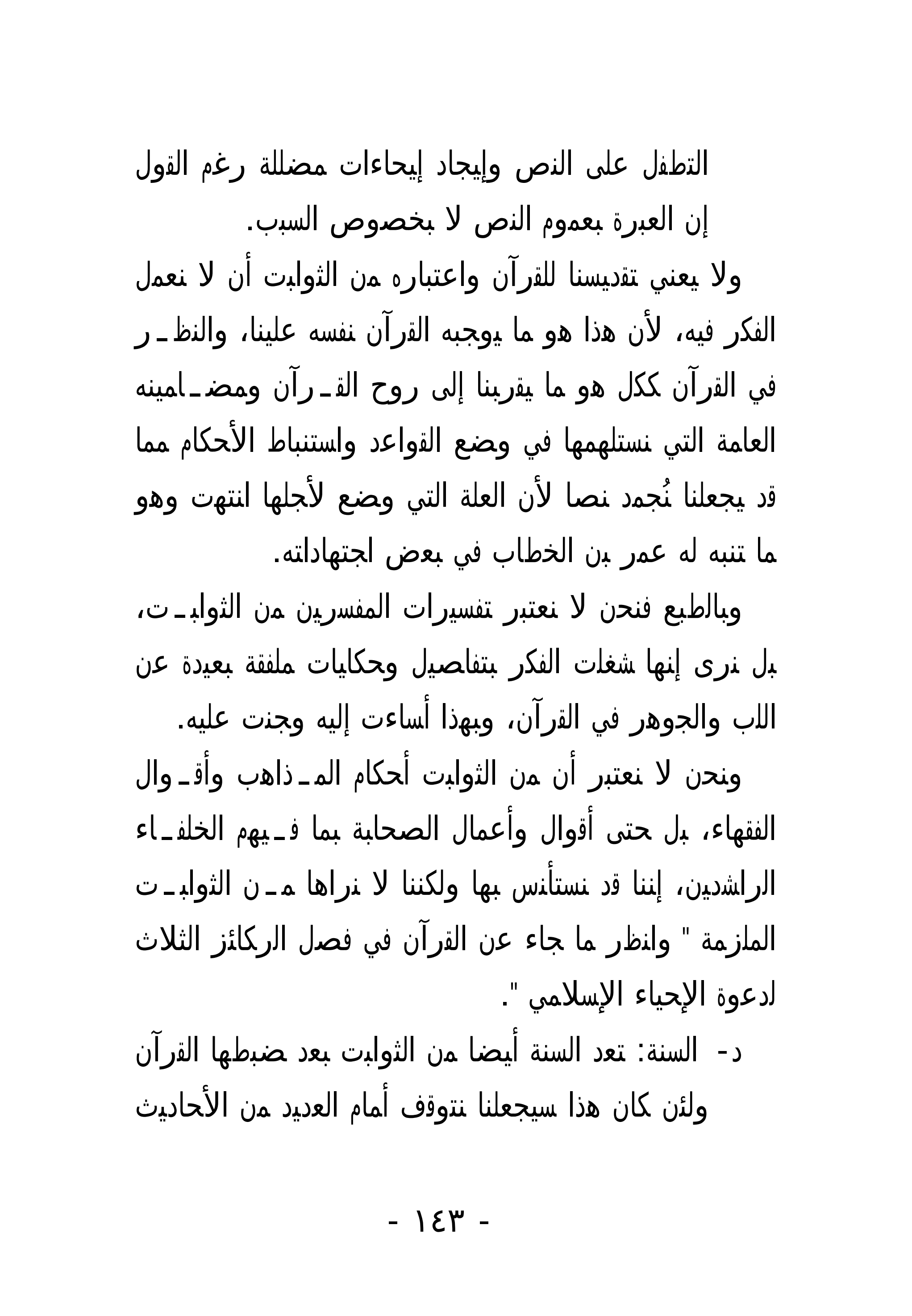
الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ﴾.

وفي عديد من الآيات أوضح القرآن أن الله تعالى خلق في الإنسان عقلاً يميز بين الحسن والقبيح وأرسل إليه الأنبياء، وأنزل معهم الكتب المقدسة ليعرفه على الخير والشر، وليستكمل له ما يعجز العقل عنه، ومنحه إرادة حرة يختار بها ما يشاء وهو يثيبه إذا أحسن الاختيار، ويعاقبه إذا أساء. أما كيفية علاقة هذا بعلم الله تعالى السابقة وكيف تتلاءم الحرية مع علمه فهذا ما لا نشغل أنفسنا به، لأننا لا نحيط به.. فلله تعالى قدرات وقوى إلخ.. أعظم بمراحل مما نتصور، وتختلف تماما عما نعرفه.. وكل الانحرافات والتعسفات في العقيدة إنما جاءت من ما محاولة الحكم على الله تعالى بمقتضى الفهم الإنساني.. مع أنه تعالى قال: ﴿ **فَلَا تَضربوا لله الأمثَالَ** ﴾ وأي محاولة للاختراق لا بد وأن تنتهي بالضلال والانحراف.

ب- يلحق بذات الله تعالى عالم الغيب، بدءا من الموت حتى الدخول في جنة أو نار. فنحن نؤمن بها كما جاءت في القرآن، ولا نضيف عليها ما جاء في معظم الأحاديث لأن عالم الغيب هو مما استأثر الله به ومن

ثم فلا يكون موضوعا لأحاديث تعلن علـى النـاس، ونحن لا نجهد أنفسنا في تحقيق تفاصيل ما جاء فـي القرآن عنه لأن ما أراده القرآن هو الانطبـاع العـام، ولكننا لا نستبعد أن يكون معظم ما جاء عنه هو بـاب المجاز الذي يؤثره القرآن عند الحـديث عـن هـذه المجالات ليتحقق الصدق الفني الذي يلجأ إليه لتكثيـف المعنى كما نقول هو بحر في السـخاء، وأسـد فـي الشجاعة، وليس هو بحرا، ولا أسدا، ولكـن رجـلاً.. ولكننا ندع لكل واحد أن يفهم ما يطمئن إليه فؤاده دون محاجاة، أو محاولة لحمل الآخرين على الأخذ به.

ج- القرآن الكريم، نؤمن بأن القرآن الكريم هو توجيه ا تعالى الذي أوحى به إلى الرسول، ونحن نقبله ونـرى أنه الحق الذي لا يتطرق إليه باطل، ونستبعد كل مـا حشيت به التفاسير وما أورده بعض الأسـلاف مـن أقوال تحذف أو تضيف، كما نستبعد النسخ في القرآن ونرى أن كل من يمسك بآية فإنه يمسك بحجة طبقًـا للسياق، ونستبعد أسباب النزول ولا نرى لها حاجة إلا



التطفل على النص وإيجاد إيحاءات مضللة رغم القول إن العبرة بعموم النص لا بخصوص السبب.

ولا يعني تقديسنا للقرآن واعتباره من الثوابت أن لا نعمل الفكر فيه، لأن هذا هو ما يوجبه القرآن نفسه علينا، والنظـر في القرآن ككل هو ما يقربنا إلى روح القـرآن ومضـامينه العامة التي نستلهمها في وضع القواعد واستنباط الأحكام مما قد يجعلنا نُجمد نصا لأن العلة التي وضع لأجلها انتهت وهو ما تنبه له عمر بن الخطاب في بعض اجتهاداته.

وبالطبع فنحن لا نعتبر تفسيرات المفسرين من الثوابـت، بل نرى إنها شغلت الفكر بتفاصيل وحكايات ملفقة بعيدة عن اللب والجوهر في القرآن، وبهذا أساءت إليه وجنت عليه.

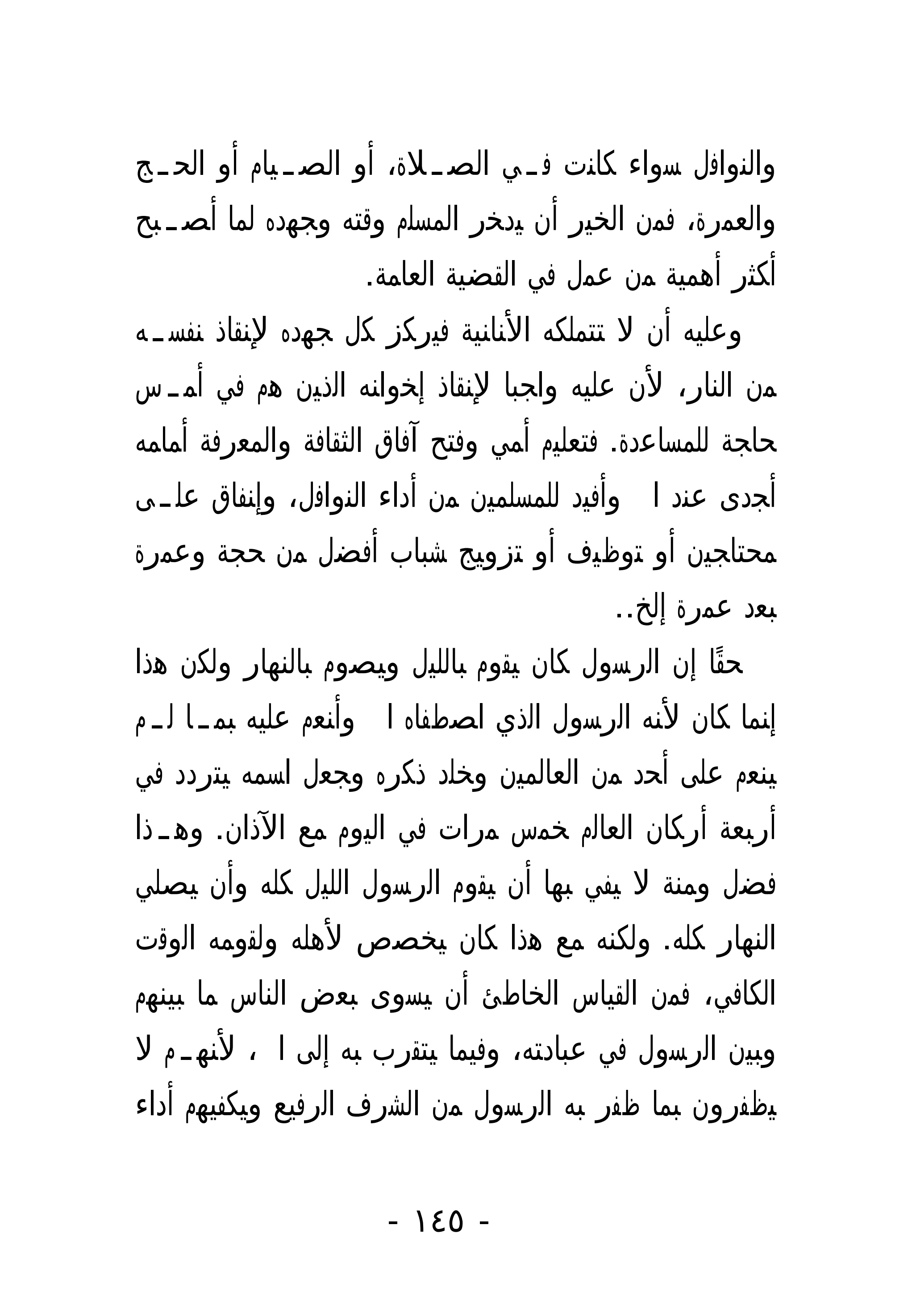
ونحن لا نعتبر أن من الثوابت أحكام المـذاهب وأقـوال الفقهاء، بل حتى أقوال وأعمال الصحابة بما فـيهم الخلفـاء الراشدين، إننا قد نستأنس بها ولكننا لا نراها مـن الثوابـت الملازمة " وانظر ما جاء عن القرآن في فصل الركائز الثلاث لدعوة الإحياء الإسلامي ".

د- السنة: تعد السنة أيضا من الثوابت بعد ضبطها القرآن ولئن كان هذا سيجعلنا نتوقف أمام العديد من الأحاديث

التي تضمنتها المسانيد وكتب الصحاح (بما في ذلـك صحيحا البخاري ومسلم) فإننا من ناحية مقابلة نأخـذ بما أعتبره الفقهاء ليس تشريعا من السنة مثل المبادئ والممارسات التي أرساها الرسول كقائد جيش ورئيس دولة كما أن شخصية الرسول تسـتأثر لـدى دعـوة الإحياء الإسلامي بأهمية كبرى وتظل خالدة دائما. إن القرآن عند قال: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رسول ا ـ أُسـوةٌ حسنَةٌ** ﴾ فإنه كان يرسي مبدءا من أهم المبادئ وأكثره تأثيرا في الحياة والمجتمع – هو الأسـوة والقـدوة – وهو مبدأ لا تشير إليه الكتابات الأوروبية التي تعنـي بالنظم والسياسات في حين أنه يمكن أن يغنـي عمـا يضعونه من ضمانات وما يستهدفونه من غايات.

هـ ـ ومن الثوابت الشعائر العبادية التـي فرضـها ا وهي الصلوات الخمس كل يوم، وصيام رمضان شـهرا في السنة، والزكاة كل عام، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً مرة واحدة..

وهذه هي العبادات التي يجب أن يقوم بها المسـلم قيامـا حسنًا فيه النية وفيه الخشوع وحضور القلـب. أمـا السـنن



والنوافل سواء كانت في الصلاة، أو الصيام أو الحج والعمرة، فمن الخير أن يدخر المسلم وقته وجهده لما أصبح أكثر أهمية من عمل في القضية العامة.

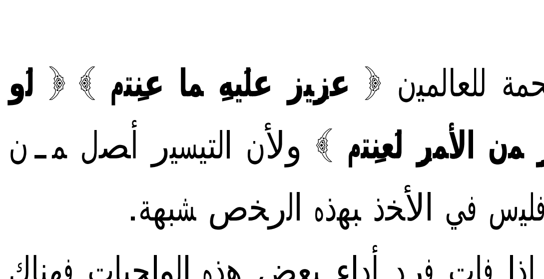
وعليه أن لا تتملكه الأنانية فيركز كل جهده لإنقاذ نفسه من النار، لأن عليه واجبا لإنقاذ إخوانه الذين هم في أمس حاجة للمساعدة. فتعليم أمي وفتح آفاق الثقافة والمعرفة أمامه أجدى عند ا وأفيد للمسلمين من أداء النوافل، وإنفاق على محتاجين أو توظيف أو تزويج شباب أفضل من حجة وعمرة بعد عمرة إلخ..

حقًا إن الرسول كان يقوم بالليل ويصوم بالنهار ولكن هذا إنما كان لأنه الرسول الذي اصطفاه ا وأنعم عليه بما لم ينعم على أحد من العالمين وخلد ذكره وجعل اسمه يتردد في أربعة أركان العالم خمس مرات في اليوم مع الآذان. وهذا فضل ومنة لا يفي بها أن يقوم الرسول الليل كله وأن يصلي النهار كله. ولكنه مع هذا كان يخصص لأهله ولقومه الوقت الكافي، فمن القياس الخاطئ أن يسوى بعض الناس ما بينهم وبين الرسول في عبادته، وفيما يتقرب به إلى ا ، لأنهم لا يظفرون بما ظفر به الرسول من الشرف الرفيع ويكفيهم أداء

الفروض ومثلهم مثل الأعرابي الذي جاء للرسول وسأله عما عليه فلما أجابه رد بأنه سيفعلها " ولا يزيـد عليهـا " فقـال الرسول " أفلح إن صدق " ونحن نقنع بهذا الفـلاح ونوجـه طاقاتنا لأداء الواجبات العديدة التي تزحم المسلم المعاصـر نحو نفسه، وأهله، ووطنه..

ولرب قائل يقول " هل تحجر على مشاعر الذين يجـدون نفوسهم تهفو للصلاة، ويحسون الطمأنينـة والراحـة وهـم يتهجدون بالليل؟ فنقول نحن لا نحجر على من يستشعر هـذا أن يقوم بما يشاء من تهجد وصلاة ولكننا نتحدث عن عامـة الناس، ومن ناحية المبدأ أما بالنسبة للآحاد، فلكل أن يتبع ما يتفق مع نفسه ولكننا نفضل ما ذهبنا إليه للعامة تخفيفًا عـنهم وحرصا على الأولويات.

وعندما أوجب الإسلام أداء هذه الشعائر والعبادات، فإنـه في الوقت نفسه أوجد تيسيرات ورخصا مثـل الجمـع بـين الصلاتين في الحضر عند الضرورة ومثـل المسـح علـى الجوربين، والتيمم عند انعدام الماء، والإفطار للسفر وإفطار المسن الذي لا يطيق الصيام وبعض هذه التيسيرات مما جاء به القرآن الكريم والآخر مما جاءت به السنة. ونحن نأخذ بها



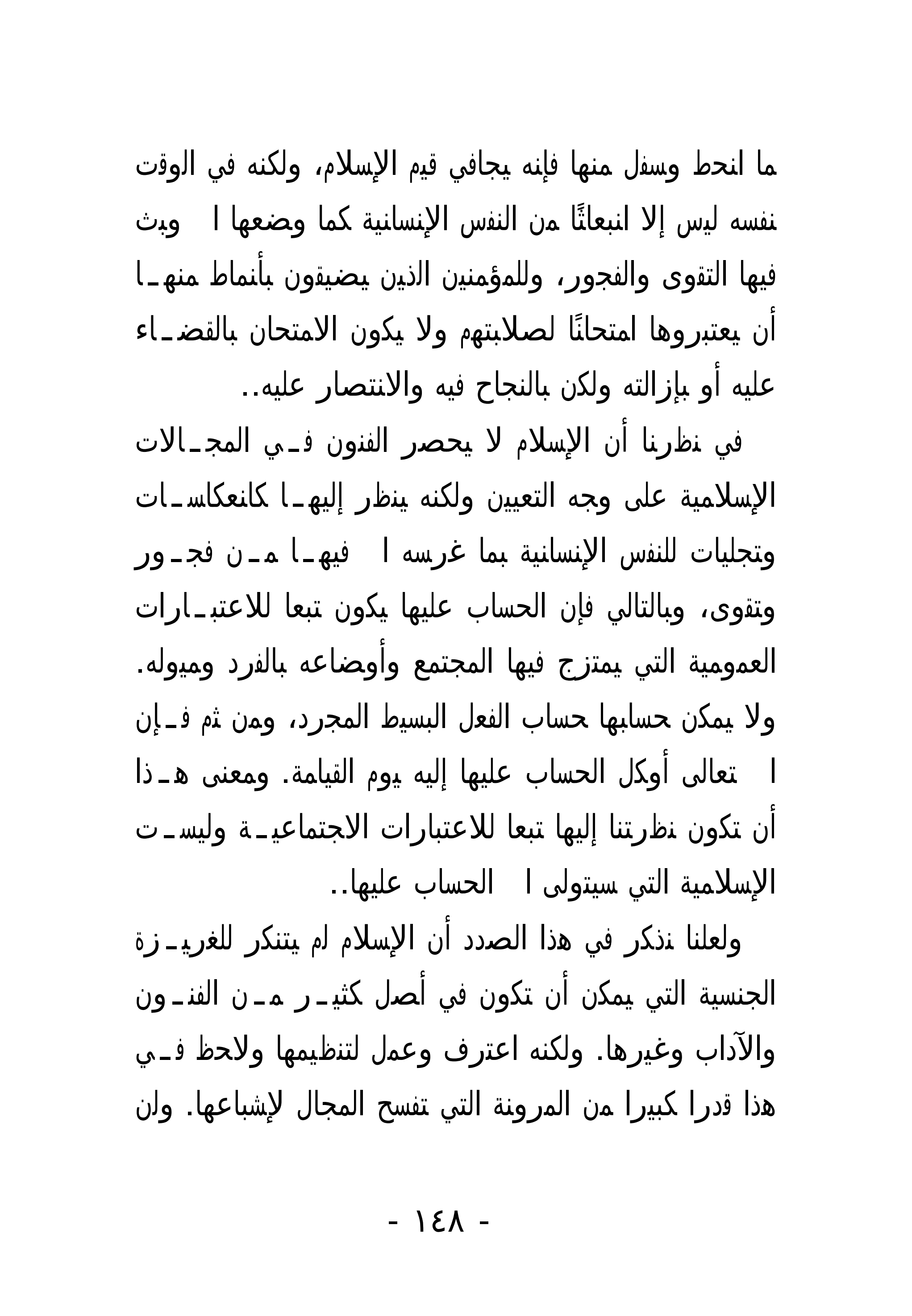
لأن الرسول رحمة للعالمين ﴿ **عزيز عليه ما عنتم** ﴾ ﴿ **لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم** ﴾ ولأن التيسير أصل من أصول الإسلام فليس في الأخذ بهذه الرخص شبهة.

بعد هذا كله إذا فات فرد أداء بعض هذه الواجبات فهناك صور عديدة لإصلاح هذا مثل الاستغفار وعمل الصالحات والإنفاق والتوبة – وهي ممارسات تصلح لتعويض ما قد يطرأ لأحد فيؤدي إلى عدم قيامه بأحد الفروض دون تمييز، بمعنى أن ذلك ينطبق على الصلاة أيضا، فإن القداسة الخاصة للصلاة ليست أعلى من التوبة والاستغفار وفعل الحسنات.

٢- الفنون والآداب:

الفنون والآداب تعبير عن النفس الإنسانية وما ألهمها ا من فجور وتقوى، وهي بهذا المعنى تمت إلى الإنسان، وهي من " حرث الدنيا " الذي لم يمنع ا عطاءه عنه ولم يفرض عليه عقوبة. وإنما أخر الحكم فيه إلى يوم القيامة.

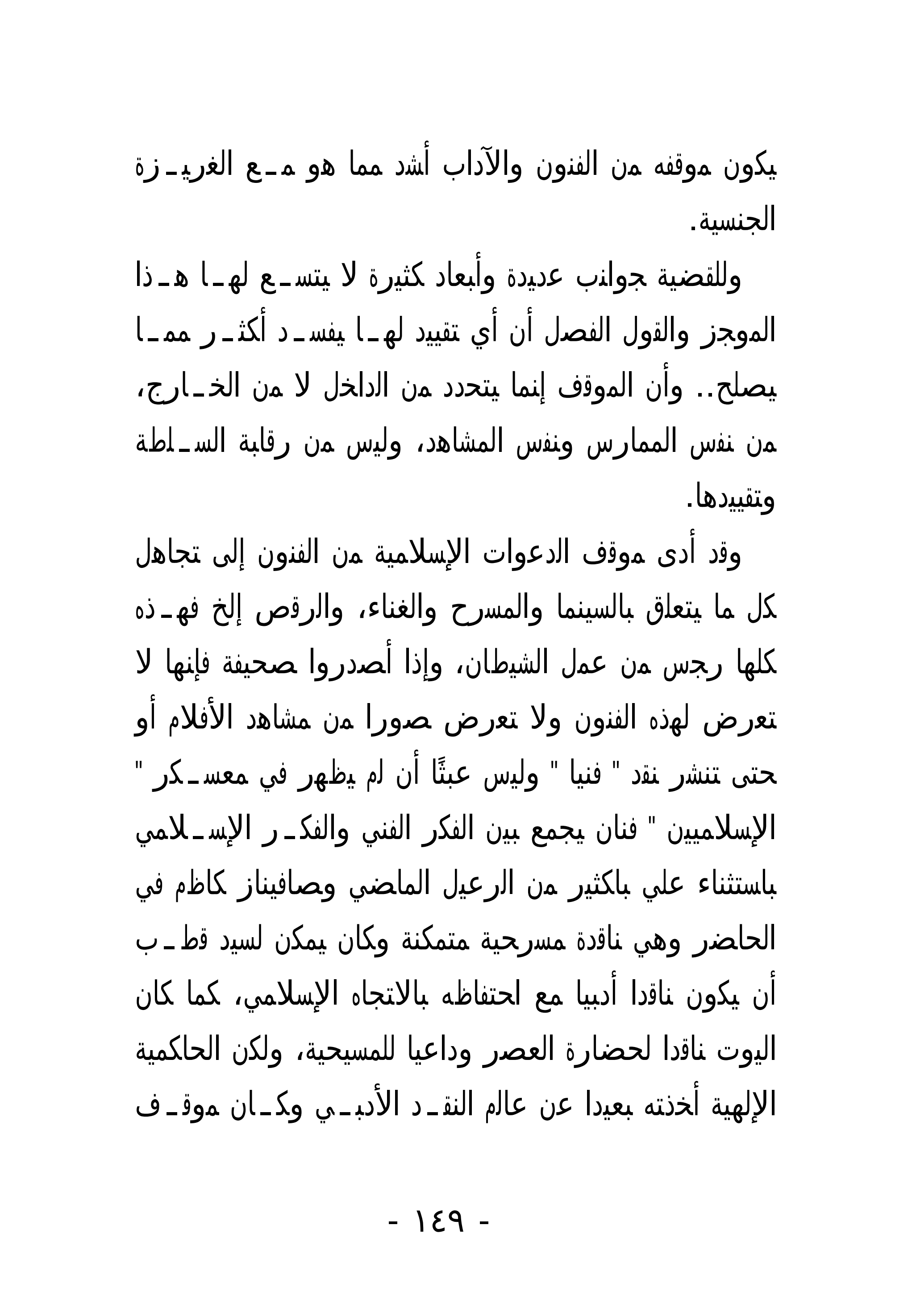
ومن هنا يتضح خطأ القول بأن هناك فنونًا غير إسلامية، إن الفنون جميعا إنسانية فيها نبل الإنسان وسموه كما أن فيها فجوره وشهواته وما نُبل وسما فإنه يتفق مع قيم الإسلام. أما



ما انحط وسفل منها فإنه يجافي قيم الإسلام، ولكنه في الوقت نفسه ليس إلا انبعاثًا من النفس الإنسانية كما وضعها ا وبث فيها التقوى والفجور، وللمؤمنين الذين يضيقون بأنماط منهـا أن يعتبروها امتحانًا لصلابتهم ولا يكون الامتحان بالقضـاء عليه أو بإزالته ولكن بالنجاح فيه والانتصار عليه..

في نظرنا أن الإسلام لا يحصر الفنون فـي المجـالات الإسلامية على وجه التعيين ولكنه ينظر إليهـا كانعكاسـات وتجليات للنفس الإنسانية بما غرسه ا فيهـا مـن فجـور وتقوى، وبالتالي فإن الحساب عليها يكون تبعا للاعتبـارات العمومية التي يمتزج فيها المجتمع وأوضاعه بالفرد وميوله. ولا يمكن حسابها حساب الفعل البسيط المجرد، ومن ثم فـإن ا تعالى أوكل الحساب عليها إليه يوم القيامة. ومعنى هـذا أن تكون نظرتنا إليها تبعا للاعتبارات الاجتماعيـة وليسـت الإسلامية التي سيتولى ا الحساب عليها..

ولعلنا نذكر في هذا الصدد أن الإسلام لم يتنكر للغريـزة الجنسية التي يمكن أن تكون في أصل كثيـر مـن الفنـون والآداب وغيرها. ولكنه اعترف وعمل لتنظيمها ولاحظ فـي هذا قدرا كبيرا من المرونة التي تفسح المجال لإشباعها. ولن



يكون موقفه من الفنون والآداب أشد مما هو مـع الغريـزة الجنسية.

وللقضية جوانب عديدة وأبعاد كثيرة لا يتسـع لهـا هـذا الموجز والقول الفصل أن أي تقييد لهـا يفسـد أكثـر ممـا يصلح.. وأن الموقف إنما يتحدد من الداخل لا من الخـارج، من نفس الممارس ونفس المشاهد، وليس من رقابة السـلطة وتقييدها.

وقد أدى موقف الدعوات الإسلامية من الفنون إلى تجاهل كل ما يتعلق بالسينما والمسرح والغناء، والرقص إلخ فهـذه كلها رجس من عمل الشيطان، وإذا أصدروا صحيفة فإنها لا تعرض لهذه الفنون ولا تعرض صورا من مشاهد الأفلام أو حتى تنشر نقد " فنيا " وليس عبثًا أن لم يظهر في معسـكر " الإسلاميين " فنان يجمع بين الفكر الفني والفكـر الإسـلامي باستثناء علي باكثير من الرعيل الماضي وصافيناز كاظم في الحاضر وهي ناقدة مسرحية متمكنة وكان يمكن لسيد قطـب أن يكون ناقدا أدبيا مع احتفاظه بالاتجاه الإسلامي، كما كان اليوت ناقدا لحضارة العصر وداعيا للمسيحية، ولكن الحاكمية الإلهية أخذته بعيدا عن عالم النقـد الأدبـي وكـان موقـف

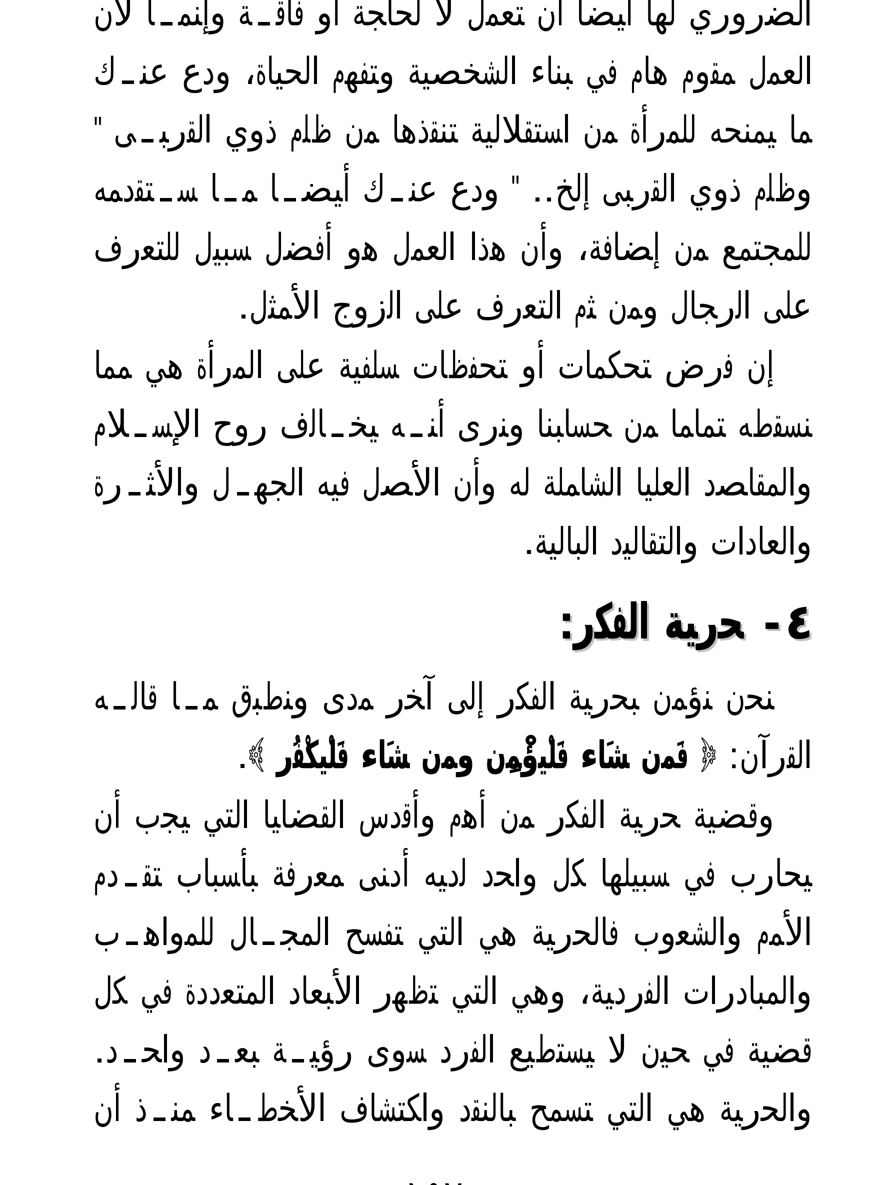
الفنانات المعتزلات أكبر دليـل علـى سـوء فهـم الـدعاة الإسلاميين للفن، وأن ما يجد بهؤلاء الفنانات هـو التوبـة، والإقبال على العبادة تكفيرا عما قدمن وهذا هو مـا فعلتـه، وكان لهن مندوحة في العمل واستثمار أسـمائهن مـواهبهن لرعاية فئات عديدة محتاجة أو العمل لمقاومة الجهل، والظلم والاستغلال التي تكبل المجتمعات الإسـلامية وتحـول دون تقدمها.

٣- المرأة:

نص القرآن الكريم بصريح العبارة على المساواة العامـة ما بين الرجال والنساء وقـال: ﴿ **والْمؤْمنُـون والْمؤْمنَـاتُ بعضهم أَولِياء بعضٍ يأْمرون بِالْمعروفِ وينْهون عن الْمنْكَر ويقِيمون الصلاَةَ ويؤْتُون الزكَـاةَ ويطِيعـون ا َ ورسـولَه أُولَئِك سيرحمهم ا ُ إِن ا َ عزِيز حكِـيم** ﴾ (٧١ التوبـة).. ﴿ **فَاستَجاب لَهم ربهم أَني لاَ أُضِيع عملَ عامِلٍ منْكُم من ذَكَرٍ أَو أُنْثَى بعضكُم من بعضٍ** ﴾ ﴿ **ولاَ تَتَمنوا ما فَضلَ ا ُ بِـهِ بعضكُم علَى بعضٍ للرجالِ نَصِيب مما اكْتَسـبوا ولِلنسـاءِ نَصِيب مما اكْتَسبن** ﴾.

وقد تضمن القرآن بعض الأحكام في الميراث أو الشهادة للمرأة طبقًا لأوضاع معينة كانت سائدة وقتئذ ومع أن بعض هذه الأوضاع قد تغير، فتظل الأحكام التي أوردهـا القـرآن سليمة وقابلة للتطبيق. على أنه ليس هناك ما يمنع من إعادة النظر عند الضرورة ولم يكن هناك ما هـو أكثـر قداسـة وتحديدا من مصارف الزكاة التي قال عنها الرسـول إن ا حددها بنفسه ومع هذا فإن عمر بن الخطاب أوقف أحد هـذه المصارف عندما انتفت العلة التي من أجلها نص عليه..

ونحن نرى أن المجتمع الذي يفصل مـا بـين الرجـال، والنساء مجتمع غير طبيعي يخالف الفطـرة ومـا أراده ا تعالى للمجتمع، كما نرى أن قضية الزي قد أخذت أكثر مما تستحق، فما يريده الإسلام، هو ككل الأديـان. درجـة مـن الاحتشام، وإتباع هذه الدرجة أو مجاوزتها يدخل في عـداد التصرفات التي يسلكها الإنسان نتيجة لعدد كبير من العوامل الخاصة به. ومن ثم فلابد أن يوجد من يلتزم ومن يجـاوز، وكل واحد من هذين أدرى بنفسه، وليس لأحد عنده من حق يصول به أو يفرض عليه، فهو جزء من شخصية صـاحبه، وهناك قضايا تتعلق بالمرأة أشد أهمية، فمن الضروري مثلاً للمرأة أن تتعلم بقدر ما تسمح بها ملكاتها الخاصـة، ومـن



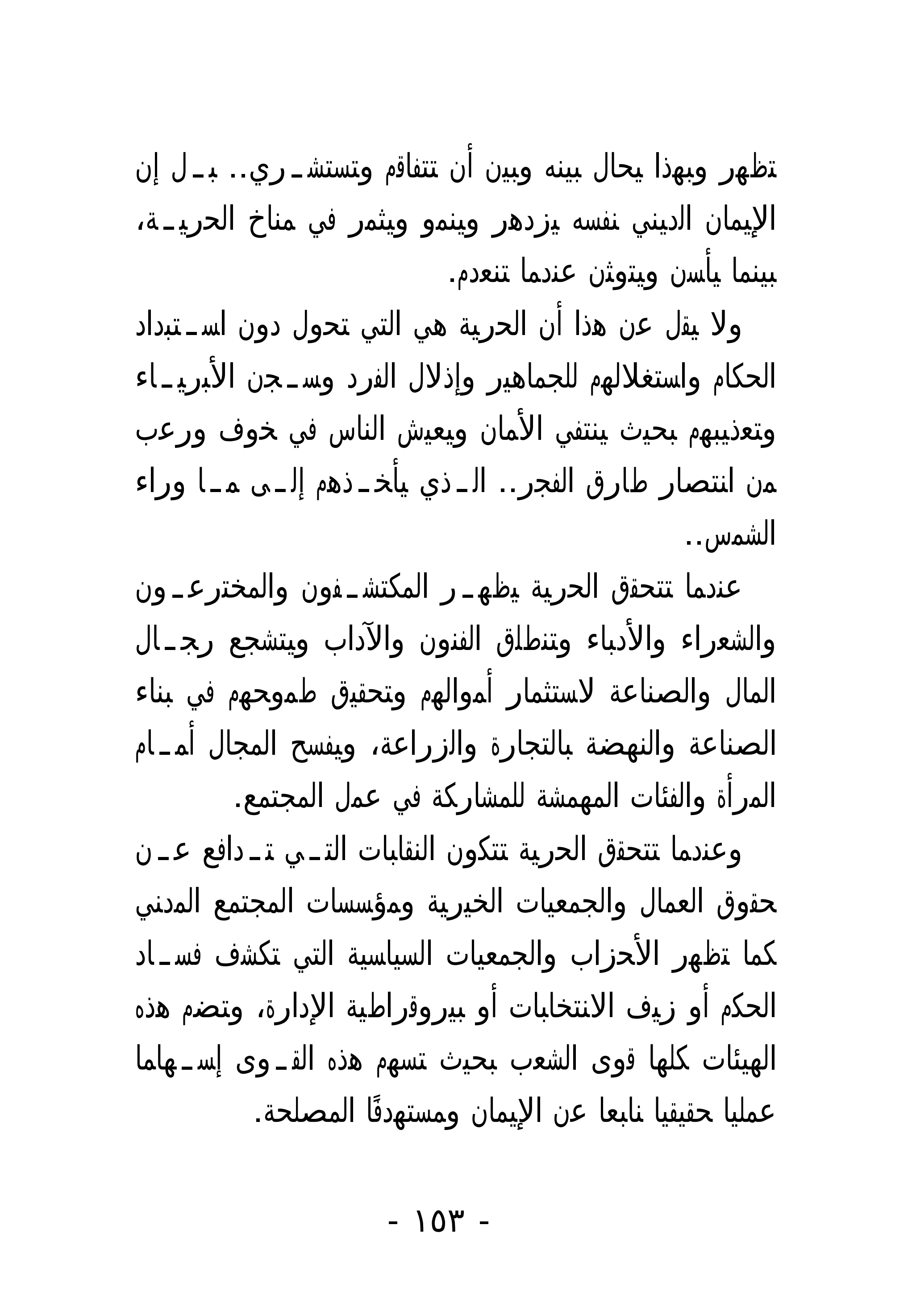
الضروري لها أيضا أن تعمل لا لحاجة أو فاقـة وإنمـا لأن العمل مقوم هام في بناء الشخصية وتفهم الحياة، ودع عنـك ما يمنحه للمرأة من استقلالية تنقذها من ظلم ذوي القربـى " وظلم ذوي القربى إلخ.. " ودع عنـك أيضـا مـا سـتقدمه للمجتمع من إضافة، وأن هذا العمل هو أفضل سبيل للتعرف على الرجال ومن ثم التعرف على الزوج الأمثل.

إن فرض تحكمات أو تحفظات سلفية على المرأة هي مما نسقطه تماما من حسابنا ونرى أنـه يخـالف روح الإسـلام والمقاصد العليا الشاملة له وأن الأصل فيه الجهـل والأثـرة والعادات والتقاليد البالية.

٤- حرية الفكر:

نحن نؤمن بحرية الفكر إلى آخر مدى ونطبق مـا قالـه القرآن: ﴿ **فَمن شَاء فَلْيؤْمِن ومن شَاء فَلْيكْفُر** ﴾.

وقضية حرية الفكر من أهم وأقدس القضايا التي يجب أن يحارب في سبيلها كل واحد لديه أدنى معرفة بأسباب تقـدم الأمم والشعوب فالحرية هي التي تفسح المجـال للمواهـب والمبادرات الفردية، وهي التي تظهر الأبعاد المتعددة في كل قضية في حين لا يستطيع الفرد سوى رؤيـة بعـد واحـد. والحرية هي التي تسمح بالنقد واكتشاف الأخطـاء منـذ أن

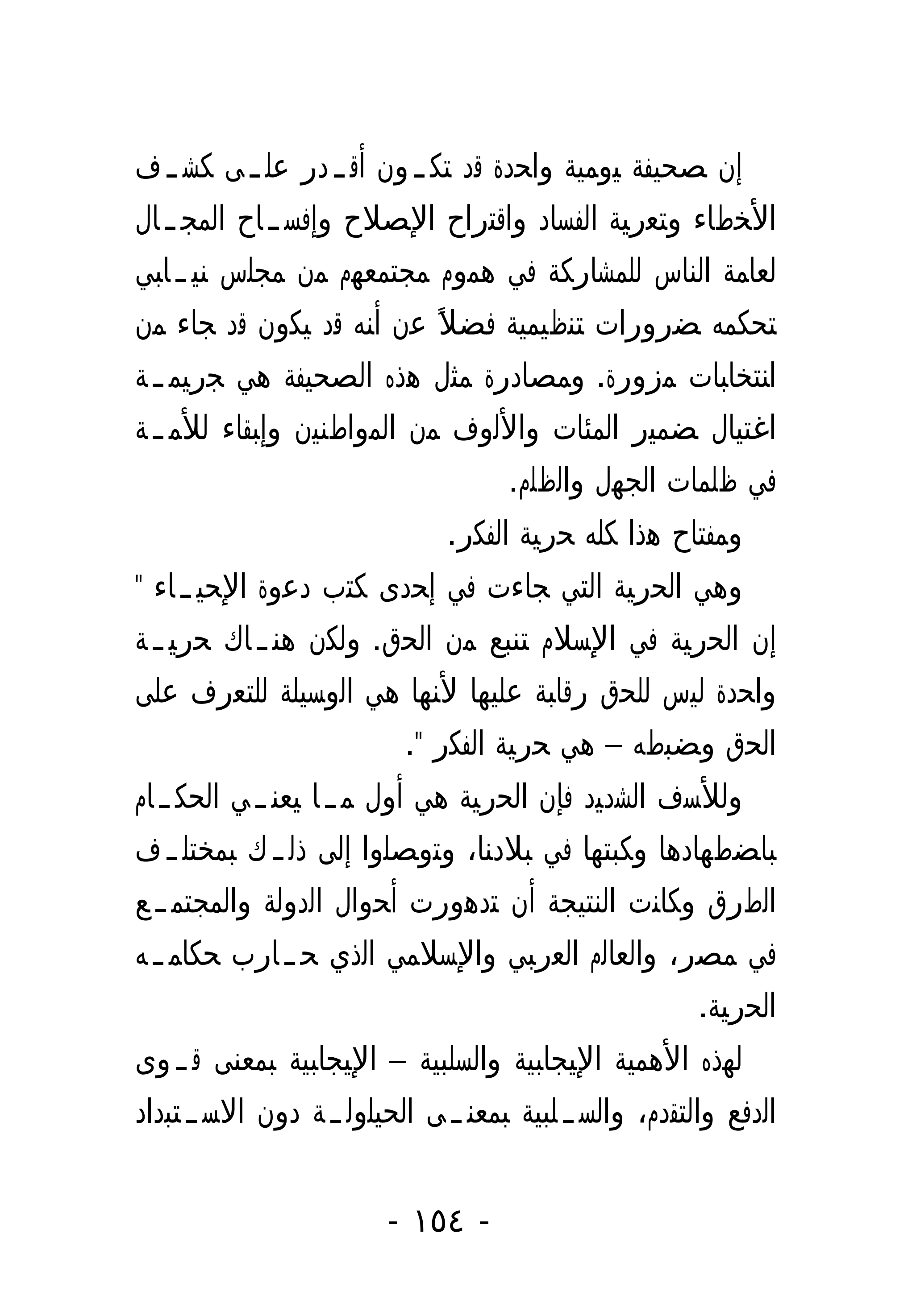


تظهر وبهذا يحال بينه وبين أن تتفاقم وتستشـري.. بـل إن الإيمان الديني نفسه يزدهر وينمو ويثمر في مناخ الحريـة، بينما يأسن ويتوثن عندما تنعدم.

ولا يقل عن هذا أن الحرية هي التي تحول دون اسـتبداد الحكام واستغلالهم للجماهير وإذلال الفرد وسـجن الأبريـاء وتعذيبهم بحيث ينتفي الأمان ويعيش الناس في خوف ورعب من انتصار طارق الفجر.. الـذي يأخـذهم إلـى مـا وراء الشمس..

عندما تتحقق الحرية يظهـر المكتشـفون والمخترعـون والشعراء والأدباء وتنطلق الفنون والآداب ويتشجع رجـال المال والصناعة لاستثمار أموالهم وتحقيق طموحهم في بناء الصناعة والنهضة بالتجارة والزراعة، ويفسح المجال أمـام المرأة والفئات المهمشة للمشاركة في عمل المجتمع.

وعندما تتحقق الحرية تتكون النقابات التـي تـدافع عـن حقوق العمال والجمعيات الخيرية ومؤسسات المجتمع المدني كما تظهر الأحزاب والجمعيات السياسية التي تكشف فسـاد الحكم أو زيف الانتخابات أو بيروقراطية الإدارة، وتضم هذه الهيئات كلها قوى الشعب بحيث تسهم هذه القـوى إسـهاما عمليا حقيقيا نابعا عن الإيمان ومستهدفًا المصلحة.



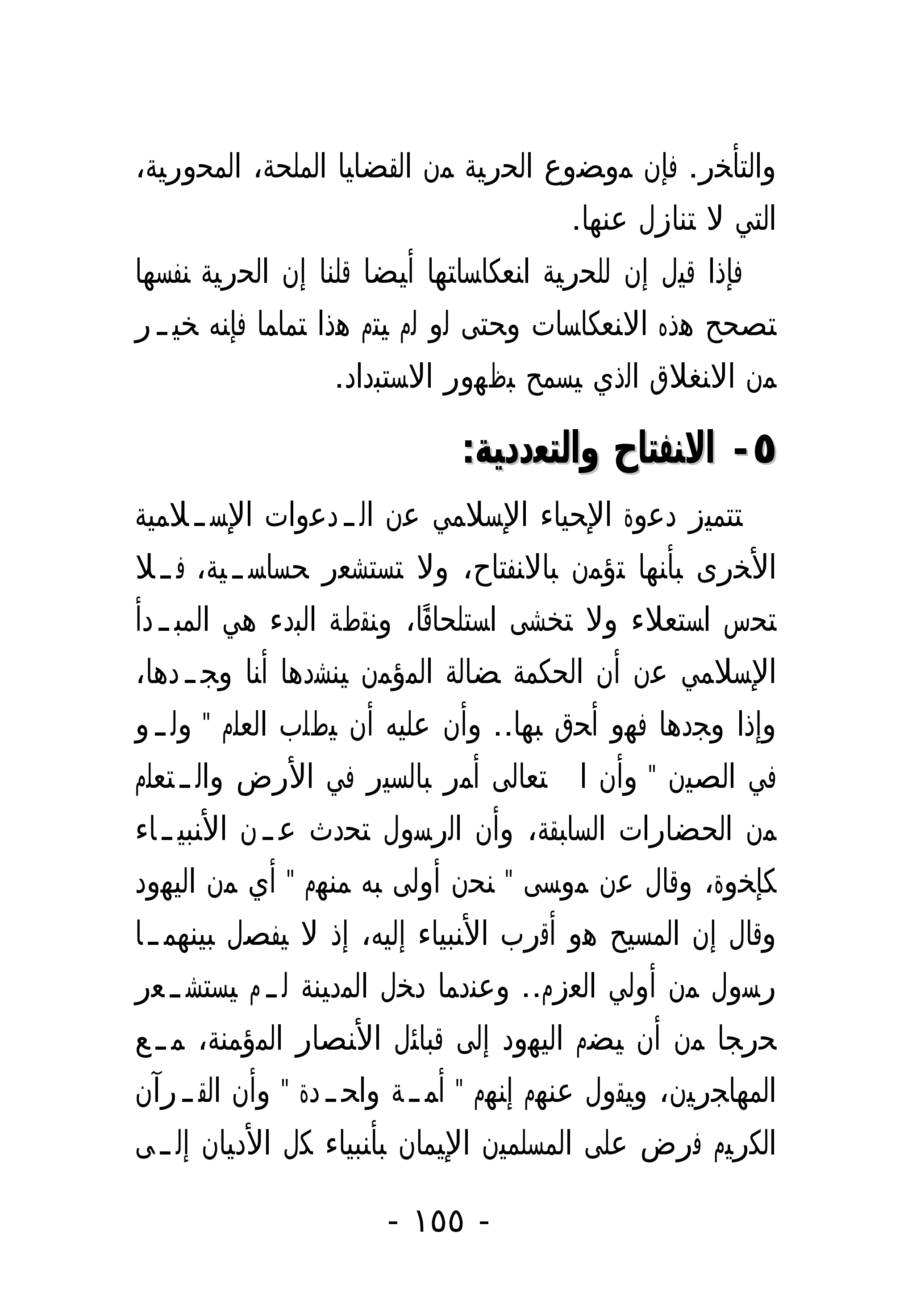
إن صحيفة يومية واحدة قد تكـون أقـدر علـى كشـف الأخطاء وتعرية الفساد واقتراح الإصلاح وإفسـاح المجـال لعامة الناس للمشاركة في هموم مجتمعهم من مجلس نيـابي تحكمه ضرورات تنظيمية فضلاً عن أنه قد يكون قد جاء من انتخابات مزورة. ومصادرة مثل هذه الصحيفة هي جريمـة اغتيال ضمير المئات والألوف من المواطنين وإبقاء للأمـة في ظلمات الجهل والظلم.

ومفتاح هذا كله حرية الفكر.

وهي الحرية التي جاءت في إحدى كتب دعوة الإحيـاء " إن الحرية في الإسلام تنبع من الحق. ولكن هنـاك حريـة واحدة ليس للحق رقابة عليها لأنها هي الوسيلة للتعرف على الحق وضبطه – هي حرية الفكر ".

وللأسف الشديد فإن الحرية هي أول مـا يعنـي الحكـام باضطهادها وكبتها في بلادنا، وتوصلوا إلى ذلـك بمختلـف الطرق وكانت النتيجة أن تدهورت أحوال الدولة والمجتمـع في مصر، والعالم العربي والإسلامي الذي حـارب حكامـه الحرية.

لهذه الأهمية الإيجابية والسلبية – الإيجابية بمعنى قـوى الدفع والتقدم، والسـلبية بمعنـى الحيلولـة دون الاسـتبداد


والتأخر. فإن موضوع الحرية من القضايا الملحة، المحورية، التي لا تنازل عنها.

فإذا قيل إن للحرية انعكاساتها أيضا قلنا إن الحرية نفسها تصحح هذه الانعكاسات وحتى لو لم يتم هذا تماما فإنه خيـر من الانغلاق الذي يسمح بظهور الاستبداد.

٥- الانفتاح والتعددية:

تتميز دعوة الإحياء الإسلامي عن الـدعوات الإسـلامية الأخرى بأنها تؤمن بالانفتاح، ولا تستشعر حساسـية، فـلا تحس استعلاء ولا تخشى استلحاقًا، ونقطة البدء هي المبـدأ الإسلامي عن أن الحكمة ضالة المؤمن ينشدها أنا وجـدها، وإذا وجدها فهو أحق بها.. وأن عليه أن يطلب العلم " ولـو في الصين " وأن ا تعالى أمر بالسير في الأرض والـتعلم من الحضارات السابقة، وأن الرسول تحدث عـن الأنبيـاء كإخوة، وقال عن موسى " نحن أولى به منهم " أي من اليهود وقال إن المسيح هو أقرب الأنبياء إليه، إذ لا يفصل بينهمـا رسول من أولي العزم.. وعندما دخل المدينة لـم يستشـعر حرجا من أن يضم اليهود إلى قبائل الأنصار المؤمنة، مـع المهاجرين، ويقول عنهم إنهم " أمـة واحـدة " وأن القـرآن الكريم فرض على المسلمين الإيمان بأنبياء كل الأديان إلـى

درجة " لا نفرق بين أحد منهم " وكان هو أول مـن نـادى بالعالمية وفتح أبوابها على مصراعيها عندما قال: ﴿ **يا أيهـا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شـعوبا وقبائـل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ وأمر القـرآن الكـريم بالعدل والبر حتى مع شنآن العداوة ﴿ **ولا يجـرمنكم شنـآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ ﴿ **لا ينهـاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولـم يخرجـوكم مـن دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾.

لا يتصور مع هذا " انغلاق " أو تجاهل الآخرين، دع عنك معاداتهم لمجرد أنهم " آخرون ".

أما ما يخشونه من تغلغل للمؤثرات الخارجيـة، والغـزو الفكري فهو ما لا يمكن أن يقال على علاته، فمن الطبيعـي أن يميز المسلم بين الصالح والطالح الغث والسمين لأنه ليس قضاء يشغله أي شاغل.. أو ورقة بيضاء يسودها أي واحد. فالقيم الإسلامية التي تدفع المسلم للانفتاح على الخيـر هـي نفسها التي تدفعه للانصراف عن الشر.. كما أن هذا الموقف هو جزء من الموقف العام الذي قد تعبر عنه بعض الكتابات الإسلامية بالابتلاء وصوره القرآن بحمل الأمانة.. بل وجعله واقعا لا مناص عنه عندما أباح للشيطان فتنة الإنسان وأنظره

إلى يوم يبعثون. فالانفتاح جزء من الموقف العـام للإسـلام تجاه الآخرين وهو لا يقتضي ضرورة أن يفـتن المسـلم أو يتزعزع إيمانه.

إن الحوار بين الحضارات وتلاقيها وما يثمره هذا التلاقي من تلاقح وإخصاب واقع تاريخي اسـتفاد منـه الحضـارة الإسلامية والحضارة الأوروبية، أما تصادم الحضارات فهو تصور السياسيين والرأسماليين الذين لا يـرون الأمـور إلا قتالاً أو استحوازا.

من هنا فإن دعوة الإحيـاء الإسـلامي تتسـم بالانفتـاح والتعددية وتبعد عن الانغلاق والتقوقع والانفراد الذي تتصف بهما معظم الدعوات الإسلامية المعاصرة.

٦- التصرف:

ظهر التصوف كرد فعل لبعض الانحرافات التي حـدثت في المجتمع الإسلامي مع تحول الخلافة إلى ملك عضوض، وفي مرحلة لاحقة عندما أصيب الفقه الإسـلامي بالجفـاف والشكلانية نتيجة خضوعه للمنطق الأرسـطي ولاسـتلحاق الحكام للفقهاء.

وقد حاول بعض الصوفيين أن يعودوا به إلى أيام النبـوة أو خلافة علي بن أبي طالب ولكنها دعوى ركيكة لأن إيمان

هذه الفترة كان إيمانًا سـليما متزنًـا لا يحتـاج معـه إلـى التصوف.

وإنما أصبحت هناك حاجة ماسة إلى التصوف في العهد الأموي الذي شاهد استبداد حكام سموا أنفسهم خلفاء، وكانوا في الحقيقة ملوكًا ﴿ **إِذَا دخَلُوا قَريةً أَفْسدوها وجعلُوا أَعِزةَ أَهلِها أَذِلةً..** ﴾ ومع وقوع تلك المآسي كقتل الحسين وآله، وضرب الكعبة بالمنجنيق وواقعة الحرة.

واقترن هذا الاستبداد بتفشي الثراء في فئات معينـة دون بقية الناس ويمكن اعتبار صيحة أبي ذر إرهاصا، وقد حدثت لأن عثمان تخلى عن الأصول التي وضعها عمر لما تكـون عليه السياسة المالية الصارمة للدولة.

وجعلت هذه العوامل الثلاث: أعني استبداد الحكام استبدادا كبت الحريات وحال دون ظهور تنظيمات يتـنفس عبرهـا المجتمع ويعبر عن نفسه، وتفشى الثراء في قلة من النـاس بينما جمهور الشعب فقير، جائع، يكدح في الأرض أو يعمل في خدمة السادة ولا أحد يعني به، وأخيرا تحول الفقهاء إلى نمط من رجال القانون الذين يستهدفون حماية الأمن والنظام وتعاونهم مع الحكام والطابع الجـاف البعيـد عـن التقـوى

والورع الذي أخذه الفقه وغلبة الطابع الشكلي عليه وابتعـاده عن واقع الحياة..

نقول إن هذه العوامل الثلاث أعطت التصوف خاصـيته وهي الزهد والبعد عن غمرات الدنيا وجعلت ظهوره أمرا لا مناص عنه، ودفعت بالجماهير المحرومة والمستبعدة إليـه، وفي الوقت نفسه أبرزت عددا من العقول لتضع للتصوف ما يشبه النظرية الفكرية.. من ناحية والإجراءات التنظيمية التي تمسك كيانه وتشد أركانه من ناحية أخرى.

كانت الطرق الصوفية هي الملاذ الوحيد للجماهير التـي تخلت عنها نظم الدولة، واعتصـرتها وسـائل الضـرائب، وكانت ملاذًا وللأتقياء من الناس الذين ضاقوا ذرعا بالفقهاء والحكام ويأسوا من إصلاح النظام، وكذلك الشباب المكبـوت الذي لا تجد طاقة الحياة فيه منفذًا.. كل هـؤلاء إلـى مـن يذهبون؟ وبمن يلوذون؟ لقد كان التصوف هو الملاذ الوحيـد لهم الذي استوعبهم وتعامل معهم بطرقه الخاصة.

ووضع التصوف العلاقة بين " المريد والشيخ " باعتبارها نواة التنظيم في إطار حديدي صارم يجعل المريد " كالجثـة بين يدي المغسل " وهو تشبيه يغني عن أي إضافة، ويجعـل العلاقة ما بين المريد والشيخ أوثـق مـن علاقـة الجنـدي

بالضابط فالجندي وإن كان عليه أن يطيع الأوامر دون مناقشة، فإن له الحق في " التظلم " وهو حق لا يتصور في العلاقة ما بين المريد والشيخ فقد كان على المريد أن يستسلم قلبا وقالبا للشيخ، وإلا خاب وخسر..

ولتلطيف هذه العلاقة ولإمكان قبولها نسجت الأحاديث والأقاويل والروايات عن الكرامات وعن عالم الأقطاب والأوتاد.. وألصقت " الخرقة " بعلي بن أبي طالب بحيث يجد المريد نفسه وهو يعيش في عالم أسطوري يكتسب قوته ووجوده من العقيدة.

كما نظمت " الحضرة " وحلقات الذكر وتطرق إليها عنصر فني وسمح بهامش من الموسيقى والرقص. كما سمحت الموالد بدرجة من الاختلاط بين الرجال والنساء وشهود صور من الألعاب والفنون والسير في مواكب تغطيها الأعلام العديدة وتلهبها الأناشيد حماسة وعاطفة.

بهذا أصبح التصوف ظاهرة بارزة في حياة المجتمع، وأصبح له تنظير يقوم على عقيدة وتنظيم يقوم على ما توصل إليه شيوخه من ترتيبات تجمع ما بين الإدارة والتربية والتنظيم.. وكان بهذا مهيئًا للقيام بدور كبير، فهو التنظيم

الأول – وربما الوحيد – الذي تمكن من حشد جمهور الشعب وتنظيمه وتسييره.

وبالفعل، فإنه حتى مع ما اصطحب به من خزعبلات كان مدرسة تنظيمية تربوية شعبية ونافذة تخترق أسوار الاستبداد والفاقة والجهالة التي كانت تكبت كل تنظيم آخـر ومكنـت الجماهير وعامة الناس من أن تأخذ بحظ ساذج في صور من النشاط العام.

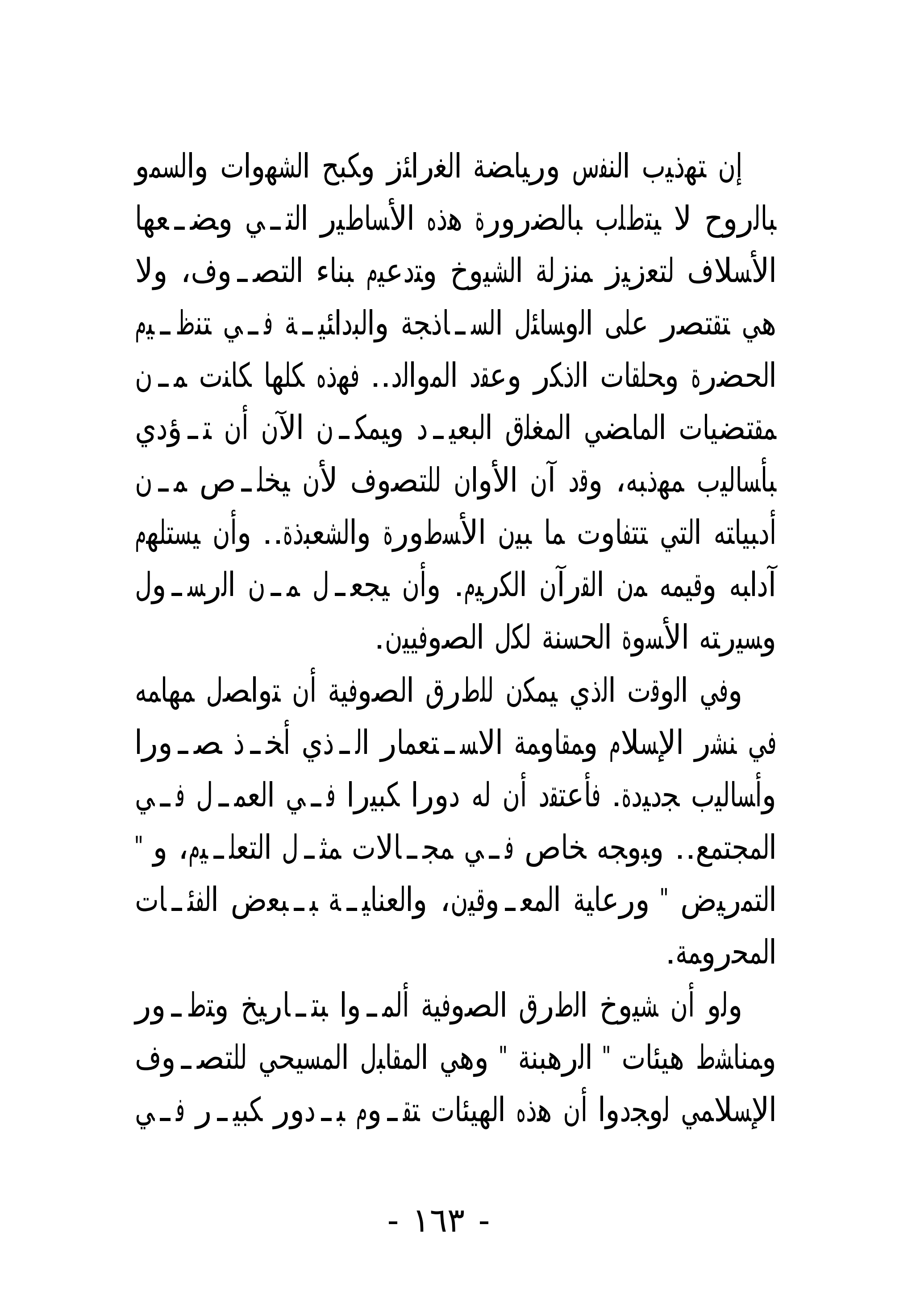
وإذا ذكرت مساوئ التصوف، فجب أن نذكر في حسناته العظيمة أمرين:

الأول: أن الطرق الصوفية كانت إحدى الوسائل الفعالـة في نشر الإسلام في النـواحي القاصـية. كانـت الزاويـة السنوسية البيضاء معلما للعلم والنقاء وسط الظلمات الأفريقية المتكاثفة، وكانت الطريقة القادرية والنقشبندية قنوات لنشـر الإسلام في آسيا من الصين حتى القوقـاز بمـا فـي ذلـك اندونيسيا والملايو. وظلت هذه الجماهير التي كسبتها الطرق الصوفية مخلصة للإسلام في الوقت الذي طويت فيه صحف أقطار أخرى دخلها الإسلام بالسيف. فمن دخـل بالسـيف.. بالسيف أخرج.

الأمر الثاني: أن الطرق الصوفية. بحكم ما أشرنا إليه من أنها كانت التنظيم الوحيد الذي حشد الجماهير ونظمها. كانت هي التي تحملت عبء مقاومة الاستعمار الأوروبي طـوال القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين وكانت هي التي شنت حرب التحرير عندما حانت الفرص. ظهر هـذا فـي السودان حيث بدأ المهدي حربه ضد الإنجليز وفي ليبيا حيث قادت السنوسية الحرب ضد إيطاليا التي لم تتمكن من التوغل وراء مرمى مدافع أساطيلها إلا بعد قتل عمر المختار، وظهر في الجزائر عندما شن عبد القادر وهو صوفي عريق الحرب على فرنسا وعندما حافظ الشيخ ابن باديس علـى العربيـة والإسلام ضد الإذابة، وظهر في الريف (المغـرب) عنـدما تولى الأمير عبد الكريم الخطابي الحرب على أسبانيا، وقامت الطريقة النقشبندية والقادرية بتنظيم المقاومة ضد الروس في منطقة القوقاز ولمعت خلال ذلك أسماء الشيخ شامل وحاجي مراد.. وغيرهما.

هذه صفحات مشرفة يجب أن لا تنسى للطرق الصوفية..

ولكن الطرق الصوفية تستطيع – في العصر الحديث. أن تقدم إضافتها..



إن تهذيب النفس ورياضة الغرائز وكبح الشهوات والسمو بالروح لا يتطلب بالضرورة هذه الأساطير التـي وضـعها الأسلاف لتعزيز منزلة الشيوخ وتدعيم بناء التصـوف، ولا هي تقتصر على الوسائل السـاذجة والبدائيـة فـي تنظـيم الحضرة وحلقات الذكر وعقد الموالد.. فهذه كلها كانت مـن مقتضيات الماضي المغلق البعيـد ويمكـن الآن أن تـؤدي بأساليب مهذبه، وقد آن الأوان للتصوف لأن يخلـص مـن أدبياته التي تتفاوت ما بين الأسطورة والشعبذة.. وأن يستلهم آدابه وقيمه من القرآن الكريم. وأن يجعـل مـن الرسـول وسيرته الأسوة الحسنة لكل الصوفيين.

وفي الوقت الذي يمكن للطرق الصوفية أن تواصل مهامه في نشر الإسلام ومقاومة الاسـتعمار الـذي أخـذ صـورا وأساليب جديدة. فأعتقد أن له دورا كبيرا فـي العمـل فـي المجتمع.. وبوجه خاص فـي مجـالات مثـل التعلـيم، و " التمريض " ورعاية المعـوقين، والعنايـة بـبعض الفئـات المحرومة.

ولو أن شيوخ الطرق الصوفية ألمـوا بتـاريخ وتطـور ومناشط هيئات " الرهبنة " وهي المقابل المسيحي للتصـوف الإسلامي لوجدوا أن هذه الهيئات تقـوم بـدور كبيـر فـي

المجتمع جعل شعارها " الدين في خدمة المجتمـع " ونحـن الآن في حاجة إلى صوفيين لا يجعلون هدفهم " الفناء في ا " ولكن " الفناء. في خلق ا " كما كان يقول جمال الأفغاني أو " حب ا " فله أصل مشرق من القرآن في حين أن الفناء في ا له أصل هتدي غـامض – وتجعـل مـن الرحمـة، والمحبة، والخدمة والتطوع وبقية القيم الإسلامية محاور في العمل الاجتماعي تغنـي – مـا لا تغنيـه – الشـهادات أو المرتبات أو المناصب إلخ.. كما قد يكشف عن ذلـك تميـز أداء الممرضة الراهبة المتطوعـة، عـن أداء الممرضـة " المدنية " المحترفة.. وتميز المدارس التي تقيمهـا هيئـات " الجزويت " وسان فرانسيس، والقلب المقدس وميرده دييه عن المدارس الحكومية " أو التي تقيمها شركات تستهدف الـربح – وكذلك الفرق بين زيارة راهبات الزيارة Visitandines المشبعة بالمحبة بزيارة الأخصـائي الاجتمـاعي الرسـمية الجافة.

٧- القومية:

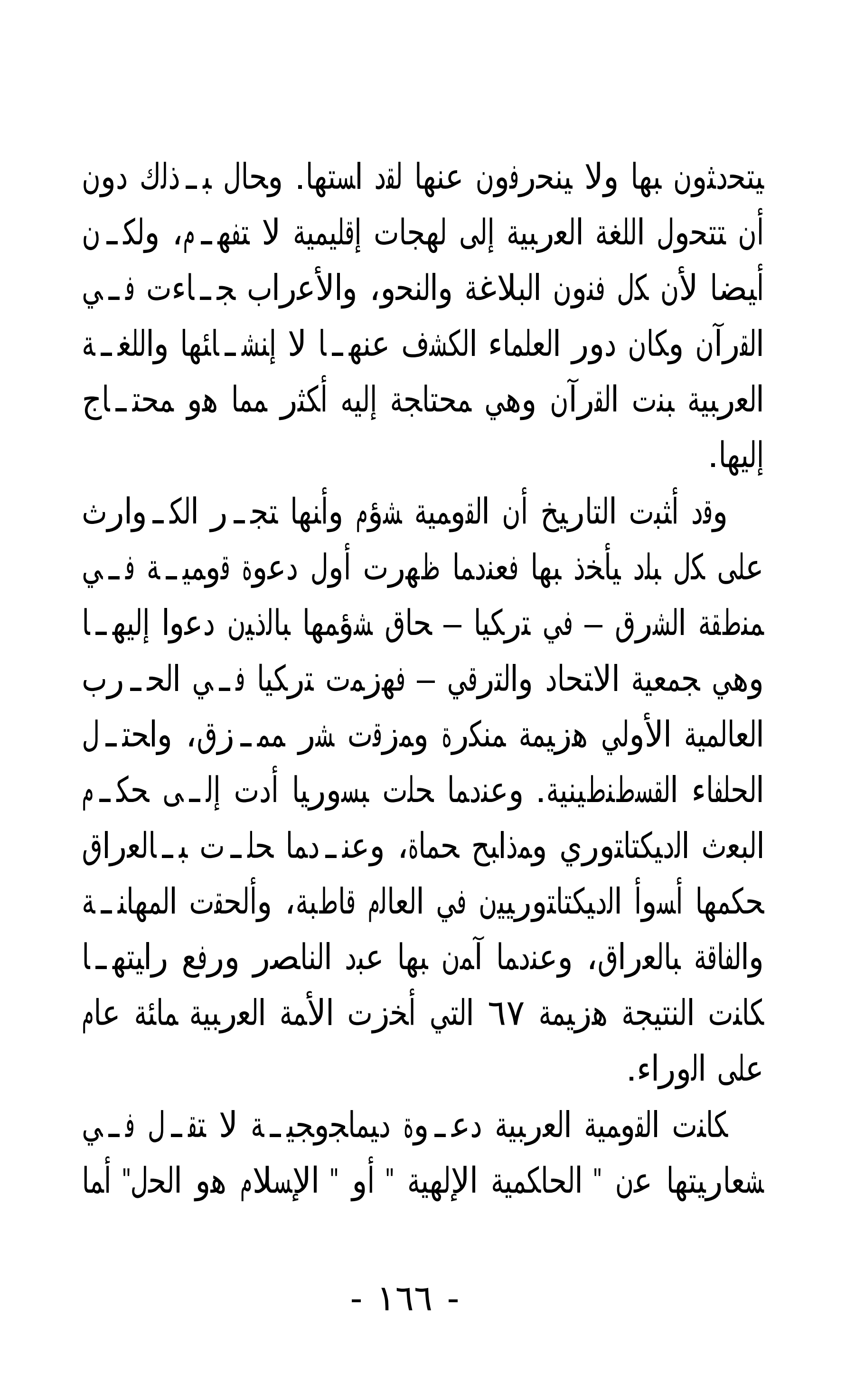
إذا أريد بالقومية حب الوطن، فـإن حـب الـوطن مـن الإيمان، ونحن أول من نتقبلها ونتفهم حب كـل ذي وطـن

لوطنه، واعتزازه به والفخر بما قدمه للبشرية من مساهمة حضارية.

ولكن الذي حدث هو أنه أريد أن تكون القومية العربية بديلاً عن الإسلام، وهذه فكرة ضالة وخاطئة.. وقد كان المبرر الأول لها هو أن المفكرين الذين انتبهوا لقضية النهضة العربية أول القرن كانوا من المارونيين في لبنان[1] ومن نصارى سوريا وعسر عليهم بالطبع أن يكون الإسلام هو محور النهضة. فأخذوا بفكرة القومية ناسين، أو متجاهلين. أن القومية العربية دون الإسلام لن تكون سوى صدفة فارغة من لؤلؤتها وهو أمر لن يعسر على أي مفكر أن يفطن إليه.

وإذا أخرجنا من مقومات القومية الدم، لأنه ليس هناك – ولا في الجزيرة العربية نفسها – دم عربي خالص – فضلاً عن أن الدعوى عنصرية بغيضة فلا يبقى إلا اللغة. واللغة العربية التي نتحدث بها اليوم تدين بولاتها للقرآن. ليس فحسب لأنه أوجد اللغة العربية القياسية وجعل العرب جميعا

[1] كان الرائد فيها هو نجيب عزوري أسس جمعية الوطن العربي سنة ١٩٠٤ وأصدر كتابا بالفرنسية عن يقظة الأمة العربية.



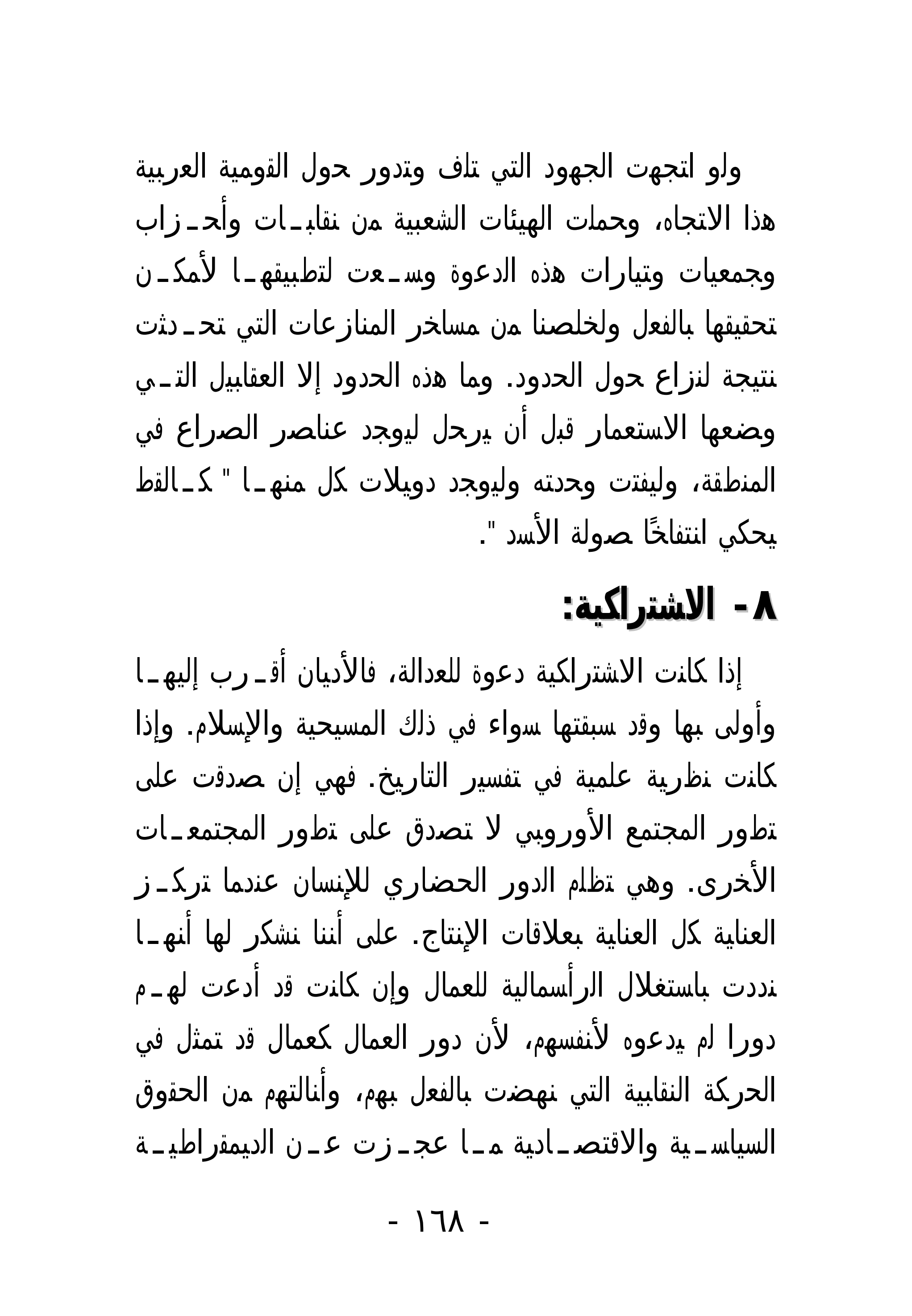
يتحدثون بها ولا ينحرفون عنها لقد استها. وحال بـذلك دون أن تتحول اللغة العربية إلى لهجات إقليمية لا تفهـم، ولكـن أيضا لأن كل فنون البلاغة والنحو، والأعراب جـاءت فـي القرآن وكان دور العلماء الكشف عنهـا لا إنشـائها واللغـة العربية بنت القرآن وهي محتاجة إليه أكثر مما هو محتـاج إليها.

وقد أثبت التاريخ أن القومية شؤم وأنها تجـر الكـوارث على كل بلد يأخذ بها فعندما ظهرت أول دعوة قوميـة فـي منطقة الشرق – في تركيا – حاق شؤمها بالذين دعوا إليهـا وهي جمعية الاتحاد والترقي – فهزمت تركيا فـي الحـرب العالمية الأولي هزيمة منكرة ومزقت شر ممـزق، واحتـل الحلفاء القسطنطينية. وعندما حلت بسوريا أدت إلـى حكـم البعث الديكتاتوري ومذابح حماة، وعنـدما حلـت بـالعراق حكمها أسوأ الديكتاتوريين في العالم قاطبة، وألحقت المهانـة والفاقة بالعراق، وعندما آمن بها عبد الناصر ورفع رايتهـا كانت النتيجة هزيمة ٦٧ التي أخزت الأمة العربية مائة عام على الوراء.

كانت القومية العربية دعـوة ديماجوجيـة لا تقـل فـي شعاريتها عن " الحاكمية الإلهية " أو " الإسلام هو الحل" أما

المداول العملي له. فلم يكن محل معالجة عمليـة باسـتثناء التجربة المجهضة للوحدة بين مصر وسوريا، وقـد كانـت الصورة الوحيدة التي أمكن وضعها هي جامعة الدول العربية التي ضربت المثل في الإخفاق والسلبية، وقنعت فـي كـل مجال " بأقل الإيمان " وأتصور أن الدعوة السياسية المثلـى في الدول العربية يجب أن تستهدف تكوين عدد محدود مـن الدول العربية بدلاً من التكوين الفيسفيائي عن طريق الاندماج الاختياري والشعبي بين عدد منها تبعـا لصـلات الجـوار، ووشائج التاريخ والمصلحة كأن تتكون دولة واحـدة تضـم العراق وسوريا ولبنان وفلسطين ودولة ثانية تضم الجزيـرة العربية (السعودية – واليمن – وإمارات الخلـيج وعمـان) ودولة ثالثة تضم تونس والجزائـر والمغـرب وموريتانيـا، ودولة تضم مصر وليبيا والسودان. فالعلاقات بين هذه الدولة بعضها بعضا تسهل هذا الدمج وبذلك يظهر عدد من الـدول القوية. يمكن أن يضمها بعد ذلك حلف أوكومنولث عربي.

إن السياسة لا بد وأن ترتكز على دعائم أصولية قويـة، ولا بد أن تلحـظ الجغرافيـا والتـاريخ ونقـط الاخـتلاف والائتلاف والمصلحة المحققة التي سـتعود علـى الشـعوب والجماهير.



ولو اتجهت الجهود التي تتلاف وتدور حول القومية العربية هذا الاتجاه، وحملت الهيئات الشعبية من نقابات وأحزاب وجمعيات وتيارات هذه الدعوة وسعت لتطبيقها لأمكن تحقيقها بالفعل ولخلصنا من مساخر المنازعات التي تحدث نتيجة لنزاع حول الحدود. وما هذه الحدود إلا العقابيل التي وضعها الاستعمار قبل أن يرحل ليوجد عناصر الصراع في المنطقة، وليفتت وحدته وليوجد دويلات كل منها " كالقط يحكي انتفاخًا صولة الأسد ".

٨- الاشتراكية:

إذا كانت الاشتراكية دعوة للعدالة، فالأديان أقرب إليها وأولى بها وقد سبقتها سواء في ذلك المسيحية والإسلام. وإذا كانت نظرية علمية في تفسير التاريخ. فهي إن صدقت على تطور المجتمع الأوروبي لا تصدق على تطور المجتمعات الأخرى. وهي تظلم الدور الحضاري للإنسان عندما تركز العناية كل العناية بعلاقات الإنتاج. على أننا نشكر لها أنها نددت باستغلال الرأسمالية للعمال وإن كانت قد أدعت لهم دورا لم يدعوه لأنفسهم، لأن دور العمال كعمال قد تمثل في الحركة النقابية التي نهضت بالفعل بهم، وأنالتهم من الحقوق السياسية والاقتصادية ما عجزت عن الديمقراطية

والاشتراكية معا.. مع أن الاشتراكية ما بين ماركس ولينـين كانت تضيق بالحركة النقابية وتنقض من دورها.

ومع أن كتابات ماركس وإنجلز تضمنت الكثير مما يدين الاشتراكية ويحسب عليها فنحن لا نحملهما تعصب الإتبـاع وإغراض الشراح، وإدعاءات التطبيق، خاصة بعد أن قـال ماركس نفسه " لست ماركسيا" ومن ثـم فـنحن لا نتجـاوز بالنسبة لهما نقد ما قالا وأن نضع الحجة أمام الحجة والدليل تجاه الدليل.

ومن أبرز وجوه النقص في فكر ماركس وإنجلز.

(أ) اعتبار الدين " أفيون الشعوب " ومن ثم ازدراء كـل ما يمت إليه ومهاجمة كـل فكـر دينـي وتجاهـل الأدبيات الثمينة التي جاءت بها.

(ب)أن ماركس تحول من النزعة الإنسانية/ المثالية التي تأثر بها في شبابه والتي كسـبت بهـا الاشـتراكية جمهورها – إلى المادية التاريخية – وقد كشف هـذه النقطة أحد بحوث " التوسير " وعرض وجهة نظـر التوسير كاتب عربي فقال:

" يقدم التوسير مقولة جوهرية عندما يؤكد ضرورة التمييز بين أعمال الشباب وأعمال النضج عند ماركس من حيث إن

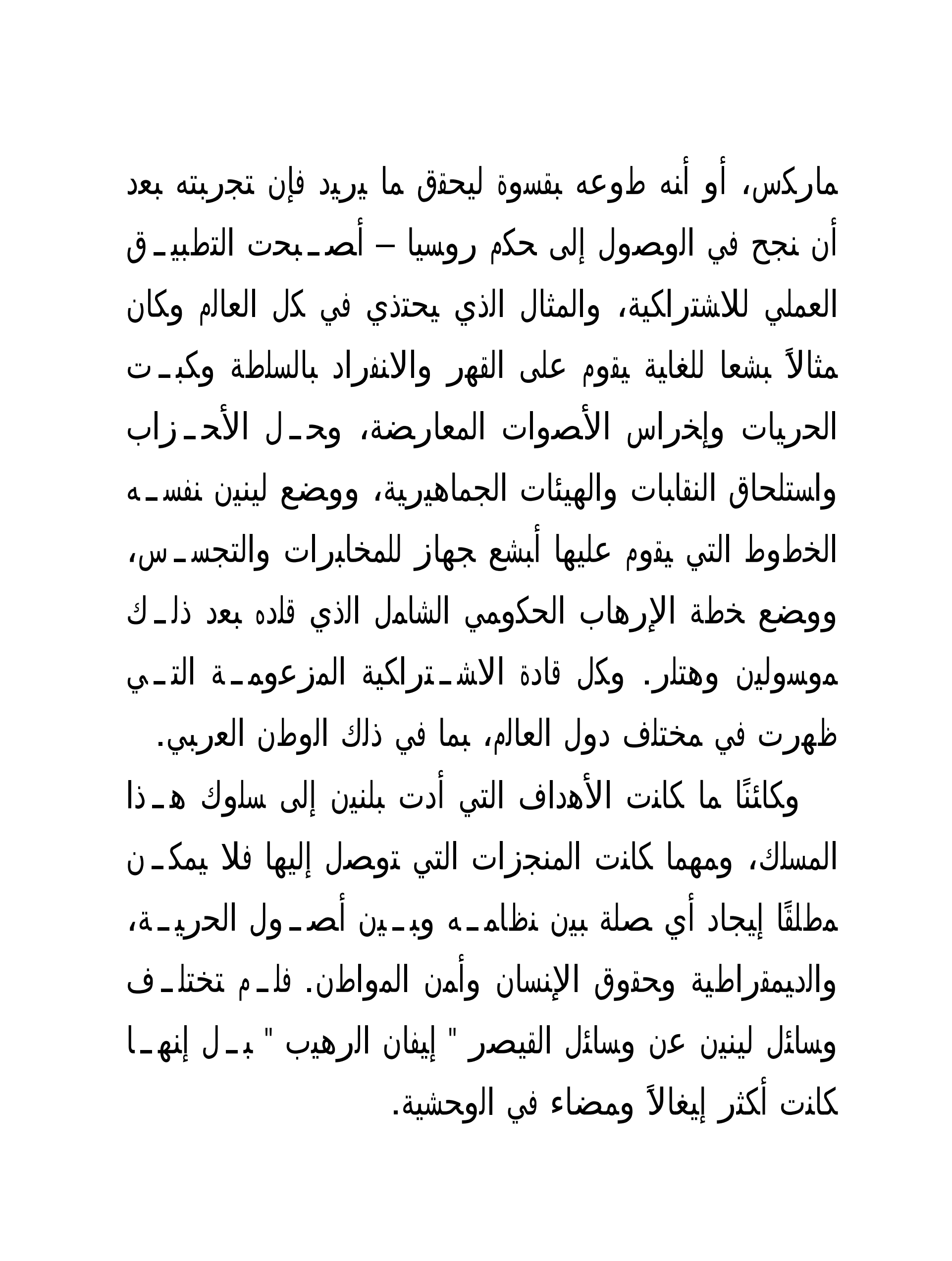
الأولى تظل حبيسة فلسفة مستلهمة من النزعة الإنسانية على حين تحررت أعمال النضج منها تماما.فقد قاطع ماركس الناضج هذه الفلسفة وأنشأ المادية التاريخية باعتبارها علم التاريخ. هذه المقاطعة ذات طبيعة ابستمولوجية حيث أنها تعبر عن الانتقال إلى العلم. وقد وقعت عندما كتب ماركس " الإيدلوجيا الألمانية " في هذا الكتاب يقول ماركس وإنلجز إنهما تحررا من وعيهما الفلسفي القديم. ويجب أن نفهم هذا حرفيا. وعندما كتب ماركس رأس المال فقد كان موقفه النظري هو موقف المعارض للنزعة الإنسانية أو الهيومانية.

ويستطرد الكاتب فيقول " ويعيد التوسير هذا التطور إلـى أن هناك علاقة عضوية بين الفلسفة الإنسانية النزعة وبـين صعود البرجوازيـة. إن النزعـة الإنسـانية هـذه تشـكل بالضرورة إيديولوجيا البرجوازية لأن نمو الرأسمالية يتطلب المنافسة الحرة وحتى تكون هذه ممكنة فلا بد مـن وضـع البشر، شكليا، على قدم المساواة ولا بد مـن النظـر إلـيهم كذوات حرة ومسئولة. هـذا الظـرف التـاريخي النظـري والعملي في آن معا يشجع علـى ظهـور فكـرة المسـاواة القانونية وذلك بإنشاء وتأسيس الذات كحق. أو كقيمة قانونية.

وكل الناس يتمتعون بهـذه الـذات القانونيـة.إذن فالنزعـة الإنسانية هي الإيديولوجيا السائدة للطبقة السائد فـي النظـام الرأسمالي. الإنسان ذات من كل وجهات النظـر. هـو إذا. وبالضرورة، العنصر الأساسي الذي يجـب أن يؤخـذ فـي الاعتبار عند تفسير المجتمع أو التـاريخ. مفهـوم الجـوهر الإنساني إذن هو القاعدة أو السند الضـروري لأي إنشـاء نظري يختص بالظاهرات الإنسـانية والاجتماعيـة وهـذا يفترض إعداد فلسفة إنسانية النزعة ".

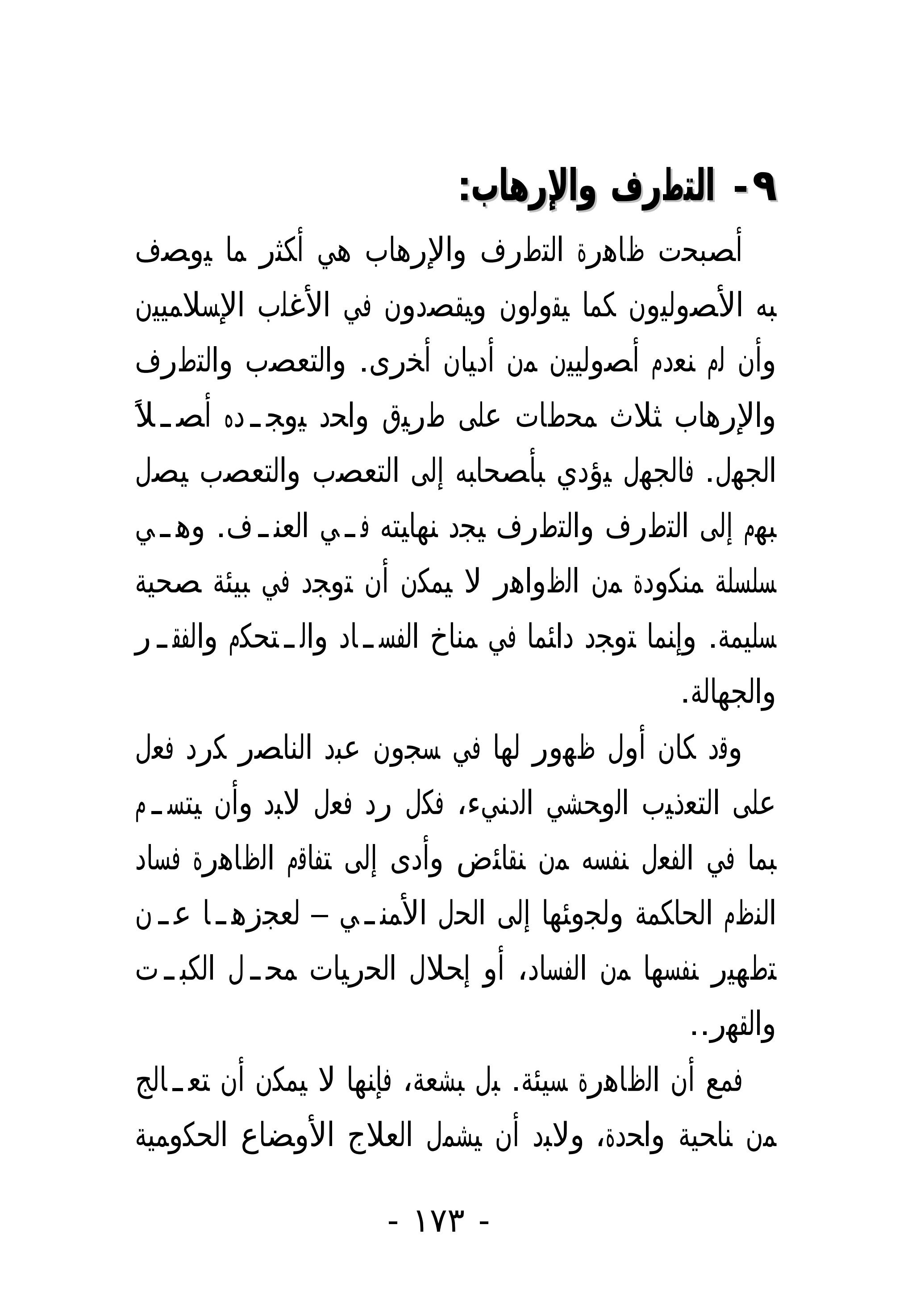
من هذه الناحية يمكن أن يعد مارك كمفكر مسئولاً عـن الطابع اللاإنساني الذي شوه كل التطبيقات الاشتراكية، وجعل قادتها يرتكبون – بمجرد تملكهم السلطة – الموبقات والفظائع وسفك الدماء والتضحية بالملايين من البشر لـيمكن تحقيـق خططهم (كالمزارع الجماعية في الاتحاد السوفيتي) وتصفية القسس ورجال الدين وتحويل الكنائس والمساجد إلى مخازن أو دور سينما، ومعسكرات العمل الرهيبة التي عجلت بوفـاة الملايين..

على كل حال، فالمشكلة الحقيقية تظهر مع لينين وتجربته الفذة في التطبيق الاشتراكي، وسواء كان أمينًا علـى فكـر



ماركس، أو أنه طوعه بقسوة ليحقق ما يريد فإن تجربته بعد أن نجح في الوصول إلى حكم روسيا – أصبحت التطبيق العملي للاشتراكية، والمثال الذي يحتذي في كل العالم وكان مثالاً بشعا للغاية يقوم على القهر والانفراد بالسلطة وكبت الحريات وإخراس الأصوات المعارضة، وحل الأحزاب واستلحاق النقابات والهيئات الجماهيرية، ووضع لينين نفسه الخطوط التي يقوم عليها أبشع جهاز للمخابرات والتجسس، ووضع خطة الإرهاب الحكومي الشامل الذي قاده بعد ذلك موسولين وهتلر. وكل قادة الاشتراكية المزعومة التي ظهرت في مختلف دول العالم، بما في ذلك الوطن العربي.

وكائنًا ما كانت الأهداف التي أدت بلنين إلى سلوك هذا المسلك، ومهما كانت المنجزات التي توصل إليها فلا يمكن مطلقًا إيجاد أي صلة بين نظامه وبين أصول الحرية، والديمقراطية وحقوق الإنسان وأمن المواطن. فلم تختلف وسائل لينين عن وسائل القيصر " إيفان الرهيب " بل إنها كانت أكثر إيغالاً ومضاء في الوحشية.

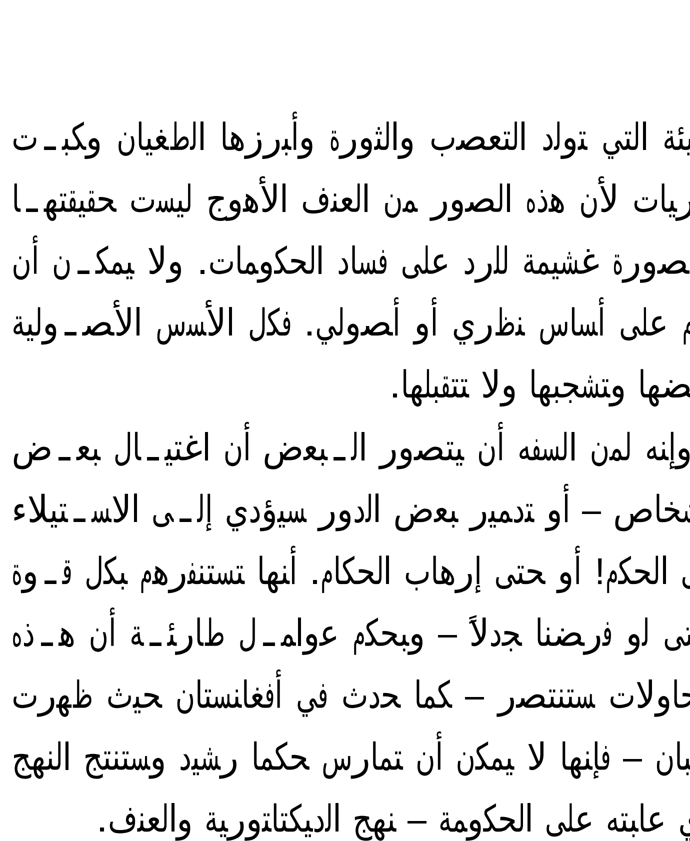


٩- التطرف والإرهاب:

أصبحت ظاهرة التطرف والإرهاب هي أكثر ما يوصف به الأصوليون كما يقولون ويقصدون في الأغلب الإسلاميين وأن لم نعدم أصوليين من أديان أخرى. والتعصب والتطرف والإرهاب ثلاث محطات على طريق واحد يوجـده أصـلاً الجهل. فالجهل يؤدي بأصحابه إلى التعصب والتعصب يصل بهم إلى التطرف والتطرف يجد نهايته فـي العنـف. وهـي سلسلة منكودة من الظواهر لا يمكن أن توجد في بيئة صحية سليمة. وإنما توجد دائما في مناخ الفسـاد والـتحكم والفقـر والجهالة.

وقد كان أول ظهور لها في سجون عبد الناصر كرد فعل على التعذيب الوحشي الدنيء، فكل رد فعل لابد وأن يتسـم بما في الفعل نفسه من نقائض وأدى إلى تفاقم الظاهرة فساد النظم الحاكمة ولجوئها إلى الحل الأمنـي – لعجزهـا عـن تطهير نفسها من الفساد، أو إحلال الحريات محـل الكبـت والقهر..

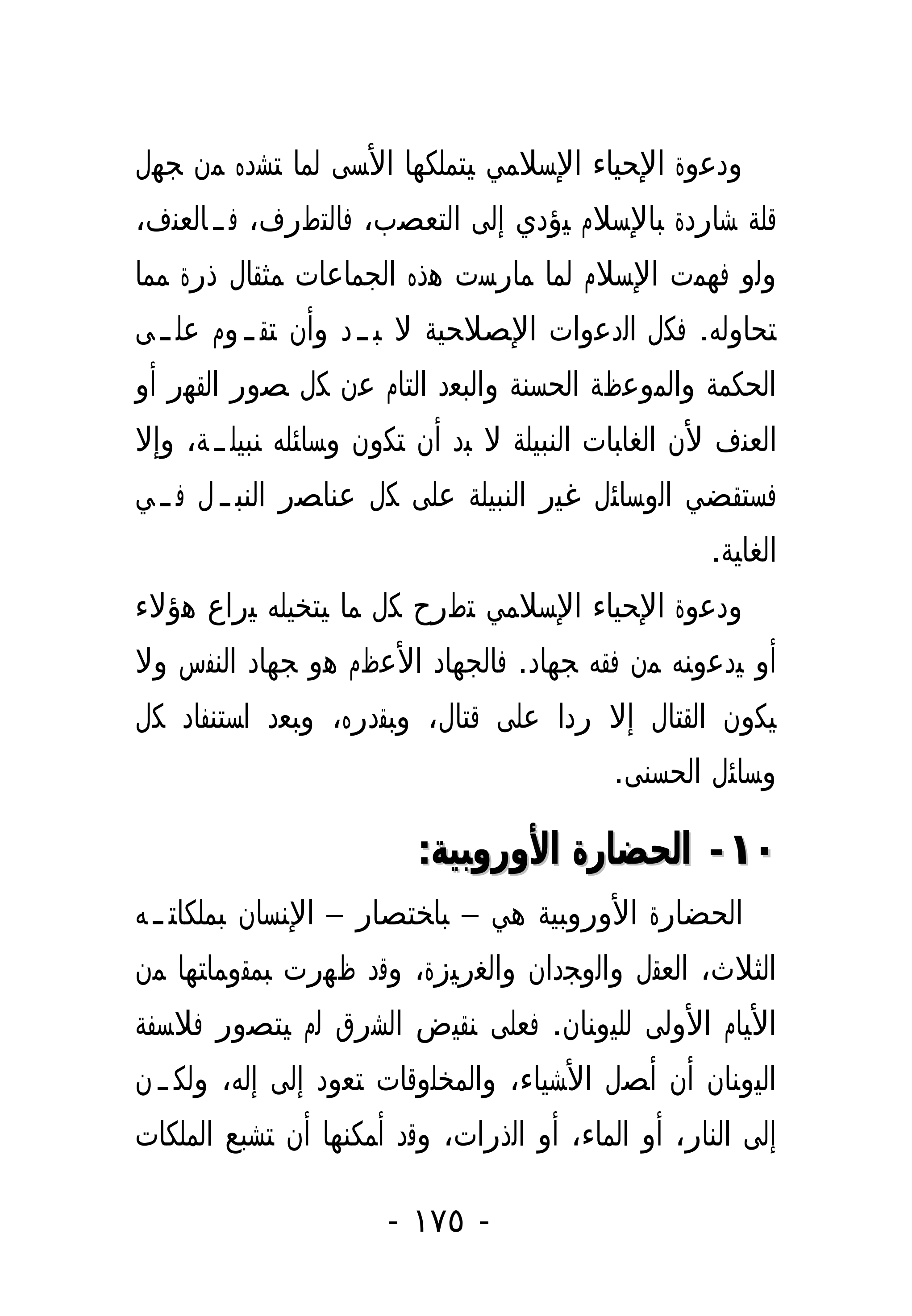
فمع أن الظاهرة سيئة. بل بشعة، فإنها لا يمكن أن تعـالج من ناحية واحدة، ولابد أن يشمل العلاج الأوضاع الحكومية



السيئة التي تولد التعصب والثورة وأبرزها الطغيان وكبت الحريات لأن هذه الصور من العنف الأهوج ليست حقيقتها إلا صورة غشيمة للرد على فساد الحكومات. ولا يمكن أن تقوم على أساس نظري أو أصولي. فكل الأسس الأصولية ترفضها وتشجبها ولا تتقبلها.

وإنه لمن السفه أن يتصور البعض أن اغتيال بعض الأشخاص – أو تدمير بعض الدور سيؤدي إلى الاستيلاء على الحكم! أو حتى إرهاب الحكام. أنها تستنفرهم بكل قوة وحتى لو فرضنا جدلاً – وبحكم عوامل طارئة أن هذه المحاولات ستنتصر – كما حدث في أفغانستان حيث ظهرت طالبان – فإنها لا يمكن أن تمارس حكما رشيد وستنتج النهج الذي عابته على الحكومة – نهج الديكتاتورية والعنف.

وقد أظهرت تجربة التاريخ أن كل محاولات العنف بالفشل – وقد كانت أكبرها هي حركة " النهليست " ثم روسيا ما بين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين فقد كبتت الحركة وأعدم أو سجن قادتها، وطويت صفحتها حتى وإن كان من المحتمل أنها هيأت المسرح لظهور الثورة البلشفية..



ودعوة الإحياء الإسلامي يتملكها الأسى لما تشده من جهل قلة شاردة بالإسلام يؤدي إلى التعصب، فالتطرف، فـالعنف، ولو فهمت الإسلام لما مارست هذه الجماعات مثقال ذرة مما تحاوله. فكل الدعوات الإصلاحية لا بـد وأن تقـوم علـى الحكمة والموعظة الحسنة والبعد التام عن كل صور القهر أو العنف لأن الغايات النبيلة لا بد أن تكون وسائله نبيلـة، وإلا فستقضي الوسائل غير النبيلة على كل عناصر النبـل فـي الغاية.

ودعوة الإحياء الإسلامي تطرح كل ما يتخيله يراع هؤلاء أو يدعونه من فقه جهاد. فالجهاد الأعظم هو جهاد النفس ولا يكون القتال إلا ردا على قتال، وبقدره، وبعد استنفاد كل وسائل الحسنى.

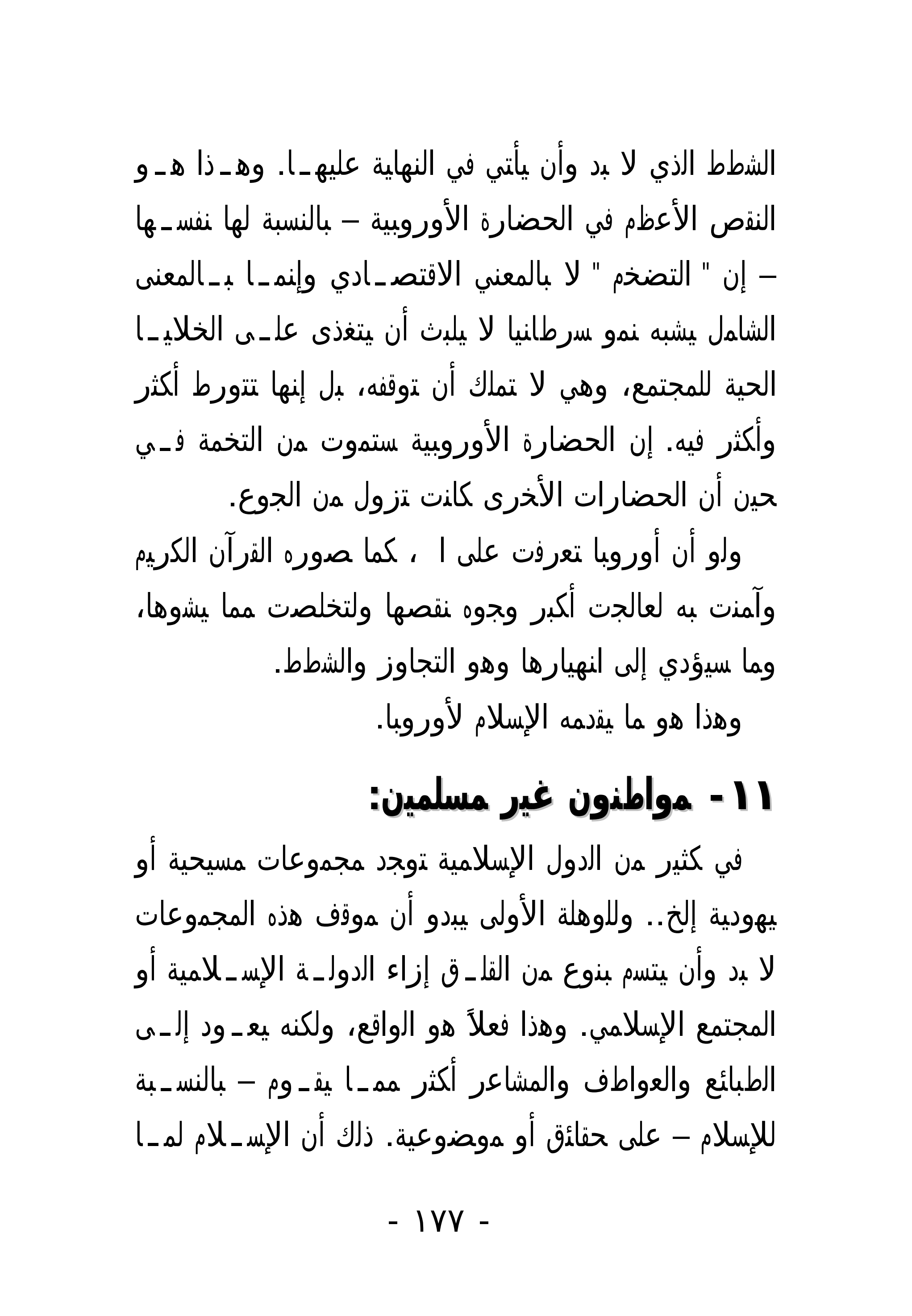
١٠- الحضارة الأوروبية:

الحضارة الأوروبية هي – باختصار – الإنسان بملكاتـه الثلاث، العقل والوجدان والغريزة، وقد ظهرت بمقوماتها من الأيام الأولى لليونان. فعلى نقيض الشرق لم يتصور فلاسفة اليونان أن أصل الأشياء، والمخلوقات تعود إلى إله، ولكـن إلى النار، أو الماء، أو الذرات، وقد أمكنها أن تشبع الملكات

الإنسانية الثلاث إلى آخر مدى يمكن للإنسان أن يصل إليـه ونشأت عن هذا أمجادها وإنجازاتها كما نشأت أيضـا ردود فعل ذلك وأبرزها تجاهلها للآخر. فتركيزها علـى الإنسـان ونفي كل ما عداه واستغراقها في نفسـها، وأن " الإنسـان " يتحول في بعض الحالات إلى الفرد الذي لا يأبه للفرد الآخر إلا مضطرا وبحكم ضرورات التنظيم الاجتماعي. ولما كان هذا الاضطرار غير موجود تجاه الإنسان غير الأوروبي فإن هذه القوى انطلقت على غلوائها وثبـت أنـه لا العقـل ولا الوجدان يمكن أن يتصدى لما تمليه الغرائز من أثره وأنانيـة واستحواز واستغلال.

فإذا سلطت على الآخر الذي لا يملك مثل ما تملك هـي فإن قوى الوجدان تتقهقر أمام الغرائز ومن ثـم تعـد إبـادة الطرف الآخر أفضل الحلول وهو مـا مارسـته الحضـارة الأوروبية بالفعل في أفريقيا وآسيا والهنود الحمر.

على أن تجاهلها للآخر – عندما يصل إلى ا تعالى فإنه ينتهي بها إلى أن تقضي على نفسها، ذلك لأن ا تعالى هو وحده الذي يملك كبح طغيان الإنسان وإلزامه الوقوف عنـد الحدود التي يضعها له والتي تكفل السـلامة وتحـول دون



الشطط الذي لا بد وأن يأتي في النهاية عليهـا. وهـذا هـو النقص الأعظم في الحضارة الأوروبية – بالنسبة لها نفسـها – إن " التضخم " لا بالمعني الاقتصـادي وإنمـا بـالمعنى الشامل يشبه نمو سرطانيا لا يلبث أن يتغذى علـى الخلايـا الحية للمجتمع، وهي لا تملك أن توقفه، بل إنها تتورط أكثر وأكثر فيه. إن الحضارة الأوروبية ستموت من التخمة فـي حين أن الحضارات الأخرى كانت تزول من الجوع.

ولو أن أوروبا تعرفت على ا ، كما صوره القرآن الكريم وآمنت به لعالجت أكبر وجوه نقصها ولتخلصت مما يشوها، وما سيؤدي إلى انهيارها وهو التجاوز والشطط.

وهذا هو ما يقدمه الإسلام لأوروبا.

١١- مواطنون غير مسلمين:

في كثير من الدول الإسلامية توجد مجموعات مسيحية أو يهودية إلخ.. وللوهلة الأولى يبدو أن موقف هذه المجموعات لا بد وأن يتسم بنوع من القلـق إزاء الدولـة الإسـلامية أو المجتمع الإسلامي. وهذا فعلاً هو الواقع، ولكنه يعـود إلـى الطبائع والعواطف والمشاعر أكثر ممـا يقـوم – بالنسـبة للإسلام – على حقائق أو موضوعية. ذلك أن الإسـلام لمـا

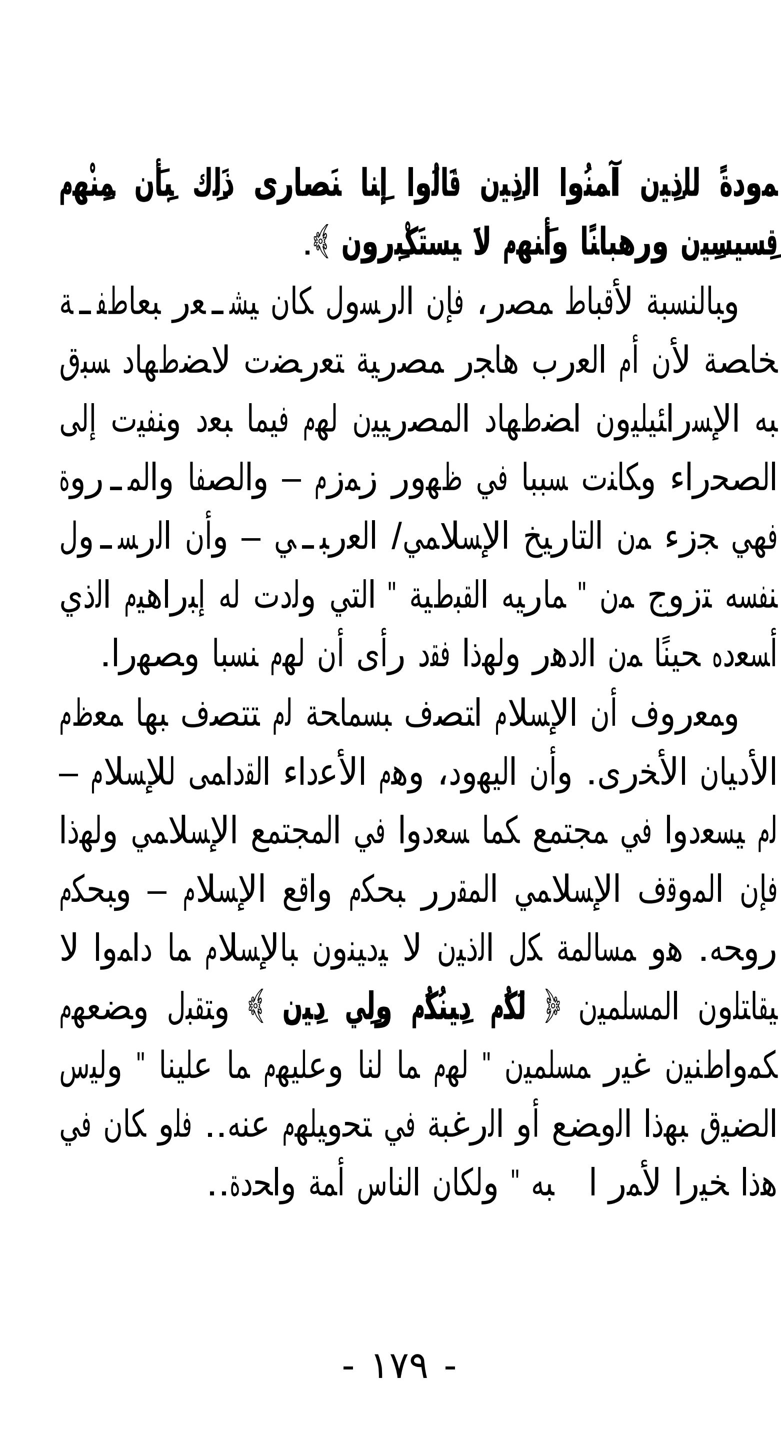
كان آخر الأديان فقد كان عليه أن يحدد الموقف منهـا وقـد حدده على أساس الاعتراف بالأديان السابقة كلها، والاعتراف بأنبيائها – أو قل الإيمان بأنبيائها إلى الدرجة التي " لا نفرق بين أحد منهم " بما في ذلك نبي الإسلام وتحديد الموقف تجاه هذه المجموعات من الإسلام على مبدأ ﴿ **لاَ ينْهاكُم ا ُ عـن الذِين لَم يقَاتِلُوكُم فِي الدين ولَم يخْرِجوكُم مـن دِيـارِكُم أَن تَبروهم وتُقْسِطُوا إِلَيهم** ﴾.

وفي الأيام الأولى لظهور الإسلام شن اليهود حملة عليـه لما اتصفوا به – وما زالوا يتصفون به – مـن اسـتعلاء – وأنهم " شعب ا المختار " وألبوا عليه مشركي مكة وسجل القرآن هذا الموقف وندد به، ولكنه استثنى منه من لم يسـلك هذا المسلك فقال " ليسوا سواء ".

وقال:

﴿ **ومِن أَهلِ الْكِتَابِ من إِن تَأْمنْه بِقِنْطَارٍ يؤَدهِ إِلَيك ومِنْهم من إِن تَأْمنْه بِدِينَارٍ لا يؤَدهِ إِلَيك إِلا ما دمتَ علَيهِ قَائِما ذَلِك بِأَنهم قَالُوا لَيس علَينَا فِي الْأُميين سبِيلٌ** ﴾ (٧٥ آل عمران).

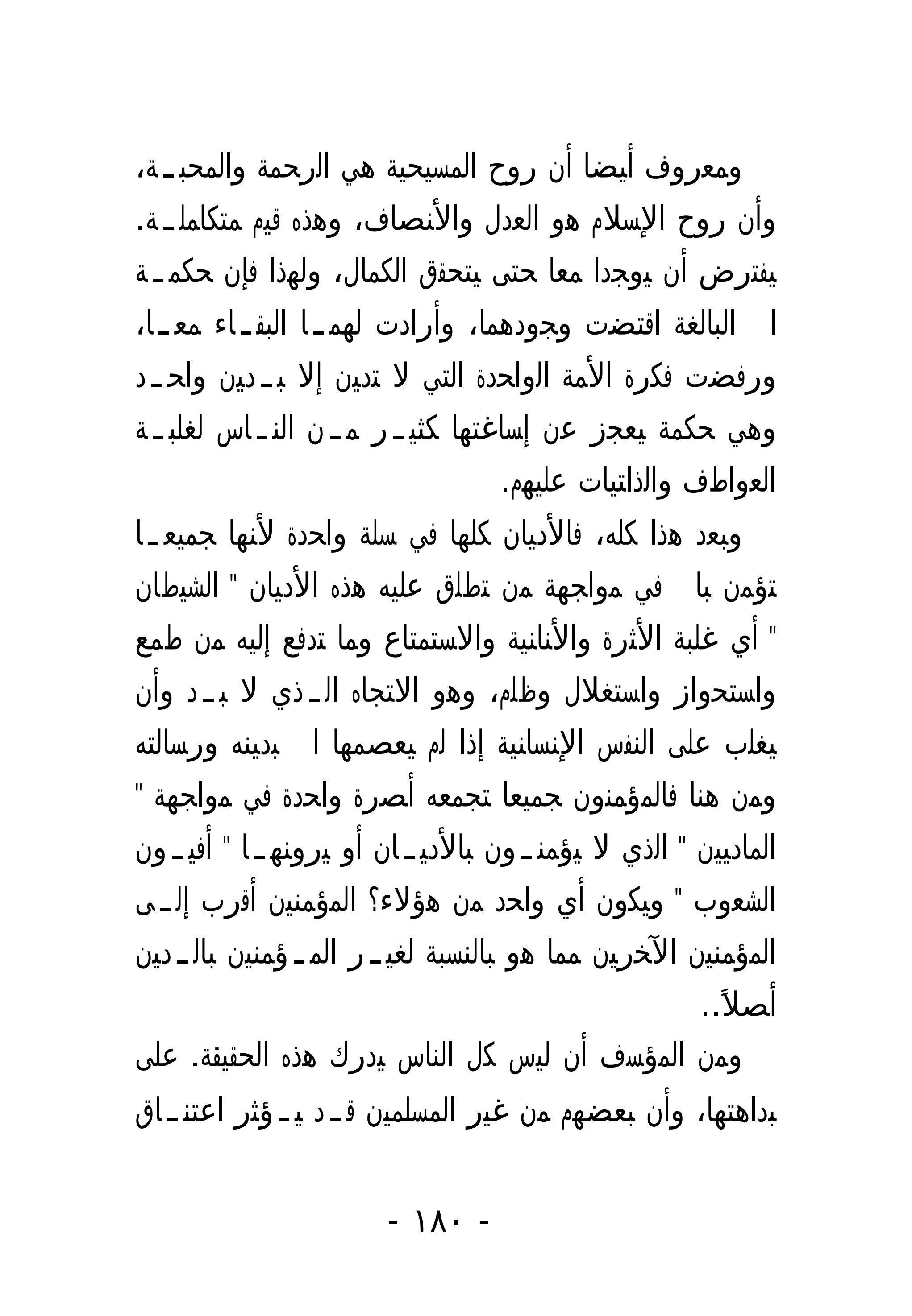
ولكن الإسلام كان قريبا من المسيحيين لأنه ما من رسول يفرق رسول الإسلام ورسول المسيحية ﴿ **لَتَجِدن أَشَد الناس عداوةً لِلذِين آمنُوا الْيهود والذِين أَشْركُوا ولَتَجِدن أَقْربهم**



مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون ﴾.

وبالنسبة لأقباط مصر، فإن الرسول كان يشعر بعاطفة خاصة لأن أم العرب هاجر مصرية تعرضت لاضطهاد سبق به الإسرائيليون اضطهاد المصريين لهم فيما بعد ونفيت إلى الصحراء وكانت سببا في ظهور زمزم – والصفا والمروة فهي جزء من التاريخ الإسلامي/ العربي – وأن الرسول نفسه تزوج من " ماريه القبطية " التي ولدت له إبراهيم الذي أسعده حينًا من الدهر ولهذا فقد رأى أن لهم نسبا وصهرا.

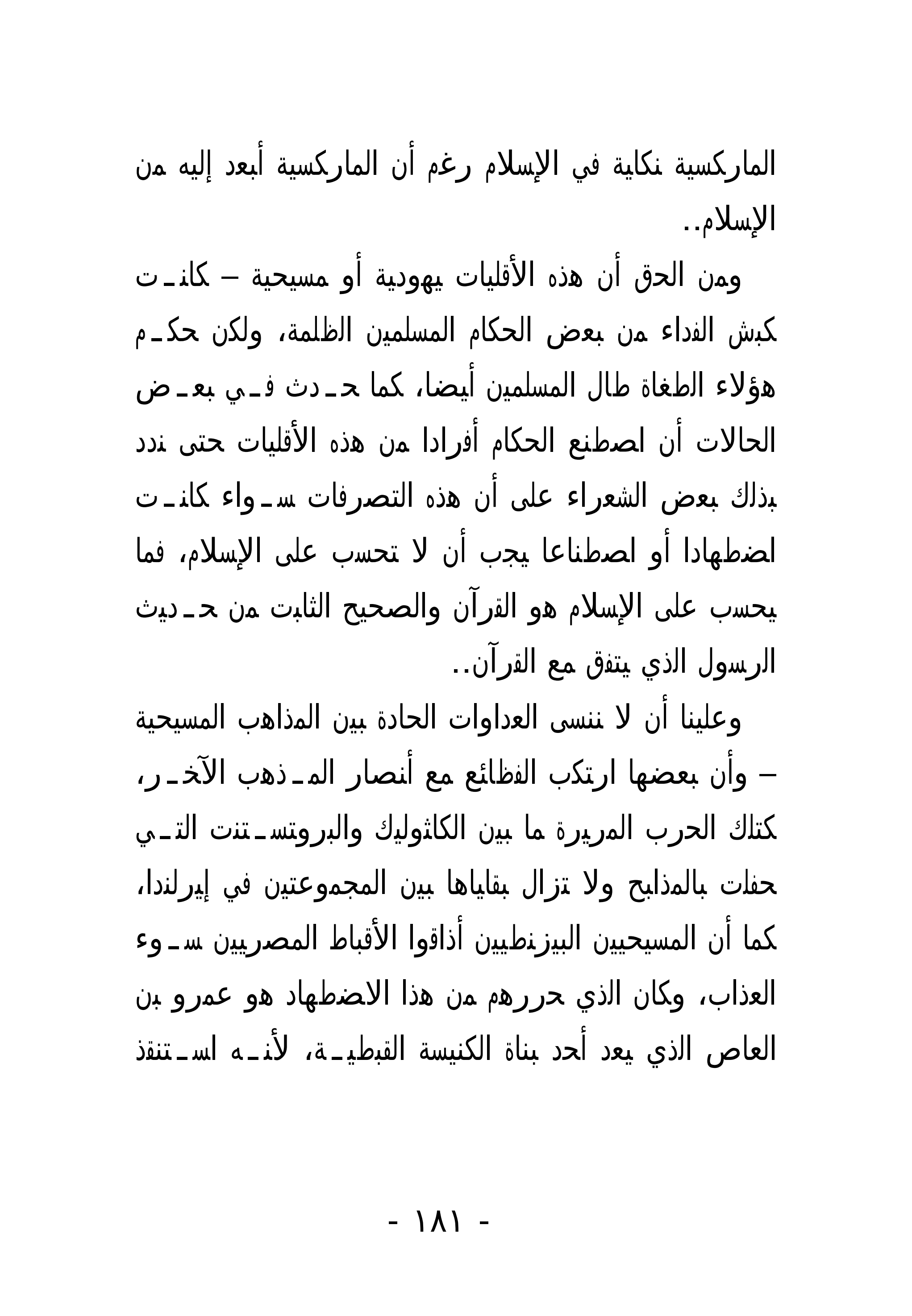
ومعروف أن الإسلام اتصف بسماحة لم تتصف بها معظم الأديان الأخرى. وأن اليهود، وهم الأعداء القدامى للإسلام – لم يسعدوا في مجتمع كما سعدوا في المجتمع الإسلامي ولهذا فإن الموقف الإسلامي المقرر بحكم واقع الإسلام – وبحكم روحه. هو مسالمة كل الذين لا يدينون بالإسلام ما داموا لا يقاتلون المسلمين ﴿ **لكم دينكم ولي دين** ﴾ وتقبل وضعهم كمواطنين غير مسلمين " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " وليس الضيق بهذا الوضع أو الرغبة في تحويلهم عنه.. فلو كان في هذا خيرا لأمر ا به " ولكان الناس أمة واحدة..



ومعروف أيضا أن روح المسيحية هي الرحمة والمحبـة، وأن روح الإسلام هو العدل والأنصاف، وهذه قيم متكاملـة. يفترض أن يوجدا معا حتى يتحقق الكمال، ولهذا فإن حكمـة ا البالغة اقتضت وجودهما، وأرادت لهمـا البقـاء معـا، ورفضت فكرة الأمة الواحدة التي لا تدين إلا بـدين واحـد وهي حكمة يعجز عن إساغتها كثيـر مـن النـاس لغلبـة العواطف والذاتيات عليهم.

وبعد هذا كله، فالأديان كلها في سلة واحدة لأنها جميعـا تؤمن با في مواجهة من تطلق عليه هذه الأديان " الشيطان " أي غلبة الأثرة والأنانية والاستمتاع وما تدفع إليه من طمع واستحواز واستغلال وظلم، وهو الاتجاه الـذي لا بـد وأن يغلب على النفس الإنسانية إذا لم يعصمها ا بدينه ورسالته ومن هنا فالمؤمنون جميعا تجمعه أصرة واحدة في مواجهة " الماديين " الذي لا يؤمنـون بالأديـان أو يرونهـا " أفيـون الشعوب " ويكون أي واحد من هؤلاء؟ المؤمنين أقرب إلـى المؤمنين الآخرين مما هو بالنسبة لغيـر المـؤمنين بالـدين أصلاً..

ومن المؤسف أن ليس كل الناس يدرك هذه الحقيقة. على بداهتها، وأن بعضهم من غير المسلمين قـد يـؤثر اعتنـاق



الماركسية نكاية في الإسلام رغم أن الماركسية أبعد إليه من الإسلام..

ومن الحق أن هذه الأقليات يهودية أو مسيحية – كانـت كبش الفداء من بعض الحكام المسلمين الظلمة، ولكن حكـم هؤلاء الطغاة طال المسلمين أيضا، كما حـدث فـي بعـض الحالات أن اصطنع الحكام أفرادا من هذه الأقليات حتى ندد بذلك بعض الشعراء على أن هذه التصرفات سـواء كانـت اضطهادا أو اصطناعا يجب أن لا تحسب على الإسلام، فما يحسب على الإسلام هو القرآن والصحيح الثابت من حـديث الرسول الذي يتفق مع القرآن..

وعلينا أن لا ننسى العداوات الحادة بين المذاهب المسيحية – وأن بعضها ارتكب الفظائع مع أنصار المـذهب الآخـر، كتلك الحرب المريرة ما بين الكاثوليك والبروتسـتنت التـي حفلت بالمذابح ولا تزال بقاياها بين المجموعتين في إيرلندا، كما أن المسيحيين البيزنطيين أذاقوا الأقباط المصريين سـوء العذاب، وكان الذي حررهم من هذا الاضطهاد هو عمرو بن العاص الذي يعد أحد بناة الكنيسة القبطيـة، لأنـه اسـتنقذ

البطريرك بنيامين ووكل إليه ممارسة سلطاته الكنسية بكـل حرية..

أما الجزية، فإنها قطعة من مقتضـيات العصـر القـديم وكانت الفكرة الرئيسية فيها أنها مقابل لإعفاء غير المسلمين من الاشتراك في الجيش الإسلامي مع تمتعهم بحمايـة هـذا الجيش، يدل على ذلك أن النساء والأطفال والمسنين كـانوا معفين منها، وكأن المجتمع وقتئذ أخذ بما تأخذ بـه بعـض النقابات في العصر الحديث خاصة في الولايات المتحـدة – عندما يعزف بعض العمال لأسباب مختلفة عن الانضمام إلى النقابة فتفرض عليهم النقابة دفع رسم انتفاع يطلقـون عليـه Agancy Shop مقابل ما تقدمه النقابة من خدمات للعمال جميعا سواء كانوا أعضاء فيها أو لم يكونوا. ومن المسلم به أن " القومية " نزعة حديثة لم تكن موجودة لا في أوروبا ولا في الشرق طوال القرون الوسطى. وأن أوروبا كانت تعتبـر المسيحية أبرز مقوماتها. وكانت الكنيسة هي التي تهيمن على المجتمع سياسيا واجتماعيا فالوعي الديني كان هـو الغالـب طوال العصور القديمة حتى بدأت الفكرة القومية مع مشارف

العصر الحديث وظهر أنها أكثر تجاوبا مع حاجات المجتمـع وقتئذ.

إذا استوعبنا ما قدمناه، فإننا لا نجد مبررا لأي حساسـية بين المؤمنين بأديان مختلفة لأن كل واحد منهم يمثل ركنًا في " البيت الكبير " الدين، وهو بهذا صاحب دور أصيل شـأنه شأن الآخر.. ويفترض أن تتملكهم جميعا العاطفة التي تمتلك الإخوة – وأن تعددهم يعطي الأسرة وقوة وتماسـكًا ويشـيع مشاعر الود والمحبة بين الجميع..

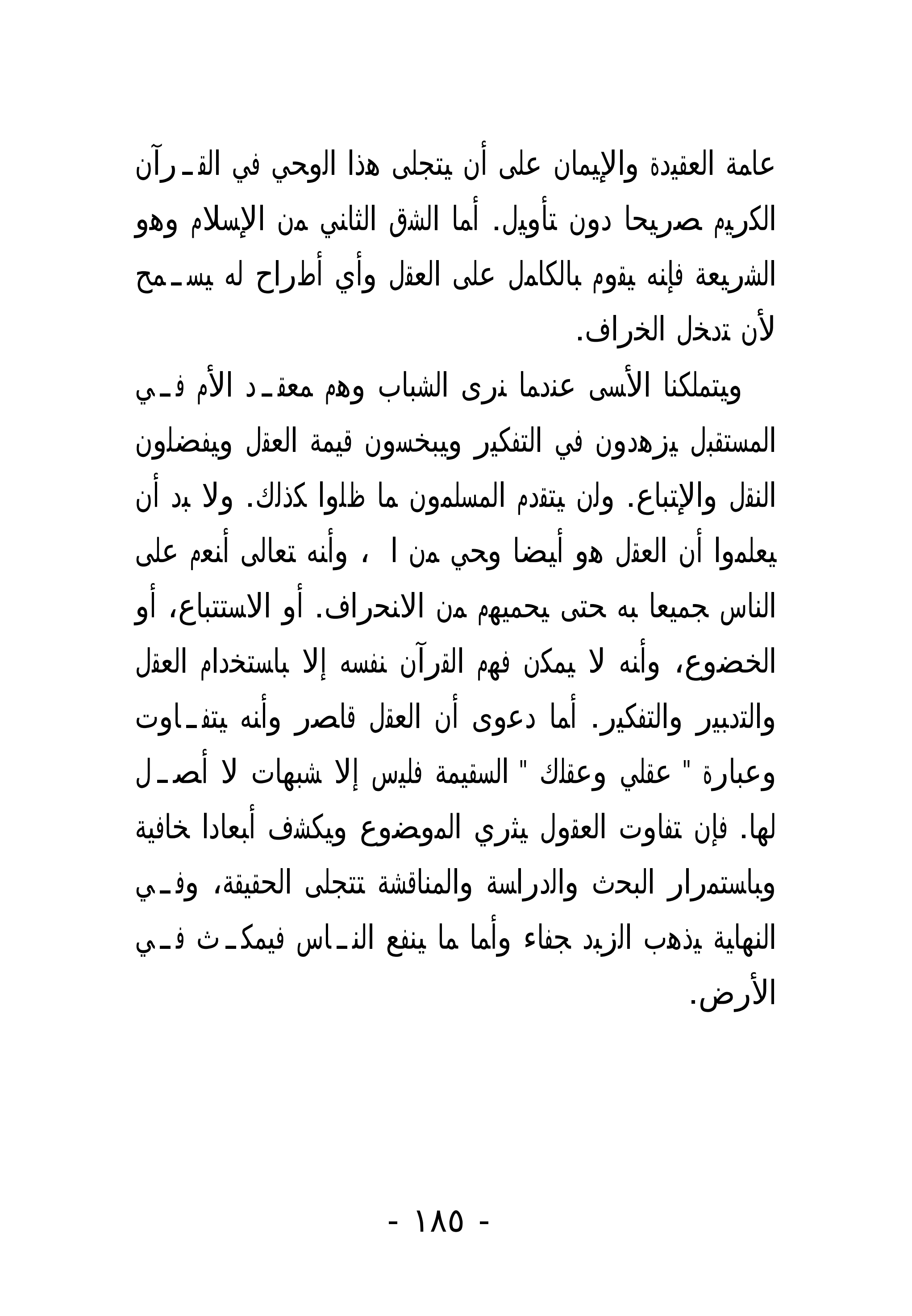
وهذا التكييف الإسلامي لما يجب أن تكون عليه العلاقـة بين المؤمنين بأديان مختلفة أفضل من التكييف الذي تـدعو إليه بعض الأقليات من أن يحصر كل واحد دينه فيمـا بينـه وبين ا . أما ما بينه وبين الآخرين فقد يكون العروبـة أو " القومية " أو " المصرية " إلخ.. لأن هذا الافتراض ليس هـو الأمثل كما أنه غير عملي فمن العسير جد أن يحبس الـدين في نفس الفرد دون أن يطل على المجتمع، ولأن القوميـة أو المصرية إلخ.. ليست آصرة محكمة أو صـفوا خالصـا لا تكدره الخلافات ولأن الإسلام عندما قرر حقوق الأقليات في القرآن والسنة فإنه حمي هذه الأقليات من أفتيات الأغلبيـة –

التي هي حكم الديمقراطية – على هذه الحقوق بحيث تتمتـع بها في الدول الإسلامية في حماية الإسلام وتخسرها الأقليات الإسلامية في أوروبا/ لتحامل الأغلبية/ الديمقراطي فضـلاً عن أن التعددية لها مزاياها التـي تحـول دون الطغيـان، والانفراد وتسمح للجميع بالوجود في الساحة في ظل أخـوة الأديان وأنها بيت واحد – بيت الإيمان – وللجميـع حقـوق وواجبات واحدة " لهم ما لنا وعليهم ما علينا " وهـو مبـدأ إسلامي عريق.

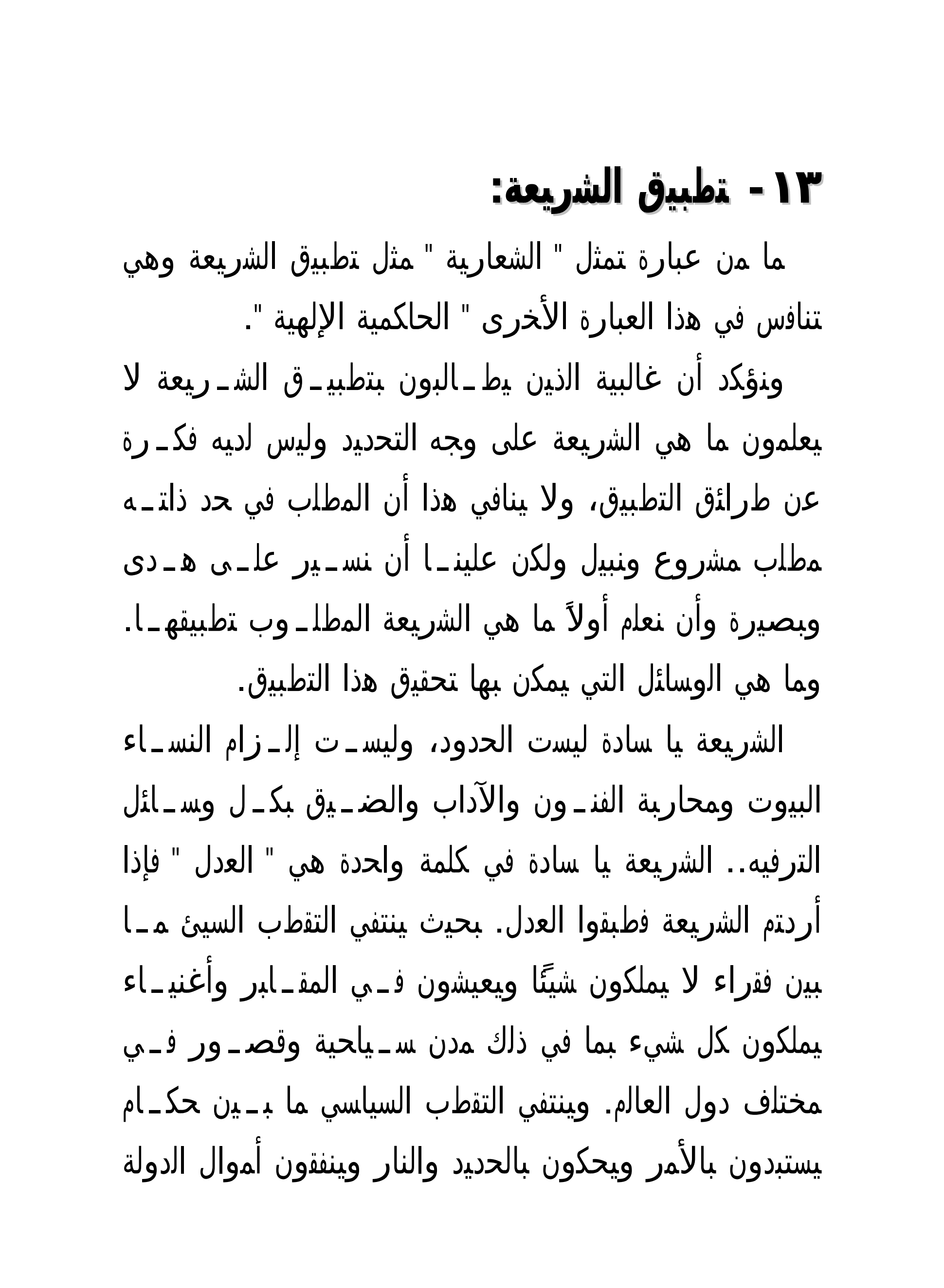
١٢ – العقل والنقل:

نعتقد أن من أكبر أسباب تخلف المجتمع الإسلامي أنه منذ ألف عام أخذ بالتقليد، وهو الأداء دون السؤال عن السبب أو الحكمة. فتعطل وتوقف وصدئ عقـل المسـلمين وبالتـالي تأخروا، وهو بالطبع أمر بديهي. فإنما يتقدم الإنسـان بمـا فضله ا تعالى به على العالمين، بل وعلى الملائكة المقربين – وهو العقل..

ونحن نرفض تعبير النقل ونرى فيه أثر هذا الصدأ العقلي ونفضل عليـه تعبيـر " الـوحي " الـذي نعطيـه الحـق والاختصاص فيما يتعلق بذات ا تعالى وعالم الغيب وبصفة


عامة العقيدة والإيمان على أن يتجلى هذا الوحي في القـرآن الكريم صريحا دون تأويل. أما الشق الثاني من الإسلام وهو الشريعة فإنه يقوم بالكامل على العقل وأي أطراح له يسـمح لأن تدخل الخراف.

ويتملكنا الأسى عندما نرى الشباب وهم معقـد الأم فـي المستقبل يزهدون في التفكير ويبخسون قيمة العقل ويفضلون النقل والإتباع. ولن يتقدم المسلمون ما ظلوا كذلك. ولا بد أن يعلموا أن العقل هو أيضا وحي من ا ، وأنه تعالى أنعم على الناس جميعا به حتى يحميهم من الانحراف. أو الاستتباع، أو الخضوع، وأنه لا يمكن فهم القرآن نفسه إلا باستخدام العقل والتدبير والتفكير. أما دعوى أن العقل قاصر وأنه يتفـاوت وعبارة " عقلي وعقلك " السقيمة فليس إلا شبهات لا أصـل لها. فإن تفاوت العقول يثري الموضوع ويكشف أبعادا خافية وباستمرار البحث والدراسة والمناقشة تتجلى الحقيقة، وفـي النهاية يذهب الزبد جفاء وأما ما ينفع النـاس فيمكـث فـي الأرض.

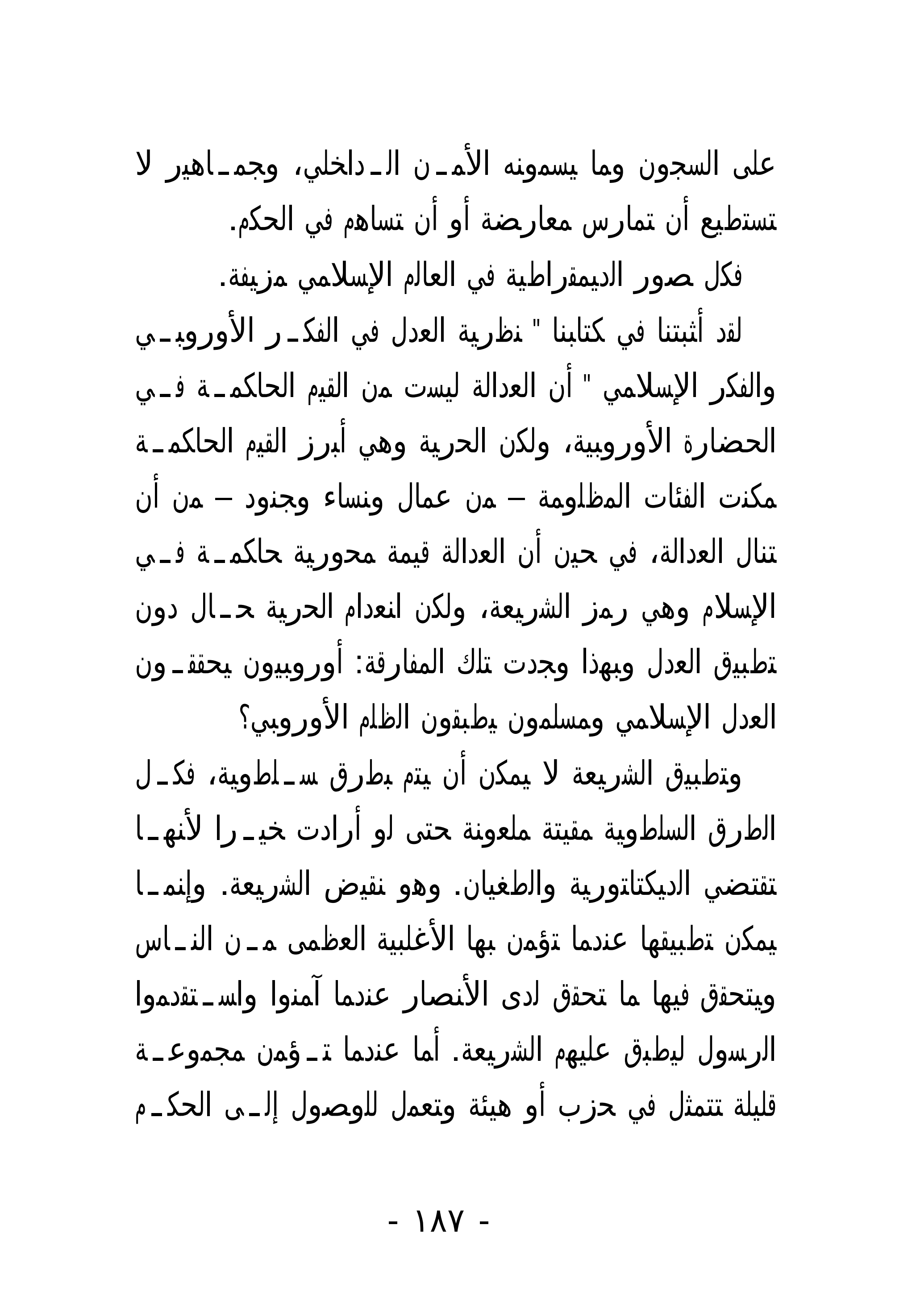


١٣- تطبيق الشريعة:

ما من عبارة تمثل " الشعارية " مثل تطبيق الشريعة وهي تنافس في هذا العبارة الأخرى " الحاكمية الإلهية ".

ونؤكد أن غالبية الذين يطـالبون بتطبيـق الشـريعة لا يعلمون ما هي الشريعة على وجه التحديد وليس لديه فكـرة عن طرائق التطبيق، ولا ينافي هذا أن المطلب في حد ذاتـه مطلب مشروع ونبيل ولكن علينـا أن نسـير علـى هـدى وبصيرة وأن نعلم أولاً ما هي الشريعة المطلـوب تطبيقهـا. وما هي الوسائل التي يمكن بها تحقيق هذا التطبيق.

الشريعة يا سادة ليست الحدود، وليسـت إلـزام النسـاء البيوت ومحاربة الفنـون والآداب والضـيق بكـل وسـائل الترفيه.. الشريعة يا سادة في كلمة واحدة هي " العدل " فإذا أردتم الشريعة فطبقوا العدل. بحيث ينتفي التقطب السيئ مـا بين فقراء لا يملكون شيئًا ويعيشون فـي المقـابر وأغنيـاء يملكون كل شيء بما في ذلك مدن سـياحية وقصـور فـي مختلف دول العالم. وينتفي التقطب السياسي ما بـين حكـام يستبدون بالأمر ويحكون بالحديد والنار وينفقون أموال الدولة



على السجون وما يسمونه الأمـن الـداخلي، وجمـاهير لا تستطيع أن تمارس معارضة أو أن تساهم في الحكم.

فكل صور الديمقراطية في العالم الإسلامي مزيفة.

لقد أثبتنا في كتابنا " نظرية العدل في الفكـر الأوروبـي والفكر الإسلامي " أن العدالة ليست من القيم الحاكمـة فـي الحضارة الأوروبية، ولكن الحرية وهي أبرز القيم الحاكمـة مكنت الفئات المظلومة – من عمال ونساء وجنود – من أن تنال العدالة، في حين أن العدالة قيمة محورية حاكمـة فـي الإسلام وهي رمز الشريعة، ولكن انعدام الحرية حـال دون تطبيق العدل وبهذا وجدت تلك المفارقة: أوروبيون يحققـون العدل الإسلامي ومسلمون يطبقون الظلم الأوروبي؟

وتطبيق الشريعة لا يمكن أن يتم بطرق سـلطوية، فكـل الطرق السلطوية مقيتة ملعونة حتى لو أرادت خيـرا لأنهـا تقتضي الديكتاتورية والطغيان. وهو نقيض الشريعة. وإنمـا يمكن تطبيقها عندما تؤمن بها الأغلبية العظمى مـن النـاس ويتحقق فيها ما تحقق لدى الأنصار عندما آمنوا واسـتقدموا الرسول ليطبق عليهم الشريعة. أما عندما تـؤمن مجموعـة قليلة تتمثل في حزب أو هيئة وتعمل للوصول إلـى الحكـم

لتطبيق الشريعة فهذا أسلوب خاطئ تماما لأن هـذه الأقليـة ستضطر للعمل بطريقة الديكتاتورية، والديكتاتورية مفسـدة، ولا علاج لها.

فهل فهمتم أيها السادة هذا حتى لا يكون كمن ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون!!

١٤- العلم والعمل:

من الموضوعات التي تحلها دعوة الأحياء الإسلامي فـي ألوياتها قضية الجمع ما بين العلم والعمل وأن نظـم التعلـيم المطبقة في الدول النامية تقدم بطريقة التلقين وحشو معلومات قد تكون حسنة، أو هامة، ولكنها ليست مـا تتطلبـه حيـاة المجتمع على وجه التعيين، وأهم من هذا أن هناك فصلاً تاما ما بين العلم والعمل فأصبح العلم نظريا بحتًا. كما أن العمـل حرم من العلم. إن العلم يعطي العمل عينين.. والعمل يعطي العلم يدين بحيث يسير كل منهما على هدى ولو حرم العلـم العمل لفقد اليدين كما لو حرم العمل العلم لفقد العينين..

وأدت الترجمة العملية لهذا إلى وجود فئات عديـدة مـن الخريجين لـديها معلومـات نظريـة ولكنهـا لا تسـتطيع استخدامها، فضلاً عن أن المجتمع ليس في حاجة إليها، أو لا

يلمس حاجة بقدرها فتكون هناك بطالة المثقفين ومن ناحيـة ثانية هناك ممارسات للعمل يدوية غشيمة لا يمكن أن تتقدم..

وزحفت " النظرية " علـى الكليـات العمليـة بطبيعتهـا كالهندسة والطب فنجد المهندس الذي يأنف أن يلـبس بذلـة العمل الزرقاء أو يصعد السقالة أو يتابع خلطـة الأسـمنت المسلح ونجد الطبيب الذي لا يحسن إعطاء حقنة أو ممارسة إسعاف أولى.. وفي الوقت نفسه حجب المستوى الفني الرفيع عن معاهد التدريب المهني التي تخرج العمال المهرة..

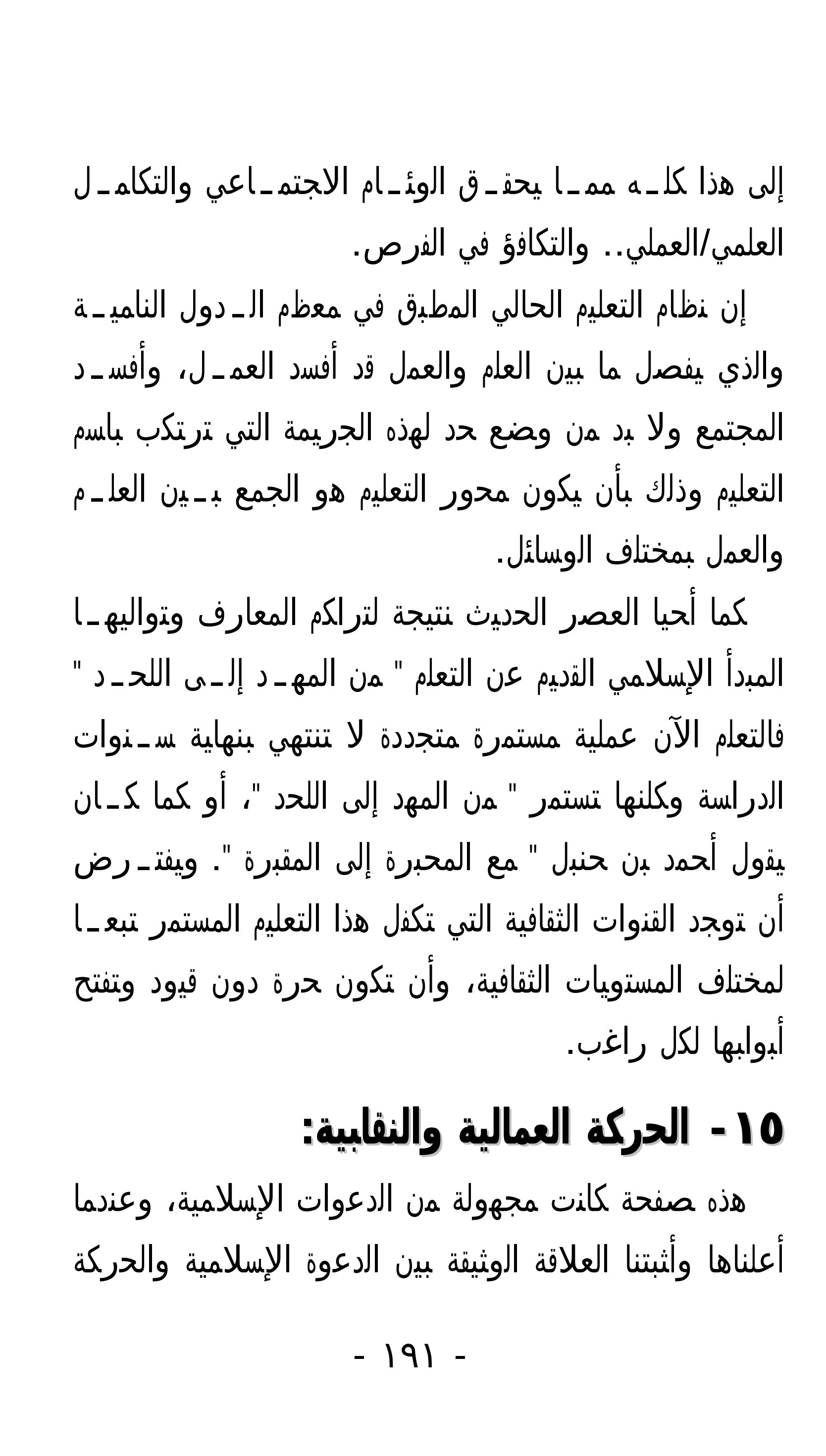
وكان لهذا الانفصام أثر اجتماعي وبيل إذ أصبح المثقفون هم الطبقة البورجوازية، وأصبح العمال هم الطبقـة الـدنيا وأصبحت الميزة الفارقة بين الأولين والآخـرين " الشـهادة فكأن الجامعة أقامت سورا بسمك الطبقة يفصل بين جمـاهير الشعب..

ولا يجوز في مثل هذا المجتمع أن يرقى الميكانيكي إلـى مهندس أو الممرضة إلى طبيبة أو الجندي إلى ضابط فهؤلاء الأطباء والمهندسين والضباط هـم مـن خريجـي الكليـات الجامعية بها وقد دخلوها بفضل " المجموع " حتـى وإن لـم يكن لهم أي اهتمام أو معرفة بالمادة التي تقدمها الكلية.. مع

أن الممرضة لو دخلت كلية الطب والميكانيكي لو دخل كلية الهندسة والجندي لو دخل كلية الشرطة لأمكن – بفضل مـا لديهم من خبرة أن تختصر سنوات الدراسة إلى النصـف.. فضلاً عن القضاء على التفارق الطبقي وتحقيق مبدأ تكـافؤ الفرص.

إن الإسلام لا يعرف مجردا والعمل منفصلاً. إنه يسـتعيذ من " علم لا ينفع ". و " علم على أطراف اللسان "، كما أنـه يستعيذ من عمل لا يستهدى بنور العلم. وكثيرا ما أثر كبـار الفقهاء والعلماء أن يحترفوا حرفة يدويـة أسـوة بالأنبيـاء داوود، وسليمان والرسول العظيم وصحابته الذين لم تمـنعهم مراكزهم السامية من الاحتراف.

وقد انتهت آخر الأبحاث إلى ما انتهى إليه الإسـلام مـن قبل ووضعت النظم التي تفتح الدراسات المسـائية للعمـال للوصول إلى أعلى المستويات، كما أقيمت مراكز الأبحـاث والكليات في المصانع الكبرى بحيث يجتمع العلـم والعمـل، وفي حالات أخرى تقسم مده الدراسة بحيث يـؤدي نصـف الوقت في الفصول والنصف الثاني في المصانع أو الحقـول أو المكاتب. أو تخصص السنة الأخيرة للتمرين العملي ومـا



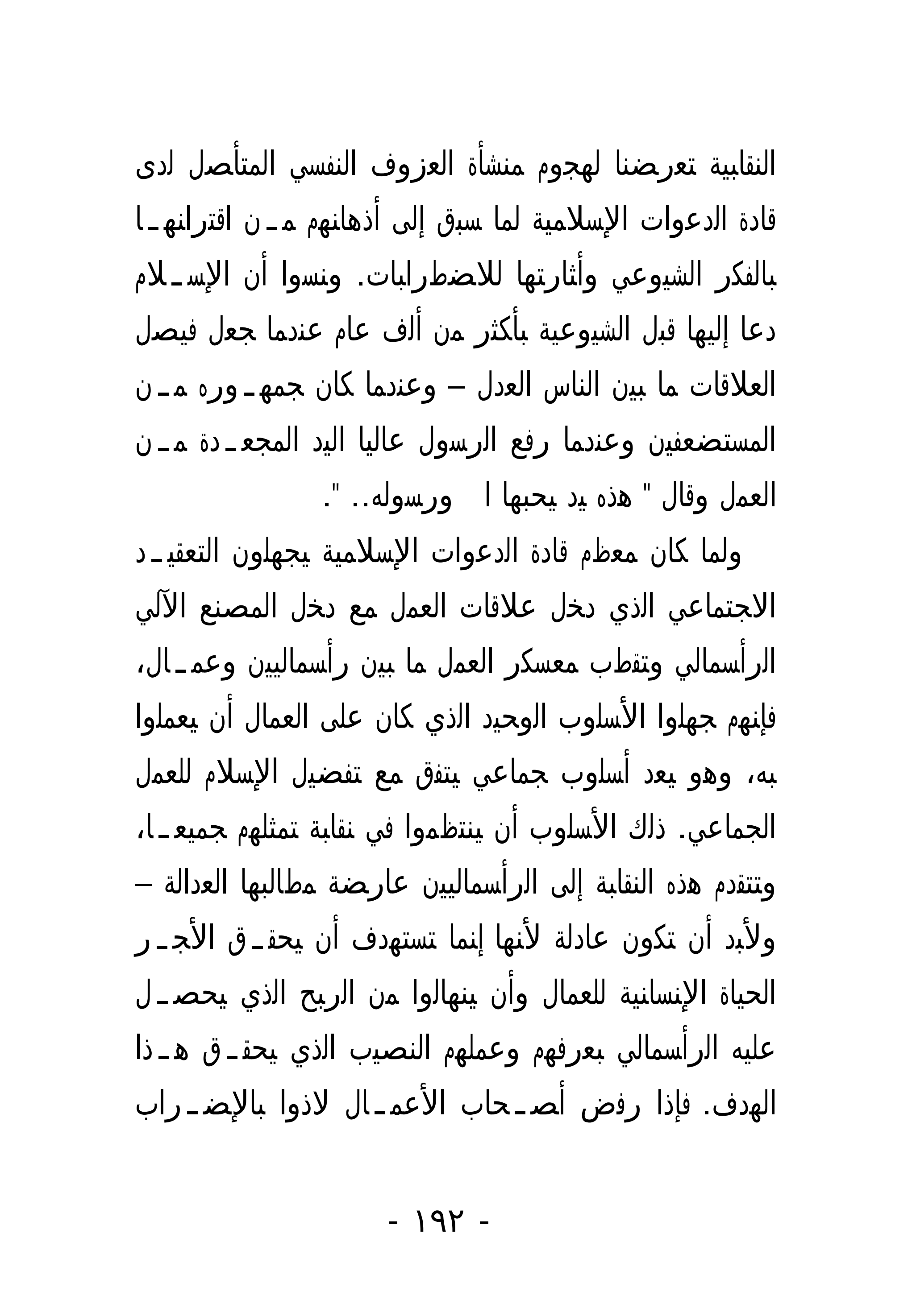
إلى هذا كلـه ممـا يحقـق الوئـام الاجتمـاعي والتكامـل العلمي/العملي.. والتكافؤ في الفرص.

إن نظام التعليم الحالي المطبق في معظم الـدول الناميـة والذي يفصل ما بين العلم والعمل قد أفسد العمـل، وأفسـد المجتمع ولا بد من وضع حد لهذه الجريمة التي ترتكب باسم التعليم وذلك بأن يكون محور التعليم هو الجمع بـين العلـم والعمل بمختلف الوسائل.

كما أحيا العصر الحديث نتيجة لتراكم المعارف وتواليهـا المبدأ الإسلامي القديم عن التعلم " من المهـد إلـى اللحـد " فالتعلم الآن عملية مستمرة متجددة لا تنتهي بنهاية سـنوات الدراسة ولكنها تستمر " من المهد إلى اللحد "، أو كما كـان يقول أحمد بن حنبل " مع المحبرة إلى المقبرة ". ويفتـرض أن توجد القنوات الثقافية التي تكفل هذا التعليم المستمر تبعـا لمختلف المستويات الثقافية، وأن تكون حرة دون قيود وتفتح أبوابها لكل راغب.

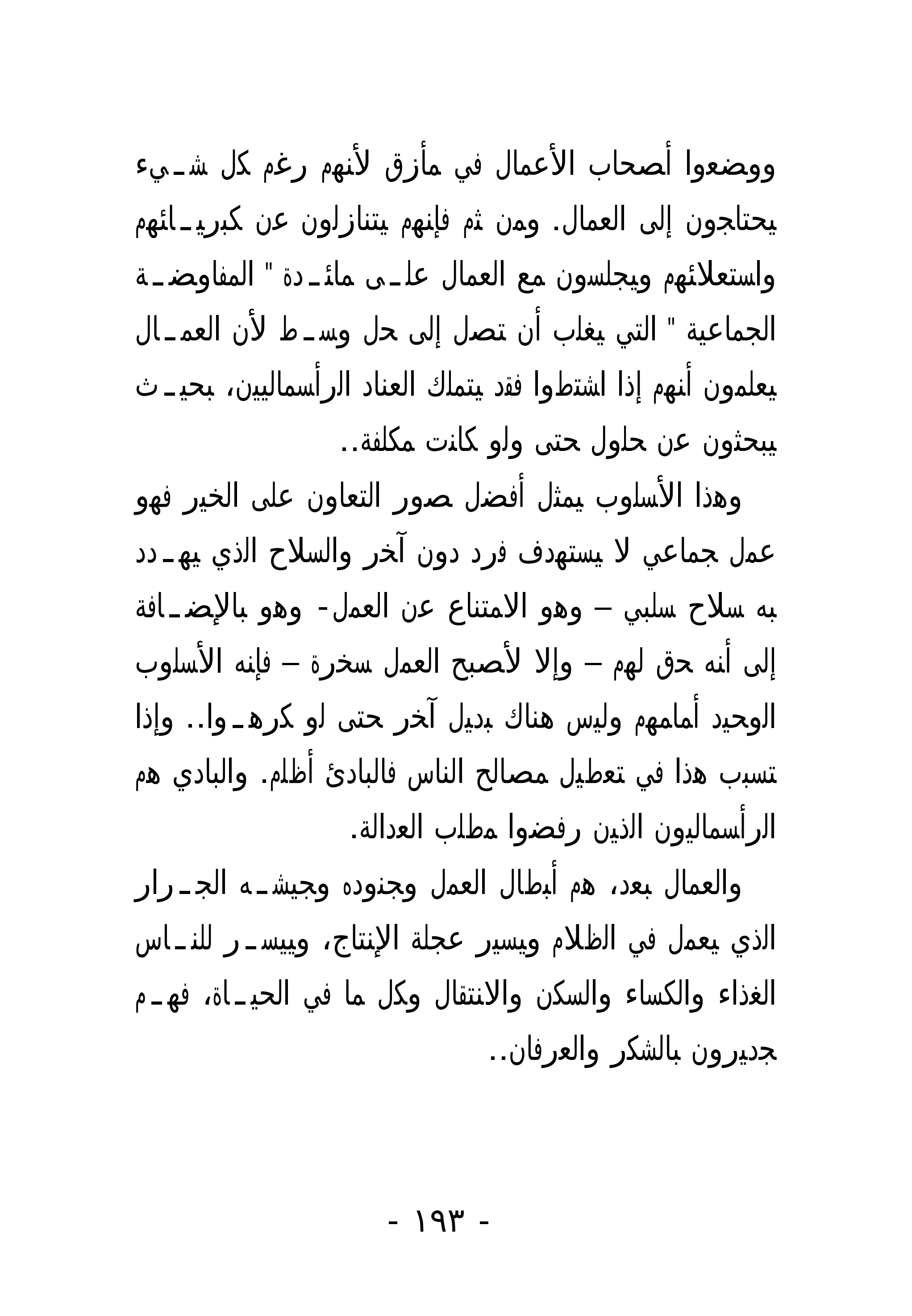
١٥- الحركة العمالية والنقابية:

هذه صفحة كانت مجهولة من الدعوات الإسلامية، وعندما أعلناها وأثبتنا العلاقة الوثيقة بين الدعوة الإسلامية والحركة



النقابية تعرضنا لهجوم منشأة العزوف النفسي المتأصل لدى قادة الدعوات الإسلامية لما سبق إلى أذهانهم مـن اقترانهـا بالفكر الشيوعي وأثارتها للاضطرابات. ونسوا أن الإسـلام دعا إليها قبل الشيوعية بأكثر من ألف عام عندما جعل فيصل العلاقات ما بين الناس العدل – وعندما كان جمهـوره مـن المستضعفين وعندما رفع الرسول عاليا اليد المجعـدة مـن العمل وقال " هذه يد يحبها ا ورسوله.. ".

ولما كان معظم قادة الدعوات الإسلامية يجهلون التعقيـد الاجتماعي الذي دخل علاقات العمل مع دخل المصنع الآلي الرأسمالي وتقطب معسكر العمل ما بين رأسماليين وعمـال، فإنهم جهلوا الأسلوب الوحيد الذي كان على العمال أن يعملوا به، وهو يعد أسلوب جماعي يتفق مع تفضيل الإسلام للعمل الجماعي. ذلك الأسلوب أن ينتظموا في نقابة تمثلهم جميعـا، وتتقدم هذه النقابة إلى الرأسماليين عارضة مطالبها العدالة – ولأبد أن تكون عادلة لأنها إنما تستهدف أن يحقـق الأجـر الحياة الإنسانية للعمال وأن ينهالوا من الربح الذي يحصـل عليه الرأسمالي بعرفهم وعملهم النصيب الذي يحقـق هـذا الهدف. فإذا رفض أصـحاب الأعمـال لاذوا بالإضـراب


ووضعوا أصحاب الأعمال في مأزق لأنهم رغم كل شـيء يحتاجون إلى العمال. ومن ثم فإنهم يتنازلون عن كبريـائهم واستعلائهم ويجلسون مع العمال علـى مائـدة " المفاوضـة الجماعية " التي يغلب أن تصل إلى حل وسـط لأن العمـال يعلمون أنهم إذا اشتطوا فقد يتملك العناد الرأسماليين، بحيـث يبحثون عن حلول حتى ولو كانت مكلفة..

وهذا الأسلوب يمثل أفضل صور التعاون على الخير فهو عمل جماعي لا يستهدف فرد دون آخر والسلاح الذي يهـدد به سلاح سلبي – وهو الامتناع عن العمل- وهو بالإضـافة إلى أنه حق لهم – وإلا لأصبح العمل سخرة – فإنه الأسلوب الوحيد أمامهم وليس هناك بديل آخر حتى لو كرهـوا.. وإذا تسبب هذا في تعطيل مصالح الناس فالبادئ أظلم. والبادي هم الرأسماليون الذين رفضوا مطلب العدالة.

والعمال بعد، هم أبطال العمل وجنوده وجيشـه الجـرار الذي يعمل في الظلام ويسير عجلة الإنتاج، وييسـر للنـاس الغذاء والكساء والسكن والانتقال وكل ما في الحيـاة، فهـم جديرون بالشكر والعرفان..

ولكن قادة الدعوات الإسلامية لما جهلوا هذا فـإنهم لـم يتصوروا طريقًا لتحسين الحال أو نيل المطالب إلا الطريـق الفردي، فعلى كل واحد أن يعمل ما يستطيع وسينال ما تسمح به قواه وملكاته وهو أسلوب ساذج فردي لا يمكن أن ينهض بالملايين من العمال فضلاً عن أنه سباق القوة الذي يسقط فيه الضعف والضعيف هو العمال. وفي المنطلق الرأسمالي فإن الضعيف لا يستحق رحمة ولكن في المنطق الإسلامي فـإن الضعيف أمير الركب. وكان الأسلوب الوحيد للنهضة بالعمال ككل هو العمل الجماعي الذي تجمعت فيه كل فضائل الإسلام من عمل تقوم به الجماعة وتستهدف به العدالة وتسلك لذلك سبلاً دفاعية وليست هجومية وتتم تسويته بمفاوضة جماعيـة على المائدة، وليست بحرب في ميدان قتال، فهـي طريقـة حضارية وإسلامية لأنها نمط من الشورى.

وفي رسالتنا " الحركة النقابية حركة إنسانية " أثبتنـا أن الحركة النقابية تأتي بعد الأديان مباشرة، وقبل الديمقراطيـة والاشتراكية وإنها حققت للعمال ما طمحت إليه وعجزت عنه الاشتراكية والديمقراطية على سواء فهـي حركـة إنسـانية مجيدة.

وقد كانت هذه الحركة هي أول ما لمس مثاليات الشـباب فنيا، ولهذا أسهمنا فيها بعمل استغرق وقتًا طويلاً واكتسـب طابع الإضافة المنشئة، بما في ذلك تكوين" الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل " في جنيف سنة ١٩٨١.

إن دعوة الأحياء الإسلامي تقدر الحركة العمالية والنقابية، وتؤمن بدورها الإنساني العظيم وتشجعها بما ينفي عنها مـا يتسلل إليها من خبث، ولكنها لا تلزم الحركة النقابية الإيمان بها. لأن الحركة النقابية تحشد العمال جميعا على اخـتلاف مستوياتهم وإفهامهم – وهذه طبيعة تختلف عن طبيعة دعـوة الإحياء الإسلامي التي تتطلب الإيمان الطوعي من الأفـراد بها فردا فـردا.

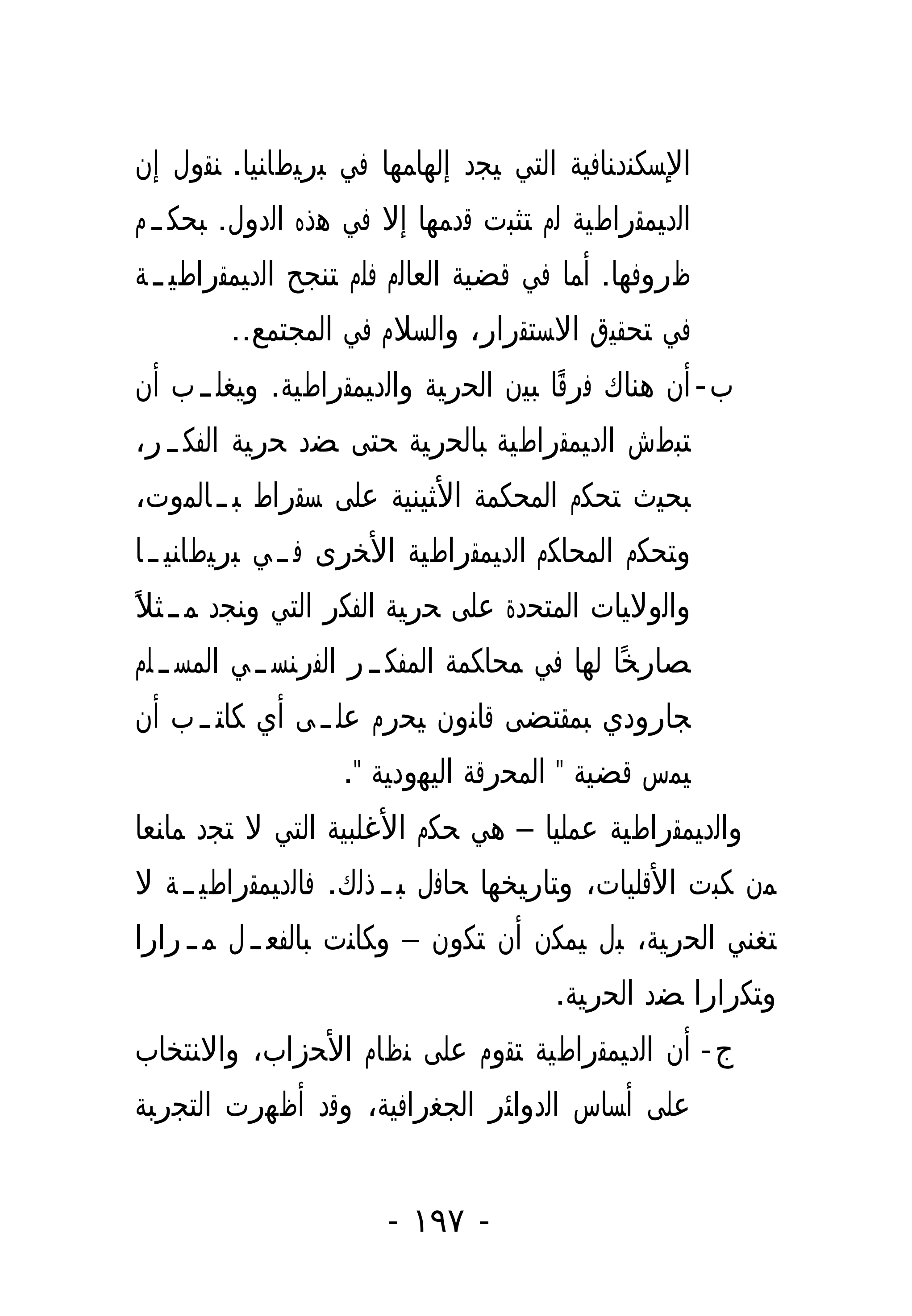
١٦- الديمقراطية:

كان خيار أوروبا السياسي دائما هو ما بين الديكتاتوريـة والديمقراطية، ولا جدال أنه فـي مثـل هـذه الحالـة فـإن الديمقراطية أفضل من الديكتاتورية. ويتعين الأخذ بها. ولكن الحقيقة أن خيار البشرية لم يحصر مـا بـين الديكتاتوريـة والديمقراطية. لأن هناك نمطًا ثالثًا من الحكـم لـم تسـتطع أوروبا بلوغه ذلك هو الحكم بالقانون، ولم تسـتطع أوروبـا

بلوغه لأن القانون الذي يصلح أن يكون حكمـا لا بـد وأن يكون موضوعيا يأخذ صفه القاضي المحايد. وقـد عجـزت أوروبا عن أن تبدع مثل هذا القانون وتجربتها في الأنمـاط الثلاثة الأشهر في القوانين، أعني القانون الروماني، وقانون نابليون، والقانون السوفيتي يثبت أن القانون في هذه التجارب الثلاثة لم يكن قاضيا نزيها ولكن محاميا عن مصلحة بعينها. كانت هي روما في العصر الروماني، والبرجوازية في قانون نابليون والحزب في القانون السوفيتي، ولهـذا لـم تسـتطع أوروبا أن تنهض بالقانون من مستوى المحامي إلى مسـتوى القاضي. وبالتالي أن يكون حكما بين الناس.

على أن هذه قضية أخرى، وإنما أشرنا إليها لكي يعـرف الناس أن الديمقراطية ليست وثنًا يعبد ولا هي ثوبا all size يلبس. وإن الأمر أعقد من ذلك وهناك عوامل عديدة يجب أن تلحظ في قضية الديمقراطية منها.

أ- أن الديمقراطية سواء نشأت في أثينا علـى مسـتوى دولة المدينة، أو في بريطانيا بحكم ظروفها السياسية الخاصة ثم انتقلت مع المهاجرين البريطـانيين إلـى الولايات المتحـدة، وسـواء تـأثرت بهـا الـدول

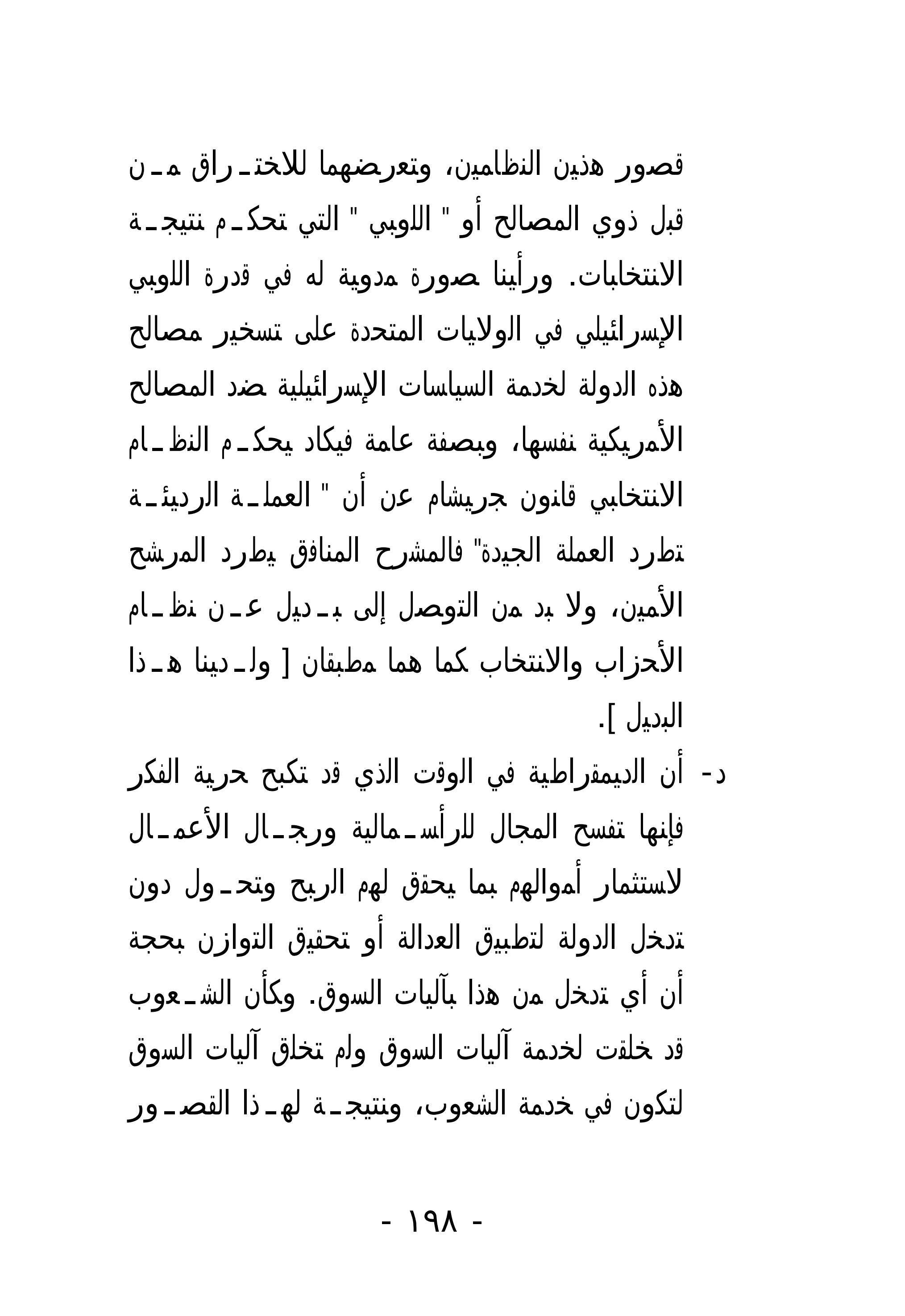


الإسكندنافية التي يجد إلهامها في بريطانيا. نقول إن الديمقراطية لم تثبت قدمها إلا في هذه الدول. بحكـم ظروفها. أما في قضية العالم فلم تنجح الديمقراطيـة في تحقيق الاستقرار، والسلام في المجتمع..

ب- أن هناك فرقًا بين الحرية والديمقراطية. ويغلـب أن تبطش الديمقراطية بالحرية حتى ضد حرية الفكـر، بحيث تحكم المحكمة الأثينية على سقراط بـالموت، وتحكم المحاكم الديمقراطية الأخرى فـي بريطانيـا والولايات المتحدة على حرية الفكر التي ونجد مـثلاً صارخًا لها في محاكمة المفكـر الفرنسـي المسـلم جارودي بمقتضى قانون يحرم علـى أي كاتـب أن يمس قضية " المحرقة اليهودية ".

والديمقراطية عمليا – هي حكم الأغلبية التي لا تجد مانعا من كبت الأقليات، وتاريخها حافل بـذلك. فالديمقراطيـة لا تغني الحرية، بل يمكن أن تكون – وكانت بالفعـل مـرارا وتكرارا ضد الحرية.

ج- أن الديمقراطية تقوم على نظام الأحزاب، والانتخاب على أساس الدوائر الجغرافية، وقد أظهرت التجربة


قصور هذين النظامين، وتعرضهما للاختـراق مـن قبل ذوي المصالح أو " اللوبي " التي تحكـم نتيجـة الانتخابات. ورأينا صورة مدوية له في قدرة اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة على تسخير مصالح هذه الدولة لخدمة السياسات الإسرائيلية ضد المصالح الأمريكية نفسها، وبصفة عامة فيكاد يحكـم النظـام الانتخابي قانون جريشام عن أن " العملـة الرديئـة تطرد العملة الجيدة" فالمشرح المنافق يطرد المرشح الأمين، ولا بد من التوصل إلى بـديل عـن نظـام الأحزاب والانتخاب كما هما مطبقان [ولـدينا هـذا البديل].

د- أن الديمقراطية في الوقت الذي قد تكبح حرية الفكر فإنها تفسح المجال للرأسـمالية ورجـال الأعمـال لاستثمار أموالهم بما يحقق لهم الربح وتحـول دون تدخل الدولة لتطبيق العدالة أو تحقيق التوازن بحجة أن أي تدخل من هذا بآليات السوق. وكأن الشـعوب قد خلقت لخدمة آليات السوق ولم تخلق آليات السوق لتكون في خدمة الشعوب، ونتيجـة لهـذا القصـور

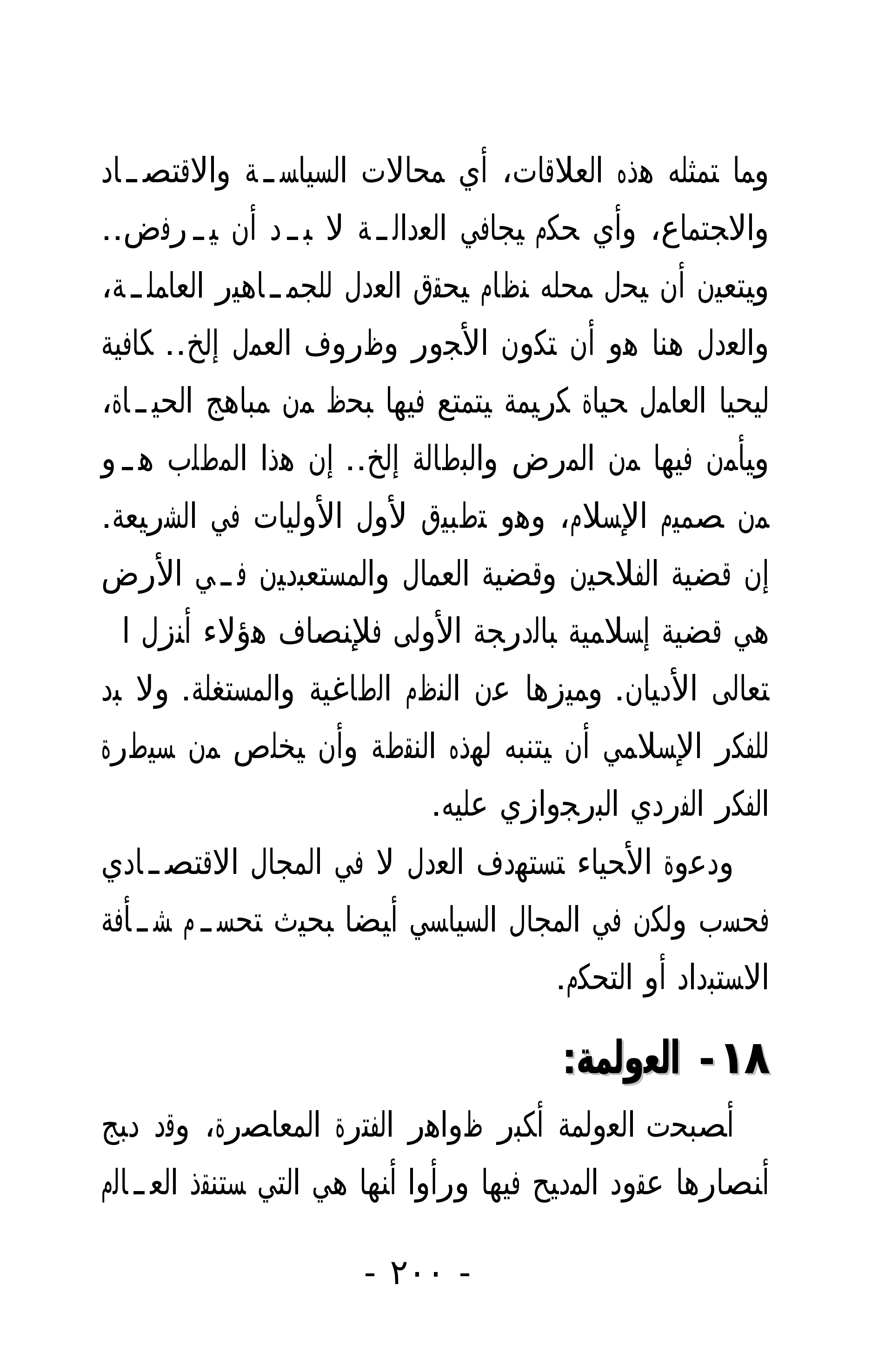
ظهرت الدعوات الاشتراكية والفاشية التي ضلت هي الأخرى الطريق لأنها اشـترت العدالـة وضـحت بالحرية..

هذه بعض الملاحظات التي يمكن لدعوة الإحياء الإسلامي أن تقدمها للذين يعبدون الديمقراطية ويدعون لتطبيقها علـى كل دول العالم كما لو كانت شفاء من كـل داء، وأن دعـوة الإحياء الإسلامي لديها البديل الأفضل الذي عبر عنـه فـي بعض رسائلها مثل " حكم القانون رؤية للحكم بـالقرآن " أو البرنامج الإسلامي " إلخ..

وحتى يتم هذا فإن الديمقراطية علـى عجزهـا وبجرهـا حسناتها وسوءاتها أفضل من غيرها، ويتعين الأخذ به فـي المرحلة الانتقالية.

١٧ – العدل:

في مناسبات عديدة أثبتنا أن العدل هو " بصمة " الإسـلام إذا كان للأديان بصمة. ومع هذا فإنه لم يكن مهملاً كما هـو في الدول الإسلامية، وفي فكر الفقهاء أيضا، ولا بـد مـن إصلاح هذا بجعل العدل هو الفيصل في العلاقات جميعا مـا بين الحاكم والمحكوم.. الرأسمالي والعامل، الرجل والمـرأة،



وما تمثله هذه العلاقات، أي مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع، وأي حكم يجافي العدالة لا بد أن يرفض.. ويتعين أن يحل محله نظام يحقق العدل للجماهير العاملة، والعدل هنا هو أن تكون الأجور وظروف العمل إلخ.. كافية ليحيا العامل حياة كريمة يتمتع فيها بحظ من مباهج الحياة، ويأمن فيها من المرض والبطالة إلخ.. إن هذا المطلب هو من صميم الإسلام، وهو تطبيق لأول الأوليات في الشريعة. إن قضية الفلاحين وقضية العمال والمستعبدين في الأرض هي قضية إسلامية بالدرجة الأولى فلإنصاف هؤلاء أنزل ا تعالى الأديان. وميزها عن النظم الطاغية والمستغلة. ولا بد للفكر الإسلامي أن يتنبه لهذه النقطة وأن يخلص من سيطرة الفكر الفردي البرجوازي عليه.

ودعوة الأحياء تستهدف العدل لا في المجال الاقتصادي فحسب ولكن في المجال السياسي أيضا بحيث تحسم شأفة الاستبداد أو التحكم.

١٨- العولمة:

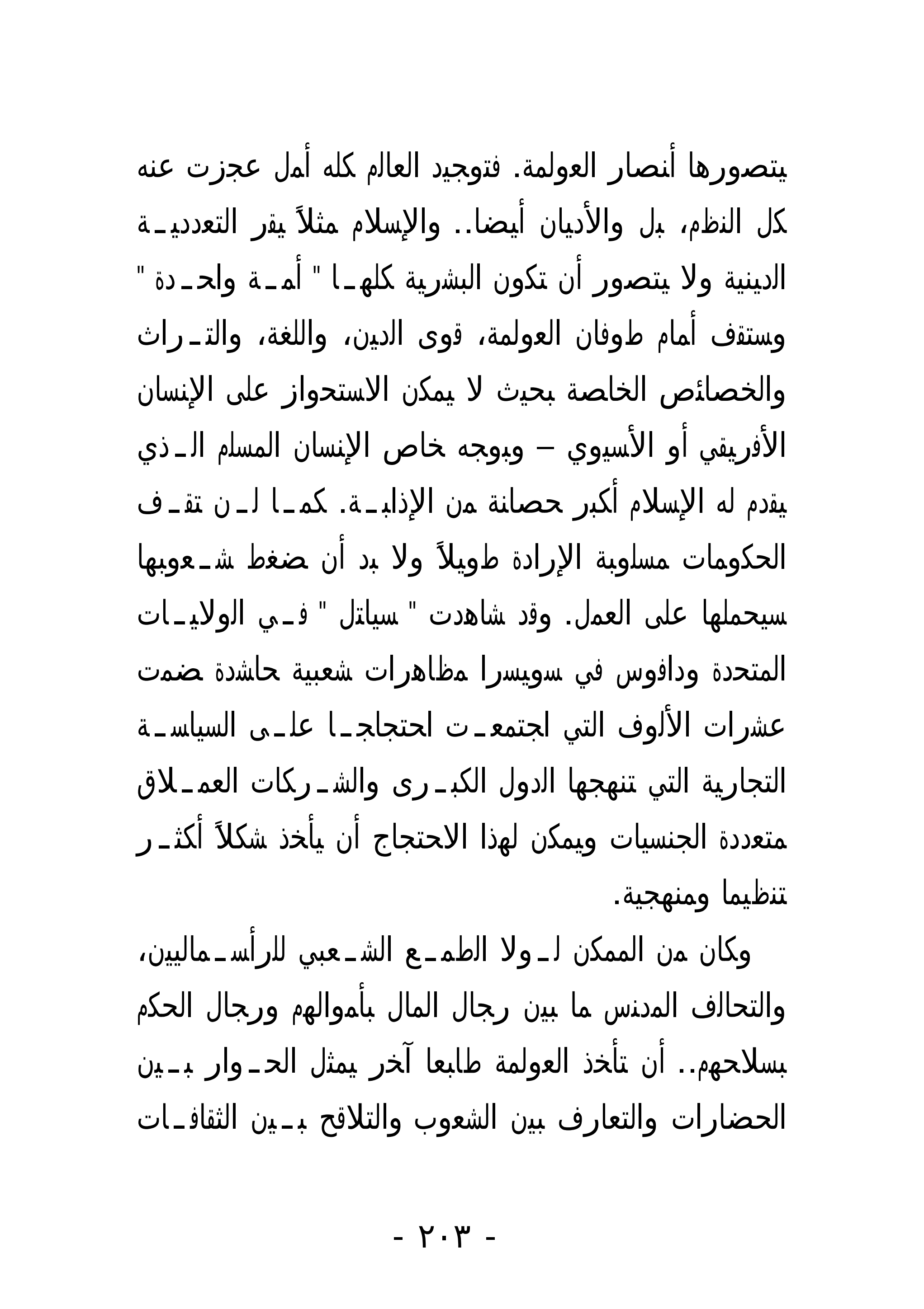
أصبحت العولمة أكبر ظواهر الفترة المعاصرة، وقد دبج أنصارها عقود المديح فيها ورأوا أنها هي التي ستنقذ العالم

من أوجاعه. وأنها بمعاييرها تـؤدي إلـى تطبيـق حقـوق الإنسان. الديمقراطية وإشاعة الحريات إلـخ.. والحقيقـة أن العولمة هي آخر " صيحة " أو مدى وصـل إليـه النظـام الرأسمالي. وقد كان الفصـل الأول لتغلغلـه هـو الغـزو العسكري الذي يسـلم مـوارد المسـتعمرات للرأسـماليين الأوروبيين. ثم تضمن الفصل الثاني نوعا من الشراكة فـي إقامة المصانع والمؤسسات التجارية ما بين الاقتصاديين في المستعمرات والاقتصاديين في الدولة الأوروبيـة والفصـل الثالث والمعاصر هو العولمة التي جندت ثلاث فيالق لا يمكن لأي دولة أن تقف أمامها. والفيلق الأول: اختراق البورصات بعد أن أصبح الاقتصـاد " ماليـا " يقـوم علـى العمـلات والبورصات والانتقال المفتوح لرؤوس الأموال إمـا بصـفة قروض أو استثمار أو أسهم وسندات، وبهذه الطريقة يصـبح الاقتصاد في يـد أصـحاب رؤوس الأمـوال الأوروبيـة/ الأمريكية ويمكن لهم أن يكرروا ما فعلـوه مـع " النمـور الآسيوية " في ماليزيا بمختلف الطرق والوسائل التي تسـمح بها نظم البورصات.

والفيلق الثاني: غزو السلع والمنتجات لأسواق العالم بعـد أن توصلت اتفاقية الجات إلى أن تكون الأسـواق مفتوحـة، ومنعت الدول من فرض رسوم جمركية على الواردات إليها. فأصبحت الأسواق مفتوحة. فأصبحت الأسواق القومية فريسة سهلة أمام السلع الأجنبية لأنها لا يمكن أن تصل إلى مستوى جودتها. فضلاً عن أن هنـاك مـن الألاعيـب مـا يمكـن لأصحابها التوصل إلى قهـر السـلعة الوطنيـة، كأسـلوب الأغراق، وذلك بتخفيض السلعة الأجنبية إلى ما دون التكلفة، بحيث يفلس منتجو السلع القومية وبعد أن يحدث هذا ترفـع الشركات الأجنبية من سلعتها بعـد أن انفـردت بالسـوق.. وأمثال هذه الألاعيب عديدة..

والفيلق الثالث: الإعلام طريق الأقمار الصناعية والقنوات التليفزيونية التي تقوم بالغزو الفكري والنفسي لفلسفة العولمة بحيث يمكن في النهاية أن يأكل العـالم كلـه الهـامبورجر ويشرب الكوكاكولا ويلـبس " الجينـز " ويشـاهد الأفـلام الأمريكية.

ولا جدال في قوة هذه الهجمـة الأخيـرة مـن هجمـات الرأسمالية، ولكن المعركة قـد لا تكـون بالسـهولة التـي


يتصورها أنصار العولمة. فتوحيد العالم كله أمل عجزت عنه كل النظم، بل والأديان أيضا.. والإسلام مثلاً يقر التعددية الدينية ولا يتصور أن تكون البشرية كلها " أمة واحدة " وستقف أمام طوفان العولمة، قوى الدين، واللغة، والتراث والخصائص الخاصة بحيث لا يمكن الاستحواز على الإنسان الأفريقي أو الأسيوي – وبوجه خاص الإنسان المسلم الذي يقدم له الإسلام أكبر حصانة من الإذابة. كما لن تقف الحكومات مسلوبة الإرادة طويلاً ولا بد أن ضغط شعوبها سيحملها على العمل. وقد شاهدت " سياتل " في الولايات المتحدة ودافوس في سويسرا مظاهرات شعبية حاشدة ضمت عشرات الألوف التي اجتمعت احتجاجا على السياسة التجارية التي تنهجها الدول الكبرى والشركات العملاق متعددة الجنسيات ويمكن لهذا الاحتجاج أن يأخذ شكلاً أكثر تنظيما ومنهجية.

وكان من الممكن لولا الطمع الشعبي للرأسماليين، والتحالف المدنس ما بين رجال المال بأموالهم ورجال الحكم بسلاحهم.. أن تأخذ العولمة طابعا آخر يمثل الحوار بين الحضارات والتعارف بين الشعوب والتلاقح بين الثقافات

والقضاء على العنصرية، وهي كلها أهداف نبيلة ومفيدة للبشرية جمعاء..

وهذا هو ما تدعو إليه دعوة الإحياء الإسلامي وما أمر به الله تعالى عندما قال: ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير..** ﴾.

١٩- الفساد:

عم الفساد وطم، وظهر في البر والبحر، في الدول المختلفة، في آسيا وأفريقيا وأوروبا، وأمريكا. بحيث أصبح " ظاهر " وليس " حدثًا " وشمل السياسيين في صورة تقاضي معونات للأحزاب وتمويل للمعارك الانتخابية من قبل أصحاب أعمال أو فئات مستفيدة. والتستر وراء الحصانة البرلمانية لأداء صفقات مخالفة للقوانين وأدت الفضائح إلى استقالة عدد من كبار السياسيين في ألمانيا، وإنجلترا، وغيرهما.. كم تورط عدد كبير من المواطنين في تقاضي عمولات أو رشاوى للحصول على موافقات أو تسهيلات لإجراء صفقات بحيث اعتبرت العمولات والرشاوى في بعض الدول كجزء لا يتجزأ من تكاليف الإنتاج!

وظهر الفساد في الدوائر المالية، وبالذات البنوك ووصل الفساد في بعض الدول المختلفة أن استحوز كبار حكامها لأنفسهم على المعونات والقروض التي تقدم للدولة، أو تحويل مبالغ جسيمة من المالية العامة لسحاباتهم في البنوك الخارجية.

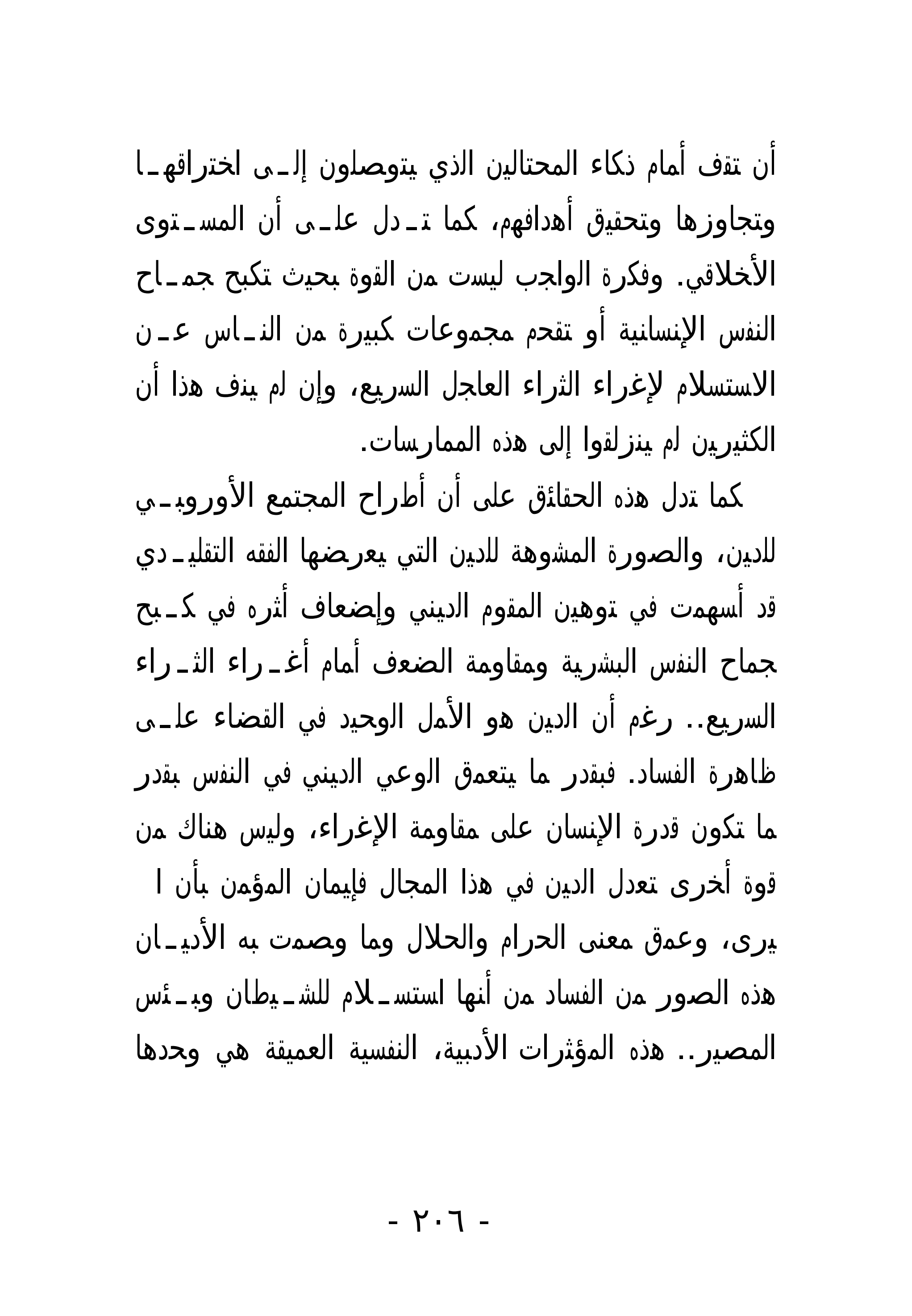
وظهر الفساد في الدوائر المالية ما بين المقرضين ومديري البنك الذي قدموا تسهيلات ائتمانية دون ضمانات ولكن لقاء عمولات، وأخذ المقرضون الأموال وفروا بها!

وظهر الفساد في المجال الصناعي والزراعي بما يمارسه أصحابها من وسائل التحايل بأنواعه لاكتساب الرواج ولم ينج من ذلك حتى صناعة الأدوية..

وظهر الفساد لدى المهنيين من محامين، ومهندسين ومحاسبين وخبراء إلخ..

باختصار لم ينج قطاع من قطاعات المجتمع من وباء الفساد.. كما لم تفلح النظم الاشتراكية إلا في التستر على صور الفساد التي لم تعرف إلا بعد سقوط هذه النظم.

ويدل شيوع هذه الظاهرة وانتشارها على مستوى العالم أن القوانين والنظم واللوائح رغم دقتها وصرامته لم تستطيع



أن تقف أمام ذكاء المحتالين الذي يتوصلون إلـى اختراقهـا وتجاوزها وتحقيق أهدافهم، كما تـدل علـى أن المسـتوى الأخلاقي. وفكرة الواجب ليست من القوة بحيث تكبح جمـاح النفس الإنسانية أو تقحم مجموعات كبيرة من النـاس عـن الاستسلام لإغراء الثراء العاجل السريع، وإن لم ينف هذا أن الكثيرين لم ينزلقوا إلى هذه الممارسات.

كما تدل هذه الحقائق على أن أطراح المجتمع الأوروبـي للدين، والصورة المشوهة للدين التي يعرضها الفقه التقليـدي قد أسهمت في توهين المقوم الديني وإضعاف أثره في كـبح جماح النفس البشرية ومقاومة الضعف أمام أغـراء الثـراء السريع.. رغم أن الدين هو الأمل الوحيد في القضاء علـى ظاهرة الفساد. فبقدر ما يتعمق الوعي الديني في النفس بقدر ما تكون قدرة الإنسان على مقاومة الإغراء، وليس هناك من قوة أخرى تعدل الدين في هذا المجال فإيمان المؤمن بأن ا يرى، وعمق معنى الحرام والحلال وما وصمت به الأديـان هذه الصور من الفساد من أنها استسـلام للشـيطان وبـئس المصير.. هذه المؤثرات الأدبية، النفسية العميقة هي وحدها

التي يمكن أن تحول دون استشراء الفساد، دون أن ينفي هذا ضرورة العمل على إغلاق المنافذ إليه.

٢٠- النخبة:

من الظواهر البارزة في معظـم المجتمعـات الإسـلامية وجود نخبة تختلف في مذاهبها واتجاهاتها عما تـذهب إليـه شعوبها وجماهيرها، فالشعوب في واد، وهذه النخبة فـي واد آخر ومثل هذا الشذوذ لا يوجد في المجتمعات الأخرى، وهذه الظاهرة الشاذة تعود إلى أسباب عديدة أبرزها أن الثقافة التي ألمت بها هذه النخبة ثقافة أوروبية خالصة، لا تمـت بصـلة إلى الإسلام، أو إلى ثقافة بلادها، وقـد تلقـى الكثيـر مـن البارزين من هذه النخبة دراساتهم في جامعات أوروبيـة أو أمريكية أو تبشيرية (كالجامعة الأمريكية في مصر وبيروت وجامعة فيكتوريا بالإسكندرية) ومن هنا فإن عقل هذه النخبة وتفكيرها بعيد كل البعد عن فكر الجماهير الذي يدور حـول محور رئيسي هو الإسلام باعتبـاره الأصـل فـي اللغـة، والتشريع والآداب إلخ..

أما الذين لم يقسم لهم مثل هـذه الدراسـات الأوروبيـة والأمريكية من النخبة فإن النظم الحاكمـة عملـت لكسـب

ولاءهم، وهذا أمر يسير عليها لأن في يدها المال والسياسـة والوظائف والصحافة إلخ.. وهي تستطيع أن توظـف هـذه النخبة في الصحف، وأجهزة الإعلان والجماعات والوزارات والمصالح على اختلافها، كما أنها أيضا تعمل لاحتوائه فـي حزبها، وهو الحزب الحاكم، وبهذه الطريقة تكفل لهم النجاح في انتخابات ٩٩,٩% وتكسبهم المنزلة الأدبيـة والسياسـية والمادية أيضا.. بل حتى النخبـة الإسـلامية التـي تـدور دراساتها كلها حول الإسلام فـإن السـلطة لا تعجـز عـن استحقاقها بحيث يكونون بعد فترة " بطانة السـلطان " التـي تصدر الفتاوى بشرعية أحكام وقرارات السلطة..

وهذا كله يكاد يكون من الحقائق الدارجة الملموسة التـي يعلمها كل الناس بحيث لا ترى حاجة لضرب أمثلة..

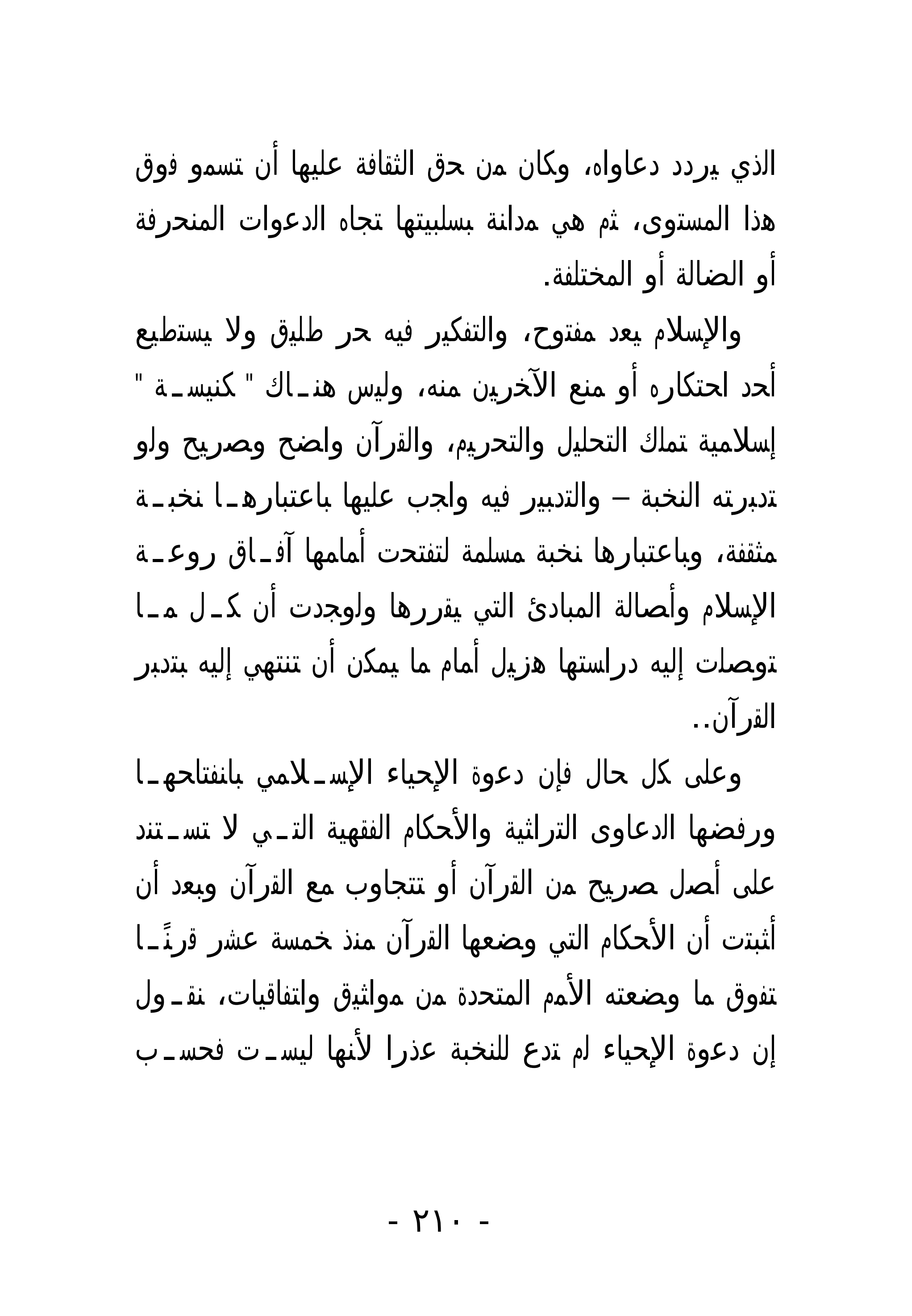
نتيجة لهذا فإن الصحافة، والإعلام، ومؤسسـات الثقافـة الأوروبية أصبحت أجهزة لتدعيم سياسة النظام الحـاكم لأن النخبة أصبحت جزءا منه، فهي في دفاعها عن النظام إنمـا تدافع في الحقيقة عن نفسها وعن مصالحها المكتسـبة، كمـا أنها لا بد وأن تدفع أي نقد يوجه للسلطات لأنه يمسها بعد أن

ورطتها النظم الحاكمة في سياساتها وأشركتها في قاذوراتهـا وجعلتها تتستر، بل تدافع عنها.

بالإضافة إلى هذا كله، فقد كان لدى هذه النخبة عامل آخر يجعلهم يعزفون عن الاتجاه الإسلامي. ذلك أن هذا الاتجـاه إنما تمثله مؤسسة دينية متقوقعة، أو هيئات إسلامية بعضـهم شاردة ومهووسة لا يأتي منها إلا أنواع العـذاب والوعيـد، والتنديد بالفنون والآداب والانغلاق، والجهالـة والتعصـب وضيق الأفق.. ومن ثم فقد عزفت النخبة من الالتحاق بهـذا الركب العقيم. ورأت في دعوة للتخلف.

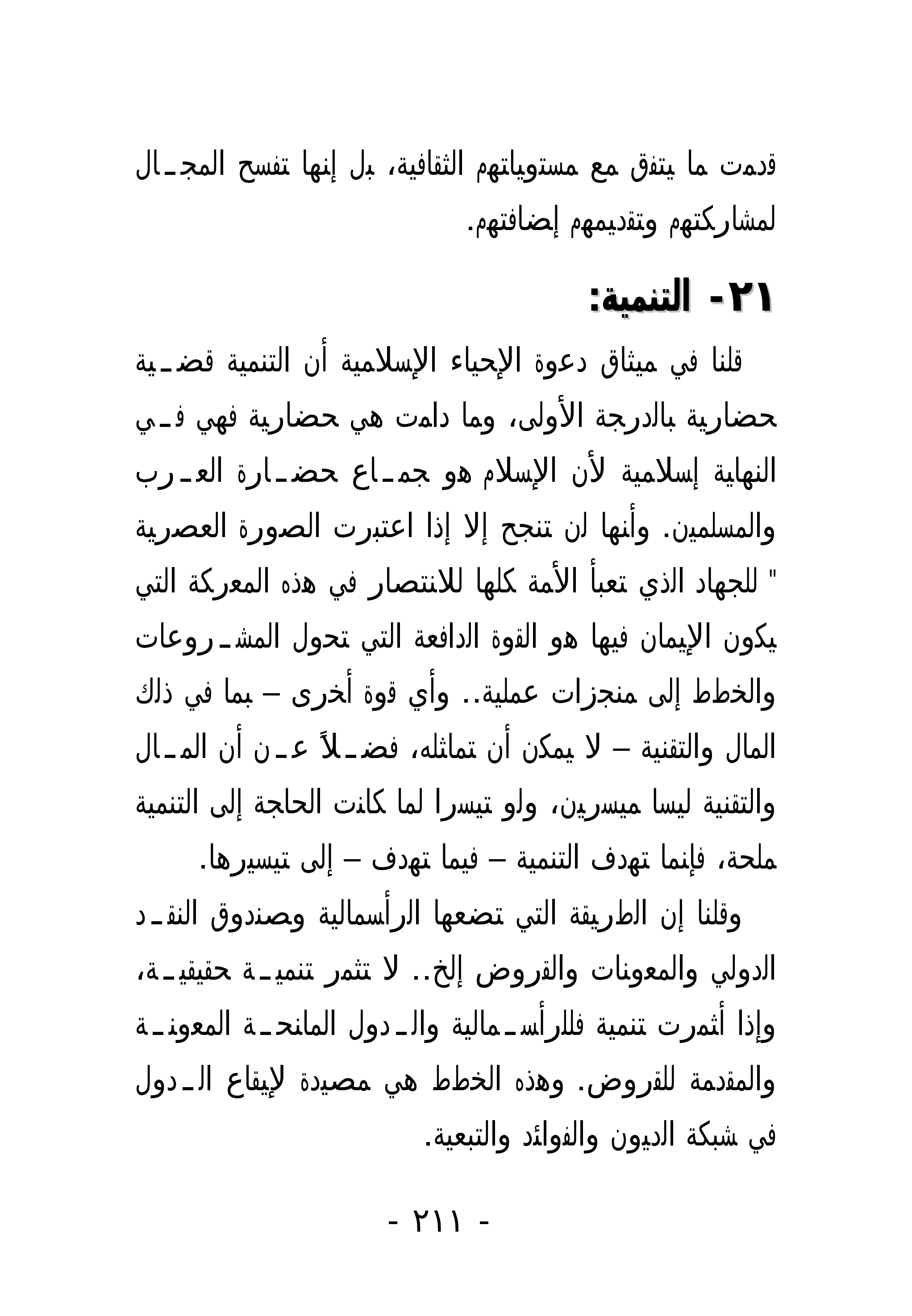
على أن النخبة لا تعذر تماما في الموقف الـذي اتخذتـه لأنها كانت تستطيع أن تتبين زيف وانحراف هـؤلاء الـذين نصبوا أنفسهم دعاة وكان بإمكان هذه النخبة. أن تتوصل إلى ما في الإسلام من روعه وأصالة وأن تعلم أن موقفها السلبي فرار من أعظم قرار فكري يتعين على المثقف اتخاذه وأنهـا بذلك تفسح المجال لهؤلاء الدعاة.. ونتـرك لهـم الميـدان يصولون فيه دون أن يجدوا معقبا أو مصححا.

فالنخبة في جميع الحالات وباستثناءات قليلة مدانة، مدانة في استسلامها للسلطات وجعلها من نفسها " صوت سيده "


الذي يردد دعاواه، وكان من حق الثقافة عليها أن تسمو فوق هذا المستوى، ثم هي مدانة بسلبيتها تجاه الدعوات المنحرفة أو الضالة أو المختلفة.

والإسلام يعد مفتوح، والتفكير فيه حر طليق ولا يستطيع أحد احتكاره أو منع الآخرين منه، وليس هنـاك " كنيسـة " إسلامية تملك التحليل والتحريم، والقرآن واضح وصريح ولو تدبرته النخبة – والتدبير فيه واجب عليها باعتبارهـا نخبـة مثقفة، وباعتبارها نخبة مسلمة لتفتحت أمامها آفـاق روعـة الإسلام وأصالة المبادئ التي يقررها ولوجدت أن كـل مـا توصلت إليه دراستها هزيل أمام ما يمكن أن تنتهي إليه بتدبر القرآن..

وعلى كل حال فإن دعوة الإحياء الإسـلامي بانفتاحهـا ورفضها الدعاوى التراثية والأحكام الفقهية التـي لا تسـتند على أصل صريح من القرآن أو تتجاوب مع القرآن وبعد أن أثبتت أن الأحكام التي وضعها القرآن منذ خمسة عشر قرنًـا تفوق ما وضعته الأمم المتحدة من مواثيق واتفاقيات، نقـول إن دعوة الإحياء لم تدع للنخبة عذرا لأنها ليسـت فحسـب



قدمت ما يتفق مع مستوياتهم الثقافية، بل إنها تفسح المجـال لمشاركتهم وتقديمهم إضافتهم.

٢١- التنمية:

قلنا في ميثاق دعوة الإحياء الإسلامية أن التنمية قضـية حضارية بالدرجة الأولى، وما دامت هي حضارية فهي فـي النهاية إسلامية لأن الإسلام هو جمـاع حضـارة العـرب والمسلمين. وأنها لن تنجح إلا إذا اعتبرت الصورة العصرية " للجهاد الذي تعبأ الأمة كلها للانتصار في هذه المعركة التي يكون الإيمان فيها هو القوة الدافعة التي تحول المشـروعات والخطط إلى منجزات عملية.. وأي قوة أخرى – بما في ذلك المال والتقنية – لا يمكن أن تماثله، فضـلاً عـن أن المـال والتقنية ليسا ميسرين، ولو تيسرا لما كانت الحاجة إلى التنمية ملحة، فإنما تهدف التنمية – فيما تهدف – إلى تيسيرها.

وقلنا إن الطريقة التي تضعها الرأسمالية وصندوق النقـد الدولي والمعونات والقروض إلخ.. لا تثمر تنميـة حقيقيـة، وإذا أثمرت تنمية فللرأسـمالية والـدول المانحـة المعونـة والمقدمة للقروض. وهذه الخطط هي مصيدة لإيقاع الـدول في شبكة الديون والفوائد والتبعية.

فلا بد للتنمية الناجحة أن تستلهم طرقًا غير تقليدية، تأخذ من الإسلام عنصر " الإيمان " وتأخذ من عمر بن الخطـاب كالحاكم الذي يقود التنمية مبدأ " الأسوة " وتـدرس تجربـة غاندي واليابان والصين وحتى لينين..

وقلنا إن هذه التنمية لا بد أن تستهدف إثراء الشعب كلـه وليس القلة المميزة ولا بد أن تشترك الجماهير مشاركة فعالة من وضع الخطة، حتى تطبيقها وتقييمها ومتابعتها. ولا بد أن تبدأ من محطة الكفاية التي لا تتحقق إلا بما تنجزه التنمية من أهداف وترفع مستوى المعيشة إلى مستوى الكفاية.

وأي تنمية يضع خطوطها صندوق النقد الـدولي وتقـوم على قروض ويشرف عليها خبراء وموظفون ستؤدي إلـى مزيد من التخلف والتخبط في إسار التبعية. وستجعل الفقراء أشد فقرا والأغنياء أكثر غني.

٢٢- النفاق الاجتماعي:

أصبح النفاق الاجتماعي هو القاعدة التي تحكم العلاقـات الاجتماعية على مستوى الأسرة، وعلـى مسـتوى الدولـة، وهناك استثناءات بالطبع، ولكنه الاستثناء الذي يثبت القاعدة لا ينفيها، والحكم هو للقاعدة، ولو قارنا المجتمـع العربـي/

الإسلامي في هذه القضية بالمجتمع الأوروبـي/ الأمريكـي لوجدنا أن النفاق استثناء.. أمـا القاعـدة فهـي الصـراحة والصدق والمجابهة.

وهذه الحقيقة هي من أكبر أسباب القلق والتخـبط الـذي يعانيه المجتمع المصري، كما أنها من أكبر أسـباب تخلـف الأمم، لأن الأمم إنما تنهض بالشـجاعة، والإقـدام والقيـام بالمسئوليات والالتزامات واستخدام العقل وتطبيق أحكامه.

ويبدأ الفصل الأول من هذه المأساة مع الأسـرة. فـالأم العربية/ الإسلامية لا تفرق بين الحب والدلال، والأول حسن والثاني سيئ، ومن حق الطفل على أمه أن تحبه وتشعره بهذا الحب كما أن من واجب الأم على الطفل أن تعلمه أن هنـاك أصولاً وقواعد لا بد أن يتقبلها ويلتزمها في الأكل، والشرب، واللبس والنوم إلخ.. لأن صحته ومصـلحته تتطلـب ذلـك، ويمكن للأم أن تحمل الطفل علـى الالتـزام بهـا بـرفض الاستسلام لبكائه وصراخه. إن الأم الأوروبية بعد أن تعلـم في هدوء، وبصبر طفله هذه القواعد في الأكل واللبس والنوم فإنها لا تأبه لبكائه عند إلزامه بها وشيئًا فشيئًا يفهم الطفل أن عليه أن ينصاع ويلتزم ويوقف البكـاء أمـا الأم العربيـة/

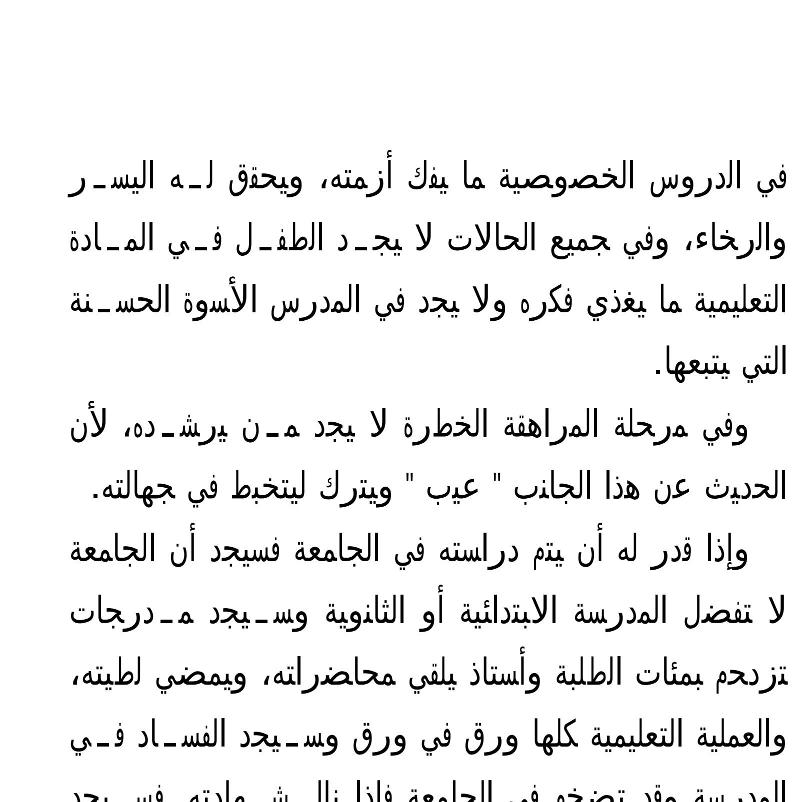
المسلمة فما أن يبكي طفلها حتى تهرع إليه وتقبل التخلي عن هذه القواعد (إذا افترضنا إنها علمتها له) وتكون النتيجـة أن يصر الطفل على مطالبه حتى يستجاب له، وفـي مسـتقبل حياته يتصور أن من حقه أن يستجيب له الآخرون.

ولهذا التدليل أثر لا يقل خطورة، ذلك أن الأم تخشى على طفلها من أقل المخاطر، وتحاول أن تجنبه القيام بالكثير مـن الواجبات أو التصرف مع مشكلاته، وبهذا تجرده مـن روح الإقدام والمخاطرة وتحمل المسئولية وتربيه تربيـة إتكاليـة يعتمد فيها على الآخرين ويفر من الالتزامات والواجبات.

ومقابل تدليل الأم يقف الأب صارما، ولكن هذه الصرامة ليست في إلزام الطفل بالقيام بالقواعد، ولكن لكسـب طاعـة الطفل.

ويتمزق الطفل ما بين تدليل الأم، وصـرامة الأب وفـي الوقت نفسه فإن الأم والأب قلما يتحدثان معه حديثًا مفيدا أو يردان على أسئلته، أو يزودانه بمعرفة.

فإذا دخل المدرسة وجد نظاما للتلقين وحشو الفكر والحفظ ووجد معلما مهموما بائسا ينوء بمطالب أسرته التي لا يفـي بها مرتبه – كما قد يجد – كما حدث في الفترات الأخيرة –



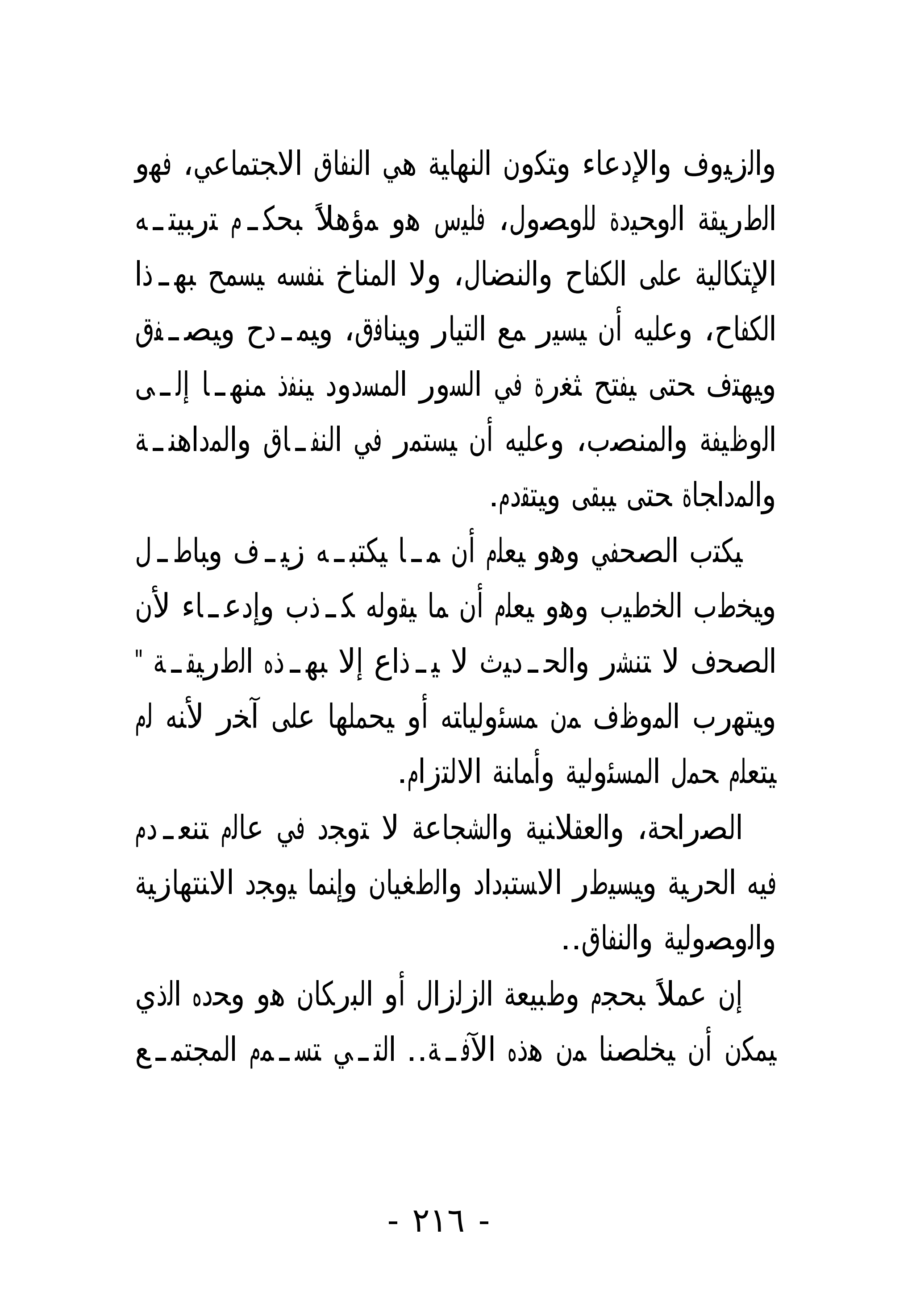
في الدروس الخصوصية ما يفك أزمته، ويحقق له اليسر والرخاء، وفي جميع الحالات لا يجد الطفل في المادة التعليمية ما يغذي فكره ولا يجد في المدرس الأسوة الحسنة التي يتبعها.

وفي مرحلة المراهقة الخطرة لا يجد من يرشده، لأن الحديث عن هذا الجانب " عيب " ويترك ليتخبط في جهالته.

وإذا قدر له أن يتم دراسته في الجامعة فسيجد أن الجامعة لا تفضل المدرسة الابتدائية أو الثانوية وسيجد مدرجات تزدحم بمئات الطلبة وأستاذ يلقي محاضراته، ويمضي لطيته، والعملية التعليمية كلها ورق في ورق وسيجد الفساد في المدرسة وقد تضخم في الجامعة فإذا نال شهادته. فسيجد البطالة وسيكون عليه أن ينتظر سنوات طوال، وأن يجري وراء " الواسطة " حتى يصل في النهاية إلى وظيفة.

خلال هذا " المشوار " الطويل لا يجد توجيها حكيما أو قيما رشيدة أو أسوة حسنة. أو تدريبا على إعمال العقل ومجابهة المشكلات.

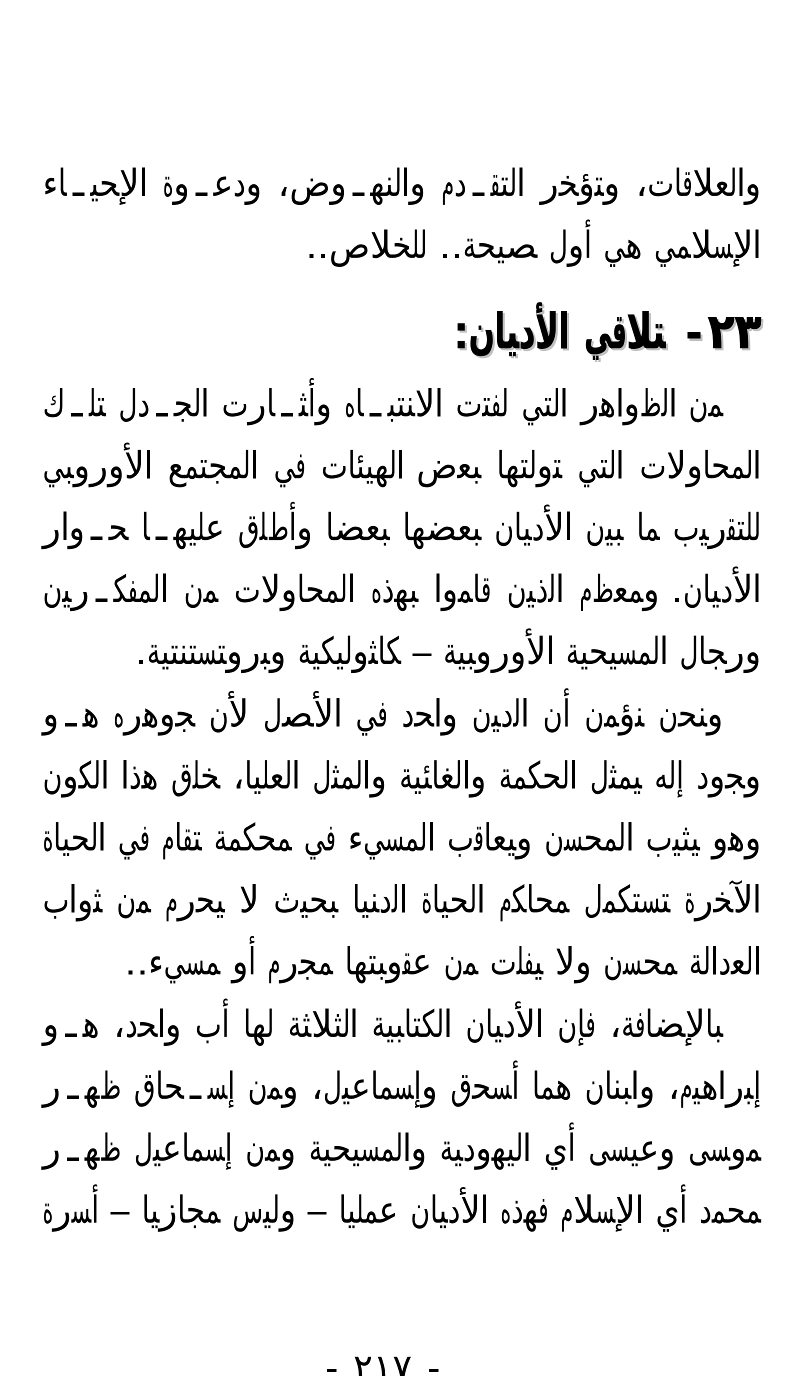
وسيجد أن المناخ الذي يحكم المجتمع هو مناخ العشوائية والكبت والقيود والسدود، والمحرمات وتركيز السلطات


والزيوف والإدعاء وتكون النهاية هي النفاق الاجتماعي، فهو الطريقة الوحيدة للوصول، فليس هو مؤهلاً بحكـم تربيتـه الإتكالية على الكفاح والنضال، ولا المناخ نفسه يسمح بهـذا الكفاح، وعليه أن يسير مع التيار وينافق، ويمـدح ويصـفق ويهتف حتى يفتح ثغرة في السور المسدود ينفذ منهـا إلـى الوظيفة والمنصب، وعليه أن يستمر في النفـاق والمداهنـة والمداجاة حتى يبقى ويتقدم.

يكتب الصحفي وهو يعلم أن مـا يكتبـه زيـف وباطـل ويخطب الخطيب وهو يعلم أن ما يقوله كـذب وإدعـاء لأن الصحف لا تنشر والحـديث لا يـذاع إلا بهـذه الطريقـة " ويتهرب الموظف من مسئولياته أو يحملها على آخر لأنه لم يتعلم حمل المسئولية وأمانة الالتزام.

الصراحة، والعقلانية والشجاعة لا توجد في عالم تنعـدم فيه الحرية ويسيطر الاستبداد والطغيان وإنما يوجد الانتهازية والوصولية والنفاق..

إن عملاً بحجم وطبيعة الزلزال أو البركان هو وحده الذي يمكن أن يخلصنا من هذه الآفـة.. التـي تسـمم المجتمـع



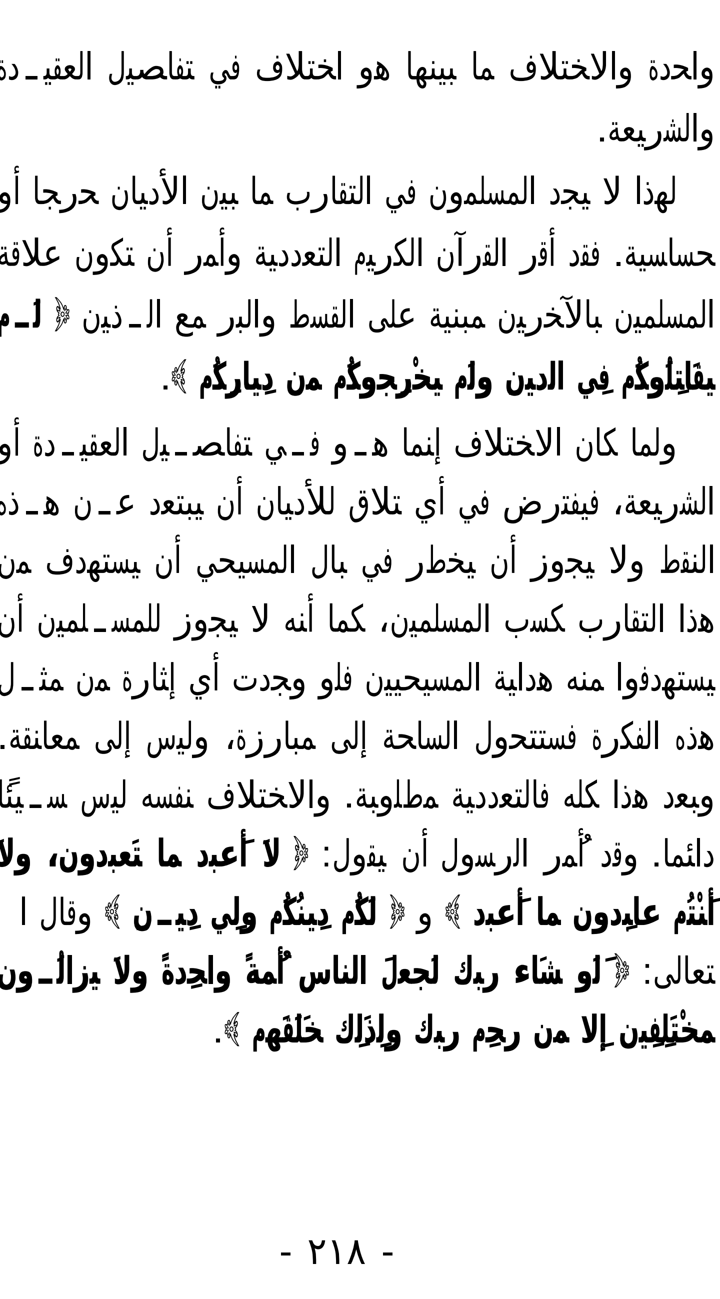
والعلاقات، وتؤخر التقـدم والنهـوض، ودعـوة الإحيـاء الإسلامي هي أول صيحة.. للخلاص..

٢٣- تلاقي الأديان:

من الظواهر التي لفتت الانتبـاه وأثـارت الجـدل تلـك المحاولات التي تولتها بعض الهيئات في المجتمع الأوروبي للتقريب ما بين الأديان بعضها بعضا وأطلق عليهـا حـوار الأديان. ومعظم الذين قاموا بهذه المحاولات من المفكـرين ورجال المسيحية الأوروبية – كاثوليكية وبروتستنتية.

ونحن نؤمن أن الدين واحد في الأصل لأن جوهره هـو وجود إله يمثل الحكمة والغائية والمثل العليا، خلق هذا الكون وهو يثيب المحسن ويعاقب المسيء في محكمة تقام في الحياة الآخرة تستكمل محاكم الحياة الدنيا بحيث لا يحرم من ثواب العدالة محسن ولا يفلت من عقوبتها مجرم أو مسيء..

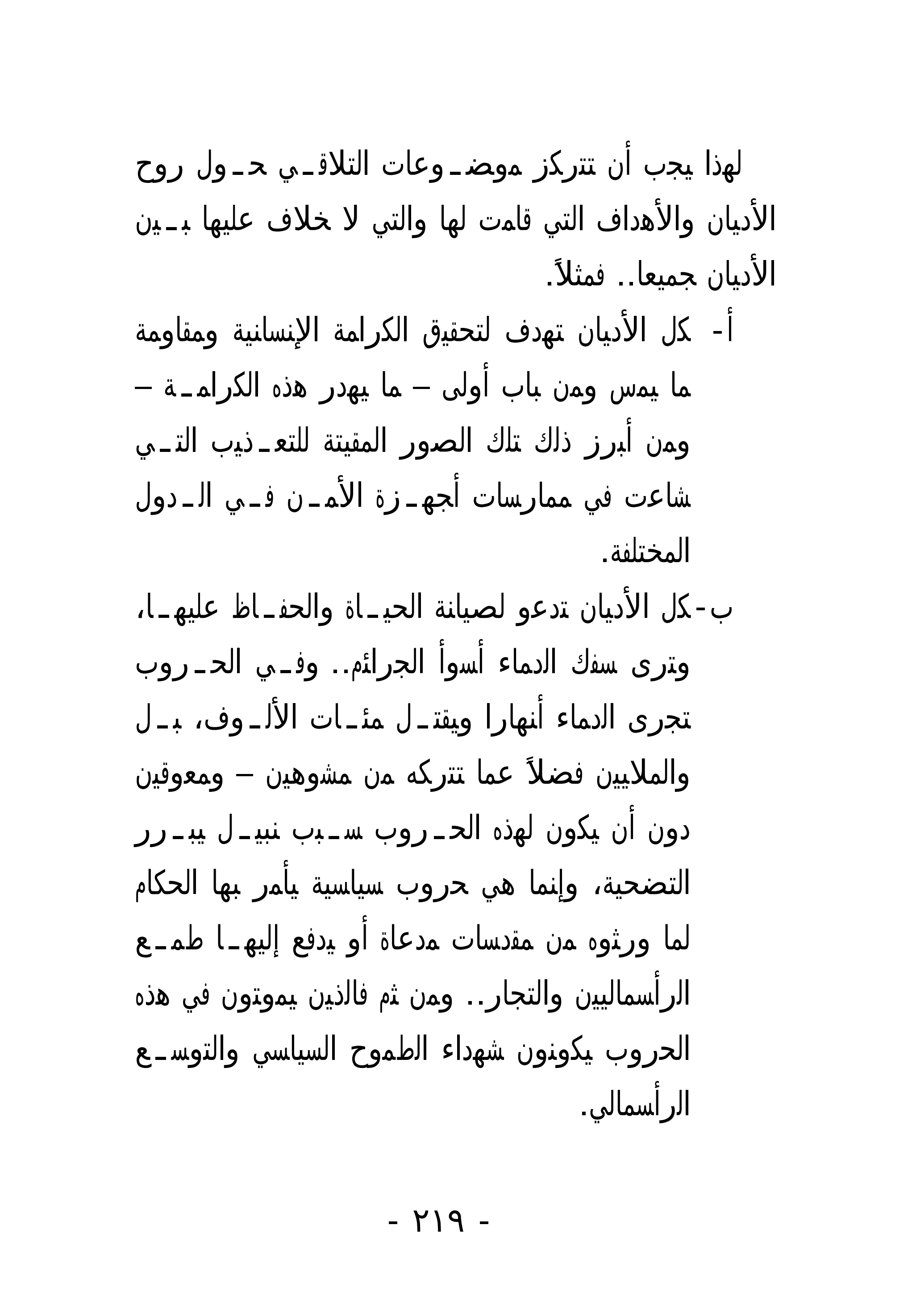
بالإضافة، فإن الأديان الكتابية الثلاثة لها أب واحد، هـو إبراهيم، وابنان هما أسحق وإسماعيل، ومن إسـحاق ظهـر موسى وعيسى أي اليهودية والمسيحية ومن إسماعيل ظهـر محمد أي الإسلام فهذه الأديان عمليا – وليس مجازيا – أسرة



واحدة والاختلاف ما بينها هو اختلاف في تفاصيل العقيـدة والشريعة.

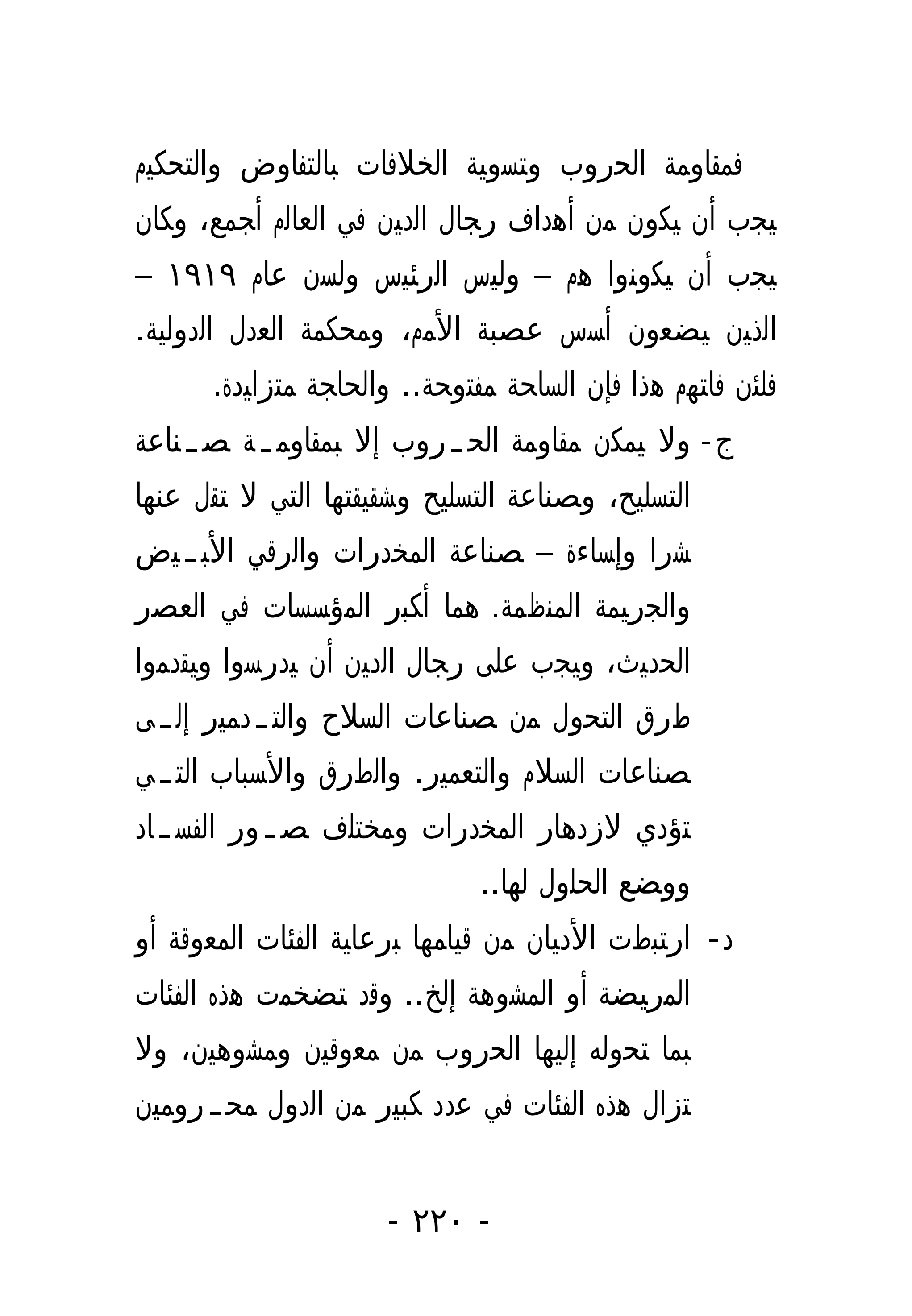
لهذا لا يجد المسلمون في التقارب ما بين الأديان حرجا أو حساسية. فقد أقر القرآن الكريم التعددية وأمر أن تكون علاقة المسلمين بالآخرين مبنية على القسط والبر مع الـذين ﴿ **لـم يقَاتِلُوكُم فِي الدين ولَم يخْرجوكُم من دِيارِكُم** ﴾.

ولما كان الاختلاف إنما هـو فـي تفاصـيل العقيـدة أو الشريعة، فيفترض في أي تلاق للأديان أن يبتعد عـن هـذه النقط ولا يجوز أن يخطر في بال المسيحي أن يستهدف من هذا التقارب كسب المسلمين، كما أنه لا يجوز للمسـلمين أن يستهدفوا منه هداية المسيحيين فلو وجدت أي إثارة من مثـل هذه الفكرة فستتحول الساحة إلى مبارزة، وليس إلى معانقة. وبعد هذا كله فالتعددية مطلوبة. والاختلاف نفسه ليس سـيئًا دائما. وقد أُمر الرسول أن يقول: ﴿ **لا أَعبد ما تَعبدون، ولاَ أَنْتُم عابِدون ما أَعبد** ﴾ و ﴿ **لَكُم دِينُكُم ولِي دِيـن** ﴾ وقال ا تعالى: ﴿ **لَو شَاء ربك لَجعلَ الناس أُمةً واحِدةً ولاَ يزالُـون مخْتَلِفِين إِلا من رحِم ربك ولِذَلِك خَلَقَهم** ﴾.


لهذا يجب أن تتركز موضـوعات التلاقـي حـول روح الأديان والأهداف التي قامت لها والتي لا خلاف عليها بـين الأديان جميعا.. فمثلاً.

أ- كل الأديان تهدف لتحقيق الكرامة الإنسانية ومقاومة ما يمس ومن باب أولى – ما يهدر هذه الكرامـة – ومن أبرز ذلك تلك الصور المقيتة للتعـذيب التـي شاعت في ممارسات أجهـزة الأمـن فـي الـدول المختلفة.

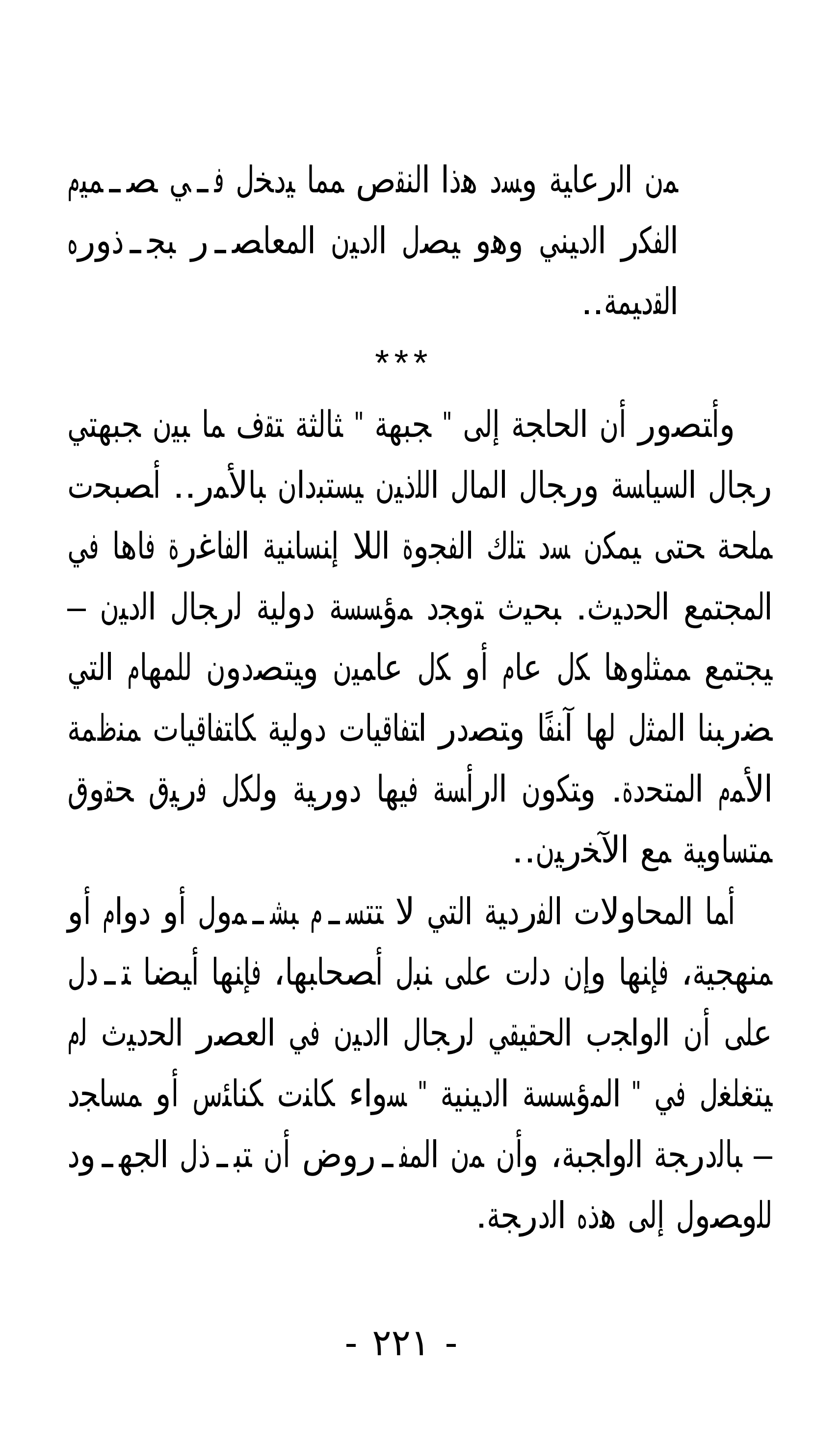
ب-كل الأديان تدعو لصيانة الحيـاة والحفـاظ عليهـا، وترى سفك الدماء أسوأ الجرائم.. وفـي الحـروب تجرى الدماء أنهارا ويقتـل مئـات الألـوف، بـل والملايين فضلاً عما تتركه من مشوهين – ومعوقين دون أن يكون لهذه الحـروب سـبب نبيـل يبـرر التضحية، وإنما هي حروب سياسية يأمر بها الحكام لما ورثوه من مقدسات مدعاة أو يدفع إليهـا طمـع الرأسماليين والتجار.. ومن ثم فالذين يموتون في هذه الحروب يكونون شهداء الطموح السياسي والتوسـع الرأسمالي.



فمقاومة الحروب وتسوية الخلافات بالتفاوض والتحكيم يجب أن يكون من أهداف رجال الدين في العالم أجمع، وكان يجب أن يكونوا هم – وليس الرئيس ولسن عام ١٩١٩ – الذين يضعون أسس عصبة الأمم، ومحكمة العدل الدولية. فلئن فاتهم هذا فإن الساحة مفتوحة.. والحاجة متزايدة.

ج- ولا يمكن مقاومة الحـروب إلا بمقاومـة صـناعة التسليح، وصناعة التسليح وشقيقتها التي لا تقل عنها شرا وإساءة – صناعة المخدرات والرقي الأبـيض والجريمة المنظمة. هما أكبر المؤسسات في العصر الحديث، ويجب على رجال الدين أن يدرسوا ويقدموا طرق التحول من صناعات السلاح والتـدمير إلـى صناعات السلام والتعمير. والطرق والأسباب التـي تؤدي لازدهار المخدرات ومختلف صـور الفسـاد ووضع الحلول لها..

د- ارتبطت الأديان من قيامها برعاية الفئات المعوقة أو المريضة أو المشوهة إلخ.. وقد تضخمت هذه الفئات بما تحوله إليها الحروب من معوقين ومشوهين، ولا تزال هذه الفئات في عدد كبير من الدول محـرومين



من الرعاية وسد هذا النقص مما يدخل فـي صـميم الفكر الديني وهو يصل الدين المعاصـر بجـذوره القديمة..

***

وأتصور أن الحاجة إلى " جبهة " ثالثة تقف ما بين جبهتي رجال السياسة ورجال المال اللذين يستبدان بالأمر.. أصبحت ملحة حتى يمكن سد تلك الفجوة اللا إنسانية الفاغرة فاها في المجتمع الحديث. بحيث توجد مؤسسة دولية لرجال الدين – يجتمع ممثلوها كل عام أو كل عامين ويتصدون للمهام التي ضربنا المثل لها آنفًا وتصدر اتفاقيات دولية كاتفاقيات منظمة الأمم المتحدة. وتكون الرأسة فيها دورية ولكل فريق حقوق متساوية مع الآخرين..

أما المحاولات الفردية التي لا تتسـم بشـمول أو دوام أو منهجية، فإنها وإن دلت على نبل أصحابها، فإنها أيضا تـدل على أن الواجب الحقيقي لرجال الدين في العصر الحديث لم يتغلغل في " المؤسسة الدينية " سواء كانت كنائس أو مساجد – بالدرجة الواجبة، وأن من المفـروض أن تبـذل الجهـود للوصول إلى هذه الدرجة.

٢٤- الثورية:

كان للثورة الفرنسية وما اصطحبت به من مـذابح أثـر عميق ليس فحسب على الفكر السياسي الأوروبي ولكن أيضا على الممارسات الثورية.. فأعتبر المفكرون أن من طبيعـة الثروات أن تكون دموية وأن ترتكب فيها جرائم عديـدة وأن هذه الانحرافات " شرعية ثورية " ثم جاء لينين وطبق مبدأ " اغتصاب المغتصبين " و " لا حرية لأعداء الشعب " وبهـذا أمكن تسويغ الجرائم المنكرة التي وقع فيها الاتحاد السوفيتي بدءا من عهد لينين حتى الأيام الأخيرة لـه ونقـل الاتحـاد السوفيتي تلك السبة إلى كل التجارب الاشتراكية التي قننـت الغصب والقتل والتعذيب وكبت الحريات واعتبرتـه حقًـا " للثورة " وممارسة مشروعة منها.

وحذت النظم الفاشية والنازية حذو النظم الاشتراكية بحيث تغلغلت ونمت في النفسية الأوروبية فكرة العدوان والاجتراء والجريمة على حساب الشرعية والقانون.

وليس هناك ما هو أكثر إيغـالاً فـي الكـذب والزيـف والادعاء من فكرة " الشرعية الثورية " ولم تحفظ النظم شيئًا أكثر انتكاسا عن الحضارة والمدنية مثل هذا.

وقد قال الإسلام قولته، وقدم إضافته في هـذا المجـال. فوصايا الرسول وأبي بكر وعمر وعلي للجيوش المحاربـة تستبعد بصرامة قتل غير المحاربين، وعدم اغتصاب شيء، بل شراءه بثمنـه وحمايـة الأطفـال والنسـاء والراهبـات والكنائس. وأقر الإسلام فكرة وجود أربعة أشـهر حـرم لا يدور فيها قتال، واعتبرت مكة والمدينة مدنًا مقدسة لا يدور فيها قتال، ولا تصاد طيورها ولا يقلع شجرها إلخ.. وعندما فتحت مكة قال الرسول أنها " أحلت ساعة من نهار " وتعـد هذه الساعة عادة مقدسة محصنة من القتال كما كانت. ومـا أعظم الفرق بين دخول الرسول مكة بعد فتحها حانيا رأسـه على قتب بعيره وبين " موكب النصر " الروماني الذي يسير فيه الأسرى مكبلين بالأغلال وتحتشد العربات بالغنائم ويقف " قيصر" في عربته التي تجرها خيول عديدة مزهوا كما لـو كان إلها..

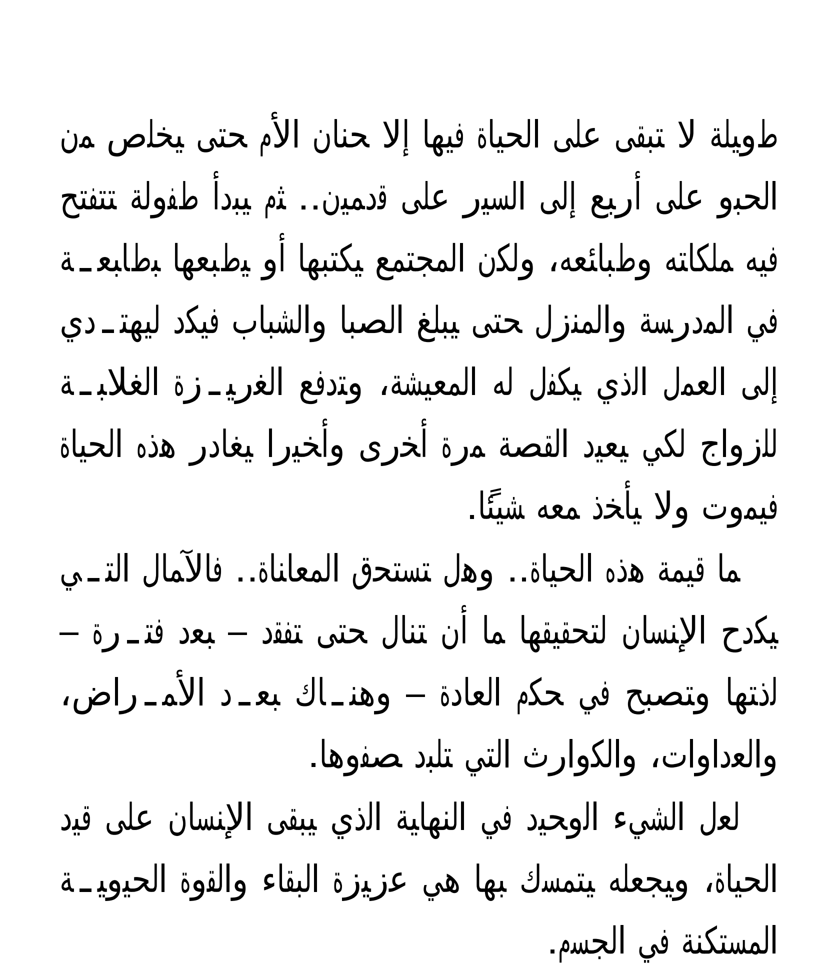
وقد كان أعظم فتح حققه الإسلام هو فتح المدينـة الـذي حدث بالقرآن – كما قالت عائشة – فتحت المدينة بـالقرآن " وهذا الفتح العظيم لم يتم بالسيوف والرماح.. ولكن بالكلمة..

ولو أن أوروبا تعرفت على فكرة الإسلام فـي الأشـهر الُحرم – والمدن المقدسة، والتزامات الجيوش فضـلاً عمـا وضعته الآية ٩ من سورة الحجرات عن طريق التحكيم فـي المنازعات المسلحة.. لكان هذا إن لـم يكـبح جمـاح هـذه الممارسات الوحشية، فعلى الأقل يؤثر على الفكر السياسـي الذي كاد أن يجعل من هذه الصور مـن المنكـرات أمـرا مشروعا ومقررا بحجة " الشرعية الثورية " " المزعومة ".

ودعوة الإحياء الإسلامي دعوة لاستنكار كـل دعـاوى " الشرعية الثورية " وتأكيد حرمة وكرامة الـنفس الإنسـانية، وأنه ما من قوة يمكن أن تبيح لنفسها مجاوزة القانون العـام للحقوق وأن الثورية الحقة هي – كالجهاد الأعظم – بالإيمان النفسي وبالكلمة الطيبة وليس بالسيف البتـر، وهـي تعمـل لتعريف الغرب بها.

٢٥- معنى الحياة:

كثيرا ما يخطر للإنسان، عندما يخلص من دوامة مشاغله اليومية ويظفر بلحظة هدوء.. أن يتساءل مـا معنـى هـذه الحياة.. أن يولد الإنسان في مخاض عسـير يخلصـه مـن ظلمات ضيق البطن إلى فضاء الـدنيا ليتعـرض لحضـانة



طويلة لا تبقى على الحياة فيها إلا حنان الأم حتى يخلص من الحبو على أربع إلى السير على قدمين.. ثم يبدأ طفولة تتفتح فيه ملكاته وطبائعه، ولكن المجتمع يكتبها أو يطبعها بطابعة في المدرسة والمنزل حتى يبلغ الصبا والشباب فيكد ليهتدي إلى العمل الذي يكفل له المعيشة، وتدفع الغريزة الغلابة للزواج لكي يعيد القصة مرة أخرى وأخيرا يغادر هذه الحياة فيموت ولا يأخذ معه شيئًا.

ما قيمة هذه الحياة.. وهل تستحق المعاناة.. فالآمال التي يكدح الإنسان لتحقيقها ما أن تنال حتى تفقد – بعد فترة – لذتها وتصبح في حكم العادة – وهناك بعد الأمراض، والعداوات، والكوارث التي تلبد صفوها.

لعل الشيء الوحيد في النهاية الذي يبقى الإنسان على قيد الحياة، ويجعله يتمسك بها هي عزيزة البقاء والقوة الحيوية المستكنة في الجسم.

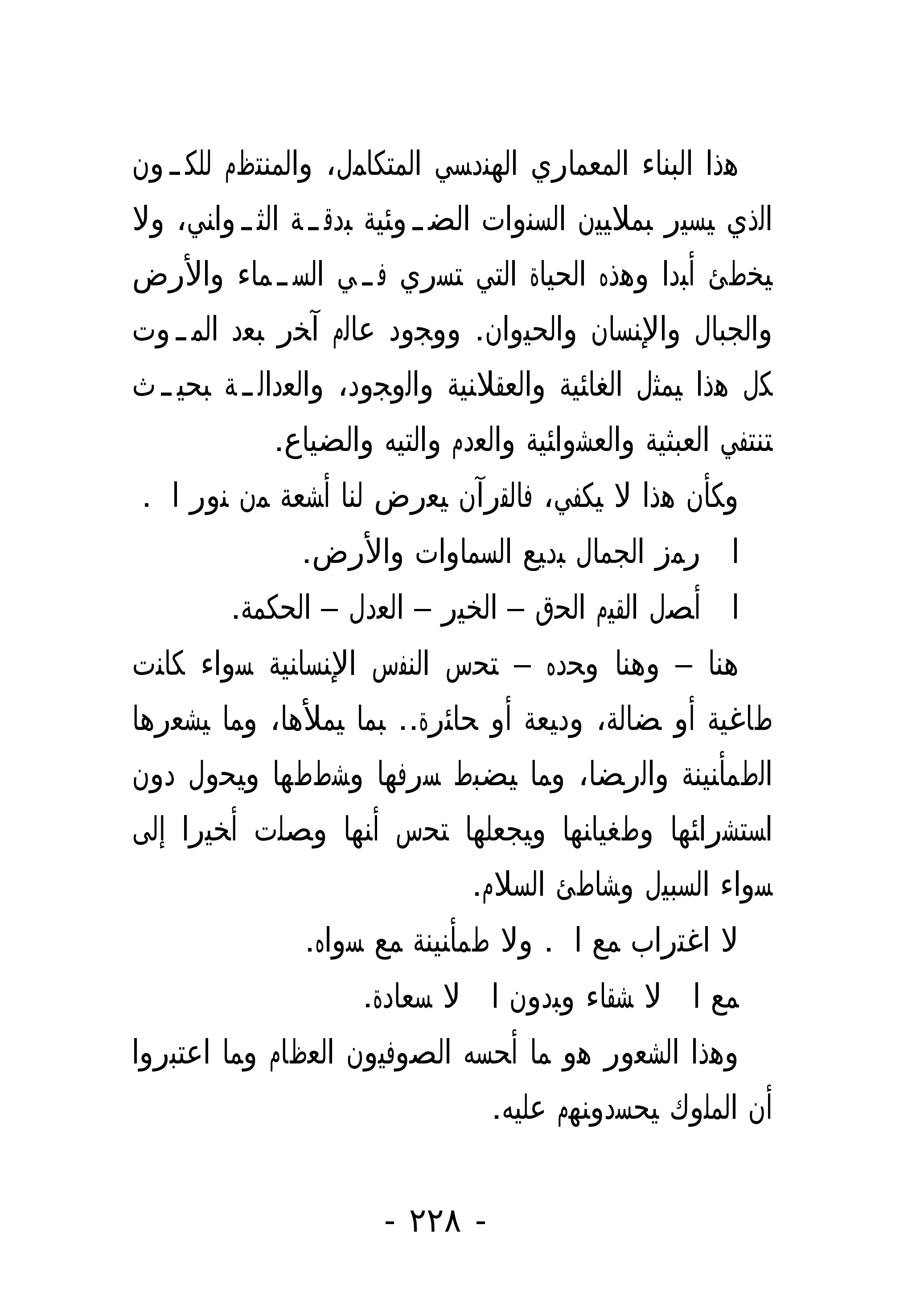
وقد يكون الإنسان من القلة السعيدة التي يتوفر لها المال والبنون والزوجة الصالحة والعمل الموفق ولكن مشكلة السعادة أنها ما أن تستمر حتى تصبح عادة وتفقد طرافتها والطعم الخاص بها. وقد لمس ذلك الأجهزة التي احترفت

الترفيه فأخذت تجدد في الأساليب التي تقدمها في دور السينما أو المسارح أو على شاشات التليفزيون أو وكالات السفر، وتفتق الهوايات، حتى أصبح هذا كله كجلاد للطبيعة البشرية للتغلب على السأم والملل، واستثارة الغرائز والمشاعر أو أي وسائل جديدة للاستمتاع.

ولكن السعادة والاستمتاع ليستا ما يملأ النفس الإنسانية، وقد تحدث القرآن عن أقوام يتمتعون، ويأكلون كما تأكل الأنعام، من أجل هذا يحس الإنسان الحديث بشيء ما ينقصه، هذا الذي أطلق عليه " الاغتراب " أو " الاكتئاب " وهو إحساس فطن إليه الفلاسفة القدامى، وألصقه ماركس بالمجتمع البرجوازي (كأن الاشتراكية بعيدة عنه) والحقيقة أنه مرض العصر، أو بمعنى أصح مرض الحضارة الأوروبية، وهو الذي يجعل الحياة رغم كأسها المترع من اللذائذ، لا تملأ تماما نفس الإنسان الحديث، لأن نفس الإنسان وفطرته تهفو نحو ما هو أفضل من السعادة واللذة. إن هذا الاغتراب نشأ لدى الإنسان الأوروبي نتيجة لأن هذا الإنسان قطع صلاته با تعالى، وفضل أن يقف وحيدا متحديا يعمل ليقهر قوى الطبيعة وأكسبه هذا الموقف كل أمجاد الحضارة

الأوروبية من اكتشاف واختراع ولكن ما قيمة هـذا كلـه إذا كان هذا الإنسان قد خسر نفسه، كما يقول الإنجيل – أو كما يقول القرآن: ﴿ **نَسوا ا ً فَأنْساهم أَنفُسـهم** ﴾ إن الإنسـان الأوروبي يقف وسط أمجاده كما يقف البخيل بـين أموالـه، يحبها ولكنها لا تحبه ولا تسعده ولا تبث الطمأنينة في نفسـه أو تروي عطشه نحو المجهول.

التصوير الذي يقدمه القرآن تعالى وحـده هـو الـذي يتجاوب مع الفكر الإنساني المتطلع. الطموح، الذي لا توقفه قوة، ولا تحكمه فكرة وتستبد به الطموحات والشهوات – لأن ا هو القوة الخالقة التي لا تساميها قوة، فـالأرض قبضـته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه وهـو الـذي يـأمر السماوات والأرض فتجيبانه أتينا طائعين، والذي يسـبح لـه الطير في السماوات والشجر في الأرض والسمك في المـاء، والذي جعل كل شيء في الكون يسـبح بـدءا مـن الـذرة الصغيرة التي لا ترى، والتـي تـدور فيهـا الالكترونـات والنيوترانات حتى الكواكب والمجرات العظمى كلها تسـبح، لعل هذه " السباحة " هي تسبيحها..



هذا البناء المعماري الهندسي المتكامل، والمنتظم للكـون الذي يسير بملايين السنوات الضـوئية بدقـة الثـواني، ولا يخطئ أبدا وهذه الحياة التي تسري فـي السـماء والأرض والجبال والإنسان والحيوان. ووجود عالم آخر بعد المـوت كل هذا يمثل الغائية والعقلانية والوجود، والعدالـة بحيـث تنتفي العبثية والعشوائية والعدم والتيه والضياع.

وكأن هذا لا يكفي، فالقرآن يعرض لنا أشعة من نور ا .

ا رمز الجمال بديع السماوات والأرض.

ا أصل القيم الحق – الخير – العدل – الحكمة.

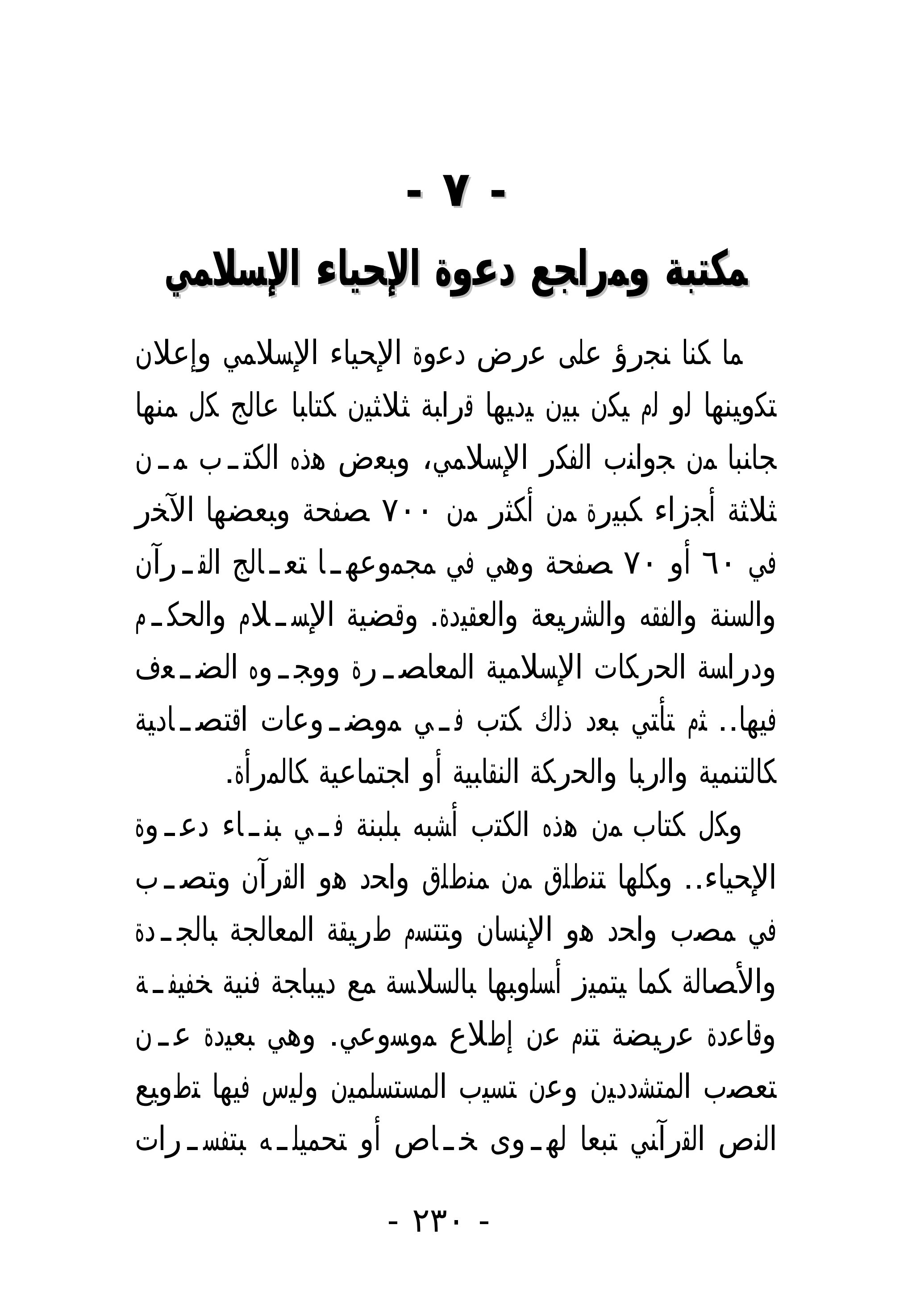
هنا – وهنا وحده – تحس النفس الإنسانية سواء كانت طاغية أو ضالة، وديعة أو حائرة.. بما يملأها، وما يشعرها الطمأنينة والرضا، وما يضبط سرفها وشططها ويحول دون استشرائها وطغيانها ويجعلها تحس أنها وصلت أخيرا إلى سواء السبيل وشاطئ السلام.

لا اغتراب مع ا . ولا طمأنينة مع سواه.

مع ا لا شقاء وبدون ا لا سعادة.

وهذا الشعور هو ما أحسه الصوفيون العظام وما اعتبروا أن الملوك يحسدونهم عليه.

ويكفي المؤمن أن يستعيد تلك العلاقة المستكنة في أطواء نفسه التي تربطه بالله تعالي منذ أن خلقه بيده ونفث فيه من روحه وأبدع خلقه واعتبره خليفته وسخر له الشمس والقمر والنجوم وجعل له الحياة الدنيا متاعا وابتلاء واستبعد المصادفة الشرود أو التطور الأعمى وأحل محلهما العقل والقصد والغائية والأصول والمبادئ التي تجعل للحياة معنى في سرائها وضرائها، وتجعل المؤمن يتمسك بالحياة لأن الله تعالى أرادها له، ويدع الحياة لأن الله تعالى أعاده إليها، وهو راض في الحالين سعيد بأن تعود روحه إلى بارئها مستجيبا للنداء الإلهي ﴿ **يا أَيتُها النفْس الْمطْمئِنةُ، ارجِعِي إِلَى ربكِ راضِيةً مرضِيةً، فَادخُلِي فِي عِبادِي، وادخُلِي جنتِي** ﴾.

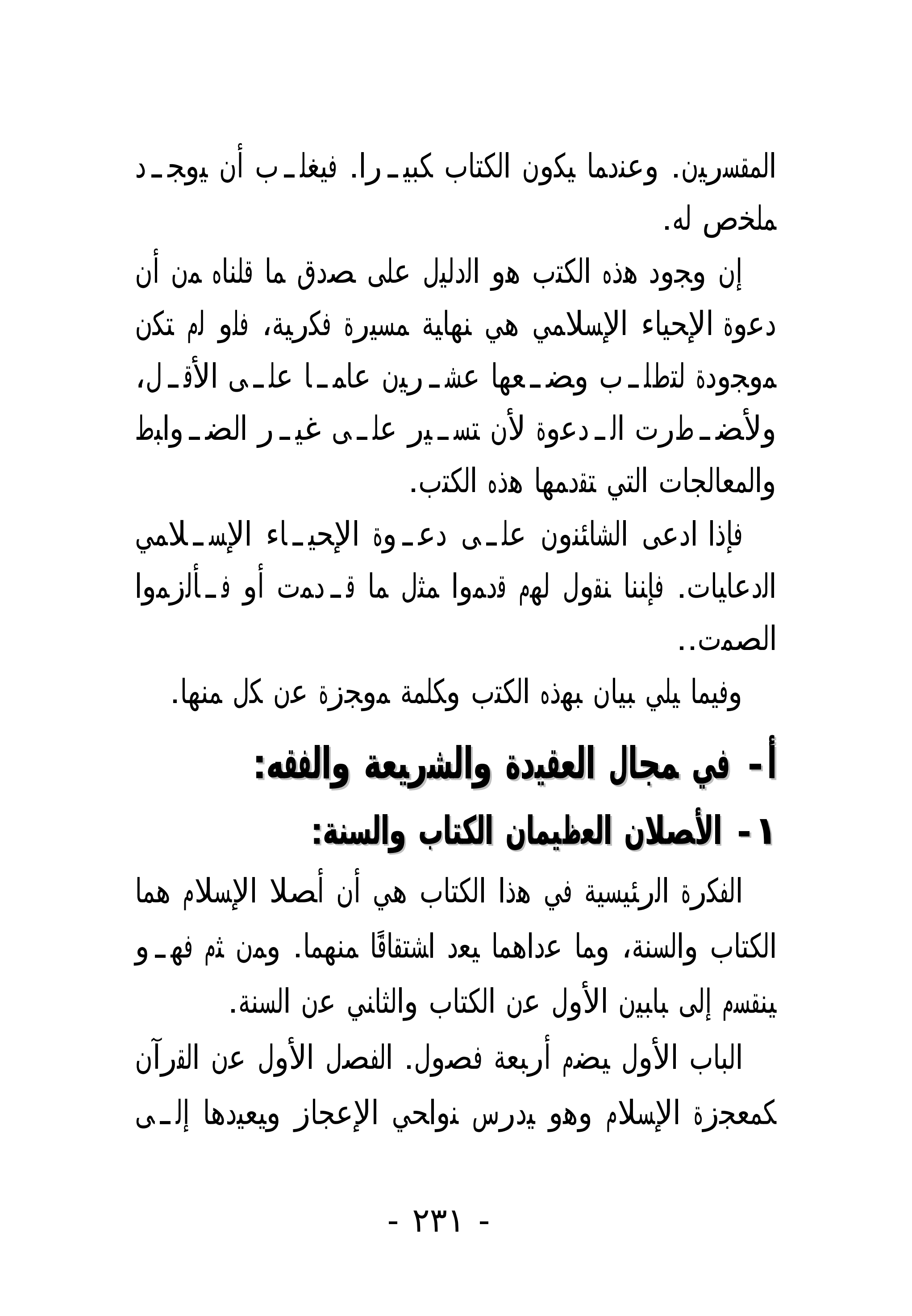


- ٧ -

مكتبة ومراجع دعوة الإحياء الإسلامي

ما كنا نجرؤ على عرض دعوة الإحياء الإسلامي وإعلان تكوينها لو لم يكن بين يديها قرابة ثلاثين كتابا عالج كل منها جانبا من جوانب الفكر الإسلامي، وبعض هذه الكتـب مـن ثلاثة أجزاء كبيرة من أكثر من ٧٠٠ صفحة وبعضها الآخر في ٦٠ أو ٧٠ صفحة وهي في مجموعهـا تعـالج القـرآن والسنة والفقه والشريعة والعقيدة. وقضية الإسـلام والحكـم ودراسة الحركات الإسلامية المعاصـرة ووجـوه الضـعف فيها.. ثم تأتي بعد ذلك كتب فـي موضـوعات اقتصـادية كالتنمية والربا والحركة النقابية أو اجتماعية كالمرأة.

وكل كتاب من هذه الكتب أشبه بلبنة فـي بنـاء دعـوة الإحياء.. وكلها تنطلق من منطلق واحد هو القرآن وتصـب في مصب واحد هو الإنسان وتتسم طريقة المعالجة بالجـدة والأصالة كما يتميز أسلوبها بالسلاسة مع ديباجة فنية خفيفـة وقاعدة عريضة تنم عن إطلاع موسوعي. وهي بعيدة عـن تعصب المتشددين وعن تسيب المستسلمين وليس فيها تطويع النص القرآني تبعا لهـوى خـاص أو تحميلـه بتفسـرات



المفسرين. وعندما يكون الكتاب كبيـرا. فيغلـب أن يوجـد ملخص له.

إن وجود هذه الكتب هو الدليل على صدق ما قلناه من أن دعوة الإحياء الإسلامي هي نهاية مسيرة فكرية، فلو لم تكن موجودة لتطلـب وضـعها عشـرين عامـا علـى الأقـل، ولأضـطرت الـدعوة لأن تسـير علـى غيـر الضـوابط والمعالجات التي تقدمها هذه الكتب.

فإذا ادعى الشائنون علـى دعـوة الإحيـاء الإسـلامي الدعايات. فإننا نقول لهم قدموا مثل ما قـدمت أو فـألزموا الصمت..

وفيما يلي بيان بهذه الكتب وكلمة موجزة عن كل منها.

أ- في مجال العقيدة والشريعة والفقه:

١- الأصلان العظيمان الكتاب والسنة:

الفكرة الرئيسية في هذا الكتاب هي أن أصلا الإسلام هما الكتاب والسنة، وما عداهما يعد اشتقاقًا منهما. ومن ثم فهـو ينقسم إلى بابين الأول عن الكتاب والثاني عن السنة.

الباب الأول يضم أربعة فصول. الفصل الأول عن القرآن كمعجزة الإسلام وهو يدرس نواحي الإعجاز ويعيدها إلـى

النظم والصياغة من ناحية والمعاني السـامية مـن ناحيـة أخرى، والفصل الثاني عن " القرآن ككتاب هداية " وعناصر هداية القرآن هي العقيدة التي تتبلور فـي فكـرة ا تعـالى بصورة فريدة ثم الشريعة وما جاءت به من قوانين أو أرسته من مبادئ ثم السلوك والخلق والقيم الأدبية. والفصل الثالـث عن " تفسير القرآن بين القدامي والمحـدثين " فيشـير إلـى المجموعات الثلاث التي عنيت بالتفسير. وهـي اللغويـون والمذهبيون والإخباريون ورأى الكتاب أن مـذاهب هـؤلاء جميعا أثرت على تفسيرهم وعرضهم لمعاني القرآن بوجـه خاص.

ويخصص الكتاب فصلاً كبيرا (٨٠ صفحة) فنـد فيهـا دعوى النسخ وأن الاختلاف ما بين بعض الآيات والـبعض الآخر إنما أريد به تقديم بدائل يمكن اللواذ بها.

وكان سنده في هذا هو أن كلمة " آية " التي جـاءت فـي سورة البقرة لا تعني أبدا في القرآن نصا، وإنما علامـة أو قرينة أو معجزة، وأورد كل المواضيع التي جاءت فيها كلمة آية، وتبلغ ثمانين موضعا كلها بمعنى القرينة أو المعجزة كما نقل بالكامل الآيات المزعوم نسخها من كتاب أبو عبد ا بن

حزم (وهو غير أبو محمد بن حزم الأندلسي الظاهري) وهي ٢٨٠ آية وفندها جميعا.

والباب الثاني عن السنة وهو يعالجها في خمسة فصـول هي على التوالي (١) حجية السنة. (٢) مكـان السـنة مـن الكتاب، (٣) السنة بين الإبداع والإتباع، (٤) قضية الدلالـة، (٥) قضية الثبوت.

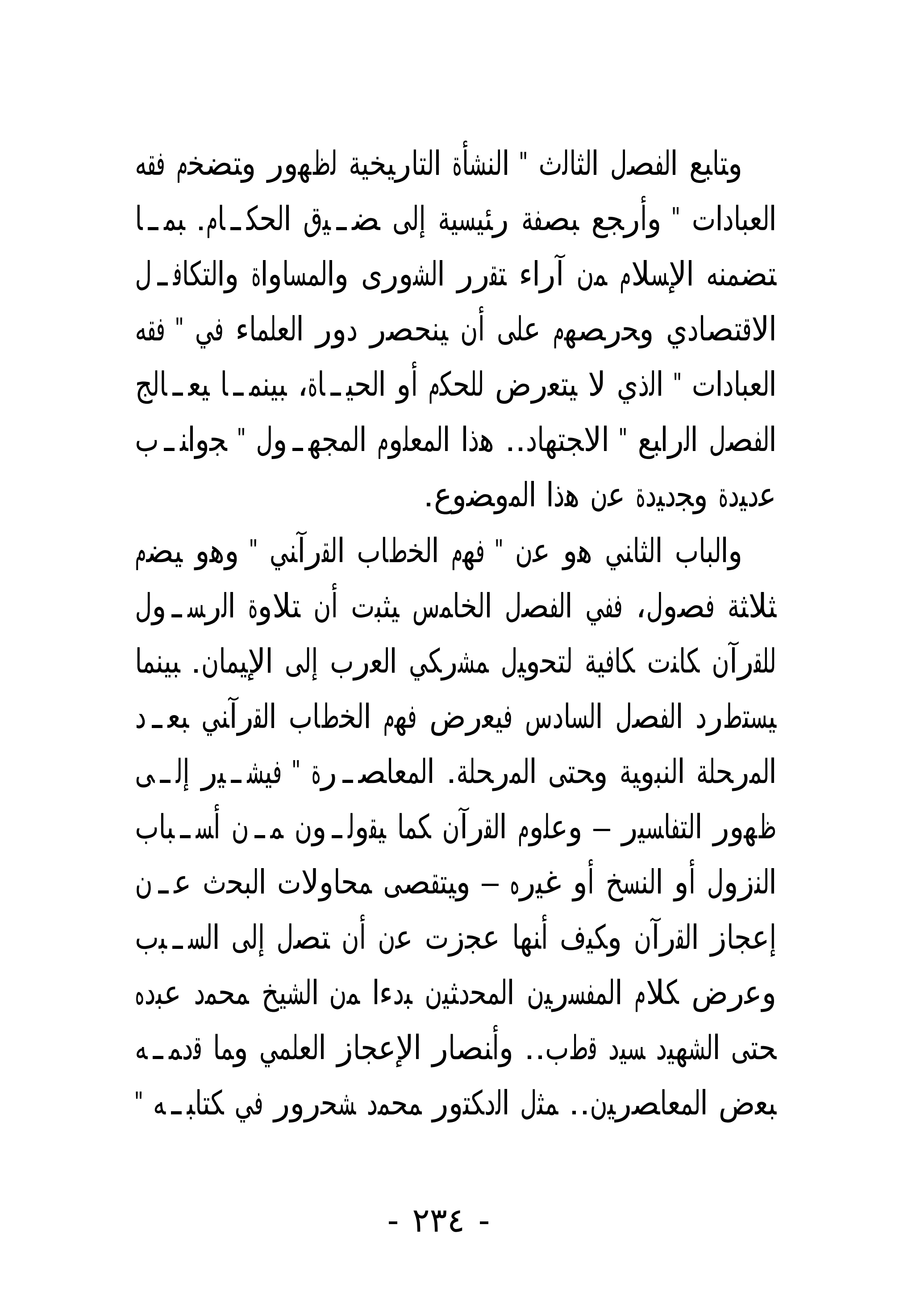
٣٢٠ صفحة من القطع الكبير

٢- نحو فقه جديد

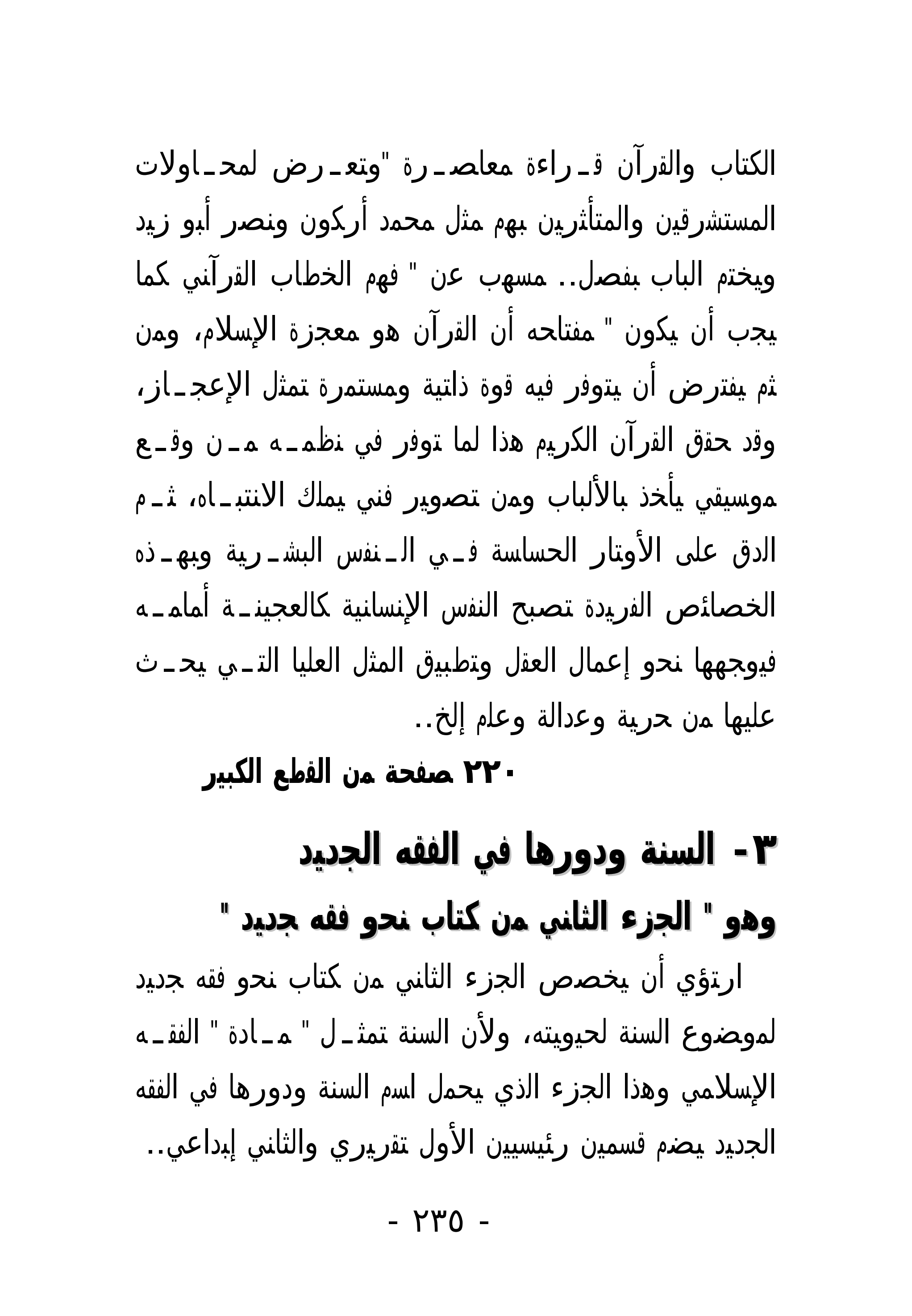
الجزء الأول

ينقسم الجزء الأول من هذا الكتاب [وهـو فـي ثلاثـة أجزاء] إلى بابين كبيرين في كل منهما عدة فصول.

الباب الأول تحت عنوان " منطلقات ومفاهيم ".. ويضم أربعة فصول أولاهما عن " البراءة الأصلية، ودائرة الحلال والحرام " والفصل يجعلها أصلاً من الأصول الرئيسية - وإن كانت مضمرة – للفقه، والفصل الثاني " التمييز ما بين " العقيدة والشريعة والفقه " وهو يجري خطًا يميز ما بين العقيدة ومحتواها ووسائل معالجتها. وما بين الشريعة التي لها محتوى آخر ووسائل للمعالجة تختلف عن وسائل العقيدة.


وتابع الفصل الثالث " النشأة التاريخية لظهور وتضخم فقه العبادات " وأرجع بصفة رئيسية إلى ضـيق الحكـام. بمـا تضمنه الإسلام من آراء تقرر الشورى والمساواة والتكافـل الاقتصادي وحرصهم على أن ينحصر دور العلماء في " فقه العبادات " الذي لا يتعرض للحكم أو الحيـاة، بينمـا يعـالج الفصل الرابع " الاجتهاد.. هذا المعلوم المجهـول " جوانـب عديدة وجديدة عن هذا الموضوع.

والباب الثاني هو عن " فهم الخطاب القرآني " وهو يضم ثلاثة فصول، ففي الفصل الخامس يثبت أن تلاوة الرسـول للقرآن كانت كافية لتحويل مشركي العرب إلى الإيمان. بينما يستطرد الفصل السادس فيعرض فهم الخطاب القرآني بعـد المرحلة النبوية وحتى المرحلة. المعاصـرة " فيشـير إلـى ظهور التفاسير – وعلوم القرآن كما يقولـون مـن أسـباب النزول أو النسخ أو غيره – ويتقصى محاولات البحث عـن إعجاز القرآن وكيف أنها عجزت عن أن تصل إلى السـبب وعرض كلام المفسرين المحدثين بدءا من الشيخ محمد عبده حتى الشهيد سيد قطب.. وأنصار الإعجاز العلمي وما قدمـه بعض المعاصرين.. مثل الدكتور محمد شحرور في كتابـه "



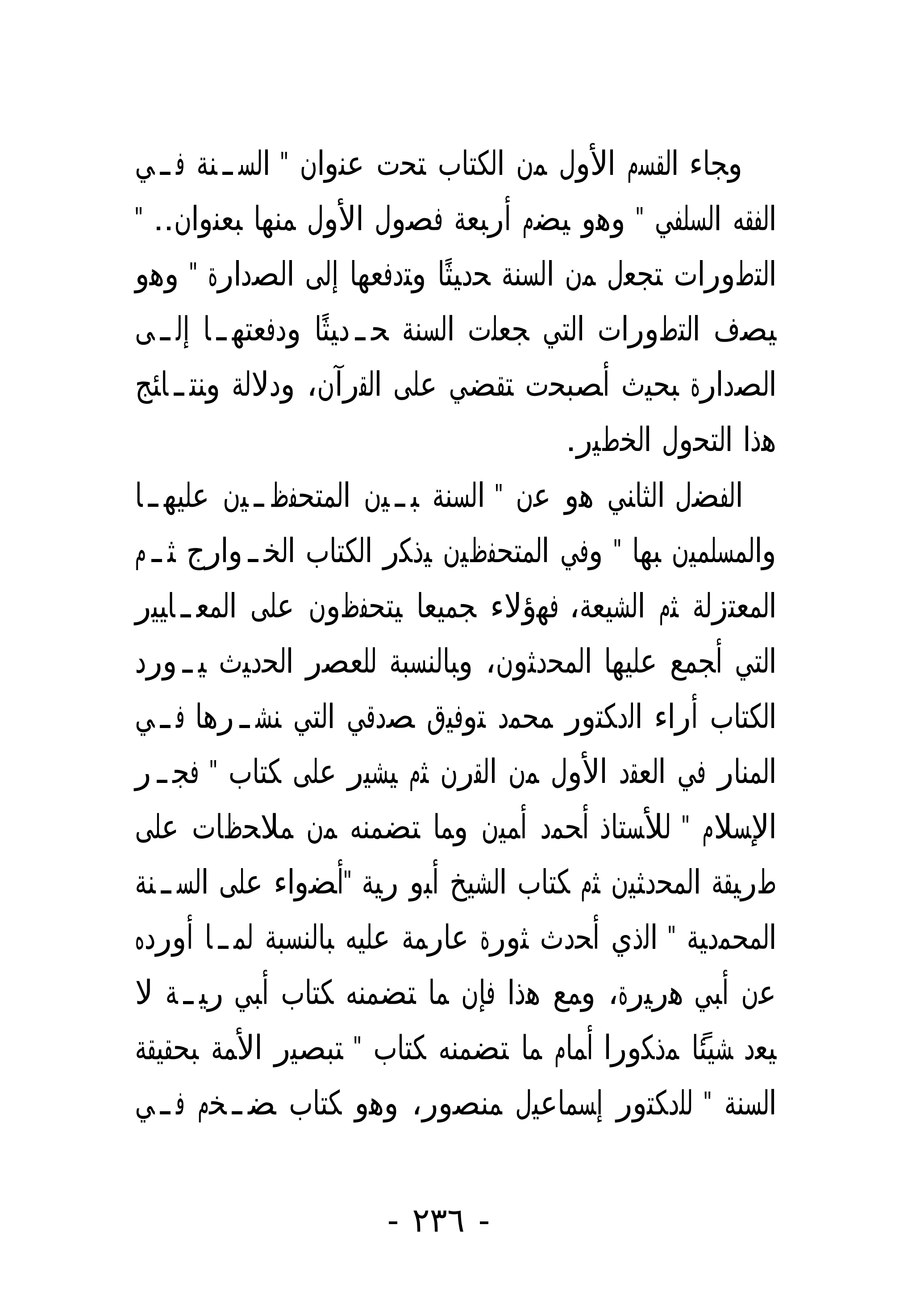
الكتاب والقرآن قـراءة معاصـرة "وتعـرض لمحـاولات المستشرقين والمتأثرين بهم مثل محمد أركون ونصر أبو زيد ويختم الباب بفصل.. مسهب عن " فهم الخطاب القرآني كما يجب أن يكون " مفتاحه أن القرآن هو معجزة الإسلام، ومن ثم يفترض أن يتوفر فيه قوة ذاتية ومستمرة تمثل الإعجـاز، وقد حقق القرآن الكريم هذا لما توفر في نظمـه مـن وقـع موسيقي يأخذ بالألباب ومن تصوير فني يملك الانتبـاه، ثـم الدق على الأوتار الحساسة فـي الـنفس البشـرية وبهـذه الخصائص الفريدة تصبح النفس الإنسانية كالعجينـة أمامـه فيوجهها نحو إعمال العقل وتطبيق المثل العليا التـي يحـث عليها من حرية وعدالة وعلم إلخ..

٢٢٠ صفحة من القطع الكبير

٣- السنة ودورها في الفقه الجديد

وهو " الجزء الثاني من كتاب نحو فقه جديد "

ارتؤي أن يخصص الجزء الثاني من كتاب نحو فقه جديد لموضوع السنة لحيويته، ولأن السنة تمثـل " مـادة " الفقـه الإسلامي وهذا الجزء الذي يحمل اسم السنة ودورها في الفقه الجديد يضم قسمين رئيسيين الأول تقريري والثاني إبداعي..



وجاء القسم الأول من الكتاب تحت عنوان " السـنة فـي الفقه السلفي " وهو يضم أربعة فصول الأول منها بعنوان.. " التطورات تجعل من السنة حديثًا وتدفعها إلى الصدارة " وهو يصف التطورات التي جعلت السنة حـديثًا ودفعتهـا إلـى الصدارة بحيث أصبحت تقضي على القرآن، ودلالة ونتـائج هذا التحول الخطير.

الفصل الثاني هو عن " السنة بـين المتحفظـين عليهـا والمسلمين بها " وفي المتحفظين يذكر الكتاب الخـوارج ثـم المعتزلة ثم الشيعة، فهؤلاء جميعا يتحفظون على المعـايير التي أجمع عليها المحدثون، وبالنسبة للعصر الحديث يـورد الكتاب أراء الدكتور محمد توفيق صدقي التي نشـرها فـي المنار في العقد الأول من القرن ثم يشير على كتاب " فجـر الإسلام " للأستاذ أحمد أمين وما تضمنه من ملاحظات على طريقة المحدثين ثم كتاب الشيخ أبو رية "أضواء على السـنة المحمدية " الذي أحدث ثورة عارمة عليه بالنسبة لمـا أورده عن أبي هريرة، ومع هذا فإن ما تضمنه كتاب أبي ريـة لا يعد شيئًا مذكورا أمام ما تضمنه كتاب " تبصير الأمة بحقيقة السنة " للدكتور إسماعيل منصور، وهو كتاب ضـخم فـي

سبعمائة صفحة ذهب فيه إلى عدم صحة " الأحاديـث " وأن ما يعتد به إنما هي السنة الفعلية التي انتقلت من جيل الرسول إلى الأجيال المروية.

وبالنسبة للمسلِمين للسنة عرض المؤلف كتابين أحـدهما من القديم وهو كتاب العلامة إبراهيم بن الوزير " الـروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم " والثاني مـن الحـديث وهو كتاب الأستاذ الشيخ مصطفى السباعي " السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ".

ويعرض الفصل الثالث لظاهرة بارزة في تطور الحـديث أوردها تحت عنوان " من التشدد إلى الترخص " تتبـع فيـه الصور المتوالية للتنازلات التي سمحت أخيرا بقبول الحديث الموضوع في فضائل الأعمال. والأثر المدمر لهذا.

كما يعرض الفصل الرابع لظاهرة أخـرى لفتـت انتبـاه المؤلف هي أن معظم الأحاديث التي يدعون أنها متواترة هي أبعد الأحاديث عن المصداقية لأنها تـدور حـول المهـدي، والفتن، والحوض إلخ.. مما لا يفترض أن يكون موضـوعا لتواتر في دين كالإسلام يقدم منهجا للحياة. وفي مقابل هـذا فهناك أحاديث عديدة تقيم مبادئ هامة تكون إما من أحاديـث

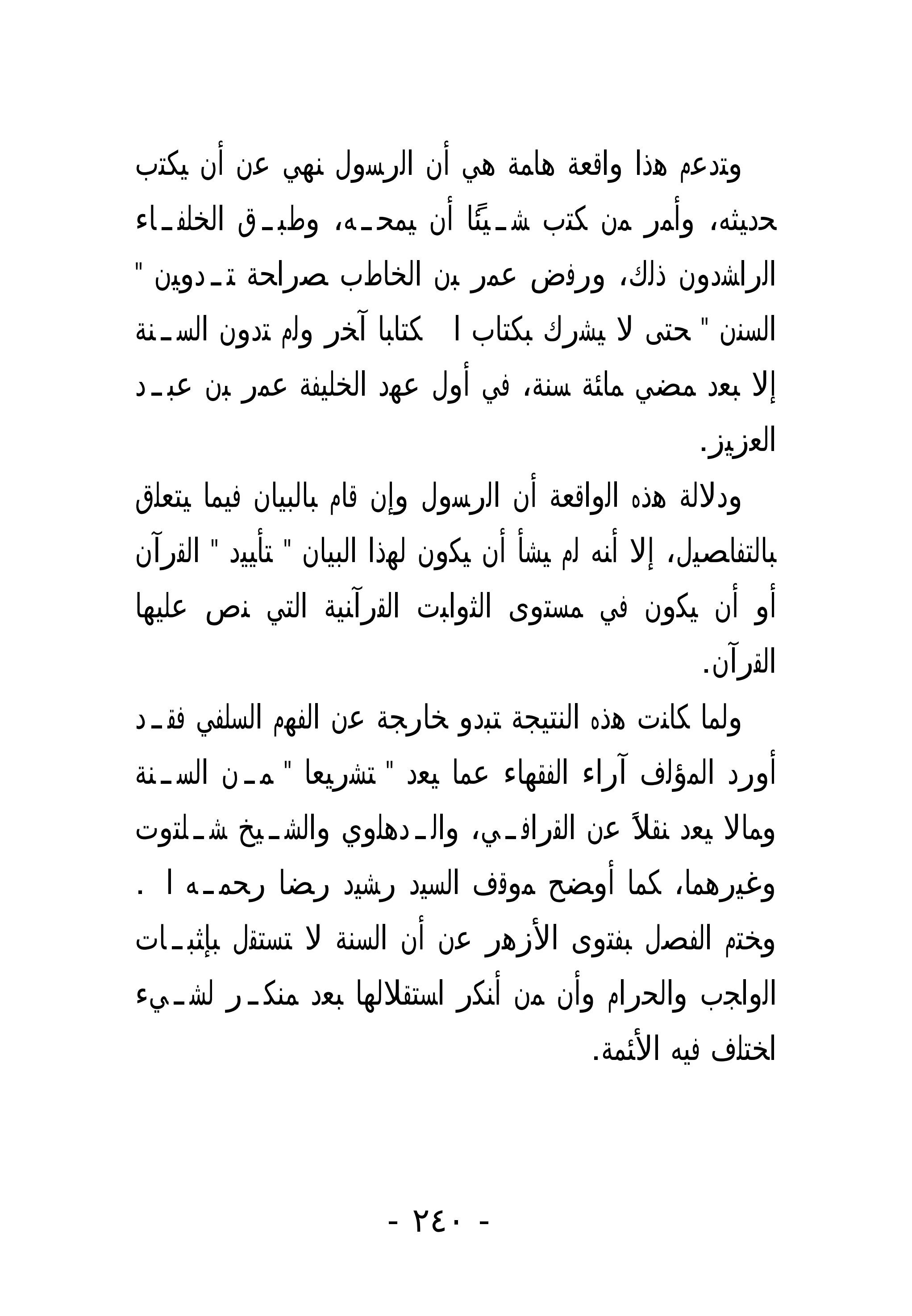
الآحاد، أو تتعرض لتحفظات عديدة من المحـدثين، ولهـذا حمل الفصل اسم " من مفارقات المحدثين "..

أما القسم الثاني فيحمل عنوان " السنة في الفقه الجديـد " وهو يضم مقدمة عن الموقف إزاء السنة ما بين المسلِمين بها والمتحفظين عليها ورأى أنه لا يمكن الاقتصار على السـنة الفعلية، كما يذهب إلى ذلك البعض. وفي الوقـت نفسـه لا يمكن التسليم بالمعايير والأحكام التي وضعه المحدثون. ومن ثم فلا بد من تحديد جديد هو ما يتضمنه القسم الثـاني مـن الكتاب وأول فصول هذا القسم – هو الفصل الخامس - وهو عن " السنة في القرآن الكريم " فيعرض المنزلـة الكبـرى للرسول ومهمته، وطاعته، وهو يستخلص أن هناك.. ثـلاث دوائر للسنة (أ) سنة عبادية تبلور العلاقة ما بـين الإنسـان وا تعالى وتضم كل ما جاء عن الشعائر والطقوس العبادية من صلاة أو حج أو صيام.. إلخ. (ب) سنة حياتيـة تبلـور المعاملات بين الناس بعضهم بعضا وما يفترض أن تتسم به هذه المعاملات من صفات.. (ج) سنة سياسية تمثل السياسات التي اتبعها الرسول باعتباره قائدا وحاكما للمسلمين تتجمـع في يديه أزمة الحكم.

وأبرز الفصل أن الفقهاء خصوا الدائرة الأولى " العبادية " بعنايتهم، في حين أن الدائرة الثانية والثالثة لا تقلان أهمية – لأن حياة المجتمع تتوقف عليهما، وما حدث من أخطاء فادحة في الحكم الإسلامي هو نتيجة للتخلي عن " السنة " السياسية وتقاليد القيادة النبوية لأن الفقهاء اعتبروا أن هذه الدائرة ليست من التشريع الملزم..

وأبرز الفصل السادس " الرسول والبلاغ المبين " أن القرآن الكريم لم يعن بتحديد التفاصيل في الصلاة والزكاة والصوم والحج إلخ.. ولما كان هذا لا يمكن أن يعد إهمالاً أو نسيانًا – تعالى القرآن عن ذلك – فلا بد له من حكمة، والحكمة التي نفهمها أن القرآن ركز على الكليات والجوهريات والقيم والمقاصد، وليس على التفاصيل ولما كانت هذه التفاصيل لا يمكن أن تهمل فإن ا تعالى أوكل إلى الرسول " البيان ".. وهذا ما قام به الرسول عن طريق وحي سني، لأنه لا يتصور أن يكون الرسول قد حدده من تلقاء نفسه أو إرادته الخاصة..

ولكن الوحي السني أقل درجة من الوحي القرآني ولو كان في الدرجة نفسها لأورده القرآن.



وتدعم هذا واقعة هامة هي أن الرسول نهي عن أن يكتب حديثه، وأمر من كتب شـيئًا أن يمحـه، وطبـق الخلفـاء الراشدون ذلك، ورفض عمر بن الخاطب صراحة تـدوين " السنن " حتى لا يشرك بكتاب ا كتابا آخر ولم تدون السـنة إلا بعد مضي مائة سنة، في أول عهد الخليفة عمر بن عبـد العزيز.

ودلالة هذه الواقعة أن الرسول وإن قام بالبيان فيما يتعلق بالتفاصيل، إلا أنه لم يشأ أن يكون لهذا البيان " تأييد " القرآن أو أن يكون في مستوى الثوابت القرآنية التي نص عليها القرآن.

ولما كانت هذه النتيجة تبدو خارجة عن الفهم السلفي فقـد أورد المؤلف آراء الفقهاء عما يعد " تشريعا " مـن السـنة ومالا يعد نقلاً عن القرافـي، والـدهلوي والشـيخ شـلتوت وغيرهما، كما أوضح موقف السيد رشيد رضا رحمـه ا . وختم الفصل بفتوى الأزهر عن أن السنة لا تستقل بإثبـات الواجب والحرام وأن من أنكر استقلالها بعد منكـر لشـيء اختلاف فيه الأئمة.

ويختم الكتاب بالفصل السابع الذي يحمل اسم " العـرض على القرآن الكريم " ومهد له بفقرة طويلة عن " الحاجة إلى ضابط منهجي " وأشار إلى تخبط القدامى والمعاصرين لعدم وجود هذا المنهج " ولا يمكن لهـذا المـنهج إلا أن يكـون العرض على القرآن الكريم "وهذا المبـدأ ممـا لا يصـرح برفضه المحدثون – حتى وإن ضاقوا به وحاولوا الـتملص منه – والجديد في الموضوع أن الكتـاب أعملـه بالفعـل. فارتأى التوقف أمام (١) الأحاديث التي تناولت الغيب – بدءا من الموت حتى الجنة والنار لأن ا تعالى اسـتأثر بعلمـه وأراد له أن يكون " غيبا " (٢) الأحاديث التي جـاءت عـن تفسير المبهمات في القرآن لأن القرآن أراد لهـا أن تكـون مبهمة، ولأن تفسيرها يحكم أحاديث سقيمة في النص المنزل (٣) الأحاديث التي تخالف أصولاً قرآنية قاطعة (٤) معظـم الأحاديث عن المرأة، بدءا من خلقها من ضلع أعوج حتـى احتجابها حتى لا تظهر إلا عين واحدة وكذلك الأحادي التـي عالجت الزواج والطلاق وأحاديث أحكام الرقيـق والفـيء، والغنائم باعتبارها خاصة بمرحلة معين انتهـت ويجـب أن تعالج في ضوء الثوابت القرآنية (٥) الأحاديث التي تنسـب

معجزات خارقة للرسول فمعجزة الرسول بنص القرآن هـي القرآن نفسه (٦) الأحاديث التي تعطي لأفـراد، أو مـدن أو أجناس أو أولياء أو خلفاء إلخ مزايا لأن الأفضلية في الإسلام هي للتقوى والعمل (٧) الأحاديث التي تخـالف النصـوص القرآنية عن حرية العقيدة (٨) الأحاديث التي جـاءت عـن الأكل والشرب واللبس والنوم إلخ.. أو التي تنـذر بعقـاب رهيب على خطأ طفيف أو طاعة الحكام إلخ.. وبتطبيق هذا المنهج فقد يفترض التوقف أمام قرابة ألفي حديث يمكـن أن يكون نصفها في الصحيحين..

والكتاب في ٢٧٩ صفحة من القطع الكبير.

٤- نحو فقه جديد

" الجزء الثالث "

يضم هذا الكتاب بابين رئيسيين هما " منطلقات ومفاهيم " " ومصادر الشريعة ".

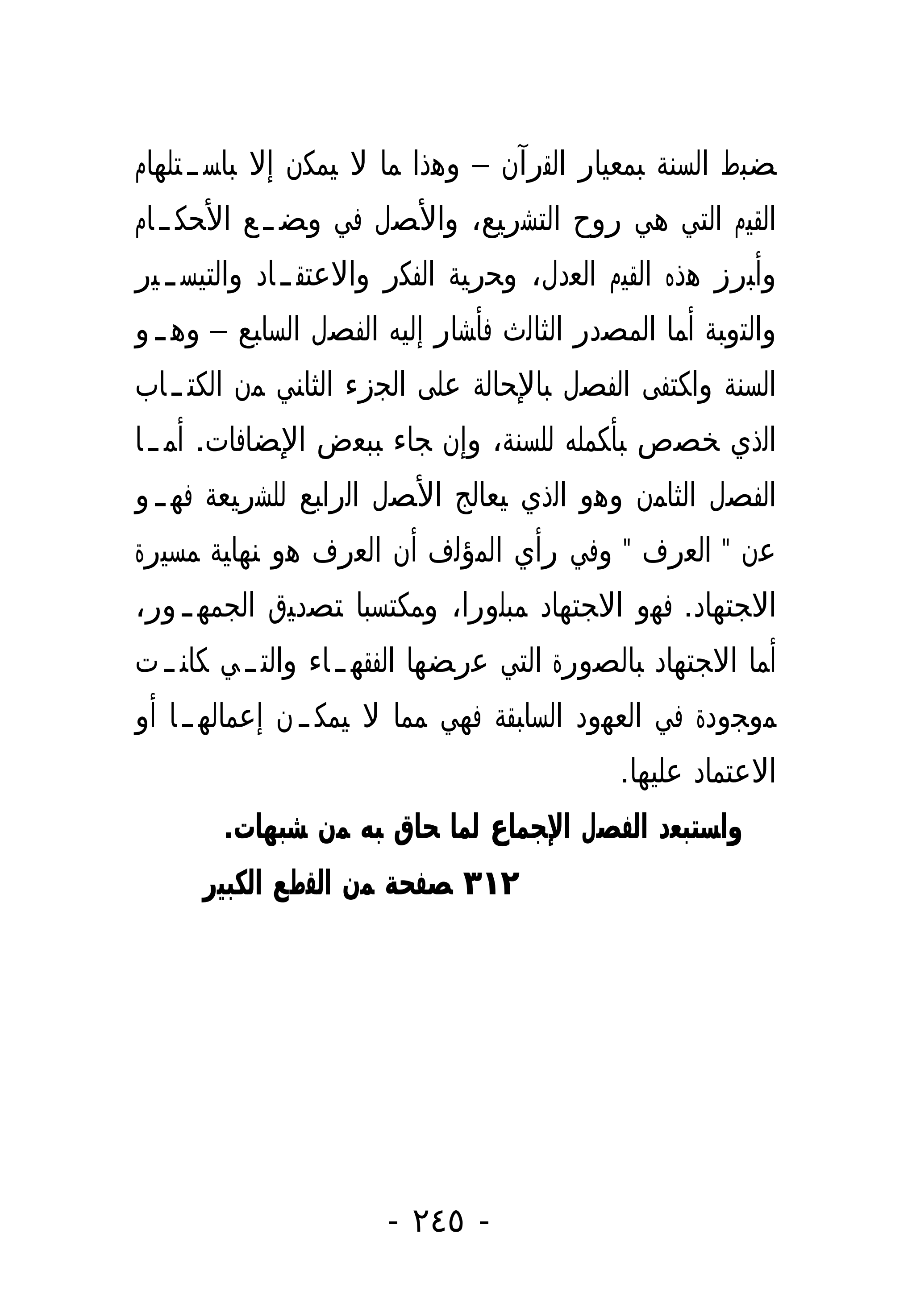
وفي الباب الأول أربعة فصول أولاهما " مرجعيات ثلاث للفقه " وهذه المرجعيات هي (أ) القرآن (ب) الرسـول (ج) الفقهاء ويوضح الفصل أن هناك اختلافًا – يصل إلـى حـد التعارض – بين ما جاء في القرآن والرسول.. ومـا أورده

الفقهاء من أحكام لتأثرهم بمختلف العوامل الذاتية أو المتعلقة بروح زمانهم ومكانهم، وأن هذا. المستوى الثالث – الفقهـاء – هو الذي يعول عليه الآن ويستخرج منه الأحكام. والفصل الثاني عن " الفقه بين المصلحة والمقاصـد والارتفاقـات " يعرض ما ذهب إليه النجم الطوفي من الأخذ بالمصلحة حتى إذا تعارضت مع النص، لا من باب الافتيات علـى الـنص ولكن من باب تأويله، وقارن ذلك بفكرة المقاصد التي شرحها الشاطبي في كتابه " الموافقات" كما عرض لفكرة شاه ولـي ا الدهلوي عن " الارتفاقات " في كتابه " حجة ا البالغة ".

وعالج الفصل الثالث " الحدود المفترى عليهـا " فتبـين مدلول كلمة " حدود " في القرآن ثم أشـار إلـى العقوبـات المقدرة على جرائم بعينها، وفي رأي الكتاب. فـإن السـرقة وعقوبتها القطع هي أهم هذه الحدود. وقدم الفصـل عرضـا لنظرية الإسلام في الجريمة والعقوبة من زاوية لـم تسـبق وتختلف عما نجده في الكتب عن الشريعة، وألحق به بضعة اجتهادات بالنسبة لحد السرقة للشيخ عبد المتعال الصـعيدي والدكتور معروف الـدواليبي والشـيخ عبـد ا العلايلـي وغيرهم. وعني الفصل الرابع " بالمكونـات الثلاثـة التـي

أعطت الفقه شخصيته " ألا وهي " التجزيئية " و " المنطق " و " اللغة " بحيث تميز الفقه الإسـلامي عـن بقيـة الـنظم القانوني. وشرح مضمون كل عنصر من هذه العناصر وأثره بما لا يتسع له هذا الموجز.

والباب الثاني من الكتاب عن " مصـادر الشـريعة " أي الأصول التي تستنبط منها الأحكام. وهو ينبه إلـى أن هـذا الأصول خاصة بالشريعة، وليس بالعقيدة أو الفقه. وهو يضم أربعة فصول أيضا يمثل كل فصل منها مصـدرا. فـالأول (الفصل الخامس) هو العقل والبدء به لا يختلف عـن البـدء بالقرآن لأن القرآن لا يمكن أن يفهـم إلا بالتـدبر والتفكـر والنظر والاعتبار وهذه كلها تعود إلى العقل. ومن هنا فقد لا يكون البدء به معارضا للبدء التقليدي بالقرآن، وعلـى كـل حال فإن الفصل السادس عـرض الأصـل الثـاني وهـو " منظومة القيم الحاكمة في القرآن " وذلك لأن الأحكـام فـي القرآن محدودة ومعظمها لا يتعرض للتفاصيل ممـا جعـل السنة تقوم بتفصيلها – ولكن جعل السنة تتحكم فـي القـرآن (حتى لو كانت صحيحة فما بالك ومعظم ما يقدم من أحاديث لا يخلو من أقوال) – يناقض ما يجب أن يكون – ألا وهـو



ضبط السنة بمعيار القرآن – وهذا ما لا يمكن إلا باستلهام القيم التي هي روح التشريع، والأصل في وضع الأحكام وأبرز هذه القيم العدل، وحرية الفكر والاعتقاد والتيسير والتوبة أما المصدر الثالث فأشار إليه الفصل السابع – وهو السنة واكتفى الفصل بالإحالة على الجزء الثاني من الكتاب الذي خصص بأكمله للسنة، وإن جاء ببعض الإضافات. أما الفصل الثامن وهو الذي يعالج الأصل الرابع للشريعة فهو عن " العرف " وفي رأي المؤلف أن العرف هو نهاية مسيرة الاجتهاد. فهو الاجتهاد مبلورا، ومكتسبا تصديق الجمهور، أما الاجتهاد بالصورة التي عرضها الفقهاء والتي كانت موجودة في العهود السابقة فهي مما لا يمكن إعمالها أو الاعتماد عليها.

واستبعد الفصل الإجماع لما حاق به من شبهات.

٣١٢ صفحة من القطع الكبير

٥- كلا ثم كلا ...

كلا لفقهاء التقليد وكلا لأدعياء التنوير:

يبدأ الكتاب بمقدمة يشرح فيها المؤلف كيـف أن تـوخي الحقيقة دفعه لأن يقول كلا لكل من فقهاء التقليـد وأدعيـاء التنوير معا، وقد ألف الناس أن من يؤيد اليمـين يعـارض اليسار ومن يقول نعم للأول يقول لا للثاني. أما أن يعارض كاتب الفريقين معا. ويقول كلا ثم كلا فإنه يقطـع الجسـور ويوقد شمعته من طرفيها ويوقف نفسه في طريق مسـدود. فالفكر الإسلامي في يد الفقهاء، وأجهزة الإعلام والصـحافة في يد أدعياء التنوير!! ويستطرد.

" ولكن ليس هذا هو المهم

المهم هو الحقيقة

وعندما تكون الحقيقة بهذا الحجم، وعندما يتهددها الخطر وتطلب من حماتها التضحية.

فلا تترد، ولا مجاملة، ولا خوف

فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا.

في الفصل الأول الذي يحمل عنـوان " عنـدما ينـتطح العنزان" استعرض المؤلف تطور الأحداث من محمد علـي

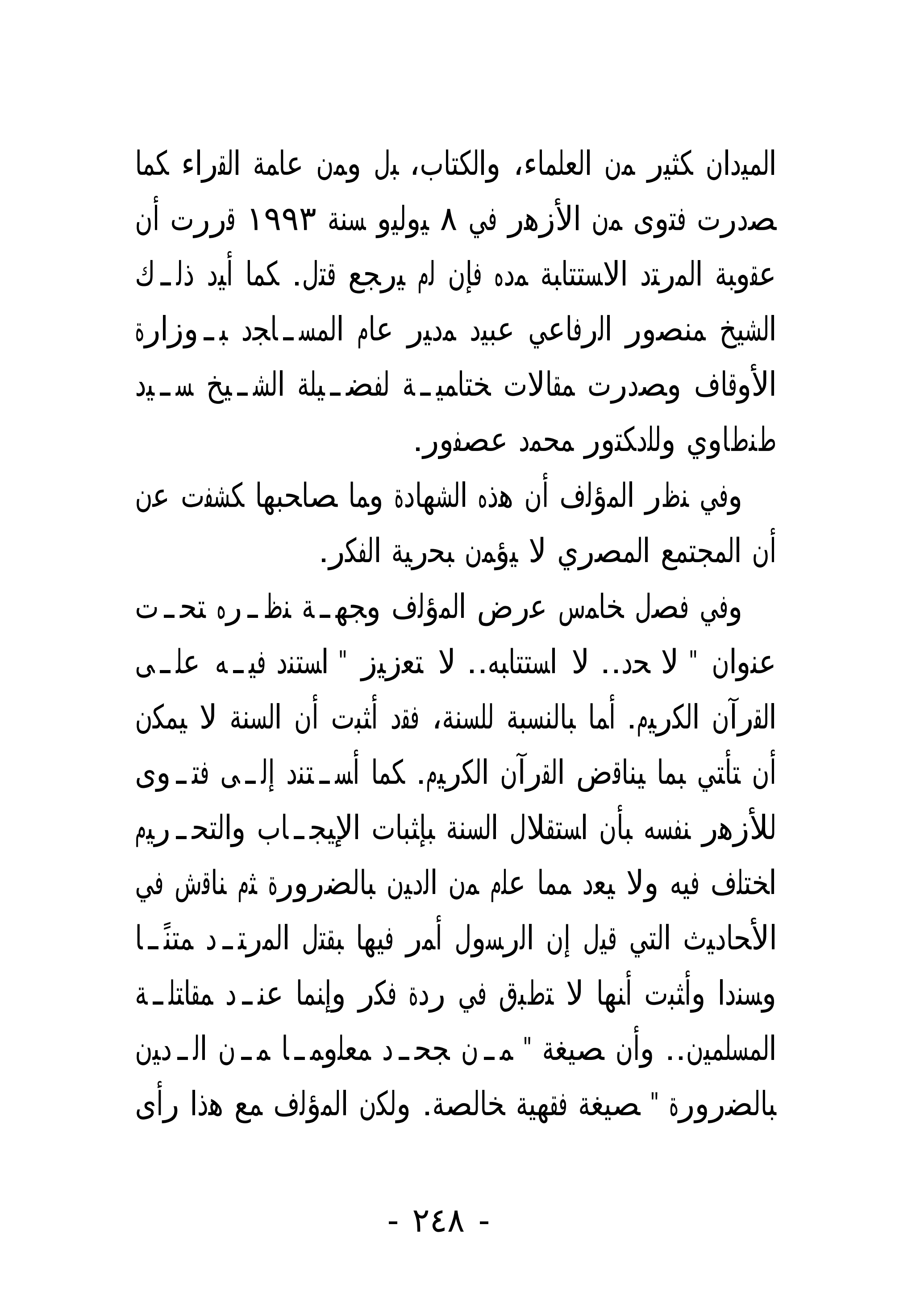
وجمال الأفغاني حتى عبد الناصر وكيف وصلت الأخطـاء إلى درجة من التراكم جعلت الصدام الأيدلوجي محتوما ظهر في " بالون اختبار " وضعه السادات عند وضـع مشـروع قانون لمحاكمة " المرتد " وكان هذا سنة ٧٧.

ودارت الأيام والأعوام، ووجدنا الشيخ محمـد الغزالـي يشهد في قضية مقتل فرج فوده (١٩٩٣) وأضـطر تحـت حصار المحامين لأن يقول ردا على سؤال " ما حكـم مـن يجاهر برفض تطبيق الشرعية كفرا واستهزاء " بأنه " لـيس بمؤمن مصداق قوله تعالى: ﴿ **وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَـا أَنْـزَلَ ا ُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ ومازالوا به حتى سألوا " هل من يأبى أحكام الشريعة يعتبر مفارقًا للجماعة ومرتدا عن الإسلام ".

فقال – نعم يعتبر مرتدا عن الإسلام

- ما هو حكم هذا المرتد
- أن يستتاب وإذا لم يرجع يقتل، وهذا هو الحكم العام بإجماع كثير من الفقهاء. وأما أنا فأرى أنـه يجـوز للحاكم إيداعه في سجن.

وأثارت هذه الشهادة دويا وتتبعها الكاتب الصحفي الأستاذ صلاح منتصر في الأهرام في سلسلة من المقالات كما دخل


الميدان كثير من العلماء، والكتاب، بل ومن عامة القراء كما صدرت فتوى من الأزهر في ٨ يوليو سنة ١٩٩٣ قررت أن عقوبة المرتد الاستتابة مده فإن لم يرجع قتل. كما أيد ذلـك الشيخ منصور الرفاعي عبيد مدير عام المسـاجد بـوزارة الأوقاف وصدرت مقالات ختاميـة لفضـيلة الشـيخ سـيد طنطاوي وللدكتور محمد عصفور.

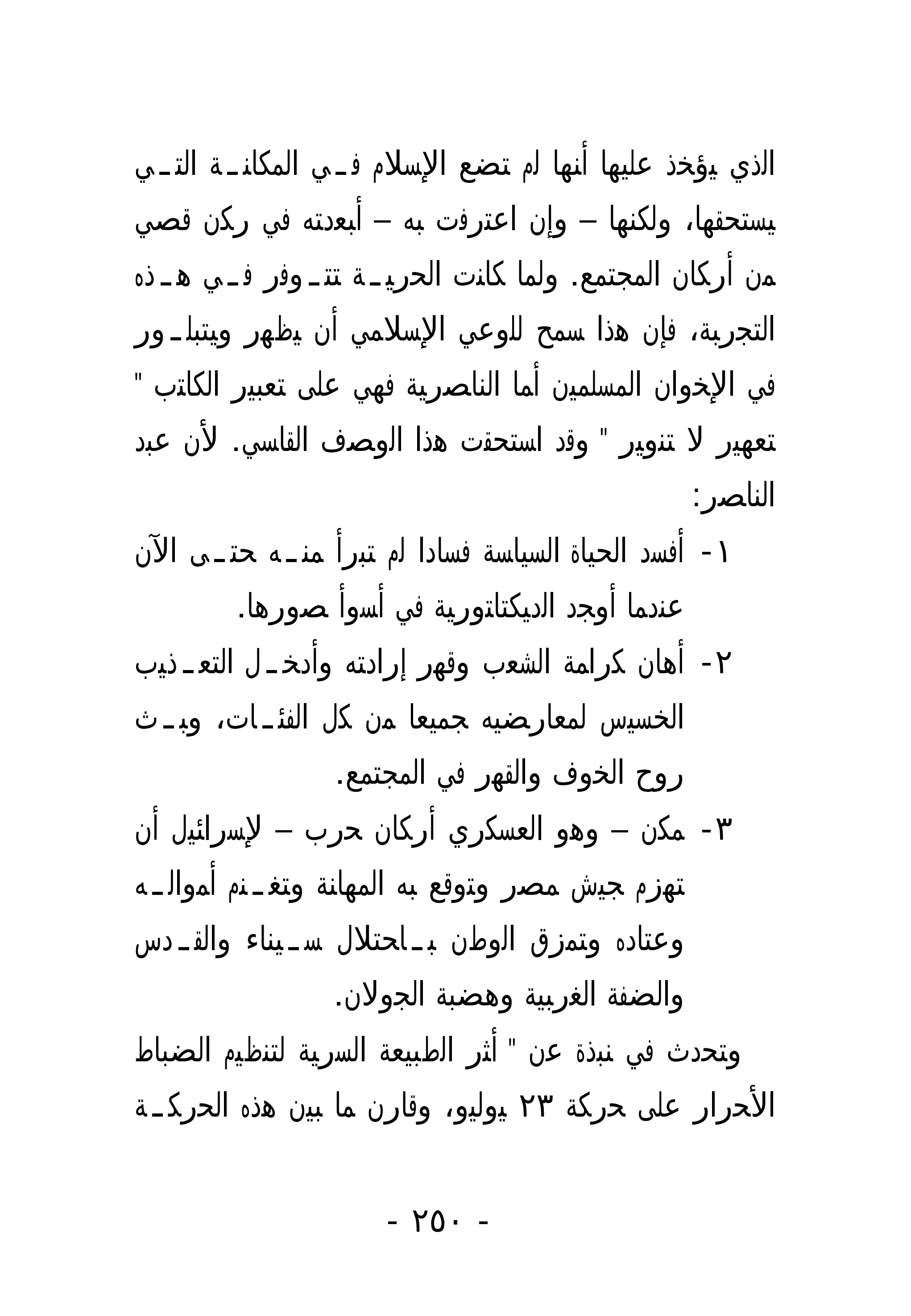
وفي نظر المؤلف أن هذه الشهادة وما صاحبها كشفت عن أن المجتمع المصري لا يؤمن بحرية الفكر.

وفي فصل خامس عرض المؤلف وجهـة نظـره تحـت عنوان " لا حد.. لا استتابه.. لا تعزيز " استند فيـه علـى القرآن الكريم. أما بالنسبة للسنة، فقد أثبت أن السنة لا يمكن أن تأتي بما يناقض القرآن الكريم. كما أسـتند إلـى فتـوى للأزهر نفسه بأن استقلال السنة بإثبات الإيجـاب والتحـريم اختلاف فيه ولا يعد مما علم من الدين بالضرورة ثم ناقش في الأحاديث التي قيل إن الرسول أمر فيها بقتل المرتـد متنًـا وسندا وأثبت أنها لا تطبق في ردة فكر وإنما عنـد مقاتلـة المسلمين.. وأن صيغة " مـن جحـد معلومـا مـن الـدين بالضرورة " صيغة فقهية خالصة. ولكن المؤلف مع هذا رأى

أن استفزاز المسلمين وتحقير رموزهم لا يجوز أن يمر دون عقاب لأن في الحقيقة صورة من القذف والإهانة.. وضرب المثل برسم لرسام الكاريكاتير صلاح جاهين.

بهذا ينتهي الحديث عن " فقهاء التقليد " – ليبدأ – حساب " أدعياء التنوير " وهو أثقل وأطول من حساب فقهاء التقليـد، ففي الفصل الأول: التنوير والآلهـة الزائفـة تحـدث عـن الحضارة الأوروبية فعرض لحسناتها وسوءاتها ثم تحدث عن الاشتراكية واستعرض سوءاتها التي تغلب حسناتها وأخيـرا فصل القول في " القومية العربية ". والزيوف التـي قامـت عليها.

وفي الفصل الثاني الكتاب " التجارب الثلاث للتنوير فـي مصر" وهي محمد علي – والبرجوازيـة، وعبـد الناصـر وأظهر كيف أن محمد علي أجهض المشروع الشعبي (الذي قدمه شيوخ الأزهر) وعلى أساسه قبل الحكم من يد هـؤلاء الشيوخ وكان هذا المشروع هو الحكم بالشريعة والعدل ولكنه نكث بعهده وفرق الشيوخ واصطنع فريقًا ونكل بفريق آخر. أما تجربة البرجوازية التي تمت بفضل ثـورة ١٩ وظلـت حتى ٥٢ فكانت أفضل محاولات التنوير والشـيء الوحيـد



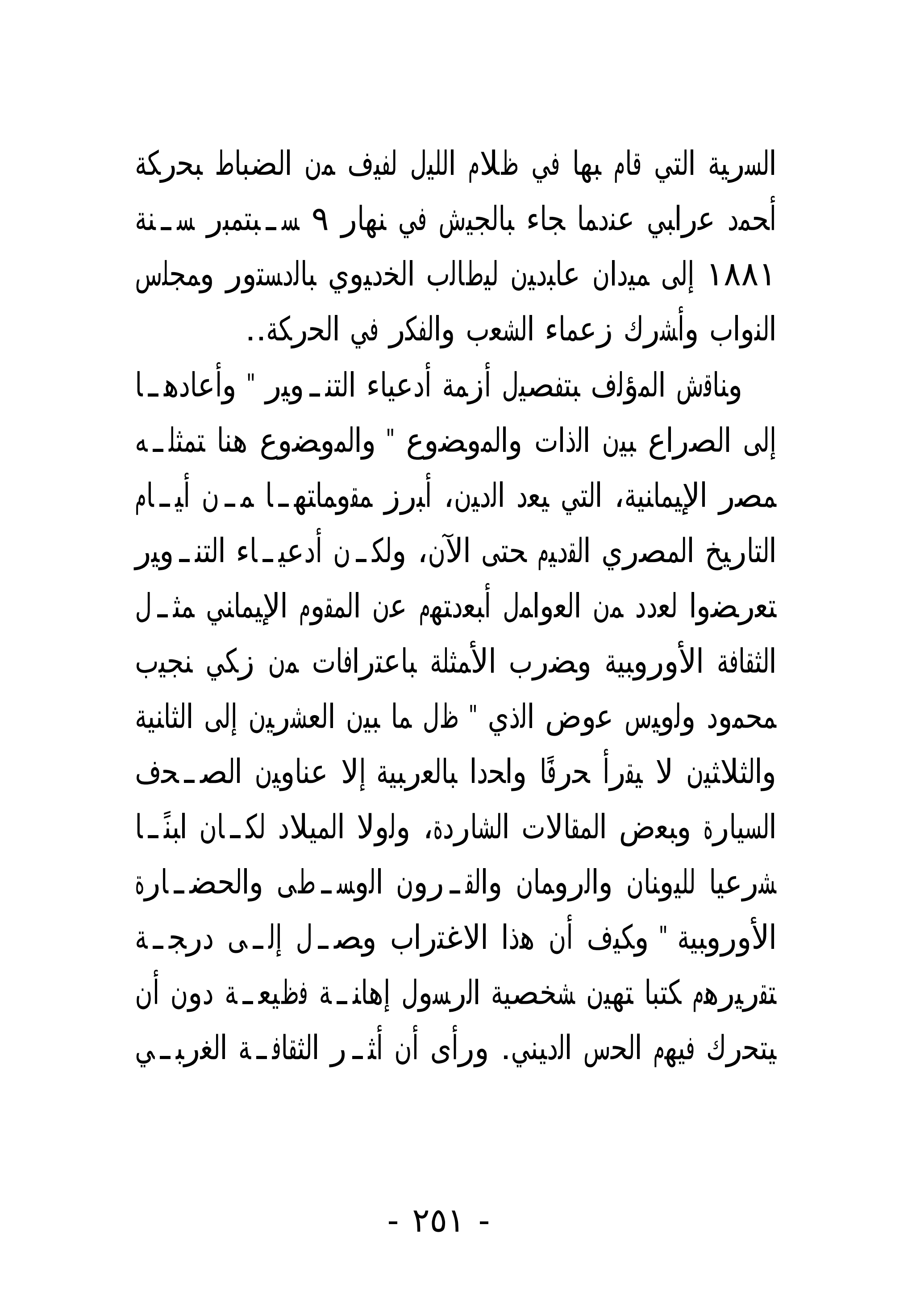
الذي يؤخذ عليها أنها لم تضع الإسلام في المكانة التي يستحقها، ولكنها – وإن اعترفت به – أبعدته في ركن قصي من أركان المجتمع. ولما كانت الحرية تتوفر في هذه التجربة، فإن هذا سمح للوعي الإسلامي أن يظهر ويتبلور في الإخوان المسلمين أما الناصرية فهي على تعبير الكاتب " تعهير لا تنوير " وقد استحقت هذا الوصف القاسي. لأن عبد الناصر:

١- أفسد الحياة السياسة فسادا لم تبرأ منه حتى الآن عندما أوجد الديكتاتورية في أسوأ صورها.

٢- أهان كرامة الشعب وقهر إرادته وأدخل التعذيب الخسيس لمعارضيه جميعا من كل الفئات، وبث روح الخوف والقهر في المجتمع.

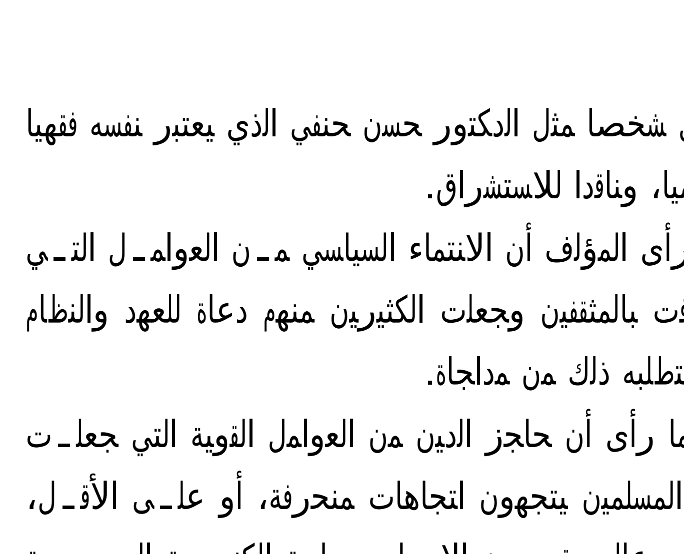
٣- مكن – وهو العسكري أركان حرب – لإسرائيل أن تهزم جيش مصر وتوقع به المهانة وتغنم أمواله وعتاده وتمزق الوطن باحتلال سيناء والقدس والضفة الغربية وهضبة الجولان.

وتحدث في نبذة عن " أثر الطبيعة السرية لتنظيم الضباط الأحرار على حركة ٢٣ يوليو، وقارن ما بين هذه الحركة



السرية التي قام بها في ظلام الليل لفيف من الضباط بحركة أحمد عرابي عندما جاء بالجيش في نهار ٩ سـبتمبر سـنة ١٨٨١ إلى ميدان عابدين ليطالب الخديوي بالدستور ومجلس النواب وأشرك زعماء الشعب والفكر في الحركة..

وناقش المؤلف بتفصيل أزمة أدعياء التنـوير " وأعادهـا إلى الصراع بين الذات والموضوع " والموضوع هنا تمثلـه مصر الإيمانية، التي يعد الدين، أبرز مقوماتهـا مـن أيـام التاريخ المصري القديم حتى الآن، ولكـن أدعيـاء التنـوير تعرضوا لعدد من العوامل أبعدتهم عن المقوم الإيماني مثـل الثقافة الأوروبية وضرب الأمثلة باعترافات من زكي نجيب محمود ولويس عوض الذي " ظل ما بين العشرين إلى الثانية والثلاثين لا يقرأ حرفًا واحدا بالعربية إلا عناوين الصـحف السيارة وبعض المقالات الشاردة، ولولا الميلاد لكـان ابنًـا شرعيا لليونان والرومان والقـرون الوسـطى والحضـارة الأوروبية " وكيف أن هذا الاغتراب وصـل إلـى درجـة تقريرهم كتبا تهين شخصية الرسول إهانـة فظيعـة دون أن يتحرك فيهم الحس الديني. ورأى أن أثـر الثقافـة الغربـي



يطول شخصا مثل الدكتور حسن حنفي الذي يعتبر نفسه فقهيا إسلاميا، وناقدا للاستشراق.

ورأى المؤلف أن الانتماء السياسي مـن العوامـل التـي انحرفت بالمثقفين وجعلت الكثيرين منهم دعاة للعهد والنظام وما يتطلبه ذلك من مداجاة.

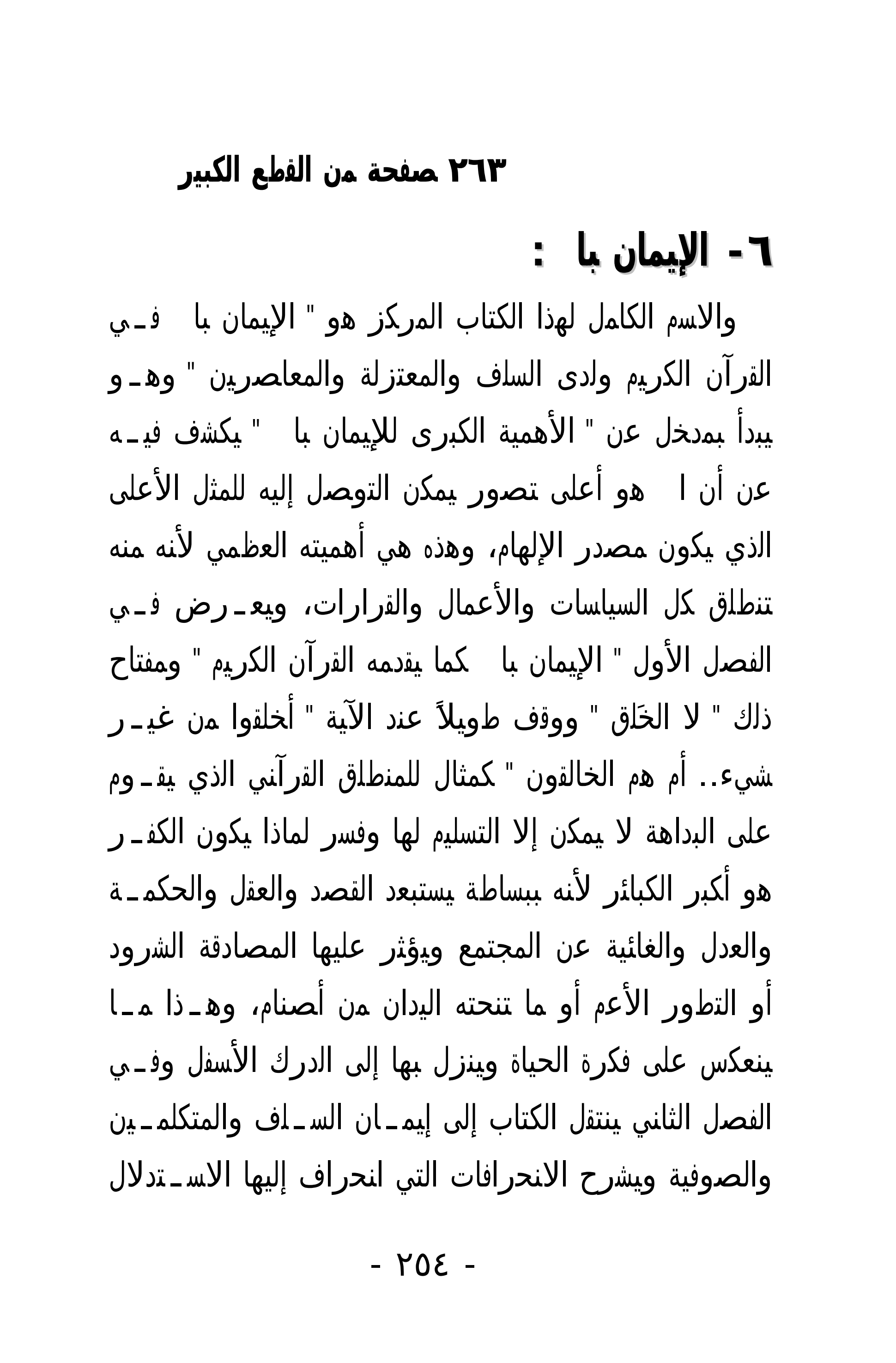
كما رأى أن حاجز الدين من العوامل القوية التي جعلـت غير المسلمين يتجهون اتجاهات منحرفة، أو علـى الأقـل، ذاتية، وعالج بقدر من الإسهاب سياسة الكنيسـة المصـرية تحت قيادة الأنبا شنودة التي اختلفت عن السياسـة التقليديـة لآباء الكنيسة، وأثر ذلك في ظهور ما أطلق عليـه " الفتنـة الطائفية ".

وأخيرا جدا يشير الكتاب إلى " العملاء المهيجين " الـذين يضرمون نار الفتنة إما لأنهم مأجورون، أو لأسباب تتعلـق بأشخاصهم ومصالحهم الذاتية وضرب المثل بإحدى الصحف اليسارية التي تضخم في قضية ظلم الأقباط ومطالب الأقباط إلخ.. وأوضح الكتاب نقطًا عديدة للتلاقي ما بين المسـيحيين والإسلام وانتقد الحساسية المرهفة لبعض الأقباط التي تجعل كل مشروع للنهضة بالإسلام كما لو كان يضـر بالأقبـاط!

وكتب أحد الأقباط إن " زيادة الجرعة الدينية في التليفزيـون واقتراح جامعة للقرآن. جعلته يستشعر أن الوطن لم يعد له، بل للمسلمين!! "

وتعد الفقرات عن الأقباط (من ١٦٤ حتى ٢٢٠) من أكثر الموضوعات التي تناولها الكتاب بالتفصيل والمصارحة.

ويختم الكتاب بفصل بعنوان " عندما تتصـافح اليـدان " يثبت الأصول الإسلامية لدعاة (وليس لأدعياء) التنوير بـدءا من رافع رفاعة الطهطاوي فتوفيق الحكـيم وطـه حسـين وعباس العقاد ونجيب محفوظ وحتى يوسف إدريـس الـذي يقول " إني مسلم بين مسلم وقد سافر جدي على أقدامه إلـى الحج، وفي الغناء والموسيقى (محمد عبد الوهاب وأم كلثوم) حتى يصل إلى إحسان عبد القدوس الذي ترك وصية يمكـن أن تكون " اعتراف كاتب مسلم " حتى زكي نجيب محمـود ويتلو ذلك نص " مشروع للأجيال " يتناول واجبات الفقهـاء وواجبات الكتاب والمفكرين التنويريين كل واحد مـن عشـر نقاط.



٢٦٣ صفحة من القطع الكبير

٦- الإيمان با :

والاسم الكامل لهذا الكتاب المركز هو " الإيمان با في القرآن الكريم ولدى السلف والمعتزلة والمعاصرين " وهو يبدأ بمدخل عن " الأهمية الكبرى للإيمان با " يكشف فيه عن أن ا هو أعلى تصور يمكن التوصل إليه للمثل الأعلى الذي يكون مصدر الإلهام، وهذه هي أهميته العظمي لأنه منه تنطلق كل السياسات والأعمال والقرارات، ويعرض في الفصل الأول " الإيمان با كما يقدمه القرآن الكريم " ومفتاح ذلك " لا الخَلق " ووقف طويلاً عند الآية " أخلقوا من غير شيء.. أم هم الخالقون " كمثال للمنطلق القرآني الذي يقوم على البداهة لا يمكن إلا التسليم لها وفسر لماذا يكون الكفر هو أكبر الكبائر لأنه ببساطة يستبعد القصد والعقل والحكمة والعدل والغائية عن المجتمع ويؤثر عليها المصادقة الشرود أو التطور الأعم أو ما تنحته اليدان من أصنام، وهذا ما ينعكس على فكرة الحياة وينزل بها إلى الدرك الأسفل وفي الفصل الثاني ينتقل الكتاب إلى إيمان السلف والمتكلمين والصوفية ويشرح الانحرافات التي انحراف إليها الاستدلال

على وجود ا من الدليل القرآني إلـى المنطـق اليونـاني وظهور المعتزلة وما فرضوه علـى ا مـن العـدل كمـا تصوروه الأمر الذي اضطر الأشاعرة إلى القـول بـأن ا يكون عادلاً حتى لو قذف بالناس جميعا إلى النار.. ثم أشـار إلى بعض القضايا الفرعية مثل رؤية ا . وهل ا في مكان أو غير مكان أو في كل مكان إلخ.. وعرج على التصورات الغريبة للصوفية وعالمهم العجيب من أقطاب وأوتاد والغوث الأعظم إلخ.. وفكرة بعضهم عن الحب " التي وصلت إلـى حد المساواة ما بين الأديان جميعا كما في أبيات ابن عربـي المشهورة " لقد كنت قبل اليوم أنكرهـا صـاحبي إلـخ.. أو كلمات ابن القارض والاستغراق الذي يصل إلى الحلول..

وأخيرا يصل الكتاب إلى " الإيمان با تعالى في الكتابات الحديثة " فيشير إلى بعض الكتابـات التـي تمثـل السـلفية السعودية وفكرتهم عن التأويل ثم يضـرب المثـل للاتجـاه المتحرر من الطرق التقليدية بما جاء في رسالة العقائد للإمام الشهيد حسن البنا وفي مقالات في مجلة الشهاب، وهي آخـر ما كتب.

١٢٨ صفحة من القطع المتوسط

٧- قضية تطبيق الشريعة:

لما كانت قضية تطبيق الشريعة من الموضوعات الهامـة والمتعددة الجوانب فقد كانت موضوعا للمعالجة في أكثر من كتاب من مكتبة الإحياء، والكتاب الذي نتحـدث عنـه الآن يعالج جوانب لم يسبق معالجتها مثـل مضـمون الشـريعة وقضية الحدود وانعكاسات محتملة لتطبيق الشريعة وبأيهمـا نبدأ تعميق العقيدة أو تطبيق الشريعة والمشكلات أمام تطبيق الشريعة. وقد قسمها الكتاب إلى:

(أ) مشكلات نظرية تضم وضع فهم جديد للدين وتحديـد مضمون وضمانات الحكم بالشريعة ومـنهج الشـريعة فـي معالجة القضايا الاقتصادية والموقف من المرأة والفنون ثـم مشكلات عملية تضم تكوين رأي عام مناصر لقضية الشريعة والتقريب بين الهيئات الإسلامية المشـتتة والاتفـاق حـول تقنيات العمل السياسي واكتساب النخبة لقضية الإسلام ويختم الكتاب بكلمة موجزة " ماذا تريد الشريعة " وترد أنها تريـد العدل "

ومع أن الكتاب موجز (٩٣ صفحة من القطع الصـغير) فإنه عالج نقاطًا جديدة في الموضوع.

٨- العودة إلى القرآن:

يمكن أن يعد هذا الكتاب تلخيصا لأهم ما جاء في كتاب – الأصلان العظيمان – وهو يتحدث عن تعطيل القـرآن إمـا بدعوى النسخ أو بإطراح أسلوب القرآن في الاستدلال والأخذ بأسلوب آخر أو الافتيات على المعاني إلخ.. حتـى اسـتقر الرأي على ما قاله السيد رشيد رضا " إن عقائد الإسلام يجب أخذها من كتب الكلام وأحكامه من كتـب الفقـه المذهبيـة، وآدابه وأخلاقه من كتب التصوف وبهذا أمست فائدة القـرآن في التبرك والتعبد بتلاوة ألفاظه ندبا لا وجوبا ".

وعالج الفصل الثاني " العودة إلى القرآن " وطرق ذلـك ولم يتقبل فكرة أن يتم ذلك عبر المتخصصـين لأن مأدبـة القرآن مفتوحة للجميع وليست ببطاقات محددة ومحجوزة ولا يدخلها إلا حملة هذه البطاقات.

كما يضم فصلاً عن " السنة والكتاب " أجمل ما فصل في كتاب " الأصلان العظيمان " وشر الطريقة المثلى للتعامل مع السنة.

١١٨ صفحة من القط المتوسط

٩- بيان رمضان:

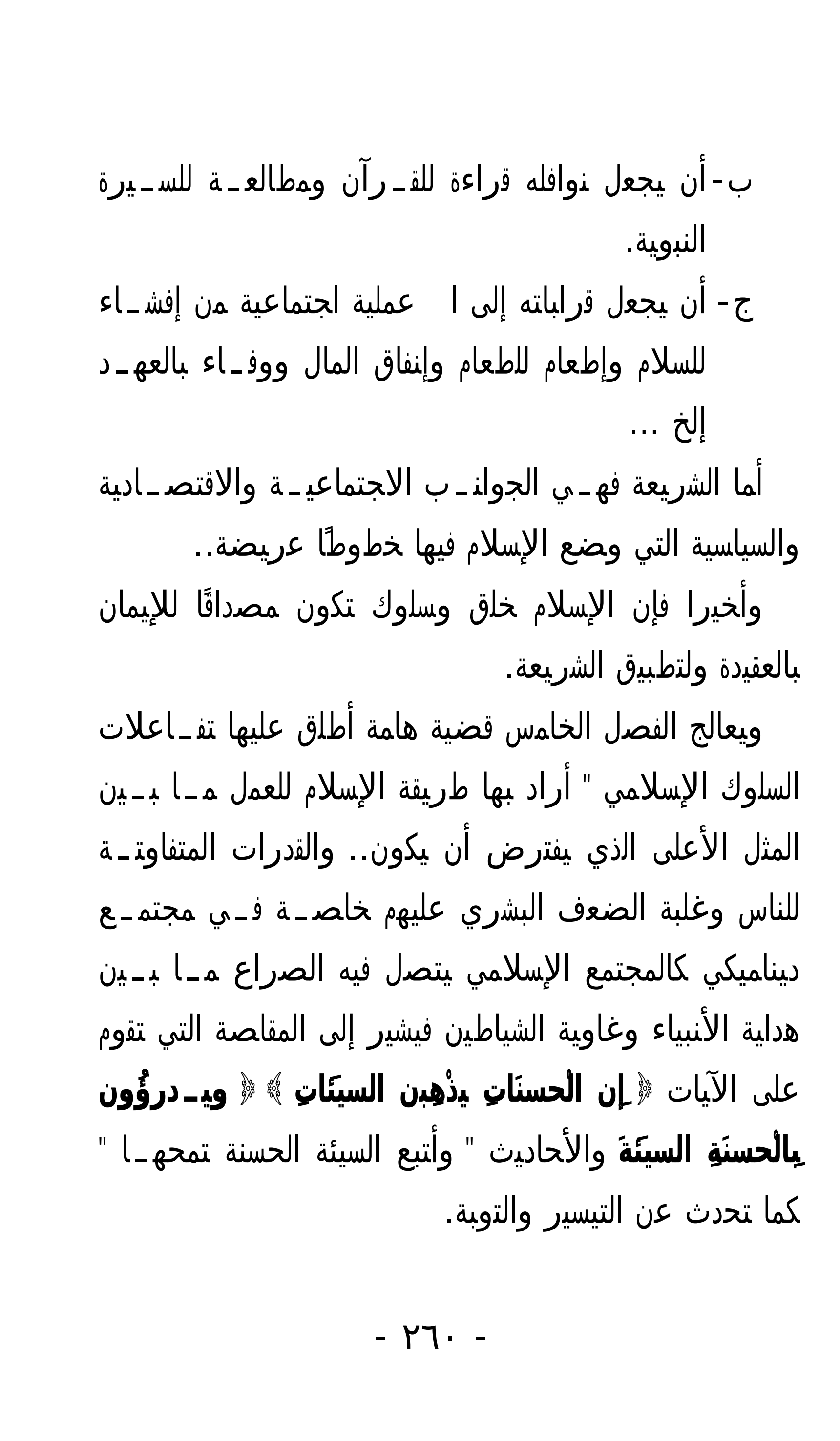
مع هذا الكتاب يحمل اسم " بيان رمضان " فقد لا يكـون فيه كلمة واحدة عن رمضان " والسر أنه كتب في رمضان، وكان يمكن أن يطلق عليه " فهم جديـد للإسـلام وتحديـد للموقف الإسلامي تجاه تحديات العصر " وهو فـي عشـرة فصول يبدأ الفصل الأول منها تحت عنوان " الدين " فيشرح الحاجة إلى الدين والملابسات التي أحاطت بنشـأة الأديـان، والحاجة إلى وحي وأن الأديـان كانـت " الضـمير للفـرد والتنظيم للمجتمع " وحولها التفتت الجماهير في فكر وتنظـيم موحد وفند دعوى أن البشرية لم تعد في حاجـة إلـى ديـن والفصل الثاني " الإسلام نفسه " وهو يشرح الخصائص التي تميز بها الإسلام بدءا من تصوير فكرة الألوهيـة وشـموله الفرد والمجتمع، والمرونة في " تفاعلات " الإسلام وأنه الدين السماوي الوحيد الذي لا يعترف بكهنوت مقرر له سلطة على الإيمان. أما الفصل الثالث فهو " أصلاً الإسلام " أي القـرآن والرسول وهو يتحدث عن القرآن ككتاب دعوة وهداية ويؤكد " كل آية مثبتة بين دفتي المصحف لها حكمها، ووجود آيات

تتفاوت وتختلف أحكامها لا يعـد إبطـالاً لإحـداها وأخـذًا بالأخرى على وجه التعيين ولكنها فسحة للأخذ بما يتلاءم مع أوضاع المجتمع، أما الأصل الثاني فهو السنة وأوضـح مـا يجب أن يكون من الحرص على حديث الرسول وتحدث عن كيفية التعامل مع الحديث وما يكون عند وجود تعارض وأن أي حديث يجافي ما جاء في القرآن يجب التوقف فيه.

أما الأصلان الآخران: الإجماع والقياس فإنهما أقل شـأنًا وليس لهما قداسة التحريم والتحليل المنزلين، وأنتقـد الـذي يدعون أنفسهم " سلفية " وهم أبعد ما يكونون عن الأسلاف.

وفي الفصل الرابع تناول الكتاب " مكونات الإسلام" وهي " العقيدة والشريعة والخلق (أو السلوك) " فتحدث عن العقيدة وعن واسطة عقدها وهو " الإيمان با " وعن آلياتها وهـي الشعائر والطقوس من صلاة وصيام وشرحها بكل صـراحة وارتأي أن من الخير للمسلم.

أ- أن يؤدي الفرائض المكتوبة أي أن يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً وليس مطلوبا منه أن يزيد على ذلك.



ب-أن يجعل نوافله قراءة للقـرآن ومطالعـة للسـيرة النبوية.

ج- أن يجعل قراباته إلى ا عملية اجتماعية من إفشـاء للسلام وإطعام للطعام وإنفاق المال ووفـاء بالعهـد إلخ ...

أما الشريعة فهـي الجوانـب الاجتماعيـة والاقتصـادية والسياسية التي وضع الإسلام فيها خطوطًا عريضة..

وأخيرا فإن الإسلام خلق وسلوك تكون مصداقًا للإيمان بالعقيدة ولتطبيق الشريعة.

ويعالج الفصل الخامس قضية هامة أطلق عليها تفـاعلات السلوك الإسلامي " أراد بها طريقة الإسلام للعمل مـا بـين المثل الأعلى الذي يفترض أن يكون.. والقدرات المتفاوتـة للناس وغلبة الضعف البشري عليهم خاصـة فـي مجتمـع ديناميكي كالمجتمع الإسلامي يتصل فيه الصراع مـا بـين هداية الأنبياء وغاوية الشياطين فيشير إلى المقاصة التي تقوم على الآيات ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ ﴿**وَيـدرؤُون بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ** والأحاديث " وأتبع السيئة الحسنة تمحهـا " كما تحدث عن التيسير والتوبة.

وينتقل الفصل السادس إلى " الدولة الإسلامية " فيرى أن الحكم في الدولة الإسلامية له طبيعة قضائية وبـذلك يكـون تحقيق العدل هو هدف الدولة الإسلامية وتكون اليد العليا هي للشريعة المستمدة من القرآن كما أشار إلـى حقيقـة فريـدة للدولة في الإسلام هي أنها فردية وشمولية، فهي فرديـة لأن الإسلام يقوم على الإيمان والإيمان يقتـرن بـالفرد وهـي شمولية لأن الإيمان بدوره يستلهم الشرعية القرآنيـة وبهـذا يكون هناك ما يشبه الجسر الذي يجمع مـا بـين الفرديـة والشمولية دون صراع، وإنما بتسليم وطواعية، ثم يسـتطرد في تفاصيل وأجهزة الحكم.

والفصل السابع عن الحدود والقضاء فيتحدث عن الحدود والقضاء بشيء من التفصيل لينتقل إلى الفصل السابع وهـو عن الاقتصاد والعمل فيرى أن المثل الأعلى الاقتصادي هو " القصد " وليس هو الفقير الصـابر أو الغنـي الشـاكر، وأن المجتمع الإسلامي يقوم على أساس التكافل ثم تحـدث عـن الزكاة وعن الربا كما تحدث عن العمل وأخلاقياته والنقابات، ودورها والأجور والتأمينات والفصل التاسع عن " المـرأة " وقد برهن على تحرير القرآن للمرأة ومنحها الحقوق التـي

للرجل – باستثناء القوامة المنزلية وأن المجتمـع الإسـلامي كان إلى حد ما مجتمعا مختلطًا أيام الرسول وأن المعول في الزي هو الحشمة، وليس النقاب أو الحجاب، كما تحدث عن الطلاق والزواج.

وتعرض الفصل العاشر والأخير وهـو عـن " الإسـلام والمجتمع الحديث " لثلاث قضايا رئيسية هي (أ) الحضـارة الأوروبية (ب) الاشتراكية (ج) القومية، ويقرب هذا الفصـل من أن يكون كتيبا مستقلاً عن هـذه الموضـوعات الـثلاث الهامة (من ص ١٢٧ حتى ص ١٧٩) أي خمسين صـفحة وقد تحدث فيها حديثًا يتسم بالأصـالة والإبـداع والتركيـز وإظهار الحسنات والسيئات والموقف منها.

١٨٨ صفحة من القطع المتوسط

١٠- الجمع بين الصلاتين في الحضر..

تجهم الفقهاء التقليديون لفكرة الجمع بين الصـلاتين فـي الحضر، وحاولوا تأويل الآيات التي تبيح هذا بقدر ما حاولوا الطعن في الأحاديث عنه. بفكرة أن إعلان هذا المبدأ يفـتح الباب للتهاون بالصلاة ولكن تظل الحقيقـة قائمـة، فهنـاك ظروف عديدة تجعل أداء الصلاة كل في وقتهـا صـعبا أو

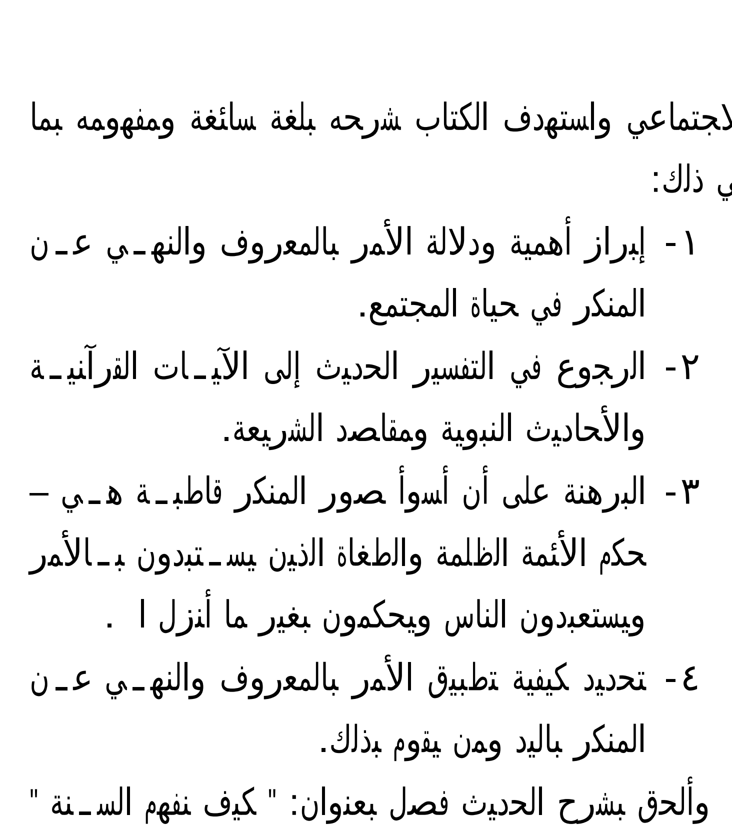
متعذرا ولما كانت حكمة الشريعة اقتضت أن يكون التيسـير أصلاً فإن التشديد على الناس قد ينتهي بهم إلى ترك الصلاة.

وقد بحث الكتاب في فصله الأول عن أدلة الجمـع فـي القرآن الكريم وتفسير المفسرين لها ثم انتقل إلى أدلة الجمـع من السنة، وأخذ في دراستها لدى الشيعة أولاً وما قاله الإمام السياغي (وهو زيدي) والإمام يحيى بـن عبـد ا عثمـان الوزير وغيرهما ثم استشهد بأقوال علماء السنة معتمدا فـي هذا على كتاب لمحدث مغربي هو أبو عبد ا محمـد بـن الصديق الغماري " إزالة الخطر عمن جمع بين الصلاتين في الحضر " الذي تقصى كافة الأحاديث التي تبيح الجمع وفنـد شكوك المحدثين التقليديين حولها، ثم ختم الكتاب بفصل عن مبررات الجمع من روح الإسلام ومقاصد الشارع.

في ٣٦ صفحة من القطع المتوسط

١١- تفسير حديث
من رأى منكم منكرا فليغيره ...

يضع الحديث النبوي المشهور " من رأى مـنكم منكـرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يسـتطع فبقلبـه، وهذا أضعف الإيمان " مبـدءا مـن أهـم مبـادئ التكافـل



الاجتماعي واستهدف الكتاب شرحه بلغة سائغة ومفهومه بما في ذلك:

١- إبراز أهمية ودلالة الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر في حياة المجتمع.

٢- الرجوع في التفسير الحديث إلى الآيـات القرآنيـة والأحاديث النبوية ومقاصد الشريعة.

٣- البرهنة على أن أسوأ صور المنكر قاطبـة هـي – حكم الأئمة الظلمة والطغاة الذين يسـتبدون بـالأمر ويستعبدون الناس ويحكمون بغير ما أنزل ا .

٤- تحديد كيفية تطبيق الأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر باليد ومن يقوم بذلك.

وألحق بشرح الحديث فصل بعنوان: " كيف نفهم السـنة " وآخر عن " معان واعتبارات يجب استصحابها عند تطبيـق الحديث " يعدان جزء لا يتجزأ من شرح الحديث، وقلما تنبه إليها من كتبوا عنه.

١٣٦ صفحة من القطع المتوسط..

ب- الدعوات والحركات الإسلامية

١- الدعوات الإسلامية المعاصرة

ما لها وما عليها..

صدر هذا الكتاب في أعقاب العـدوان السـوفيتي علـى الأفغان (١٩٧٨) وهو يضم أربعة فصول. في الأول منهـا يستعرض " موقع الدعوة الإسلامية على خريطـة المجتمـع العربي، والمفارقة التي تحكمه " والمفارقة هـي أن الـدعوة الإسلامية تملك الشارع، وتمثل نبض الجماهير ومع هذا فإنها مجردة من المناصب مبعدة عن أجهزة الإعـلام. بـل هـي عرضة للاضطهاد والتنكيل وفي الفصـل الثـاني يعـرض لتاريخ حركات التحرير فـي مصـر، والسـودان، والشـام والعراق والجزائر والمغرب وتونس وليبيا، يثبت أن كل هذه الحركات التي استهدفت طرد المستعمر كانت إسلامية ومـن وحي الجهاد وتطهير الأرض الإسلامية من دنـس الكفـار المعتدين، وأن فكرة التحرر من المستعمر اقترنـت بـإرادة إقامة حكم شورى بدءا من عمر مكرم سنة ١٨٠٥ في مصر حتى مجتهدي الشيعة سنة ١٩٢٠ في العراق.

ولكن الحركات الإسلامية على صدق إرادتها في الكفـاح بل وانتصارها في معركة التحرير إلا أنها كانت تخسر بعـد ذلك لتظهر قيادات جديدة ليست من صميم الدعوة الإسلامية لأن الدعوات الإسلامية عجزت عن فهم التعقيد الاجتمـاعي والتطور العصري، ولهذا عجزت عن أن تحصد ثمار كفاحها واستحوزت عليه نظم " علمانية " تقلدت زمام الحكم.

وعالج الكتاب في الفصل الثالث. الـدعوات المناهضـة للإسلام ودورها التخريبي في المجتمع العربي. فتحدث عـن دعوات تبشيرية أريد بها انتزاع جزء من الشعب المسلم عن عقيدته. بمختلف الوسائل والمغريات، وعن دعوات مناصرة وحماية الجيوب غير الإسلامية في الدول العربيـة وتأليبهـا على الوطن العربي ودعـوات تسـتهدف تـوهين المقـوم الإسلامي في الحياة الاجتماعية والثقافية. وعرض بإفاضـة دور هذه الدعوات وآثارها الهدامة.

يلي ذلك فصل مسهب عن " فصل المقـال فـي قضـية القومية العربية والإسلام، هو من أهم فصول الكتاب. وقـد كان القاعدة التي عاد إليها المؤلف في كثير من كتاباته التـي تلت هذا الكتاب.. فتحدث عن القومية بصفة عامة واختلافها

عن الدعوات العالمية وأثره في إضرام نزعـات التعصـب القومي، وأبرز أن ما حدث في أوروبا يختلف تمامـا عمـا حدث في الإسلام. فإن الأمة العربية إنمـا ظهـرت بفضـل الإسلام فقد كتب هو شهادة ميلادها ورسم نقطـة انطلاقهـا وربطها بالشرع واللغة والقرآن إلخ.. وأثبت أن دور الإسلام في القومية العربية لا يمكن مقارنتـه بـأي دور آخـر لأن الرابطة الإسلامية كانت أقوى من أي عامل آخر، وسـمحت بأن يبلغ الموالي المناصب الرفيعة في الفقه والحديث واللغـة والقيادة، ولأن اللغة العربية وهي الرابط الأعظم للمجموعات العربية إنما هي بنت القرآن، ولولا القرآن لمزقتها اللهجـات الإقليمية.

وتحدث الفصل عن الظهور الأول لفكرة القومية العربيـة على أيدي موازنة لبنان الذين وضعوا كتبهم بالفرنسية.

ثم أخذ في استقصاء الحركات القومية منذ أن بدأ الجنرال يعقوب القبطي المصري في مناصرة الحملة الفرنسية بفكـرة إنقاذ مصر من الدولة العثمانية. ونقد نقدا مـرا مـا كتبـه الدكتور لويس عوض عن هذا الموضوع حتى ظهور فكـرة

القومية العربية في فترة الحرب العالمية الأولى كـرد فعـل لتبني الحكم التركي سياسة " التتريك والقومي التركية.

وعالج الكتاب " نظرية الإسلام السياسية كمـا تعرضـها بعض الدعوات الإسلامية المعاصرة مثل الجماعة الإسلامية (باكستان) وحزب التحرير (الأردن) والإخـوان المسـلمين (مصر) ودعوات أخرى كما تحدث في فصل خـاص عـن وجهة نظر الكاتب النمساوي الأصل محمد أسد (سابقًا ليبولد زيف) من وحي كتابه " منهج الإسلام في الحكم "..

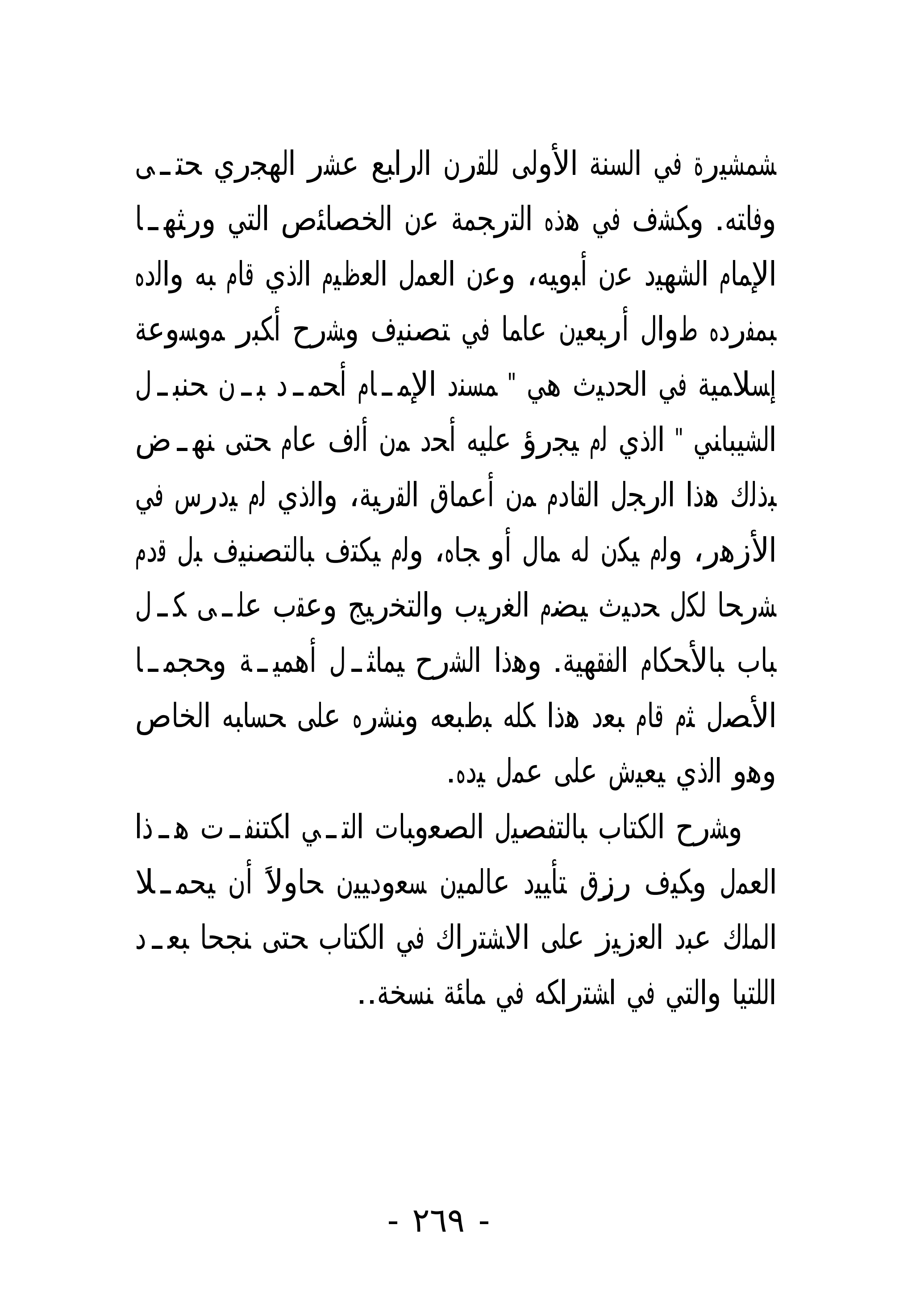
وفي النهاية أورد الكتاب " تلخيصا وتعقيبا " على فصوله السابقة.

٢٧٦ صفحة من القطع المتوسط.

٢- خطابات حسن البنا الشاب إلى أبيه:

هذا كتاب فريد من نوعه يمثل إضافة في عالم التـراجم. وهو يقوم على عدد من الخطابات أرسلها الإمام الشهيد حسن البنا إلى والده من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ٤٧.

وانتهز المؤلف وجود هذه الخطابات فوضع كتابه هذا بعد أن أضاف إليه ترجمة مسهبة لحياة وعمل والد الإمام الشهيد الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا " الساعاتي " منذ أن ولد فـي



شمشيرة في السنة الأولى للقرن الرابع عشر الهجري حتـى وفاته. وكشف في هذه الترجمة عن الخصائص التي ورثهـا الإمام الشهيد عن أبويه، وعن العمل العظيم الذي قام به والده بمفرده طوال أربعين عاما في تصنيف وشرح أكبر موسوعة إسلامية في الحديث هي " مسند الإمـام أحمـد بـن حنبـل الشيباني " الذي لم يجرؤ عليه أحد من ألف عام حتى نهـض بذلك هذا الرجل القادم من أعماق القرية، والذي لم يدرس في الأزهر، ولم يكن له مال أو جاه، ولم يكتف بالتصنيف بل قدم شرحا لكل حديث يضم الغريب والتخريج وعقب علـى كـل باب بالأحكام الفقهية. وهذا الشرح يماثـل أهميـة وحجمـا الأصل ثم قام بعد هذا كله بطبعه ونشره على حسابه الخاص وهو الذي يعيش على عمل يده.

وشرح الكتاب بالتفصيل الصعوبات التـي اكتنفـت هـذا العمل وكيف رزق تأييد عالمين سعوديين حاولاً أن يحمـلا الملك عبد العزيز على الاشتراك في الكتاب حتى نجحا بعـد اللتيا والتي في اشتراكه في مائة نسخة..

كما تحدث عن الأيام الأخيرة للشـيخ خاصـة بعـد أن استشهد نجله البكر الذي كان ملء السمع والبصـر، حتـى توفي عام ١٣٧٨ هـ (١٩٥٨) ميلادية.

واستغرقت هذه الترجمة ٨٣ صفحة أنتقل بعدها الكتـاب إلى خطابات الإمام الشهيد، وكان الكاتب فـي مقدمتـه قـد عرض في أسلوب رفيع أخذ بعض الصفات العامـة التـي تكشف هذه الخطابات عنها. ثم عاد لما بـدأ فـي عرضـها تفصيليا فقسمها إلى ثلاث مجموعـات. وقبـل أن يبـدأ أي مجموعة كان يتحدث عن ملابساتها مـن واقـع مشـاهداته الشخصية أو معرفته ويكشف جوانب كثيرة خافية.

وأول هذه الخطابات تاريخه سنة ٢ وآخرها تاريخه سـنة ١٩٤٧.

ووثق الكتاب في لحق مستقل ما جاء في الفصلين وذلـك بعرض بعض الصور الخطية للخطابات أو الوثائق وكـذلك بعض الصور النادرة للشيخ الوالد وللإمام الشهيد ووالدته.

والكتاب يعرض بعض القسمات الخافية في حياة الشـهيد مثل بر الوالدين والأدب في الخطاب كما يبرز أحد عناصـر التوفيق في حياته ألا وهو " الاستمرارية ".

وأشارت الكلمة التي في الغلاف الأخير للكتـاب والتـي حملت صورة للشيخ الوالد والإمام الشـهيد وللمؤلـف " إن الشيخ البنا والإمام الشهيد، والأستاذ جمال البنا يمثلون ثلاثـة أجيال في أسرة واحدة. جيل مستهل القرن، وجيل منتصـفه وجيل آخره. قدم كل واحد منهم إضافته المميزة في خدمـة الإسلام ".

٢٠٨ صفحة من القطع الكبير

٣- رسالة إلى الدعوات الإسلامية

من دعوة العمل الإسلامي:

يضم هذا الكتاب عرضا وتحليلاً لكل الحركات الإسلامية على الساحة، ويعد الفصلان الأولان وهمـا عـن الإخـوان المسلمين وعن " الجماعة الإسلامية " فـي باكسـتان مـن التحليلات التي تذهب إلى أعماق الدعوتين وأثـر الظـروف والملابسات وشخصية القائدين على كل منهمـا. كمـا يعـد الملحق الذي أجرى مقارنة مـا بـين الإخـوان المسـلمين، والجماعة الإسلامية إضافة منشئة وهذه الفصول الثلاثة ممـا لا يستغني عنها أي دارس لهاتين الحركتين لمعايشة الكاتـب

لهما معايشة دقيقة، ولإظهار العوامل التي أثـرت عليهمـا. بحيث تكون دراسة " سيكولوجية اجتماعية لهما ".

يتلو ذلك فصل عن حزب التحرير وهو محاولة لوضـع صيغ إسلامية شمولية تتفادى أخطـاء الهيئـات الإسـلامية السابقة عليه. ولكن الإطار السلفي الذي يتمسك به الحـزب كان أقوى من الملكات الإبداعية لمؤسسيه، كما لم يكن مـن السهل تجاوز الظروف العامة – زمانًا ومكانًا – التي أحاطت به، والتي أراد الحزب الفتي أن ينطحها فانطبق عليه البيـت المشهور " كناطح صخرة يوما ليوهنها إلخ.. " وكان مصيره أسوأ من مصير دعوات أخرى عديدة.

وقد تقصى الفصل تكوين الحزب ونشأته وسنواته الأولى، وما حدث لقيادته، وأسلوب الحلقات النقاشية وما تعرض لـه من عنت واضطهاد وبعض الإشـكاليات الفكريـة كنظريـة الشورى والتفرقة ما بين الشورى المازمة والمشورة المعلمة، وأبرز الفصل أن أزمة حزب التحريـر أنـه أراد توظيـف الإسلام كروح انتهاضية، روح تغيير واكتساح كتلـك التـي تملكت المسلمين أيام الخلافة الراشدة، ولكنه – عمليا – قـدم فقها سلفيا أجهض " إرادة التغيير " وأي شيء أكثر مـن أن

الحزب أنكر الحرية في كل صورها، حريـة فكـر، حريـة سياسية، حرية شخصية – كما أنه رفض، العقـل والقيـاس والإجماع وجلب المصالح ودرء المفاسد. بناء على اجتهادات ضيقة في فهم النصوص ولهذا انطبق عليه ما قالـه الفصـل عن مأساة حزب التحرير " إن هذا الحزب الذي خرج مـن أحشاء النكبة، وتعرض لمخـاض عسـير، وحمـل صـفة" التحرير "، ولم ينقص دعاته الحماسة ولا الإخلاص، أصـبح قفصا محكما تسجن فيه الجماهير، والأفكار، والإيرادات وكل ما يمت بصلة إلى " التحرير " لأن دعاته لم يعملوا عقولهم، ولكن استخدموا نقولهم. ولم يعمدوا إلى روح الإسلام الحـرة الطليقة، العادلة السمحة " العقلانية " في كل شيء، باسـتثناء ذات ا – وإنما لجأوا إلى فهم فقهي عقيم كان هـو نفسـه وراء استخذاء الجماهير.. وضلال القادة.. ".

وتحت عنوان " دعوات الرافضة الجديدة " تحدث الفصل الرابع عن جماعة التكفير والهجرة " جماعة المسلمين كمـا سماها منشؤها شكري مصـطفى) فأعادهـا إلـى التعـذيب المروع في سجون عبد الناصر الذي جعل شكري مصـطفى – يؤمن أن هؤلاء، وحاكمهم، ليسوا مسلمين ولا يمتون إلى

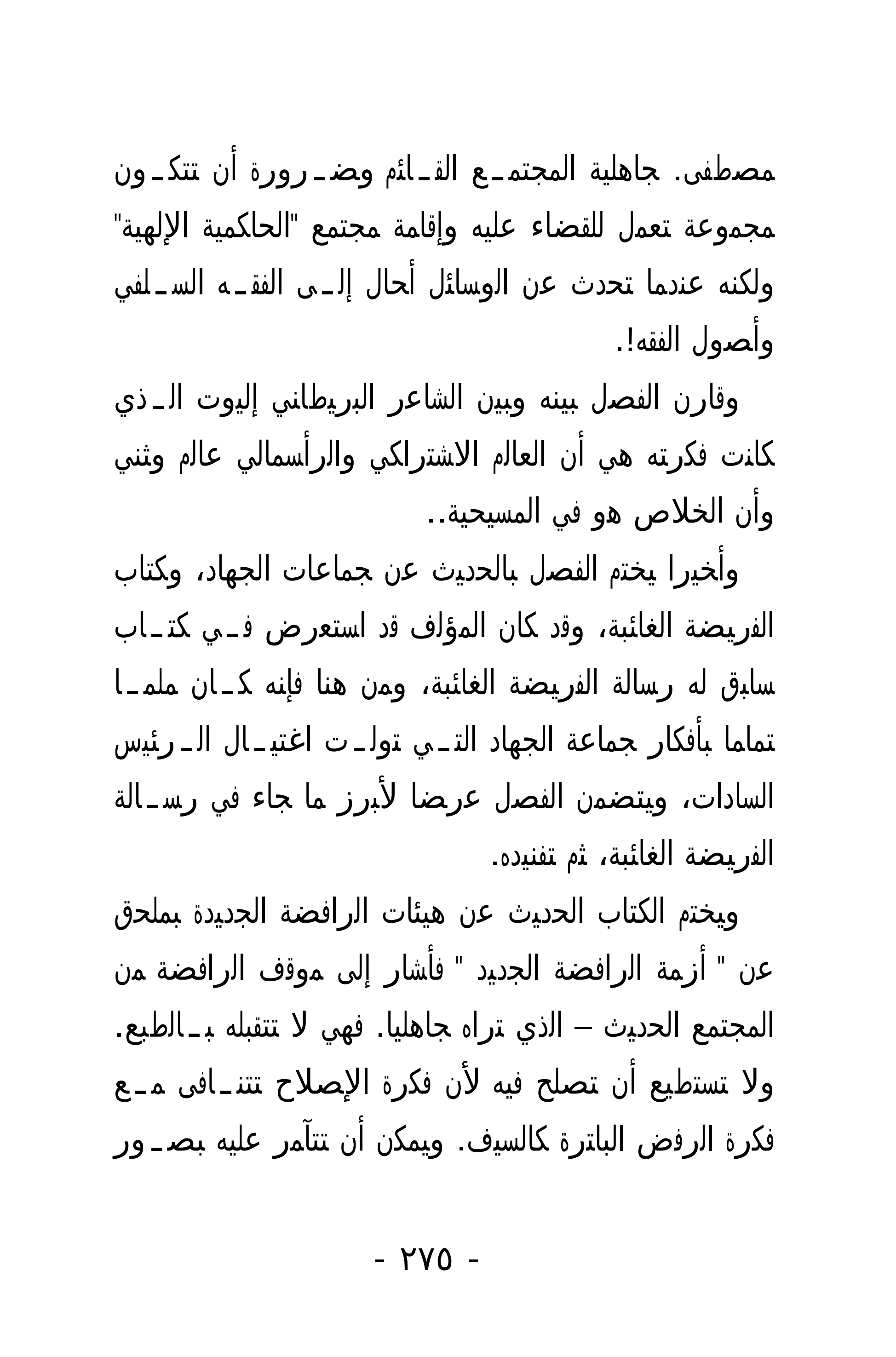
الإسلام بصلة ويبدأ دعوته على هذا الأساس، وعرض شكري مصطفى لفكرة الجماعة:

- إن كل المجتمعات القائمة مجتمعات جاهلية وكـافرة أيضا.
- رفض أقوال الأئمة والإجماع والقياس.
- الالتزام بجماعة المسلمين دون غيرها، ومن يفارقها يعد كافرا.

مع هذا التشدد، فإن جماعة المسلمين وقعت فـي أسـوأ صور المساومة و " العمل من خلال خطة العدو " بحيث إذا قامت الجماعة بعملية تكسب منها ٥ % ويكسب العدو ٤٦% فإنها تعد ناجحة ويجب أن تؤدى.

وعن هذا الفهم أمكن لأجهزة الأمـن اختـراق الجماعـة والتغرير بها بحيث تورطت في اختطاف الشيخ الذهبي لكي تدوي أجهزة الإعلام بذكر الجماعـة ويـتم التبليـغ بهـا! وتورطت الجماعة في مقتله.. فقتلت نفسها..

والهيئة من دعوات الرافضة الجديدة القطبيـون، وكتـاب الشهيد سيد قطب " معالم في الطريق " الذي يرسم بصـورة أدبية، أخاذة، الفكرة التي نجدها عند المودودي وعند شكري



مصطفى. جاهلية المجتمـع القـائم وضـرورة أن تتكـون مجموعة تعمل للقضاء عليه وإقامة مجتمع "الحاكمية الإلهية" ولكنه عندما تحدث عن الوسائل أحال إلـى الفقـه السـلفي وأصول الفقه!.

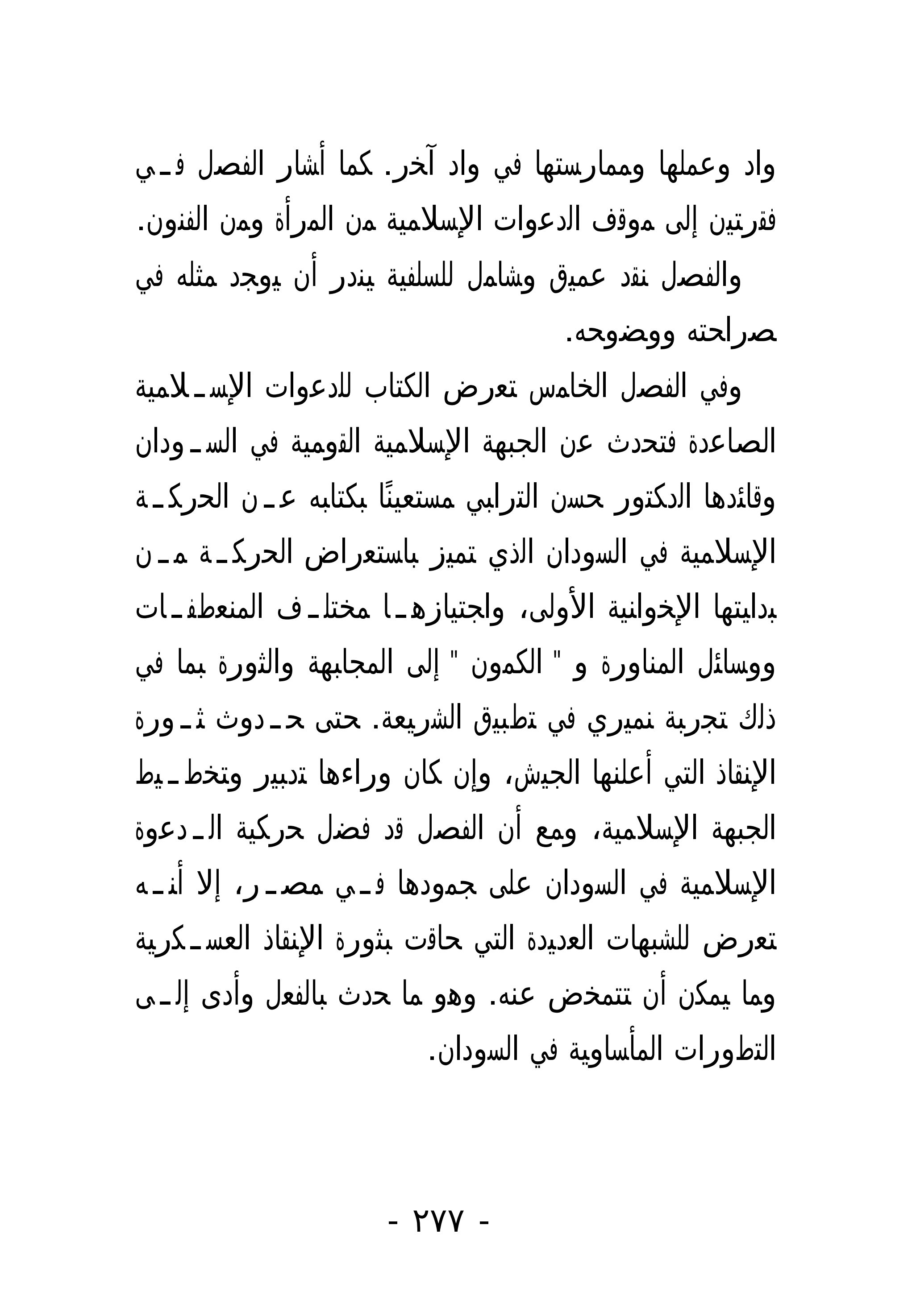
وقارن الفصل بينه وبين الشاعر البريطاني إليوت الـذي كانت فكرته هي أن العالم الاشتراكي والرأسمالي عالم وثني وأن الخلاص هو في المسيحية..

وأخيرا يختم الفصل بالحديث عن جماعات الجهاد، وكتاب الفريضة الغائبة، وقد كان المؤلف قد استعرض فـي كتـاب سابق له رسالة الفريضة الغائبة، ومن هنا فإنه كـان ملمـا تماما بأفكار جماعة الجهاد التـي تولـت اغتيـال الـرئيس السادات، ويتضمن الفصل عرضا لأبرز ما جاء في رسـالة الفريضة الغائبة، ثم تفنيده.

ويختم الكتاب الحديث عن هيئات الرافضة الجديدة بملحق عن " أزمة الرافضة الجديد " فأشار إلى موقف الرافضة من المجتمع الحديث – الذي تراه جاهليا. فهي لا تتقبله بـالطبع. ولا تستطيع أن تصلح فيه لأن فكرة الإصلاح تتنـافى مـع فكرة الرفض الباترة كالسيف. ويمكن أن تتآمر عليه بصـور

من العنف. ولكن هذا سيجني عليها أكثر مما سيجني عليه فلم يبق إلا أن تتجاهله، وتعتزله، وتهاجر منه، وهـذا هـو مـا حاولته بعضها ولكن سبيل ذلك صعب عسير. فضلاً عن أنه صورة من الفرار.

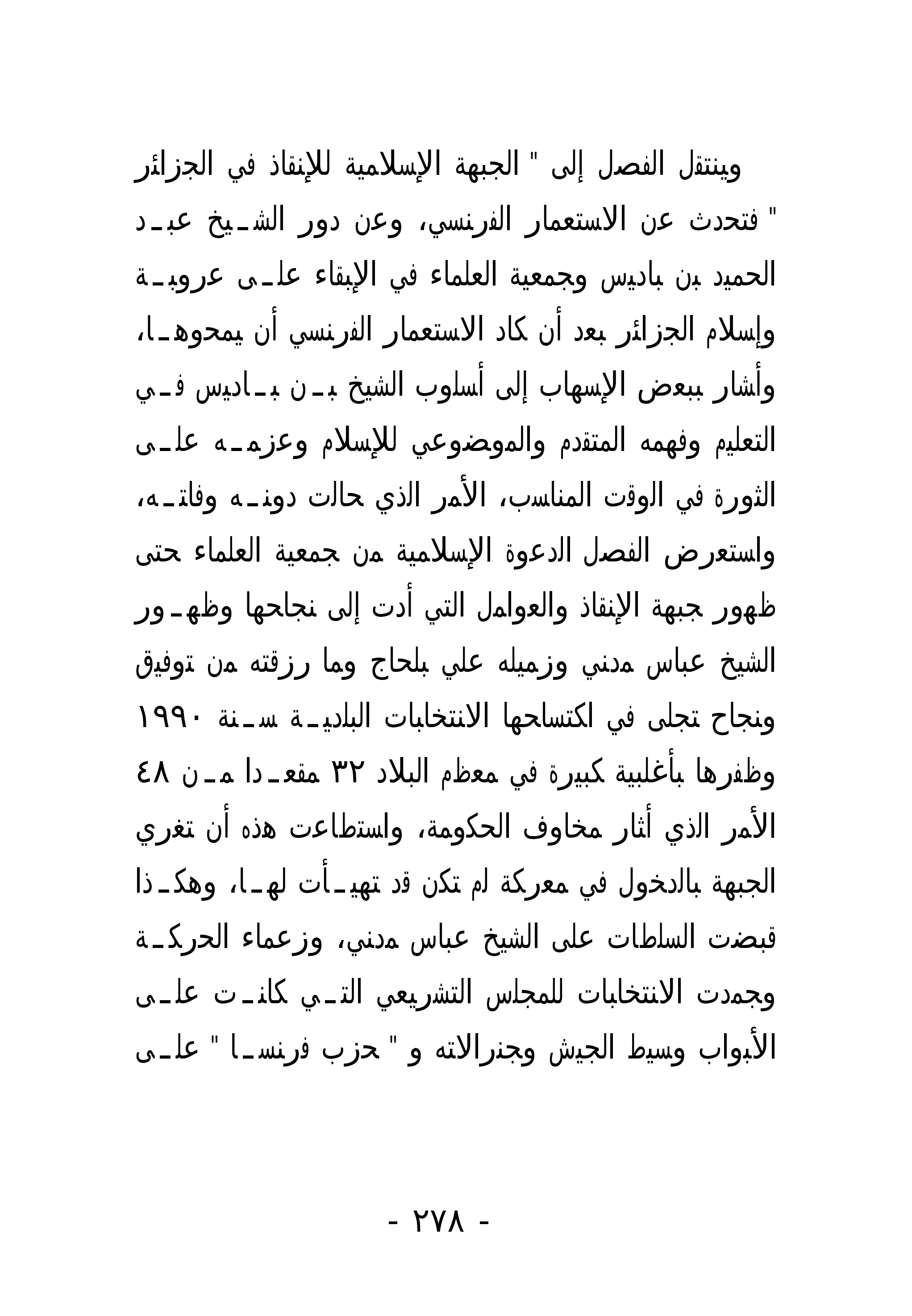
وجريا على نهج الكتاب في إيثار التحليل والمقارنة، فإنه تحدث في الفصل الخامس عن "قسمات مشتركة بين الدعوات الإسلامية " وأبرزها السلفية التي قـدمت لهـذه الـدعوات التصور الإسلامي طبقًا لأصول الفقه وما جاء فـي أقـوال الفقهاء ولما كان ذلك يعني الاعتماد على النصوص والنقـل، فقد أصبح لدعاة الدعوات الإسلامية " عقلية نقلية " تعطلـت معه ملكة التفكير. كما أن السلفية نقلت الدعوات الإسـلامية من " الموضوعية " التي هي طابع الإسلام إلـى " الذاتيـة " التي هي في أصل الوثنية. فإن القرآن لم ينسب المسلمين إلى نبيهم فيقول " المحمديين " ولكن " المسلمين" والقرآن يركـز على الموضوع وليس على الشخص كما أن من أكبر أثار – السلفية التركيز على الجانب العبادي وليس الحيـاتي. وهـي قسمة فاشية في كل الهيئات الإسلامية كما أشار الفصل إلـى قسمة " الماضوية " وإلى أن فكر هذه الدعوات وأحاديثها في



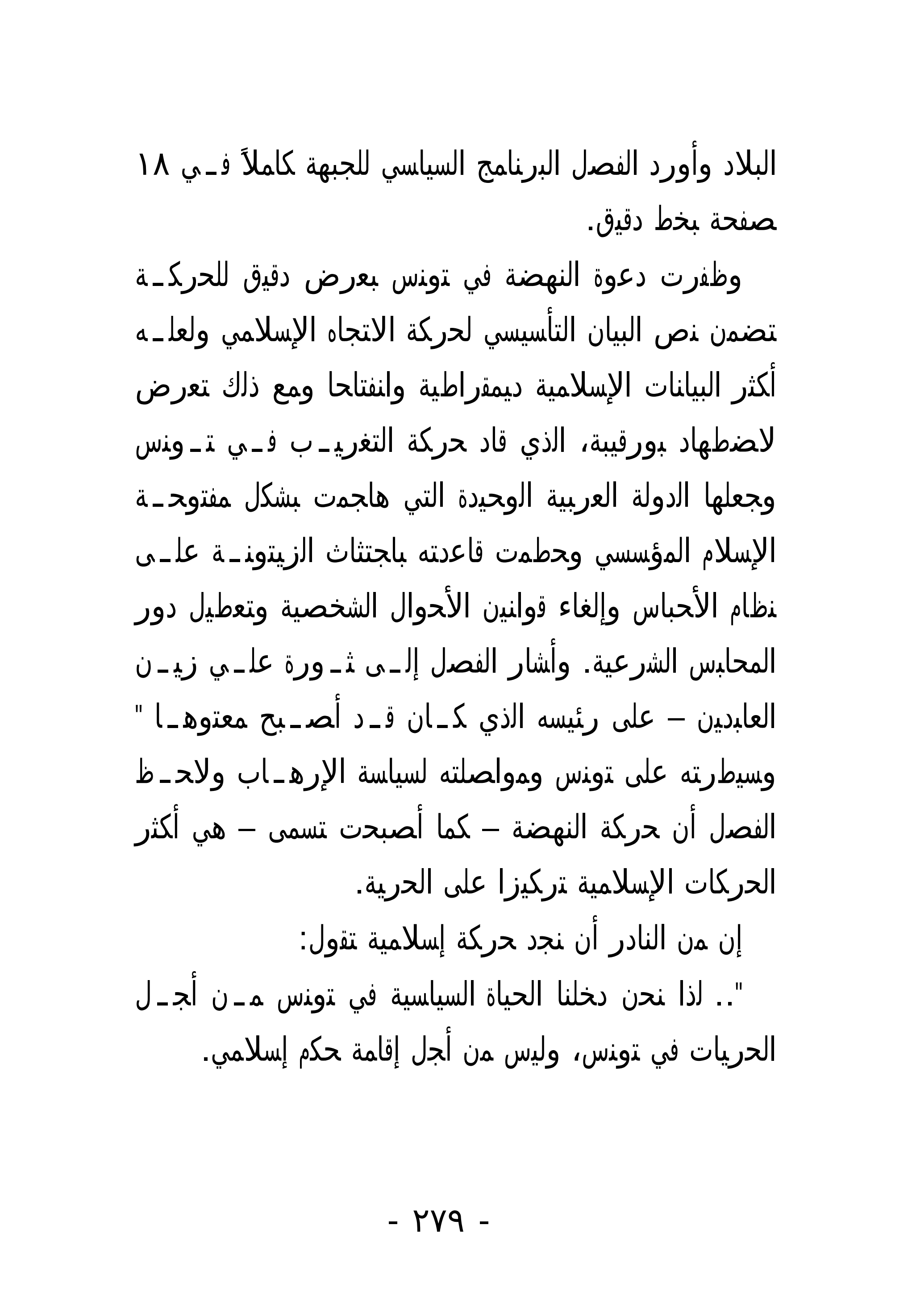
واد وعملها وممارستها في واد آخر. كما أشار الفصل في فقرتين إلى موقف الدعوات الإسلامية من المرأة ومن الفنون.

والفصل نقد عميق وشامل للسلفية يندر أن يوجد مثله في صراحته ووضوحه.

وفي الفصل الخامس تعرض الكتاب للدعوات الإسلامية الصاعدة فتحدث عن الجبهة الإسلامية القومية في السودان وقائدها الدكتور حسن الترابي مستعينًا بكتابه عن الحركة الإسلامية في السودان الذي تميز باستعراض الحركة من بدايتها الإخوانية الأولى، واجتيازها مختلف المنعطفات ووسائل المناورة و " الكمون " إلى المجابهة والثورة بما في ذلك تجربة نميري في تطبيق الشريعة. حتى حدوث ثورة الإنقاذ التي أعلنها الجيش، وإن كان وراءها تدبير وتخطيط الجبهة الإسلامية، ومع أن الفصل قد فضل حركية الدعوة الإسلامية في السودان على جمودها في مصر، إلا أنه تعرض للشبهات العديدة التي حاقت بثورة الإنقاذ العسكرية وما يمكن أن تتمخض عنه. وهو ما حدث بالفعل وأدى إلى التطورات المأساوية في السودان.



وينتقل الفصل إلى " الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر " فتحدث عن الاستعمار الفرنسي، وعن دور الشيخ عبد الحميد بن باديس وجمعية العلماء في الإبقاء على عروبة وإسلام الجزائر بعد أن كاد الاستعمار الفرنسي أن يمحوها، وأشار ببعض الإسهاب إلى أسلوب الشيخ بن باديس في التعليم وفهمه المتقدم والموضوعي للإسلام وعزمه على الثورة في الوقت المناسب، الأمر الذي حالت دونه وفاته، واستعرض الفصل الدعوة الإسلامية من جمعية العلماء حتى ظهور جبهة الإنقاذ والعوامل التي أدت إلى نجاحها وظهور الشيخ عباس مدني وزميله علي بلحاج وما رزقته من توفيق ونجاح تجلى في اكتساحها الانتخابات البلدية سنة ١٩٩٠ وظفرها بأغلبية كبيرة في معظم البلاد ٣٢ مقعدا من ٤٨ الأمر الذي أثار مخاوف الحكومة، واستطاعت هذه أن تغري الجبهة بالدخول في معركة لم تكن قد تهيأت لها، وهكذا قبضت السلطات على الشيخ عباس مدني، وزعماء الحركة وجمدت الانتخابات للمجلس التشريعي التي كانت على الأبواب وسيط الجيش وجنرالاته و " حزب فرنسا " على

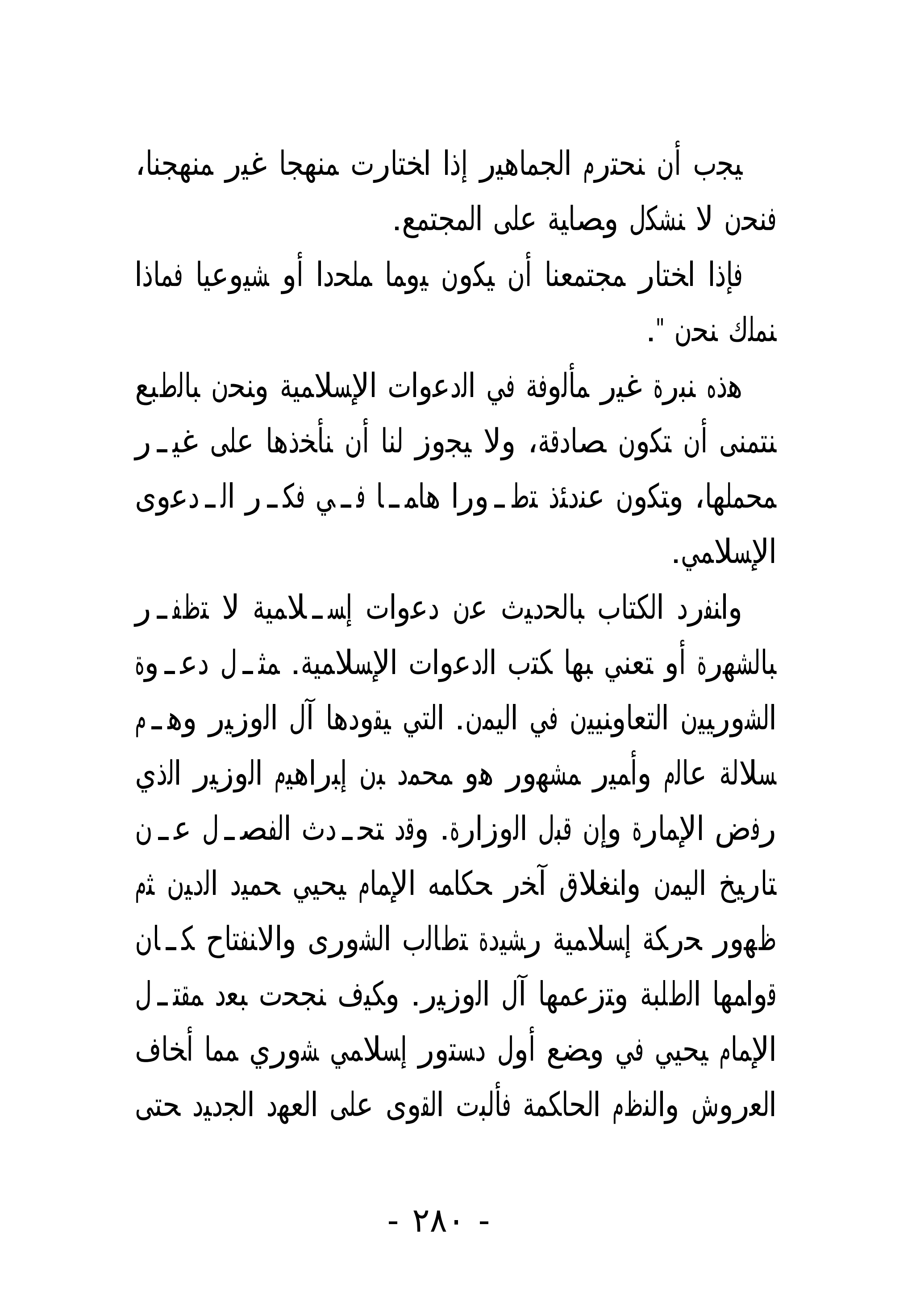


البلاد وأورد الفصل البرنامج السياسي للجبهة كاملاً فـي ١٨ صفحة بخط دقيق.

وظفرت دعوة النهضة في تونس بعرض دقيق للحركـة تضمن نص البيان التأسيسي لحركة الاتجاه الإسلامي ولعلـه أكثر البيانات الإسلامية ديمقراطية وانفتاحا ومع ذلك تعرض لاضطهاد بورقيبة، الذي قاد حركة التغريـب فـي تـونس وجعلها الدولة العربية الوحيدة التي هاجمت بشكل مفتوحـة الإسلام المؤسسي وحطمت قاعدته باجتثاث الزيتونـة علـى نظام الأحباس وإلغاء قوانين الأحوال الشخصية وتعطيل دور المحابس الشرعية. وأشار الفصل إلـى ثـورة علـي زيـن العابدين – على رئيسه الذي كـان قـد أصـبح معتوهـا " وسيطرته على تونس ومواصلته لسياسة الإرهـاب ولاحـظ الفصل أن حركة النهضة – كما أصبحت تسمى – هي أكثر الحركات الإسلامية تركيزا على الحرية.

إن من النادر أن نجد حركة إسلامية تقول:

".. لذا نحن دخلنا الحياة السياسية في تونس مـن أجـل الحريات في تونس، وليس من أجل إقامة حكم إسلامي.

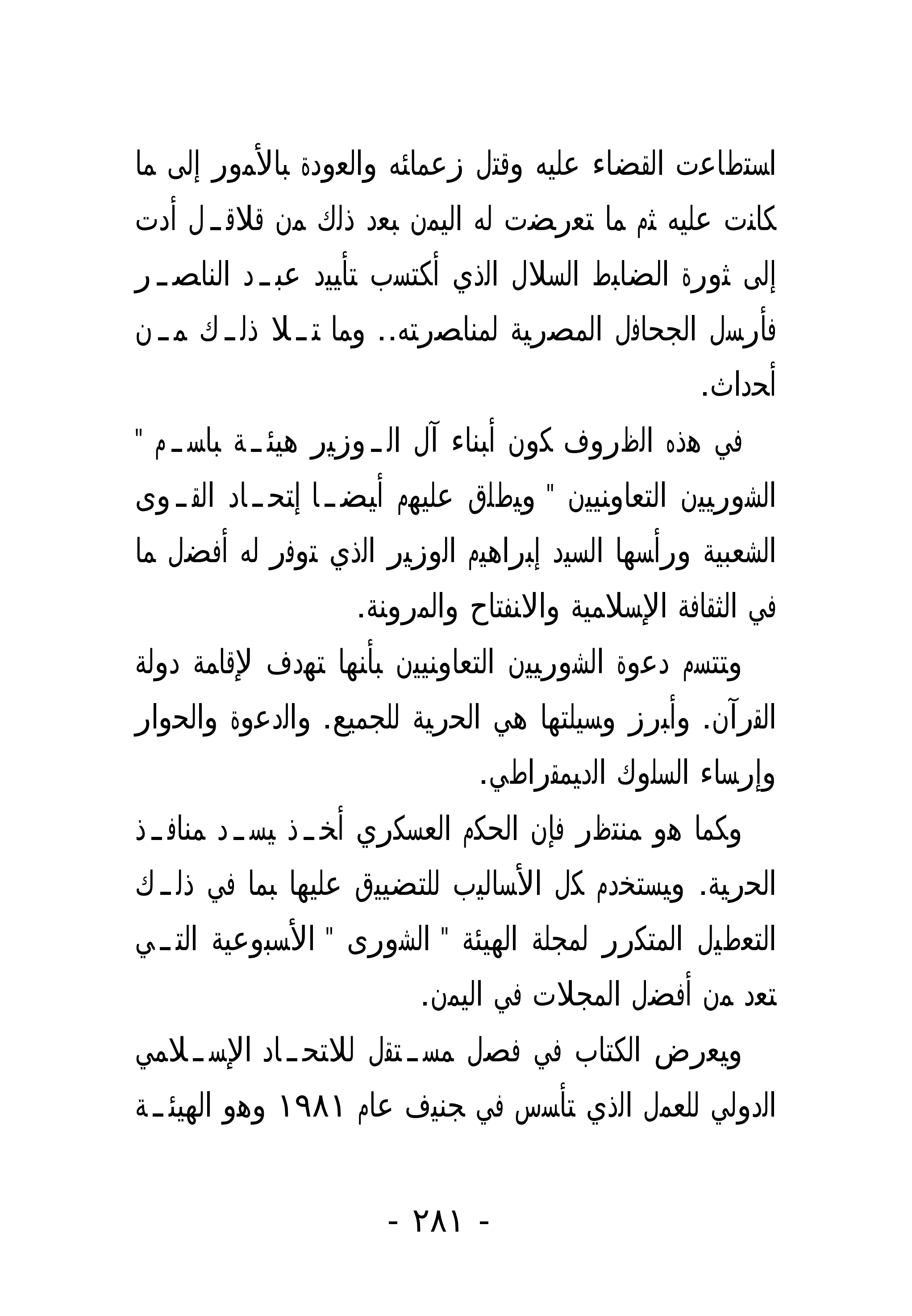


يجب أن نحترم الجماهير إذا اختارت منهجا غير منهجنا، فنحن لا نشكل وصاية على المجتمع.

فإذا اختار مجتمعنا أن يكون يوما ملحدا أو شيوعيا فماذا نملك نحن ".

هذه نبرة غير مألوفة في الدعوات الإسلامية ونحن بالطبع نتمنى أن تكون صادقة، ولا يجوز لنا أن نأخذها على غير محملها، وتكون عندئذ تطورا هاما في فكر الدعوى الإسلامي.

وانفرد الكتاب بالحديث عن دعوات إسلامية لا تظفر بالشهرة أو تعني بها كتب الدعوات الإسلامية. مثل دعوة الشوريين التعاونيين في اليمن. التي يقودها آل الوزير وهم سلالة عالم وأمير مشهور هو محمد بن إبراهيم الوزير الذي رفض الإمارة وإن قبل الوزارة. وقد تحدث الفصل عن تاريخ اليمن وانغلاق آخر حكامه الإمام يحيي حميد الدين ثم ظهور حركة إسلامية رشيدة تطالب الشورى والانفتاح كان قوامها الطلبة وتزعمها آل الوزير. وكيف نجحت بعد مقتل الإمام يحيي في وضع أول دستور إسلامي شوري مما أخاف العروش والنظم الحاكمة فألبت القوى على العهد الجديد حتى



استطاعت القضاء عليه وقتل زعمائه والعودة بالأمور إلى ما كانت عليه ثم ما تعرضت له اليمن بعد ذلك من قلاقـل أدت إلى ثورة الضابط السلال الذي أكتسب تأييد عبـد الناصـر فأرسل الجحافل المصرية لمناصرته.. وما تـلا ذلـك مـن أحداث.

في هذه الظروف كون أبناء آل الـوزير هيئـة باسـم " الشوريين التعاونيين " ويطلق عليهم أيضـا إتحـاد القـوى الشعبية ورأسها السيد إبراهيم الوزير الذي توفر له أفضل ما في الثقافة الإسلامية والانفتاح والمرونة.

وتتسم دعوة الشوريين التعاونيين بأنها تهدف لإقامة دولة القرآن. وأبرز وسيلتها هي الحرية للجميع. والدعوة والحوار وإرساء السلوك الديمقراطي.

وكما هو منتظر فإن الحكم العسكري أخـذ يسـد منافـذ الحرية. ويستخدم كل الأساليب للتضييق عليها بما في ذلـك التعطيل المتكرر لمجلة الهيئة " الشورى " الأسبوعية التـي تعد من أفضل المجلات في اليمن.

ويعرض الكتاب في فصل مسـتقل للاتحـاد الإسـلامي الدولي للعمل الذي تأسس في جنيف عام ١٩٨١ وهو الهيئـة

الإسلامية الدولية الوحيدة التي تقوم علـى أسـاس عمـالي ونقابي وتستهدف استلهام القيم الإسلامية وإبداع نظرية جديدة للعلاقات ما بين العمال وأصحاب الأعمـال تحسـم شـأفة الصراع الطبقي وتجعل حقوق العمـال واجبـات أصـحاب الأعمال والعكس بالعكس وأثبت أن فكرة تنـاقض مصـلحة العمال مع مصلحة أصحاب الأعمال فكرة زائفـة روجهـا الفكر الماركسي، فالحقيقة أن العمـال وأصـحاب الأعمـال يركبون قاربا واحدا، إذا غرق غـرق بهم جميعا وإذا نجـا نـجا بهم جميعا، والمشكلة هي الخلاف على قسـمة عائـد العمل الذي يميل أصحاب الأعمال إلى الاسـتئثار بـالجزء الأعظم منه وحرمان العمال حصتهم المشروعة. فهي قضية خلاف على قسمته وليست تعارض مصالح. وما دام الأمـر كذلك فإن العدل الإسلامي وتقاليده وما وضعه مـن أسـس يمكن أن يحل هذا المشكلة.

وعرض الكتاب نشأة الاتحاد وتطوره وأهدافه ووسـائله من لائحة النظام الأساسي له وأبرز بعض نواحي الأصالة " مثل إدراجه في نطاق العمل " كل أنواع العمل الصالح سواء كان مأجورا أو غير ذلك، وهو ما يخالف التعريف المقـرر

من أن العمل هو العمل المأجور الذي يؤدى تحت إشـراف صاحب العمل وتبعا لتعريف الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل، فإن ربات البيوت مثلاً يعتبرن من العاملات ويجـوز لهـن الانضمام إلى الاتحاد عن طريق تكوين اتحادات لهن.

وكذلك يعد الطلاب الذي ينكبون على الدراسـة عمـالاً ويمكن لاتحاداتهم أن تنضم إلى الاتحاد. وينقل الفصل عـن بعض وثائق الاتحاد..

" إن هذا التجديد في بنيان الاتحاد وتنظيمه سـيكفل لـه الخروج من قوقعة البلوريتاريا وعقدتها التي كادت أن تصبح إحدى حفريات القرن التاسع عشر وتناقض تطـور حركـة العمالة في المجتمع الحديث وسينفي عنه بعض الحساسـيات تجاه فئات الشعب العاملة الأخرى وانعزال الحركة النقابيـة عنه وسيضمن له مشاركة العناصر الشابة المثقفة المؤمنة في تحقيق المصلحة الواحدة "

ينبني أيضا على الأخذ بالمعنى القرآني لكلمة العمـل أن يكون للعمل أخلاقياته في المضمون والأداء بحيـث يكـون العمل أداة بنـاء وخدمـة ورعايـة وإشـباع للاحتياجـات المشروعة وتستبعد منه كل صور الإفساد والهدم والتخريـب

والاستغلال كما يجب أن يؤدى بما توجبه القـيم الإسـلامي والضمير الإسلامي من إخلاص وأمانة.

إن اليد العاملة المسلمة يد بناءة طاهرة أمينة.

ويتحدث الفصل عن عناصر الإبداع في الاتحاد فيقول:

أولاً: إن ربط الحركة النقابية بالإسـلام يعنـي ربطهـا برسالة حضارية عظمى أسهمت في بناء الحضارة الإنسانية وقدمت نظاما اجتماعيا واقتصاديا متكاملاً وصـنعت أرفـع النماذج الإنسانية بدءا من الرسول العظـيم حتـى الخلفـاء الراشدين.. والصحابة المهديين ثم من تبعوهم بإحسان. ولـم يخل منهم مصر من الأمصار وزمن من الأزمان.

ثانيا: إن هذا الربط سيقضي على الخواء الروحي والفراغ النفسي الذي تستشعره العضوية النقابية لما تقتصـر عليـه النقابية التقليدية من طابع مادي – مهني – ويجعـل بعـض العناصر النقابية النابهة تنحاز للنظرية الماركسية التي تقـدم تأصيلاً للتطور الاجتماعي يرتبط بالعمـل، كمـا سيحصـن الحركة النقابية من تسلل الشيوعيين إليها واستخدامهم له أداة لتحقيق السياسيات والمخططات الشـيوعية وإثـارة القلـق والاضطراب في المجتمع وفي الوقت نفسه فإنـه سيعصـم

القيادات النقابية من الاستخذاء أمام الحكومات والاستسلام لما يمكن أن يلوح به الحاكم من ترغيب أو ترهيـب، بحيـث لا تكون الحركة النقابية ما هي عليه الآن في كثير من الـدول ألعوبة الحكومة وأداتها لتحقيق السياسة التي تراها، بصـرف النظر عن اتفاق ذلك مـع أرادات العمـال. أو مقتضـيات العدالة.

ثالثًا: إن هذا الاتحاد يقـدم أساسـا للسـلام الاجتمـاعي وفيصلاً في علاقات العمـل تتقبلـه النقابـات ولا يسـتطيع أصحاب الأعمال أو الحكومات رفضه، ذلـك هـو العـدل الإسلامي. وبهذا تتحـول " المطلبيـة " و " الفئويـة " إلـى موضوعية " و " مبدئية " وينتفي الصراع الطبقي.

وفي الفصل السابع يعالج الكتاب " دعوات وصـلات إلـى الحكم " فيتحدث عن الوهابية في السعودية والجعفريـة فـي إيران في فصلين مستقلين.. يقدم لهما بكلمة عن السلطة فـي منتهى الأهمية..

ذلك لأن أسلوب السلطة.. يختلف عن أسلوب الـدعوة.. فالسلطة لا يمكن أن تقوم بدعوة، وإذا ادعت، فسيأتيها أبعـد الناس عن حقيقة ما تدعو إليـه، سـيأتي إليهـا الأفـاقون

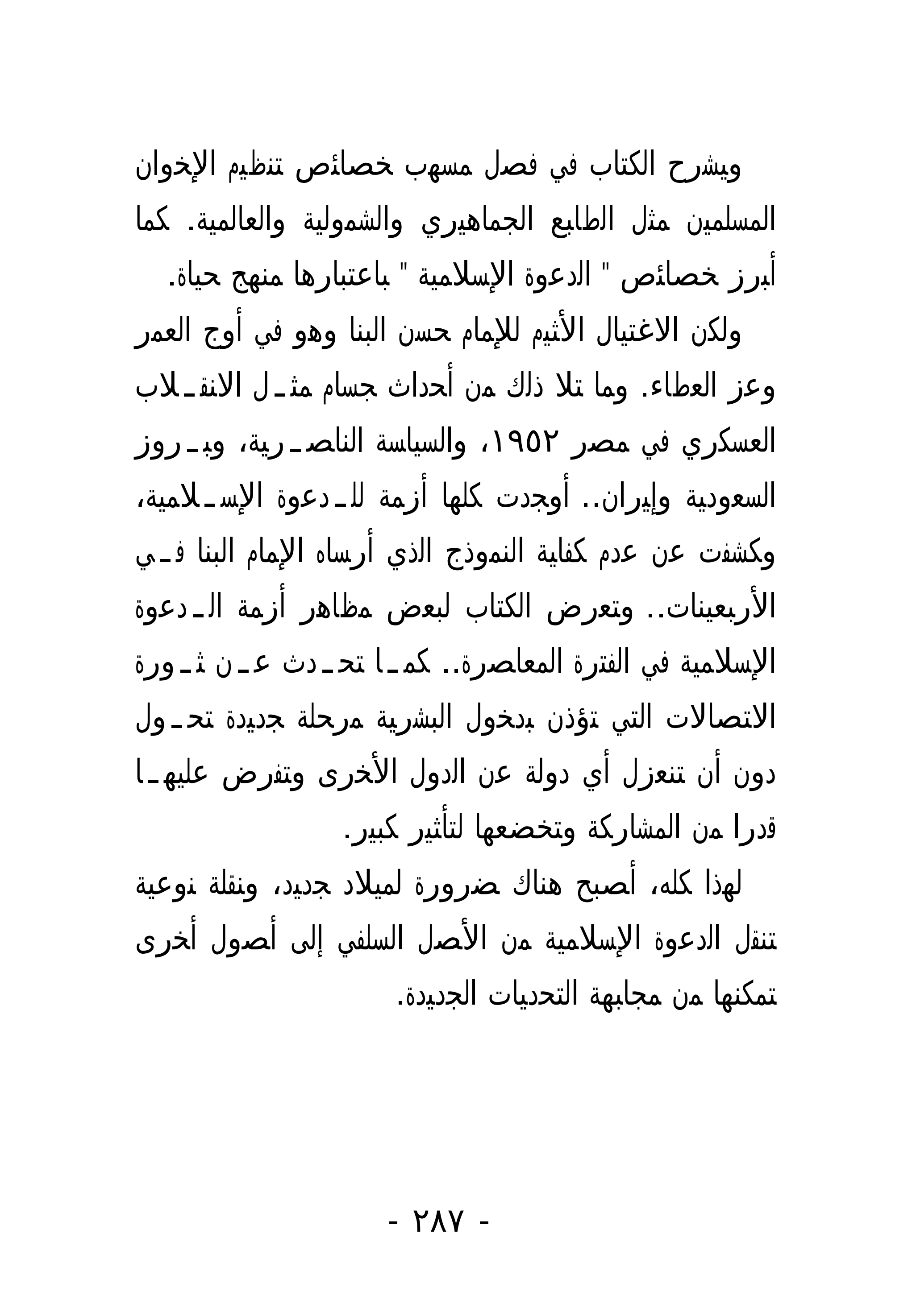
والانتهازيون والوصوليون. وهو ما يحدث إذا حاولت السلطة أن تؤسس حزبا أو هيئة، وشواهد ذلك عديدة.. لعل أخرهـا محاولة عبد الناصر تكوين هيئة التحرير، ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي. وقد أخفقت جميعـا وكانـت فشـلاً. وهيئات " سلطوية ".

٣١٢ صفحة من القطع الكبير

٤- ما بعد الإخوان المسلمين؟

يعالج هذا الكتاب الدعوة الإسلامية منذ أن ظهـرت فـي العصر الحديث على يدي جمال الدين الأفغاني ولكـن فشـل الثورة العرابية جعل تلميذ الأثير الشيخ محمد عبـده يـنفض اليدين من العمل السياسي/ الثوري ويعكف علـى إصـلاح الأزهر والتعليم والقضاء، وتنقية العقيدة، مما سمح بظهـور الليبرالية/ البرجوازية بكل ما فيها من حسنات وسواءت كان أبرزها اغترابها عن الإسلام.

وفي الثلاثينات ظهر حسن البنا، وأعاد صـياغة الـدعوة الإسلامية، تنظيما وتنظيرا، فأسس " الإخوان المسلمين "، كما قدم الإسلام كمنهج حياة، وبهذا ظهر " المشروع الإسلامي ".



ويشرح الكتاب في فصل مسهب خصائص تنظيم الإخوان المسلمين مثل الطابع الجماهيري والشمولية والعالمية. كما أبرز خصائص " الدعوة الإسلامية " باعتبارها منهج حياة.

ولكن الاغتيال الأثيم للإمام حسن البنا وهو في أوج العمر وعز العطاء. وما تلا ذلك من أحداث جسام مثـل الانقـلاب العسكري في مصر ١٩٥٢، والسياسة الناصـرية، وبـروز السعودية وإيران.. أوجدت كلها أزمة للـدعوة الإسـلامية، وكشفت عن عدم كفاية النموذج الذي أرساه الإمام البنا فـي الأربعينات.. وتعرض الكتاب لبعض مظاهر أزمة الـدعوة الإسلامية في الفترة المعاصرة.. كمـا تحـدث عـن ثـورة الاتصالات التي تؤذن بدخول البشرية مرحلة جديدة تحـول دون أن تنعزل أي دولة عن الدول الأخرى وتفرض عليهـا قدرا من المشاركة وتخضعها لتأثير كبير.

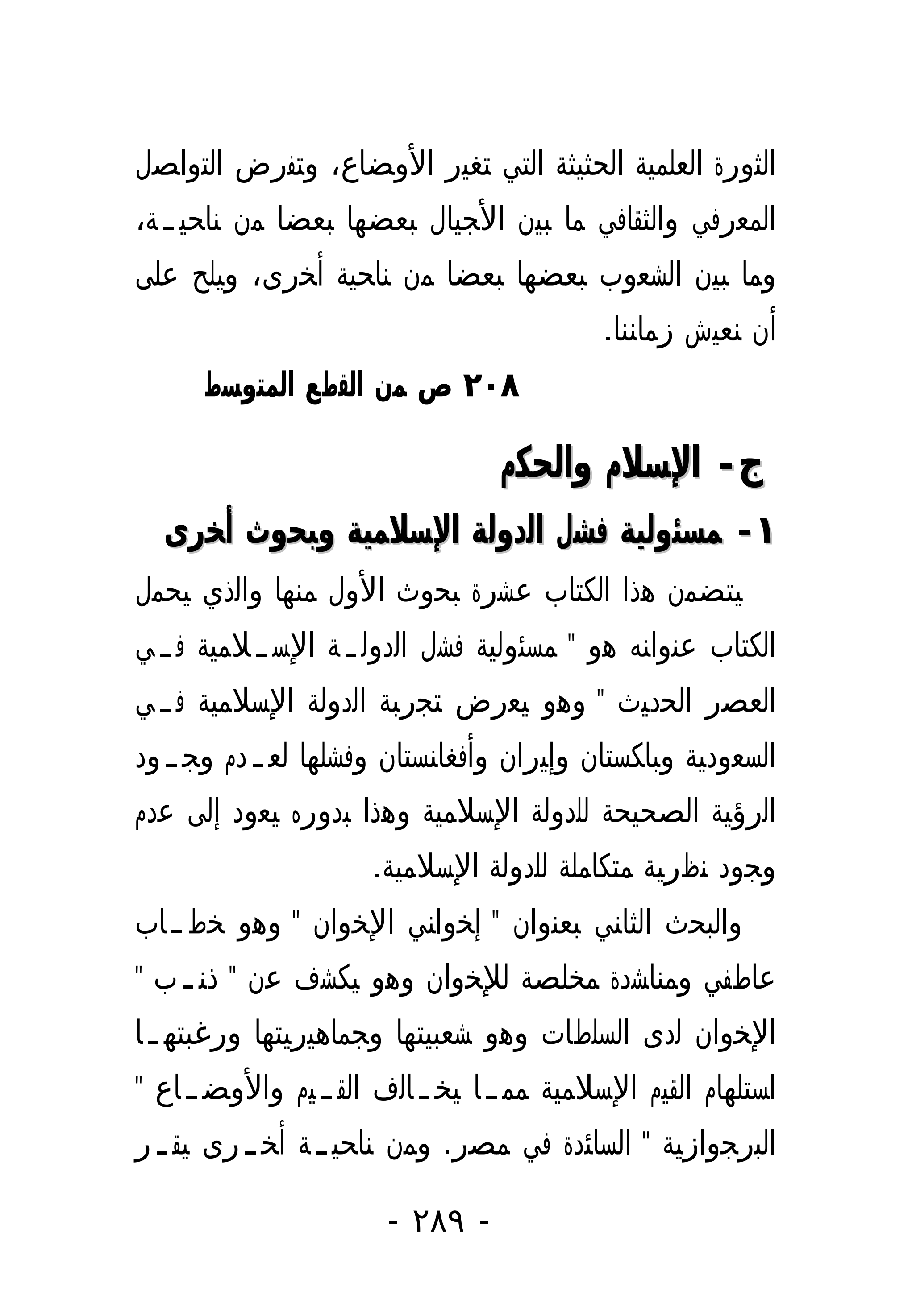
لهذا كله، أصبح هناك ضرورة لميلاد جديد، ونقلة نوعية تنقل الدعوة الإسلامية من الأصل السلفي إلى أصول أخرى تمكنها من مجابهة التحديات الجديدة.

ويرى المؤلف أن هذه الدعوة يجب أن تقوم على ثلاثة ركائز هي: القرآن، والإنسان، والزمان.. وهو يشرح كل ركيزة من هذه الركائز..

فالنسبة للقرآن، فهو يرى أن التزامها بالقرآن هو ضمان ومصداق إسلاميتها الحقة، ولكن هذا الالتزام لا يستتبع فهم القرآن عبر التفاسير التقليدية القديمة، أو الجديدة، لأنها تمثل نوعا من الافتيات والإسقاط البشري بكل قصوره وتحيزاته، كما أنها تميع الصياغة المحكمة للقرآن.. والتفسير الوحيد المقبول هو ما يقدمه القرآن نفسه في سياق الآيات، أو بمقارنة السور بعضها ببعض.

وعند الحديث عن الركيزة الثانية (الإنسان)، يبرز المؤلف نقطة هامة هي أن الإسلام أراد الإنسان، ولكن الفقهاء يريدون الإسلام.. ذلك أن الإسلام في حقيقته هو وسيلة هداية الإنسان فالإنسان هو الغاية، والإسلام هو الوسيلة.. ولكن الفقهاء عكسوا ذلك.. فجعلوا الإسلام هو الغاية، والإنسان هو الوسيلة!

ويختم الباب بفصل عن (الزمان) باعتباره المناخ والبيئة التي تتحرك فيها الدعوة الإسلامية، وأبرز ما يمثله الزمان



الثورة العلمية الحثيثة التي تغير الأوضاع، وتفرض التواصل المعرفي والثقافي ما بين الأجيال بعضها بعضا من ناحيـة، وما بين الشعوب بعضها بعضا من ناحية أخرى، ويلح على أن نعيش زماننا.

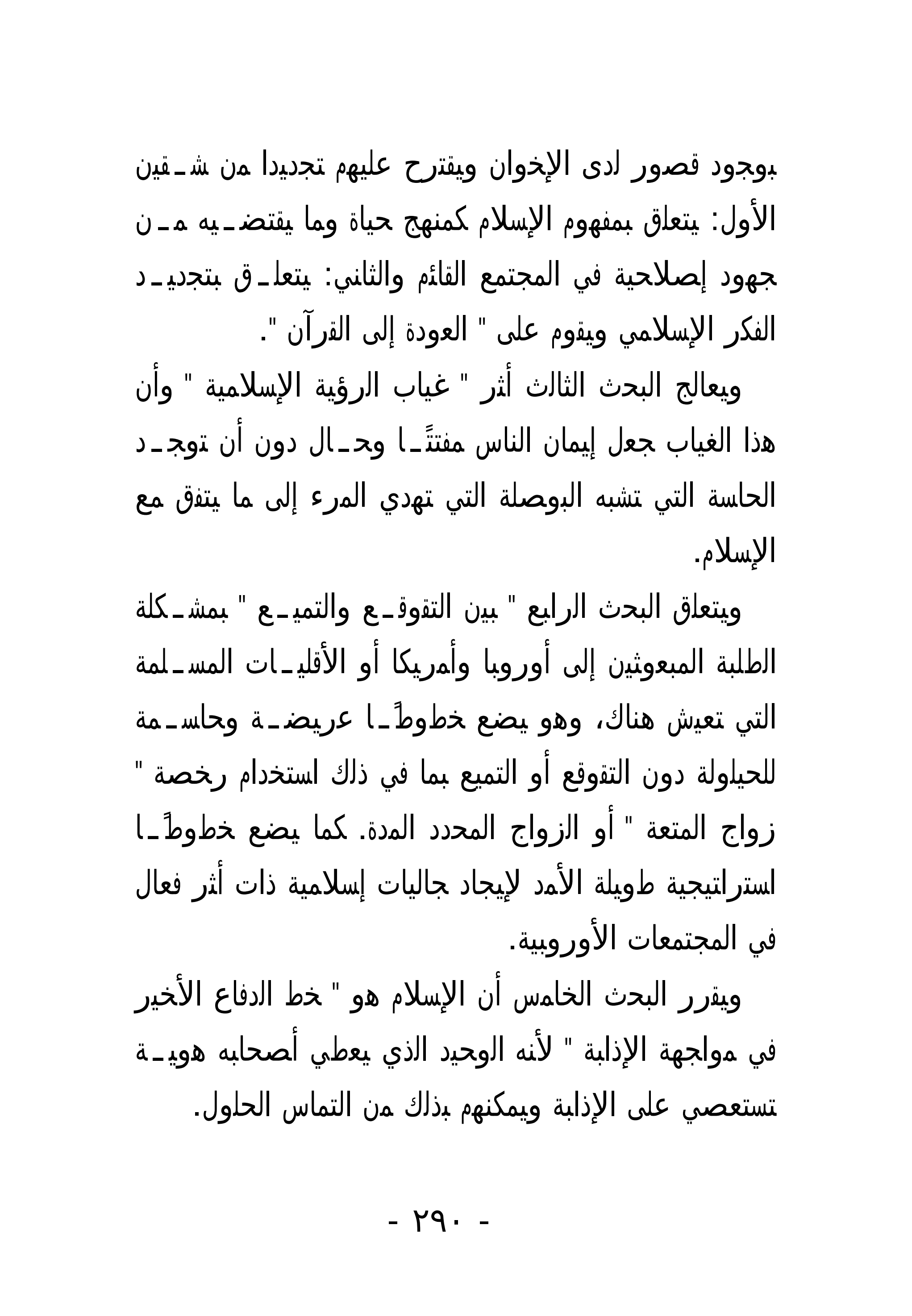
٢٠٨ ص من القطع المتوسط

ج- الإسلام والحكم

١- مسئولية فشل الدولة الإسلامية وبحوث أخرى

يتضمن هذا الكتاب عشرة بحوث الأول منها والذي يحمل الكتاب عنوانه هو " مسئولية فشل الدولـة الإسـلامية فـي العصر الحديث " وهو يعرض تجربة الدولة الإسلامية فـي السعودية وباكستان وإيران وأفغانستان وفشلها لعـدم وجـود الرؤية الصحيحة للدولة الإسلامية وهذا بدوره يعود إلى عدم وجود نظرية متكاملة للدولة الإسلامية.

والبحث الثاني بعنوان " إخواني الإخوان " وهو خطـاب عاطفي ومناشدة مخلصة للإخوان وهو يكشف عن " ذنـب " الإخوان لدى السلطات وهو شعبيتها وجماهيريتها ورغبتهـا استلهام القيم الإسلامية ممـا يخـالف القـيم والأوضـاع " البرجوازية " السائدة في مصر. ومن ناحيـة أخـرى يقـر



بوجود قصور لدى الإخوان ويقترح عليهم تجديدا من شـقين الأول: يتعلق بمفهوم الإسلام كمنهج حياة وما يقتضـيه مـن جهود إصلاحية في المجتمع القائم والثاني: يتعلـق بتجديـد الفكر الإسلامي ويقوم على " العودة إلى القرآن ".

ويعالج البحث الثالث أثر " غياب الرؤية الإسلامية " وأن هذا الغياب جعل إيمان الناس مفتتًـا وحـال دون أن توجـد الحاسة التي تشبه البوصلة التي تهدي المرء إلى ما يتفق مع الإسلام.

ويتعلق البحث الرابع " بين التقوقـع والتميـع " بمشـكلة الطلبة المبعوثين إلى أوروبا وأمريكا أو الأقليـات المسـلمة التي تعيش هناك، وهو يضع خطوطًـا عريضـة وحاسـمة للحيلولة دون التقوقع أو التميع بما في ذلك استخدام رخصة " زواج المتعة " أو الزواج المحدد المدة. كما يضع خطوطًـا استراتيجية طويلة الأمد لإيجاد جاليات إسلامية ذات أثر فعال في المجتمعات الأوروبية.

ويقرر البحث الخامس أن الإسلام هو " خط الدفاع الأخير في مواجهة الإذابة " لأنه الوحيد الذي يعطي أصحابه هويـة تستعصي على الإذابة ويمكنهم بذلك من التماس الحلول.

ويعرض الفصل السادس فكرة إيجاد " إطار لا مركـزي لحماية وحدة الأمة الإسلامية " يضم كل الهيئات الإسـلامية على اختلاف مذهبياتها ويضع وسائل وأهداف هذا الإطـار المنشود..

ونشر البحث السابع صفحة مطوية تتعلق بدستور إسلامي وضعه أحد أفراد النظام الخاص للإخـوان المسـلمين سـنة ١٩٤٦ والغرض من ذلك إيضاح التطور الذي أصاب الفكر الإسلامي ما بين ١٩٤٦ والفترة المعاصـرة والـذي يعـود بالدرجة الأولى إلى التطرف الحكومي في فترة الناصرية في التعامل مع الإخوان المسلمين. مما أوجد رد فعل تمثل فـي ظهور الجماعات الشاردة.

ويضم الكتاب فصلين أولهما " الإخوان المسلمون والعمل النقابي " و " وبعض الخطوط التي تحكم ظـاهرة الصـحوة الإسلامية " قبل أن يصل إلى الفصل الأخير وهو عن " رأي الإخوان المسلمين في الوحدة العربية " كما تقدمـه المـذكرة المسهبة التي تقدم بها الإخوان عند بدأ تكوين جماعة الـدول العربية سنة ١٩٤٤ والمذكرة تؤيد بقوة الوحدة العربية.

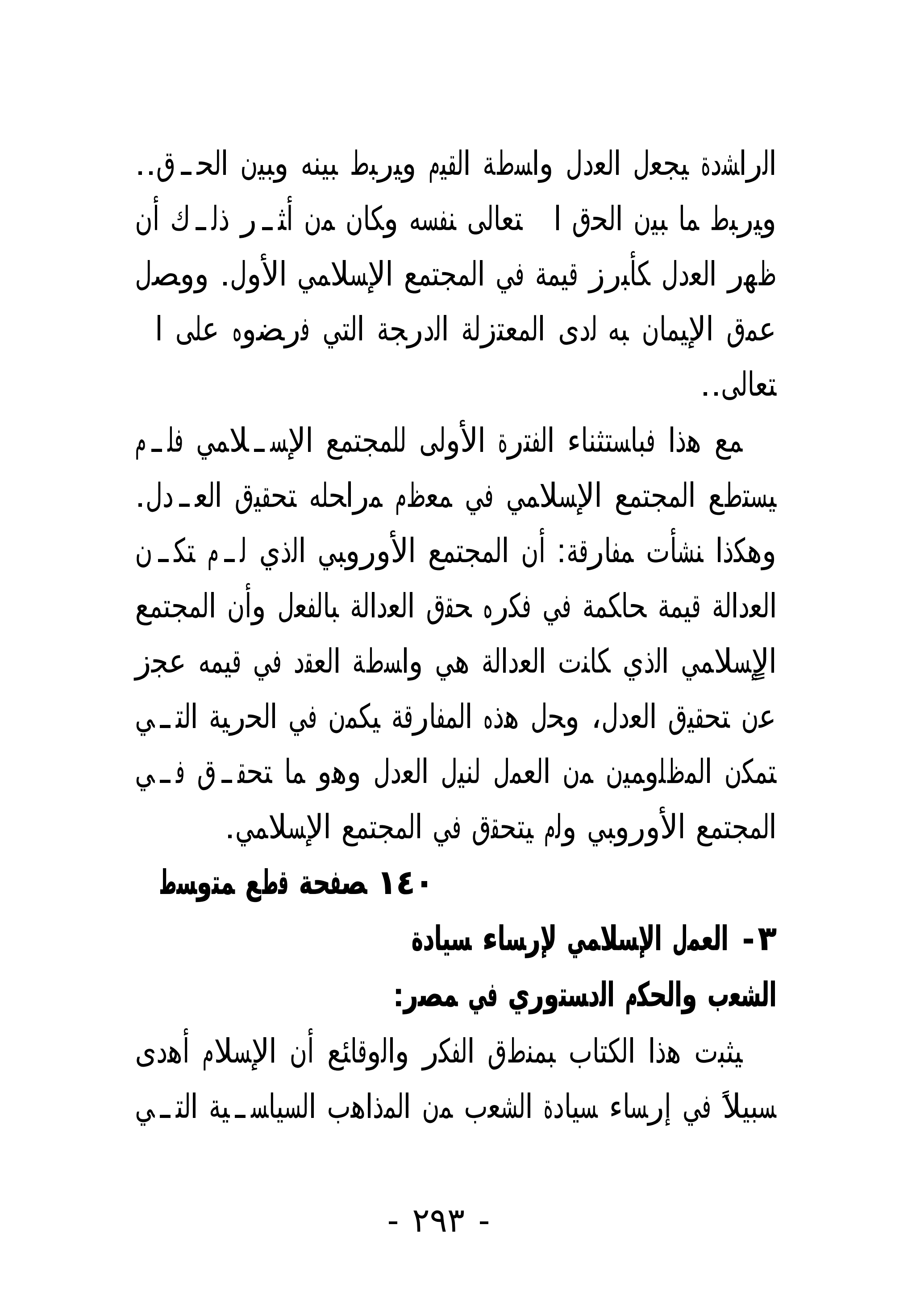
١٦٤صفحة من القطع الكبير

٢-نظرية العدل في الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي

يجري هذا الكتاب مقارنة بين نظرية العدل فـي الفكـر الأوروبي ونظريته في الفكر الإسلامي.

بالنسبة للفكر الأوروبي يستعرض الكتاب نظرية أفلاطون التي بسطها في " الجمهورية " ثم يتابع فكـرة العـدل فـي المجتمع اليوناني ثم في مجتمع الإمبراطورية الرومانية حتى عهد النهضة والثورة الفرنسية ومنها إلى الفترة المعاصرة.. وهو ينتهي إلى أن العدل لم يكن من القيم الحاكمة في الفكـر الأوروبي. ولكنه يلحظ أن المجتمـع الأوروبـي الحـديث استطاع – ولو داخله – أن يحقق العدالة لا انبثاقًا من إيمـان بفكرة العدالة ولكن بحكم تحرك الفئات المظلومة (العمـال – الجنود – النساء) لنيل العدالة وقد اسـتطاعوا تحقيـق ذلـك بفضل الحرية التي هي القيمة الحاكمة في الفكر الأوروبـي وضرب الكتاب المثل عمليا بعرض سريع لكفاح هذه الفئات الثلاث.

وعلى نقيض الفكر الأوروبي فإن الفكر الإسـلامي كمـا يعرضه القرآن. وكما تجلى في الفترة النبوية وفترة الخلافـة

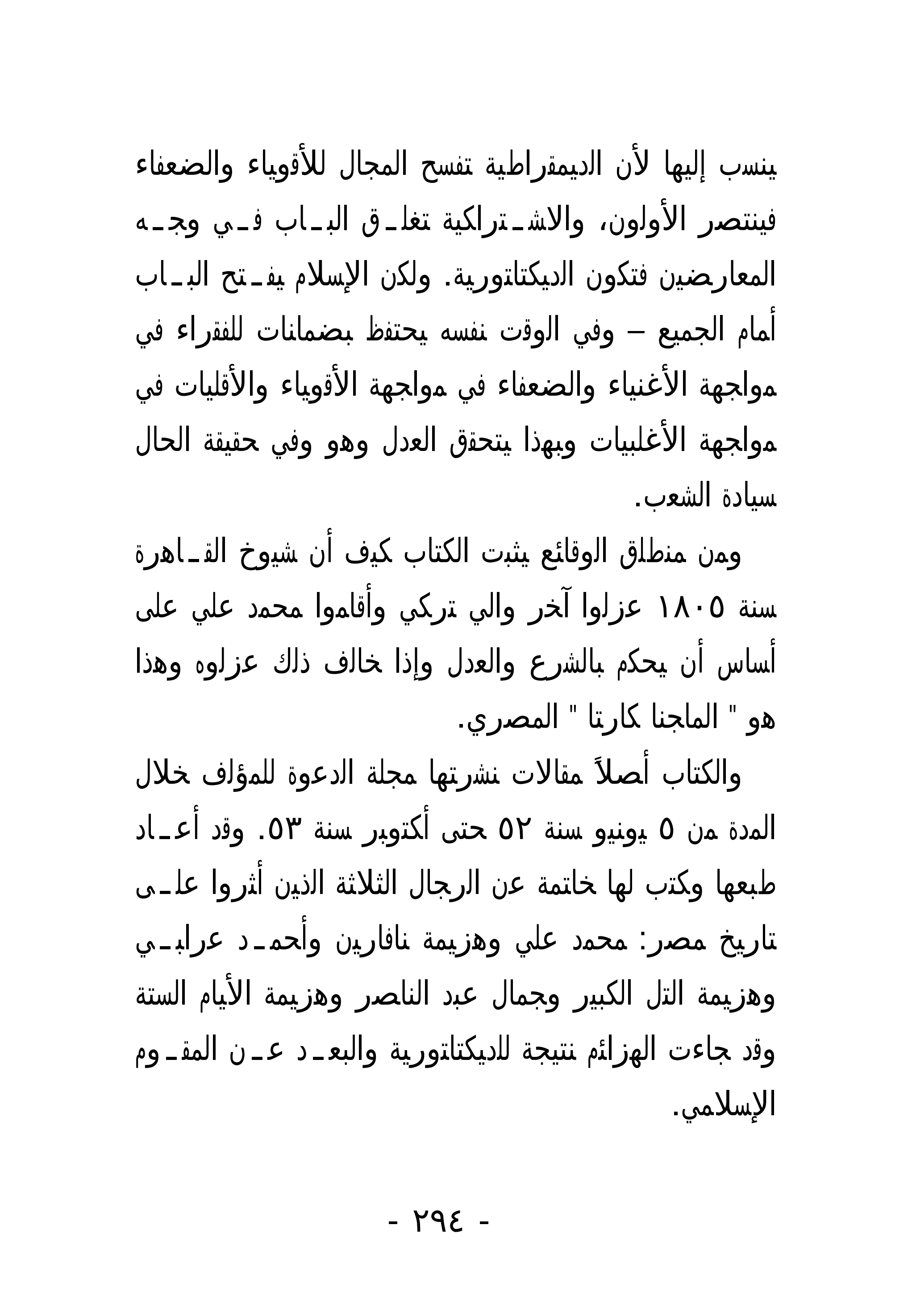

الراشدة يجعل العدل واسطة القيم ويربط بينه وبين الحـق.. ويربط ما بين الحق ا تعالى نفسه وكان من أثـر ذلـك أن ظهر العدل كأبرز قيمة في المجتمع الإسلامي الأول. ووصل عمق الإيمان به لدى المعتزلة الدرجة التي فرضوه على ا تعالى..

مع هذا فباستثناء الفترة الأولى للمجتمع الإسـلامي فلـم يستطع المجتمع الإسلامي في معظم مراحله تحقيق العـدل. وهكذا نشأت مفارقة: أن المجتمع الأوروبي الذي لـم تكـن العدالة قيمة حاكمة في فكره حقق العدالة بالفعل وأن المجتمع الإسلامي الذي كانت العدالة هي واسطة العقد في قيمه عجز عن تحقيق العدل، وحل هذه المفارقة يكمن في الحرية التـي تمكن المظلومين من العمل لنيل العدل وهو ما تحقـق فـي المجتمع الأوروبي ولم يتحقق في المجتمع الإسلامي.

١٤٠ صفحة قطع متوسط

٣- العمل الإسلامي لإرساء سيادة الشعب والحكم الدستوري في مصر:

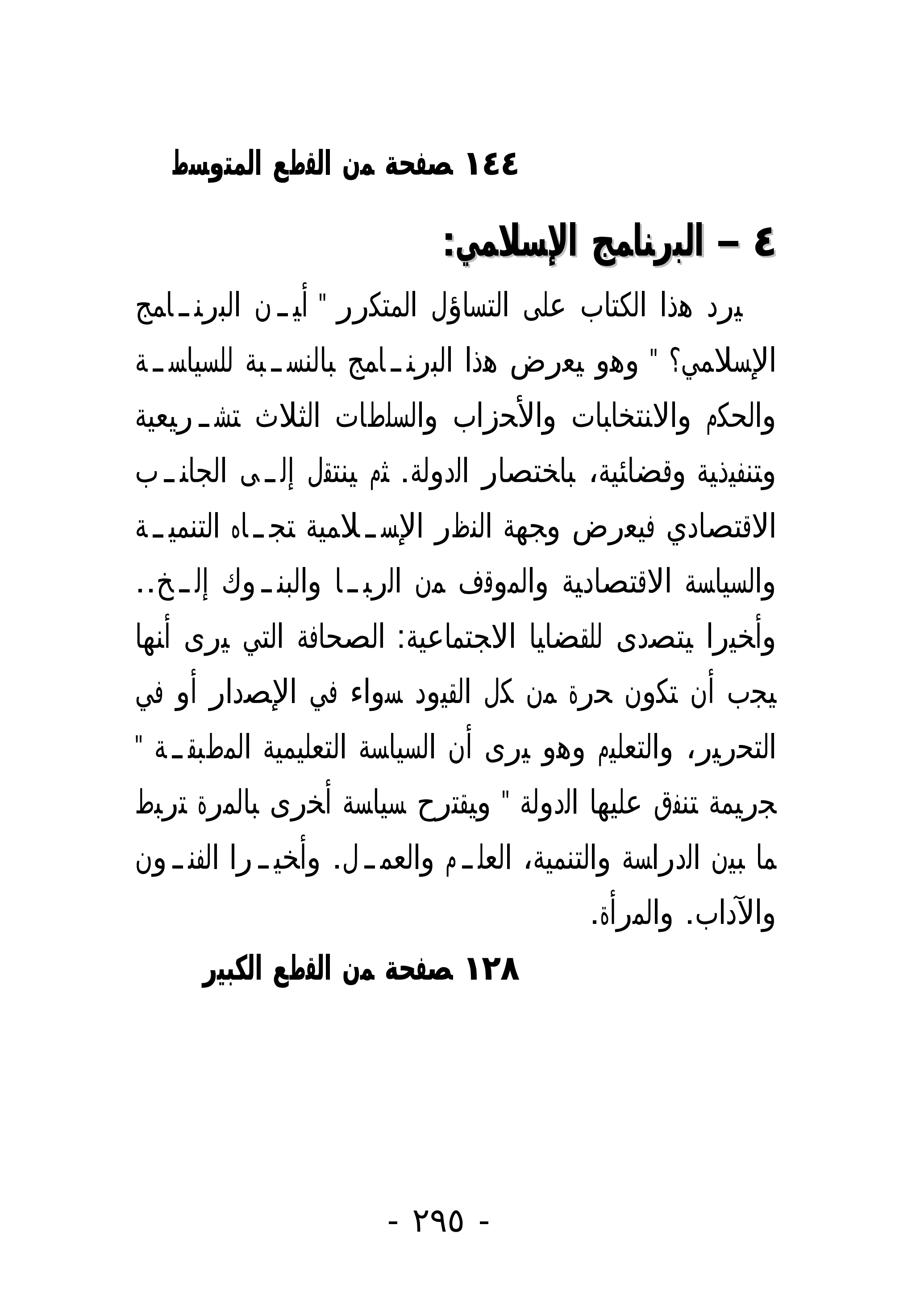
يثبت هذا الكتاب بمنطق الفكر والوقائع أن الإسلام أهدى سبيلاً في إرساء سيادة الشعب من المذاهب السياسـية التـي



ينسب إليها لأن الديمقراطية تفسح المجال للأقوياء والضعفاء فينتصر الأولون، والاشتراكية تغلق الباب في وجه المعارضين فتكون الديكتاتورية. ولكن الإسلام يفتح الباب أمام الجميع – وفي الوقت نفسه يحتفظ بضمانات للفقراء في مواجهة الأغنياء والضعفاء في مواجهة الأقوياء والأقليات في مواجهة الأغلبيات وبهذا يتحقق العدل وهو وفي حقيقة الحال سيادة الشعب.

ومن منطلق الوقائع يثبت الكتاب كيف أن شيوخ القاهرة سنة ١٨٠٥ عزلوا آخر والي تركي وأقاموا محمد علي على أساس أن يحكم بالشرع والعدل وإذا خالف ذلك عزلوه وهذا هو " الماجنا كارتا " المصري.

والكتاب أصلاً مقالات نشرتها مجلة الدعوة للمؤلف خلال المدة من ٥ يونيو سنة ٥٢ حتى أكتوبر سنة ٥٣. وقد أعاد طبعها وكتب لها خاتمة عن الرجال الثلاثة الذين أثروا على تاريخ مصر: محمد علي وهزيمة نافارين وأحمد عرابي وهزيمة التل الكبير وجمال عبد الناصر وهزيمة الأيام الستة وقد جاءت الهزائم نتيجة للديكتاتورية والبعد عن المقوم الإسلامي.



١٤٤ صفحة من القطع المتوسط

٤ – البرنامج الإسلامي:

يرد هذا الكتاب على التساؤل المتكرر " أيـن البرنـامج الإسلامي؟ " وهو يعرض هذا البرنـامج بالنسـبة للسياسـة والحكم والانتخابات والأحزاب والسلطات الثلاث تشـريعية وتنفيذية وقضائية، باختصار الدولة. ثم ينتقل إلـى الجانـب الاقتصادي فيعرض وجهة النظر الإسـلامية تجـاه التنميـة والسياسة الاقتصادية والموقف من الربـا والبنـوك إلـخ.. وأخيرا يتصدى للقضايا الاجتماعية: الصحافة التي يرى أنها يجب أن تكون حرة من كل القيود سواء في الإصدار أو في التحرير، والتعليم وهو يرى أن السياسة التعليمية المطبقـة " جريمة تنفق عليها الدولة " ويقترح سياسة أخرى بالمرة تربط ما بين الدراسة والتنمية، العلـم والعمـل. وأخيـرا الفنـون والآداب. والمرأة.

١٢٨ صفحة من القطع الكبير

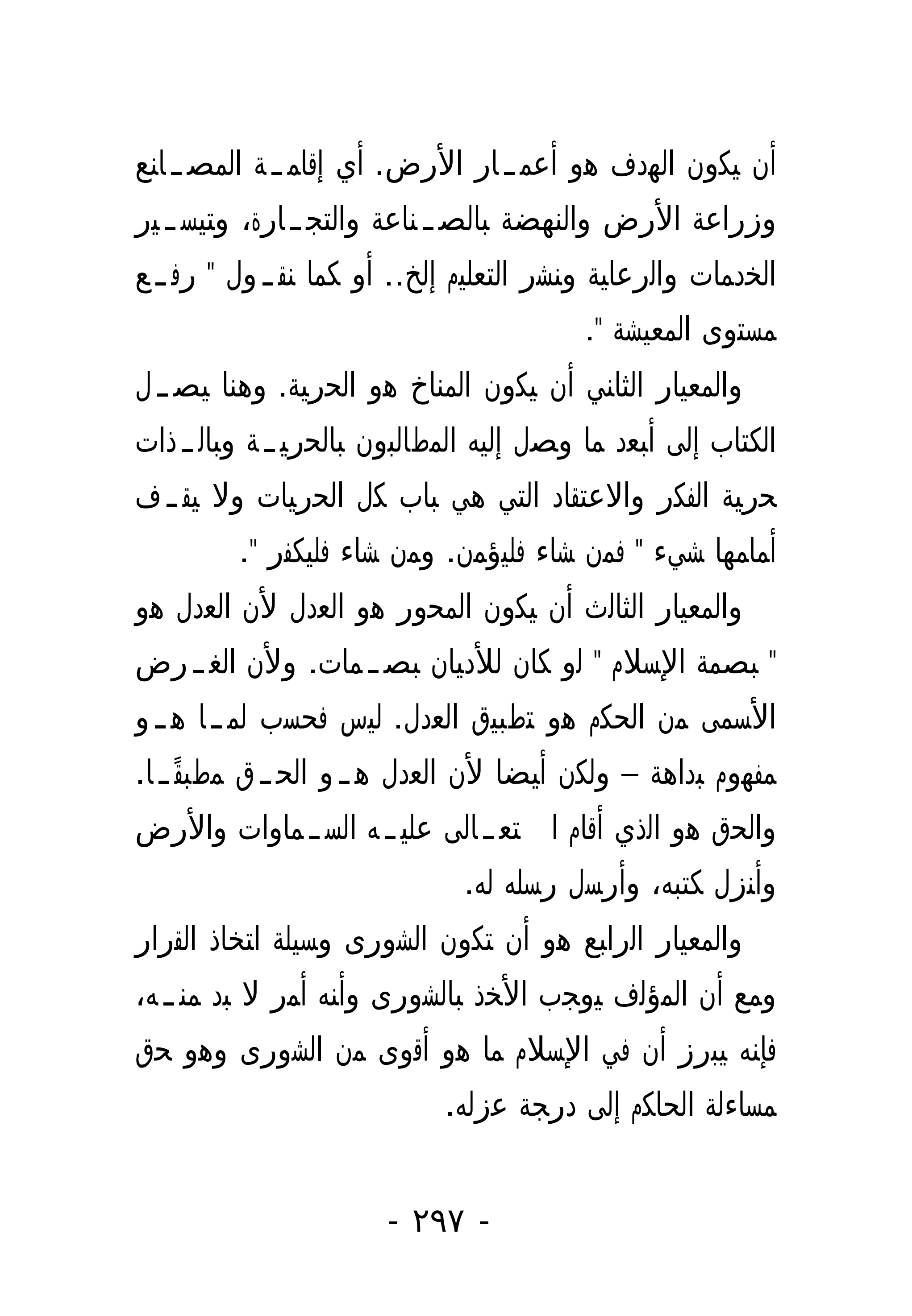
٥- الأصول الفكرية للدولة الإسلامية:

يعرض الكتاب لأربعة أصول تقوم عليها الدولة الإسلامية هي الإيمان. والعدل. والشرعية، والفرشمولية وهذا التعبيـر الأخير هو مزج لكلمتي [الفردية والشمولية] فالإسلام فردي لأنه يقوم على الإيمان القلبي الذي لا دخل لأحد فيه، وهـو شمولي لأنه يوجد العدل الاقتصادي والتكافـل الاجتمـاعي. وقيامه على الإيمان هو ما يحول دون تنافر هذا الجمع الذي كان من المؤكد أن يحدث لولاه. [كما حـدث فـي الـنظم الشمولية والديكتاتورية].

١٠٤ صفحة من القطع الصغير

٦ خمسة معايير.. لمصداقية الحكم الإسلامي

هذا الكتاب مـوجز – ولكنـه مركـز يعـالج القضـية المستعصية – قضية الحكم الإسلامي – من زاويـة جديـدة بحيث لا يقذف بالقارئ في متاهات النظريات والعقائد – لأنه يفترض وجود معايير أو مقاييس لمصداقية الحكم الإسـلامي إذا وجدت كان الحكم إسلاميا، وإذا لم توجد لم يكـن الحكـم إسلاميا. وإذا وجد بعضها وفقد الآخر فإنه يكـون إسـلاميا بقدر ما وجد وغير إسلامي بقدر ما فقد والمعيار الأول هـو

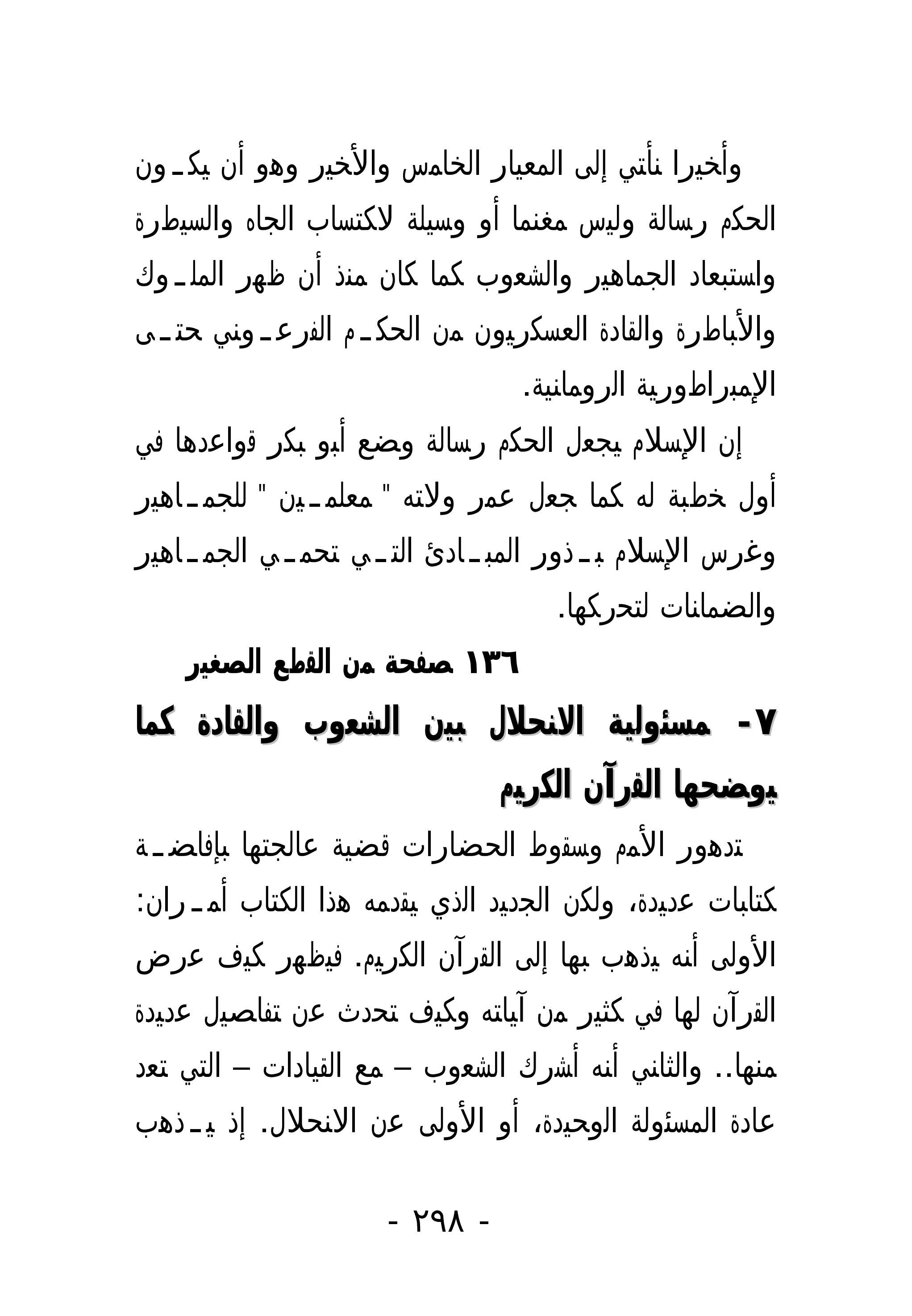


أن يكون الهدف هو أعمـار الأرض. أي إقامـة المصـانع وزراعة الأرض والنهضة بالصـناعة والتجـارة، وتيسـير الخدمات والرعاية ونشر التعليم إلخ.. أو كما نقـول " رفـع مستوى المعيشة ".

والمعيار الثاني أن يكون المناخ هو الحرية. وهنا يصـل الكتاب إلى أبعد ما وصل إليه المطالبون بالحريـة وبالـذات حرية الفكر والاعتقاد التي هي باب كل الحريات ولا يقـف أمامها شيء " فمن شاء فليؤمن. ومن شاء فليكفر ".

والمعيار الثالث أن يكون المحور هو العدل لأن العدل هو " بصمة الإسلام " لو كان للأديان بصـمات. ولأن الغـرض الأسمى من الحكم هو تطبيق العدل. ليس فحسب لمـا هـو مفهوم بداهة – ولكن أيضا لأن العدل هـو الحـق مطبقًـا. والحق هو الذي أقام ا تعـالى عليـه السـماوات والأرض وأنزل كتبه، وأرسل رسله له.

والمعيار الرابع هو أن تكون الشورى وسيلة اتخاذ القرار ومع أن المؤلف يوجب الأخذ بالشورى وأنه أمر لا بد منـه، فإنه يبرز أن في الإسلام ما هو أقوى من الشورى وهو حق مساءلة الحاكم إلى درجة عزله.



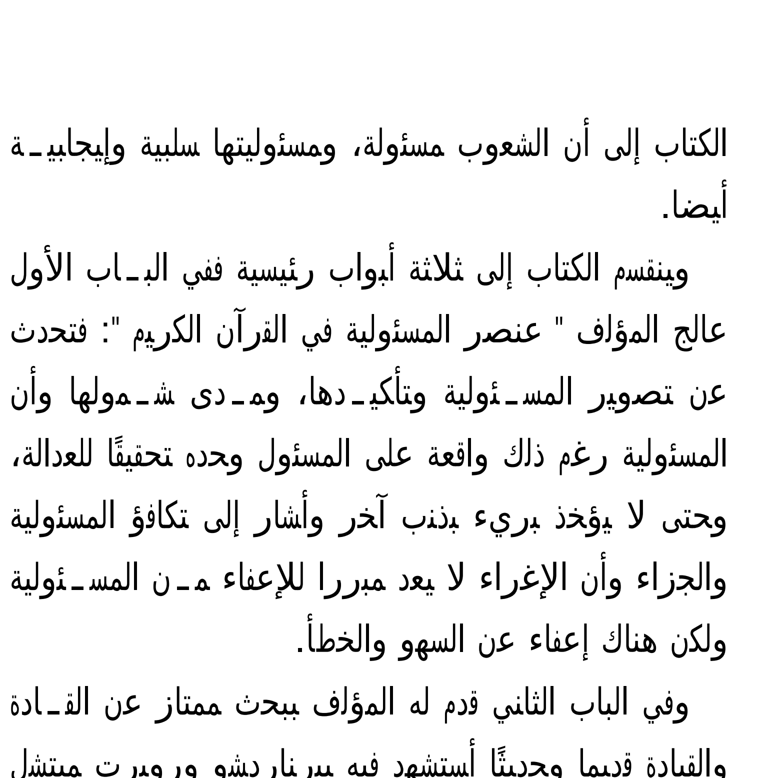
وأخيرا نأتي إلى المعيار الخامس والأخير وهو أن يكـون الحكم رسالة وليس مغنما أو وسيلة لاكتساب الجاه والسيطرة واستبعاد الجماهير والشعوب كما كان منذ أن ظهر الملـوك والأباطرة والقادة العسكريون من الحكـم الفرعـوني حتـى الإمبراطورية الرومانية.

إن الإسلام يجعل الحكم رسالة وضع أبو بكر قواعدها في أول خطبة له كما جعل عمر ولاته " معلمـين " للجمـاهير وغرس الإسلام بـذور المبـادئ التـي تحمـي الجمـاهير والضمانات لتحركها.

١٣٦ صفحة من القطع الصغير

٧- مسئولية الانحلال بين الشعوب والقادة كما يوضحها القرآن الكريم

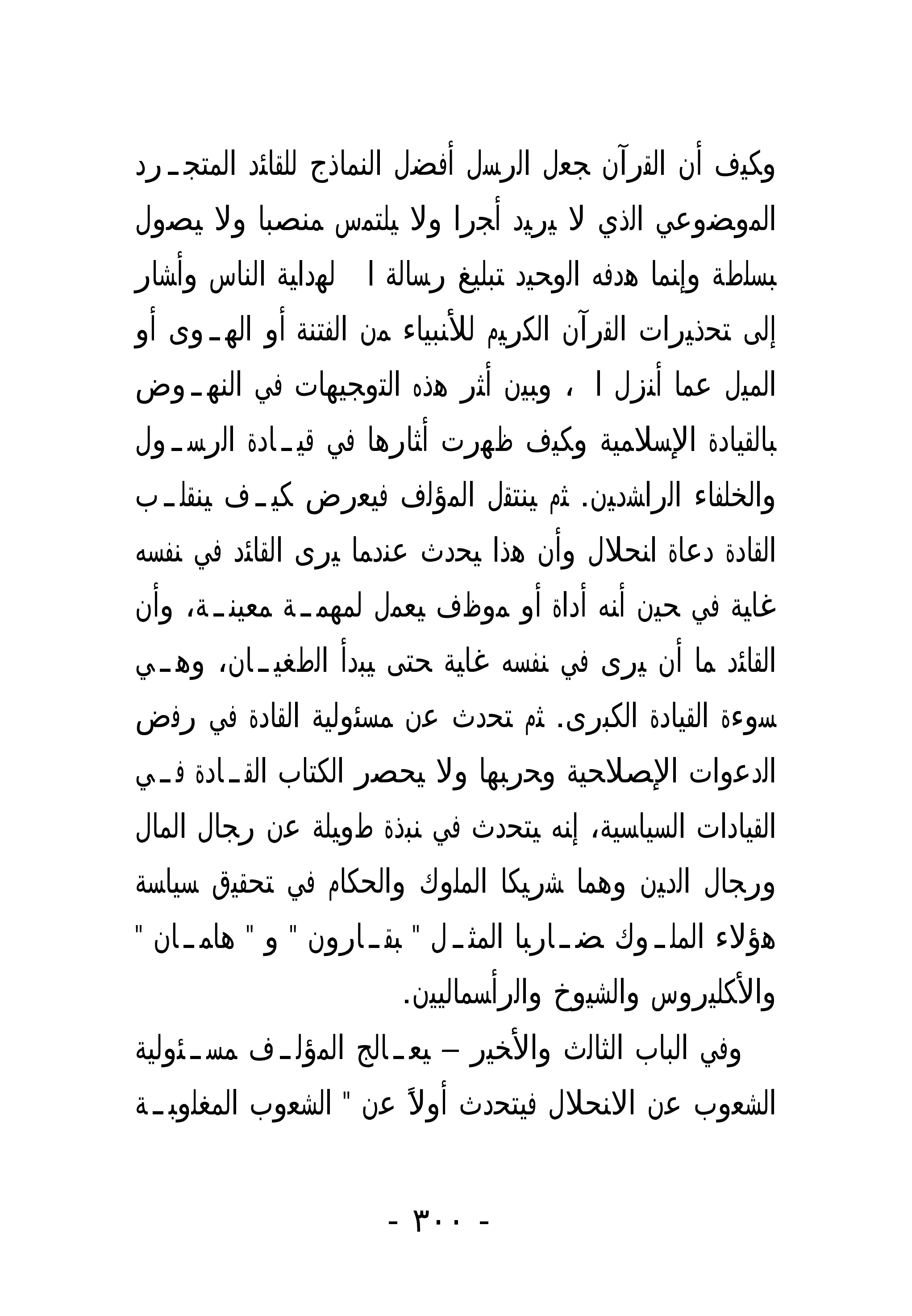
تدهور الأمم وسقوط الحضارات قضية عالجتها بإفاضـة كتابات عديدة، ولكن الجديد الذي يقدمه هذا الكتاب أمـران: الأولى أنه يذهب بها إلى القرآن الكريم. فيظهر كيف عرض القرآن لها في كثير من آياته وكيف تحدث عن تفاصيل عديدة منها.. والثاني أنه أشرك الشعوب – مع القيادات – التي تعد عادة المسئولة الوحيدة، أو الأولى عن الانحلال. إذ يـذهب



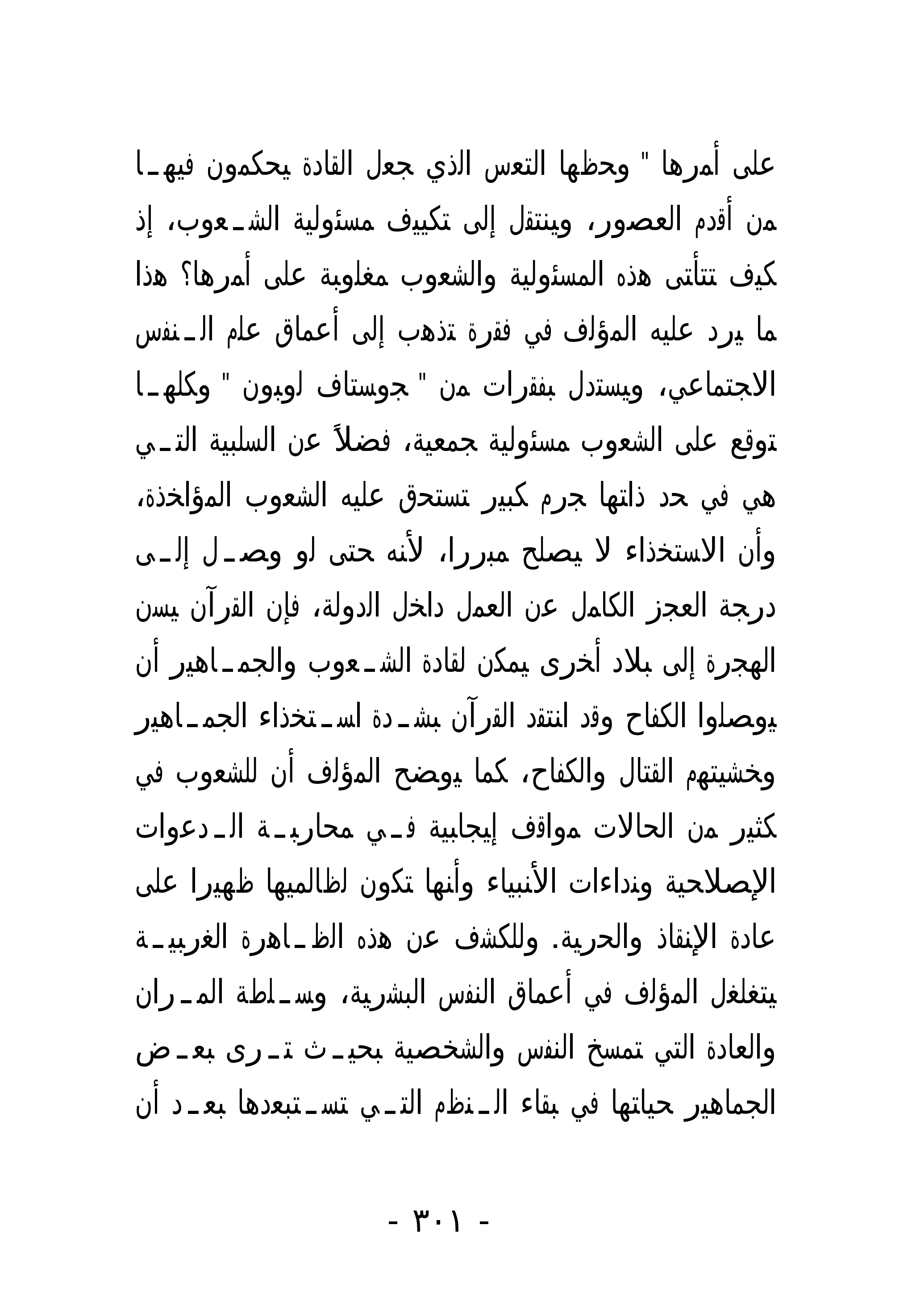
الكتاب إلى أن الشعوب مسئولة، ومسئوليتها سلبية وإيجابيـة أيضا.

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب رئيسية ففي البـاب الأول عالج المؤلف " عنصر المسئولية في القرآن الكريم ": فتحدث عن تصوير المسـئولية وتأكيـدها، ومـدى شـمولها وأن المسئولية رغم ذلك واقعة على المسئول وحده تحقيقًا للعدالة، وحتى لا يؤخذ بريء بذنب آخر وأشار إلى تكافؤ المسئولية والجزاء وأن الإغراء لا يعد مبررا للإعفاء مـن المسـئولية ولكن هناك إعفاء عن السهو والخطأ.

وفي الباب الثاني قدم له المؤلف ببحث ممتاز عن القـادة والقيادة قديما وحديثًا أستشهد فيه ببرناردشو وروبرت ميتشل وما أسماه " القانون الحديدي لولاية الخاصـة " وكيـف أن التعقيد الاجتماعي حال دون أن تسـتثمر الجمـاهير قواهـا وإمكانياتها لحسابها. ثم تحدث عن أهميـة القيـادة ومـدى تأثيرها على الشعوب ضاربا المثل بالقاضـي الـذي يحكـم بالسجن أو الإعدام أو القائد الذي يزجي الجنود إلى التهلكة أو السياسي الذي يتخذ قرارا يوبق به أمته قرونًا.. وأشار فـي نبذة خاصة إلى رسالة القادة وتوجيهات القرآن الكريم للأنبياء


وكيف أن القرآن جعل الرسل أفضل النماذج للقائد المتجـرد الموضوعي الذي لا يريد أجرا ولا يلتمس منصبا ولا يصول بسلطة وإنما هدفه الوحيد تبليغ رسالة ا لهداية الناس وأشار إلى تحذيرات القرآن الكريم للأنبياء من الفتنة أو الهـوى أو الميل عما أنزل ا ، وبين أثر هذه التوجيهات في النهـوض بالقيادة الإسلامية وكيف ظهرت أثارها في قيـادة الرسـول والخلفاء الراشدين. ثم ينتقل المؤلف فيعرض كيـف ينقلـب القادة دعاة انحلال وأن هذا يحدث عندما يرى القائد في نفسه غاية في حين أنه أداة أو موظف يعمل لمهمـة معينـة، وأن القائد ما أن يرى في نفسه غاية حتى يبدأ الطغيـان، وهـي سوءة القيادة الكبرى. ثم تحدث عن مسئولية القادة في رفض الدعوات الإصلاحية وحربها ولا يحصر الكتاب القـادة فـي القيادات السياسية، إنه يتحدث في نبذة طويلة عن رجال المال ورجال الدين وهما شريكا الملوك والحكام في تحقيق سياسة هؤلاء الملـوك ضـاربا المثـل " بقـارون " و " هامـان " والأكليروس والشيوخ والرأسماليين.

وفي الباب الثالث والأخير – يعـالج المؤلـف مسـئولية الشعوب عن الانحلال فيتحدث أولاً عن " الشعوب المغلوبـة



على أمرها " وحظها التعس الذي جعل القادة يحكمون فيهـا من أقدم العصور، وينتقل إلى تكييف مسئولية الشـعوب، إذ كيف تتأتى هذه المسئولية والشعوب مغلوبة على أمرها؟ هذا ما يرد عليه المؤلف في فقرة تذهب إلى أعماق علم الـنفس الاجتماعي، ويستدل بفقرات من " جوستاف لوبون " وكلهـا توقع على الشعوب مسئولية جمعية، فضلاً عن السلبية التـي هي في حد ذاتها جرم كبير تستحق عليه الشعوب المؤاخذة، وأن الاستخذاء لا يصلح مبررا، لأنه حتى لو وصـل إلـى درجة العجز الكامل عن العمل داخل الدولة، فإن القرآن يسن الهجرة إلى بلاد أخرى يمكن لقادة الشـعوب والجمـاهير أن يوصلوا الكفاح وقد انتقد القرآن بشـدة اسـتخذاء الجمـاهير وخشيتهم القتال والكفاح، كما يوضح المؤلف أن للشعوب في كثير من الحالات مواقف إيجابية فـي محاربـة الـدعوات الإصلاحية ونداءات الأنبياء وأنها تكون لظالميها ظهيرا على عادة الإنقاذ والحرية. وللكشف عن هذه الظـاهرة الغريبـة يتغلغل المؤلف في أعماق النفس البشرية، وسـلطة المـران والعادة التي تمسخ النفس والشخصية بحيـث تـرى بعـض الجماهير حياتها في بقاء الـنظم التـي تسـتبعدها بعـد أن

استمرأت هذا الاستبعاد لأن النفس الإنسانية تستجيب لضروب الضغط والقسر ما دامت محتومة عليها، وضرب المثل بأثر ممارس البغاء كمهنة لدى بعض النساء وأن ذلك يمكن أن يصل إلى درجة إفساد شخصيتهن، وقلب المعايير عندهن.

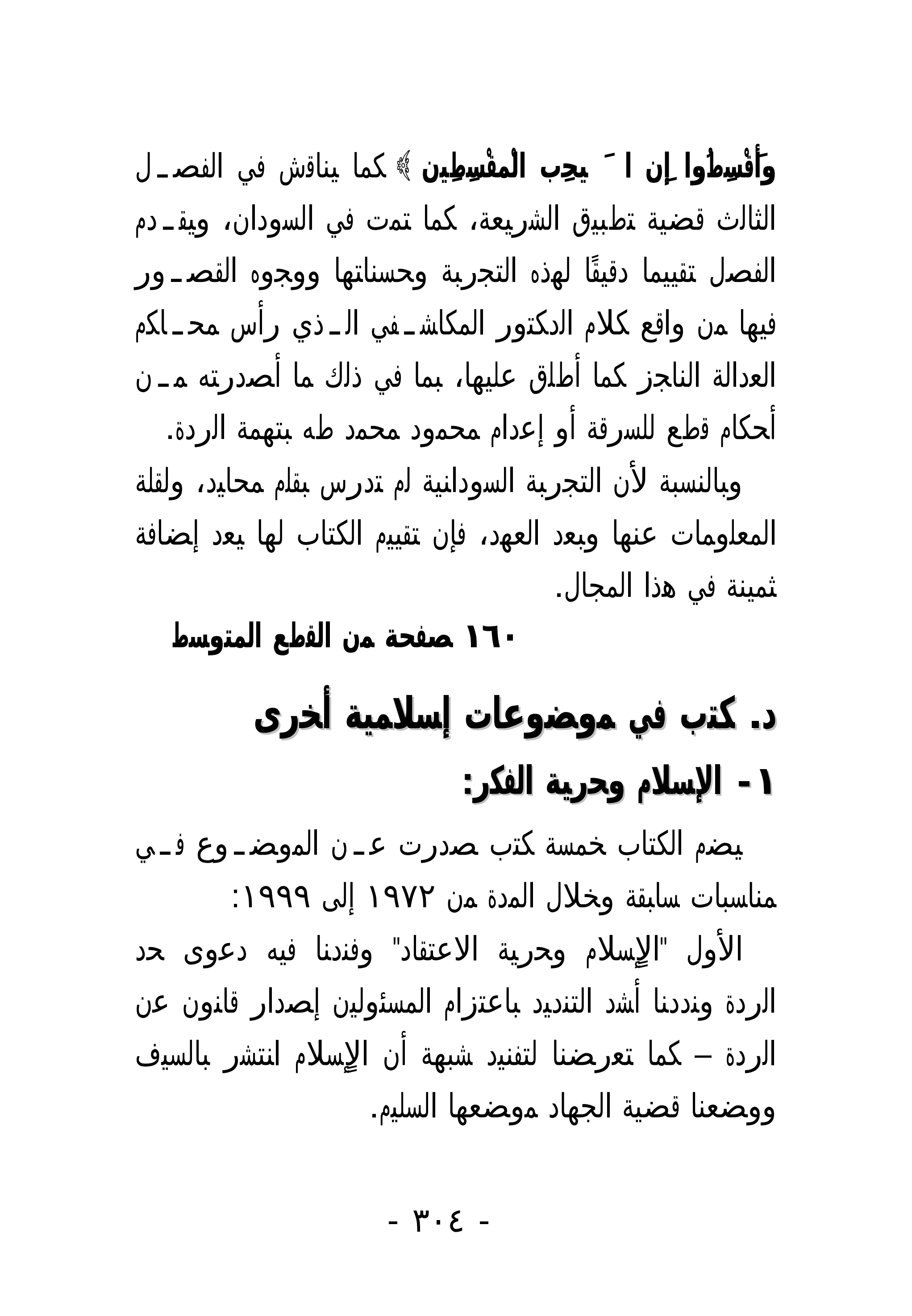
وتحدث الكتاب في نبذة أخيرة عن صراع الطبقات وأن ماركس حصر هذا الصرع في العامل المادي أما القرآن فركز على العامل الذاتي، أي غلبة الذات – بما فيها من عامل مادي – على الحقيقة الموضوعية، ولهذا يكون هذا الصراع ما بين التكتلات الضالة المفسدة والمجموعات الهادية المهدية وينتهي بمثل القوارع التي تحدث عنها القرآن.

١٧٦ صفحة من القطع المتوسط

٨- الحكم بالقرآن وقضية تطبيق الشريعة

عندما يذكر الحكم بالقرآن يتصور البعض السكاكين وهي تحز الأيدي والسيوف وهي تقطع الأعناق والحجارة التي يرجم بها الزاني، ولكن هذا الكتاب يدخل لموضوعه من مدخل أخر تماما لا يمكن أن يرفضه أي أوروبي هذا المدخل هو أن الحكم بالقرآن هو في حقيقة أسمي صور الحكم

بالقانون، وقد كان الحكم بالقانون هو مـا تمنـاه (أرسـطو وأفلاطون) وأورد الكاتب نصا بالإنجليزية لأرسطو يضـيق فيه بالديمقراطية الأثينية وينقد حكم الأصوات ويتمنى حكـم القانون ويظهر الكاتب أن الفكر السياسي الأوروبي عجز عن بلورة حكم القانون لواقعة هي أن هذا القانون لا بد أن يعهـد إلى هيئة ما لوضعه وهذه الهيئة ستلحظ وضـعها الخـاص وبهذا لا يكون القانون قاضيا محايدا ولكن محاميا لمصـلحة معينة، وبرهن على ذلك بالقانون الروماني الذي أعلى مـن شأن الرومانيين على بقية الأمم وبقانون نابليون الذي أعلـى مصالح الطبقة البرجوازية الصاعدة علـى حسـاب العمـال وبالقانون السوفيتي الذي ركز كل السلطات في يد الحـزب، وفي مقابل هذه الصور " الذاتية " للقانون يرى المؤلـف أن القرآن هو القانون الموضوعي وأن الحكم به يحقـق أسـمى صورة للحكم بالقانون، وفي فصل خاص يعالج المؤلف الحكم بالقرآن على المستوى الدولي فيما يسـميه محكمـة السـلام الإسلامية الدولية القائمة على نص الآيـة (٩) مـن سـورة الحجرات ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلـوا فأصـلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التـي تبغـي حتى تفيء إلى أمر ا _ فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعـدل**



وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ كما يناقش في الفصل الثالث قضية تطبيق الشريعة، كما تمت في السودان، ويقدم الفصل تقييما دقيقًا لهذه التجربة وحسناتها ووجوه القصور فيها من واقع كلام الدكتور المكاشفي الذي رأس محاكم العدالة الناجز كما أطلق عليها، بما في ذلك ما أصدرته من أحكام قطع للسرقة أو إعدام محمود محمد طه بتهمة الردة.

وبالنسبة لأن التجربة السودانية لم تدرس بقلم محايد، ولقلة المعلومات عنها وبعد العهد، فإن تقييم الكتاب لها يعد إضافة ثمينة في هذا المجال.

١٦٠ صفحة من القطع المتوسط

د. كتب في موضوعات إسلامية أخرى

١- الإسلام وحرية الفكر:

يضم الكتاب خمسة كتب صدرت عن الموضوع في مناسبات سابقة وخلال المدة من ١٩٧٢ إلى ١٩٩٩:

الأول "الإسلام وحرية الاعتقاد" وفندنا فيه دعوى حد الردة ونددنا أشد التنديد باعتزام المسئولين إصدار قانون عن الردة – كما تعرضنا لتفنيد شبهة أن الإسلام انتشر بالسيف ووضعنا قضية الجهاد موضعها السليم.

والثاني كتاب " قضية الحرية في الإسلام " الذي عالجنا فيه قضية الحرية ككل دون تركيز على حد الردة.

والثالث " الإسلام والعلمانية " والرابع " الإسلام وحرية الفكر والاعتقاد " أثبتنا فيهما بأدلة دامغة من القرآن الكريم ومن عمل الرسول ومن ممارسات الصحابة عدم توقيع عقوبة على المرتد.

والخامس اقتباسات من " منهج الإسلام في تقرير حقوق الإنسان " تضمنت تحفظات الكتاب المسلمين على المادة ١٨ وهي خاصة بتغيير المعتقد وكان منهم الدكتور محمد عمارة والدكتور فتحي عثمان وسماحة الشيخ مهدي شمس الدين، فنقلنا كلامهم ثم رددنا عليه، وأخيرا تضمن الكتاب الفصل الذي كتبه المحامي الإسلامي النابه الدكتور محمد سليم العوا عن الردة في كتابه " في النظام الجنائي الإسلامي " وعقبنا عليه بملاحظاتنا.

وبهذا جاء هذا الكتاب جامعا وشاملاً لأهم ما كتب عن هذا الموضوع بحيث يعد مرجعا لا يستغنى عنه كل مسلم.

٢٠٨ صفحة من القطع الكبير

٢- الربا وعلاقته بالممارسات المصرفية والبنوك الإسلامية:

يبدأ الكتاب بفصل عن المعالجات التقليدية للربا تضـمن صفحة منسية هي محاضرات نادي دار العلوم سـنة ١٣٢٦ هـ ثم عرض لكتب السيد رشيد رضا، والشيخ محمـد أبـو زهرة والسيد أو الأعلى المودودي. وما دار من مناقشات في المجامع الإسلامية في الفترة المعاصرة.

ورأى المؤلف أن هذه المعالجـات لـم تنفـذ إلـى روح الموضوع. ولهذا تحدث في فصل مستقل عن " نظرية فـي القرض وحكمة تحريم الربا نسيئة " وفي فصل آخر عـن " مقومات الاقتصاد الإسلامي ".

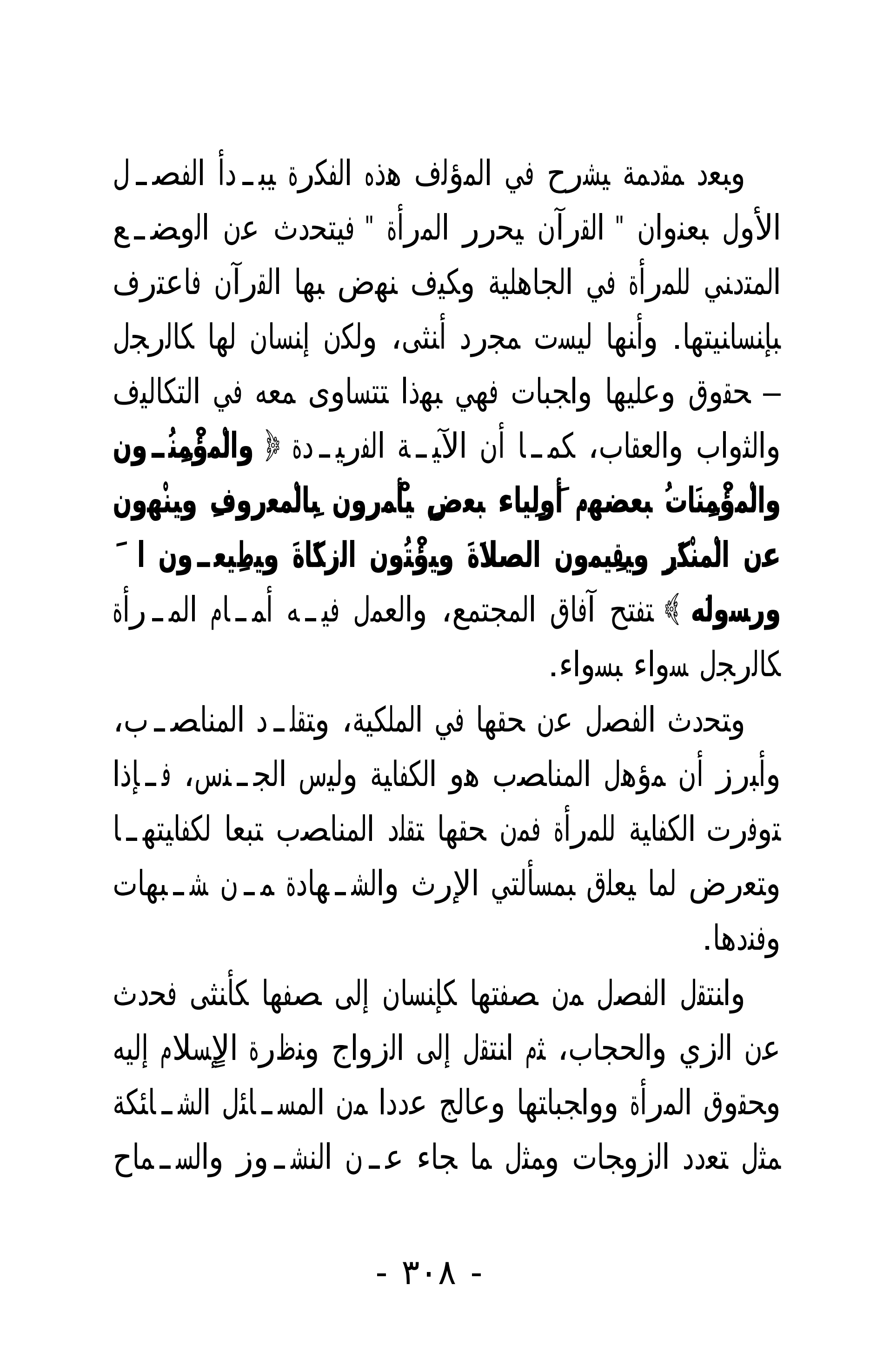
ولما كان الربا يتحكم في الاقتصاد عن طريق البنوك فقد خصها الكتاب بفصـل باعتبارهـا " بنـت الربـا وأمـه " واستعرض فيه تاريخها وسر الائتمان والتحول من الائتمـان إلى الاختيان وكيف أن البنوك تأخذ مـن الفقـراء لتعطـي الأغنياء! ويعد هذا الفصل إضافة منشـئة ودراسـة لأعلـى المراحل التي وصل إليها الربا وتحكم بها في الاقتصاد القوم والعالمي.

ويختم الكتاب بفصل عن " البنوك الإسلامية " يعرض التحفظات على " المضاربة "، كما يرسم الاستراتيجية الواجبة للبنوك الإسلامية.

٢٥٦ صفحة من القطع المتوسط

٣- المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء:

هذا الكتاب يقدم تفسيرا لهذه المفارقة، فإن القرآن الكريم، وكذلك الرسول، أراد تحرير المرأة، ووضعا الأصول لذلك، ولكن الفقهاء أرادوا - وتمكنوا بالفعل – من تقييدها بمختلف القيود لأن الفقهاء كانوا يحكمون بروح عصرهم وضروراته وهم بعد – باعتبارهم – مقننين – حماة الوضع القائم. فضلاً عما تعرض له التفسيرات من إسرائيليات، والسنة من وضع وتحريف مما كان سندهم في أحكامهم، ولما كان الكتاب المعاصرون، وكذلك المستشرقون، يأخذون بأحكام الفقهاء، إذ هم " الجهة المختصة " و " أهل الذكر " فإن الصورة السيئة التي كانت بنت بعض ضرورات العصر القديم المغلق والأحكام التي تحيف على المرأة. أصبحت هي الصورة المقررة للمرأة المسلمة، وأريد تطبيقها اليوم.



وبعد مقدمة يشرح في المؤلف هذه الفكرة يبـدأ الفصـل الأول بعنوان " القرآن يحرر المرأة " فيتحدث عن الوضـع المتدني للمرأة في الجاهلية وكيف نهض بها القرآن فاعترف بإنسانيتها. وأنها ليست مجرد أنثى، ولكن إنسان لها كالرجل – حقوق وعليها واجبات فهي بهذا تتساوى معه في التكاليف والثواب والعقاب، كمـا أن الآيـة الفريـدة ﴿ **والمؤمنـون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعـون ا َ ورسوله** ﴾ تفتح آفاق المجتمع، والعمل فيـه أمـام المـرأة كالرجل سواء بسواء.

وتحدث الفصل عن حقها في الملكية، وتقلـد المناصـب، وأبرز أن مؤهل المناصب هو الكفاية وليس الجـنس، فـإذا توفرت الكفاية للمرأة فمن حقها تقلد المناصب تبعا لكفايتهـا وتعرض لما يعلق بمسألتي الإرث والشـهادة مـن شـبهات وفندها.

وانتقل الفصل من صفتها كإنسان إلى صفها كأنثى فحدث عن الزي والحجاب، ثم انتقل إلى الزواج ونظرة الإسلام إليه وحقوق المرأة وواجباتها وعالج عددا من المسـائل الشـائكة مثل تعدد الزوجات ومثل ما جاء عـن النشـوز والسـماح

بضرب المرأة ضربا غير مبرح بعد استنفاد كل وسائل الاسترضاء وبمعالجة تختلف تماما عن منهج التبرير التقليدي أو الرفض الإنكاري.. ثم انتقل إلى الطلاق وما وضع القرآن من ضمانات أهدرت لأن الفقهاء تناسوا – بكل بساطة – الآيات التي تقررها.. مثل تعيين حكمين عند خشية الشقاق، ومثل الإشهاد عند الطلاق ومثل الخُلع، وكذلك آية اللعان التي تضع حلاً " حضاريا " لأشد المشاكل حساسية، عندما يتهم زوج زوجته بالزنا دون أن يكون له شاهد سواه..

وبهذا ينتهي الفصل الأول.

ويكشف الفصل الثاني عن دور للرسول نصيرا للمرأة وداعيا للحب والجمال ويعرض جوانب قد تكون خافية من شخصية الرسول، وكيف أنه بالإضافة إلى مناصرته لقضية المرأة، فإنه غرس بذر الحب في المجتمع الجاهلي القاحل وحاول إشاعة حاسة الجمال.. وفند الفصل بعض الأحاديث التي تنسب إلى الرسول كحديث " ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " وهو سند الفقهاء في تحريم المناصب العليا على المرأة ومثل حديث " المرأة عورة " وهو سندهم في الحجاب والنقاب ومثل حديث أن الرسول لم يبايع النساء مصافحة وهو سندهم في تحريم مصافحة المرأة..

وفند هذه الأحاديث سندا ومتنًا.

وخصص المؤلف الفصل الثالث عن المرأة في المجتمـع الإسلامي الأول أثبت فيه مشاركة المرأة في العمل السياسي، وفي العمل العسكري. كمشاركتها في الغـزوات فـي عهـد الرسول ومشاركة نصيرات الإمام علي في معركة صـفين ومشاركة نساء الخوارج.

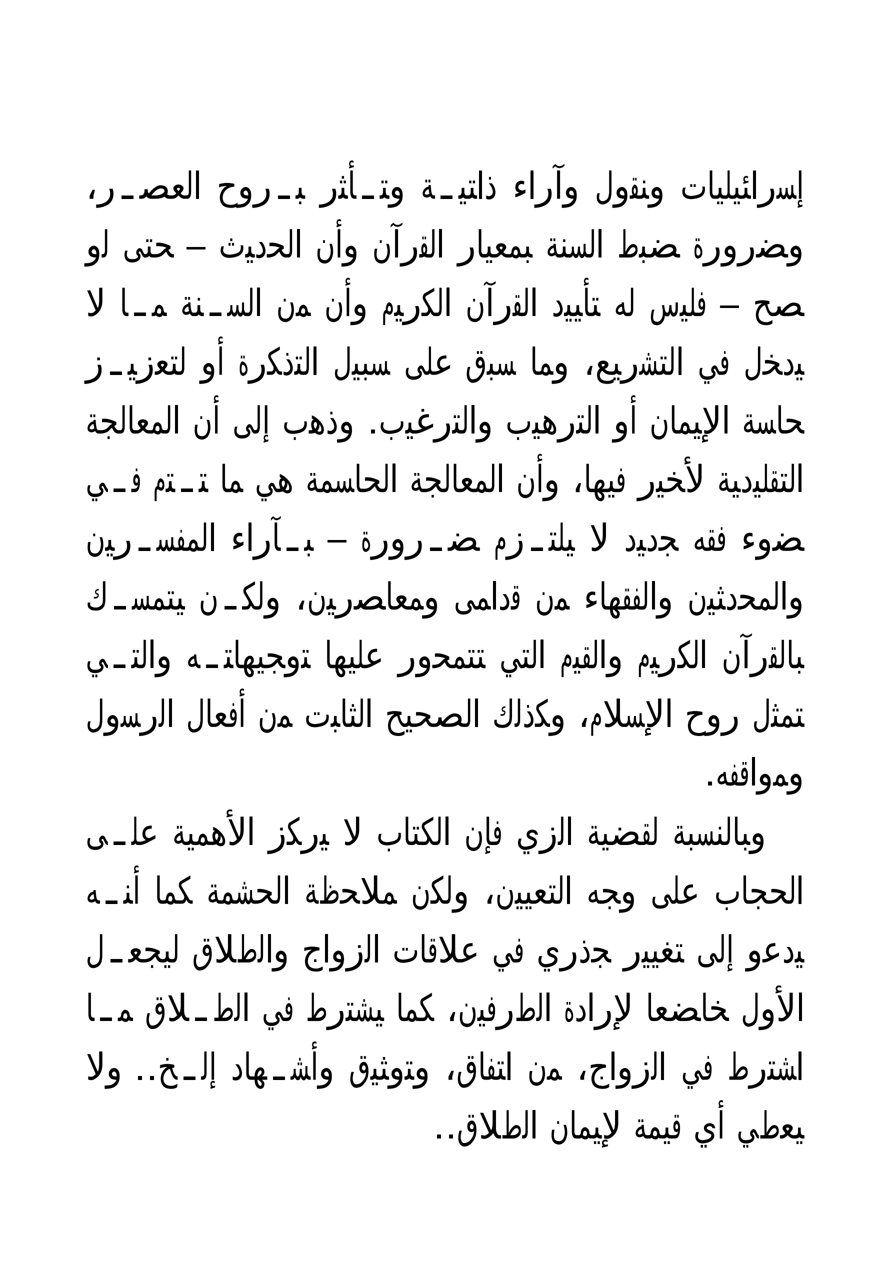
ثم تحدث عن الحياة الاجتماعية في الحجاز..

وبهذا الفصل ينتهي القسم الأول من الكتاب

ويبدأ القسم الثاني وهو عن الفقهاء وعهد القيود والسدود. وهو يبدأ بمقدمة عن الملابسات التي أدت إلى قيام هذا العهد، ويقسم الفقهاء إلى قسـمين رئيسـيين قـدامي ومعاصـرين والقدامى يضمون الأئمة الذين وضعوا أصول الفقه والتفسير والحديث، ثم فقهاء الفروع بعد إغلاق باب الاجتهاد ويسـرد شواهد عديدة مدسوسة في كتب التفسـير والحـديث تعـزز الفكرة المتدنية عن المرأة كما جاءت في تفسير ابـن كثيـر والطبري والبخاري، فضلاً عن مقتطفات عن الطـلاق مـن كتب فقه الفروع تثير الاشـمئزاز وتمثـل مـدى انحطـاط تصورهم للمرأة ثم ينتقل إلى الفقهاء المعاصـرين ويتحـدث عن موقفه في قضيتين بارزتين الأولـى المـرأة والنشـاط

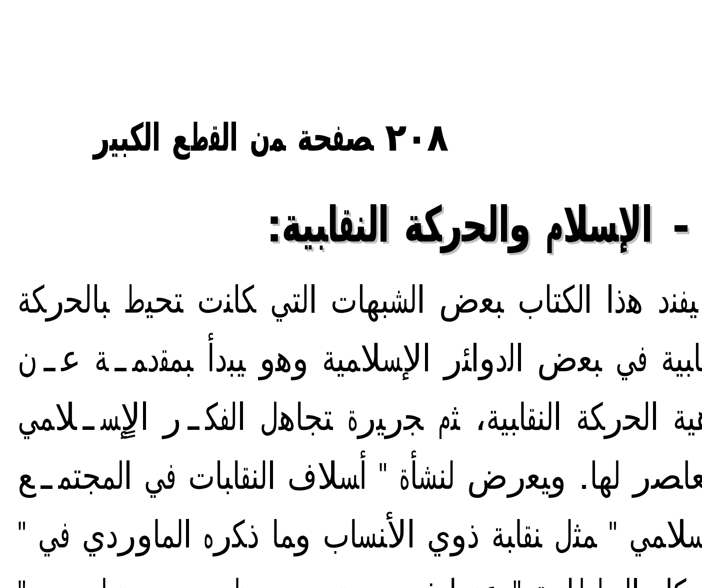
السياسي التي ثارت في الخمسينات عندما بدأت الدعوة للسماح للمرأة بالانتخاب والترشيح وعرض وجهة نظر الهيئات الإسلامية كما نقل نص فتوى مطولة من الأزهر تعارض اشتغال المرأة بالسياسة وعرض كتابات لبعض الهيئات الإسلامية المتشددة مثل شباب سيدنا محمد، وعنى بعرض وجهة نظر حزب التحرير والإخوان المسلمين، وقتئذ، وتغير هذا الموقف في آخر وثائقهم (الإخوان المسلمين) الذي يؤيد حق المراة في النشاط السياسي وولاية المناصب والاختلاط المهذب الذي توحي به الآية ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بعضهم أَوْلِيَاء بعض يَأْمُرون بِالْمعروفِ وينْهون عن الْمنْكر..** ﴾ وقد عرض للاتجاهات ما بين تأييد الحجاب – أي إباحة كشف الوجه والكفين ومابين التمسك بالنقاب الذي يغطي الوجه ويترك ثقبا للعينين. كما عالج حقيق الاختلاط والمصافحة إلخ.. وعرض في هذا الصدد أقوال الكتاب الإسلاميين المعاصرين. المودودي والقرضاوي وآية حسين فضل ا .

ويختم الفصل بخاتمة هامة عن " معالجة قضية في ضوء فقه جديد " عرض فيه عرضا مكثفًا ومركزا لبعض أصول الفقه الجديد مثل عدم الاعتداد بالتفاسير لما تطرق إليها من



إسرائيليات ونقول وآراء ذاتيـة وتـأثر بـروح العصـر، وضرورة ضبط السنة بمعيار القرآن وأن الحديث – حتى لو صح – فليس له تأييد القرآن الكريم وأن من السـنة مـا لا يدخل في التشريع، وما سبق على سبيل التذكرة أو لتعزيـز حاسة الإيمان أو الترهيب والترغيب. وذهب إلى أن المعالجة التقليدية لأخير فيها، وأن المعالجة الحاسمة هي ما تـتم فـي ضوء فقه جديد لا يلتـزم ضـرورة – بـآراء المفسـرين والمحدثين والفقهاء من قدامى ومعاصرين، ولكـن يتمسـك بالقرآن الكريم والقيم التي تتمحور عليها توجيهاتـه والتـي تمثل روح الإسلام، وكذلك الصحيح الثابت من أفعال الرسول ومواقفه.

وبالنسبة لقضية الزي فإن الكتاب لا يركز الأهمية علـى الحجاب على وجه التعيين، ولكن ملاحظة الحشمة كما أنـه يدعو إلى تغيير جذري في علاقات الزواج والطلاق ليجعـل الأول خاضعا لإرادة الطرفين، كما يشترط في الطـلاق مـا اشترط في الزواج، من اتفاق، وتوثيق وأشـهاد إلـخ.. ولا يعطي أي قيمة لإيمان الطلاق..

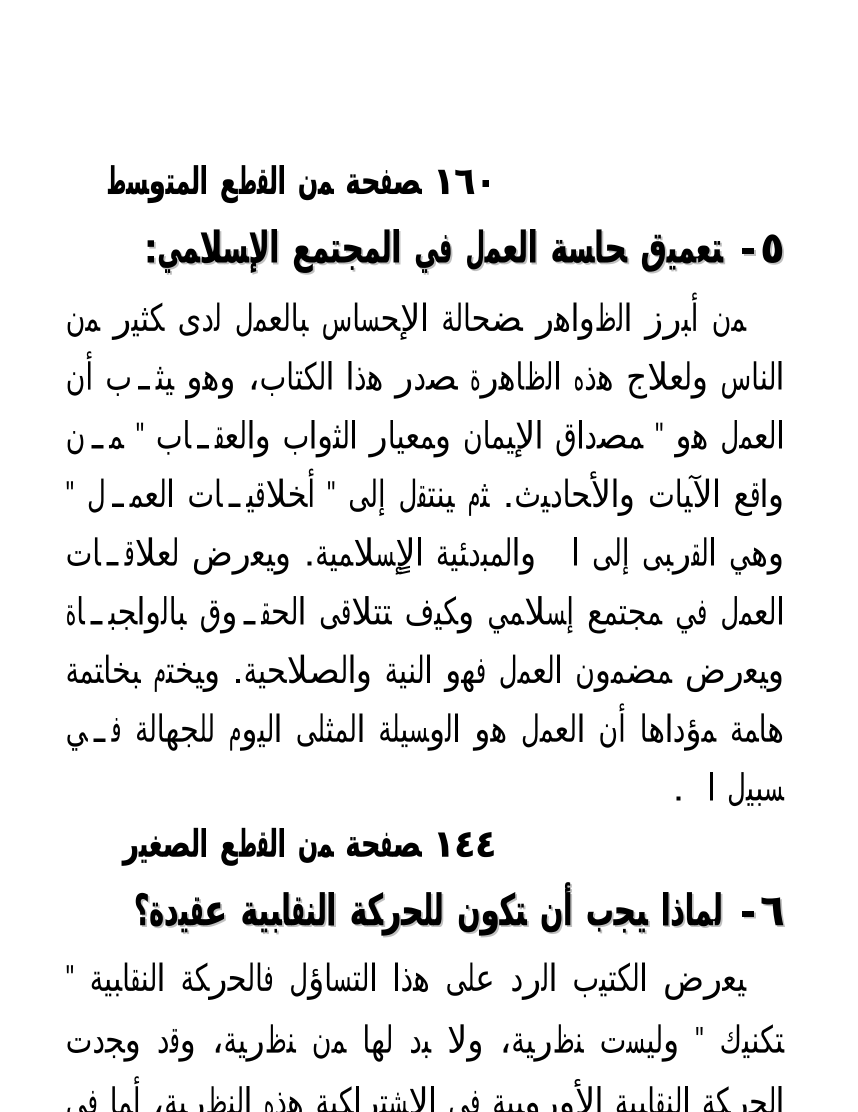


٢٠٨ صفحة من القطع الكبير

٤ - الإسلام والحركة النقابية:

يفند هذا الكتاب بعض الشبهات التي كانت تحيط بالحركة النقابية في بعض الدوائر الإسلامية وهو يبدأ بمقدمة عن ماهية الحركة النقابية، ثم جريرة تجاهل الفكر الإسلامي المعاصر لها. ويعرض لنشأة " أسلاف النقابات في المجتمع الإسلامي " مثل نقابة ذوي الأنساب وما ذكره الماوردي في " الأحكام السلطانية " عنها ثم يستعرض ظهور وتطور " الأصناف " في المجتمع العباسي واستمرارها حتى أيام ابن بطوطة، وتقاليدها ويوضح في فصل خاص أن الإسلام يدعو إلى النقابية، ويقدم تفسيرا نقابيا للآية ٢٨٢ من سورة البقرة يجعلها تنطبق تماما على " الاتفاقية الجماعية " التي هي محور العمل النقابي في المجتمعات الديمقراطية.

ويدعو الكتاب في فصله الأخير إلى النقابية الإسلامية وأدرج به ملحقان: الأول عن " الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل " والثاني عن المواد الجوهرية في دستوره.



١٦٠ صفحة من القطع المتوسط

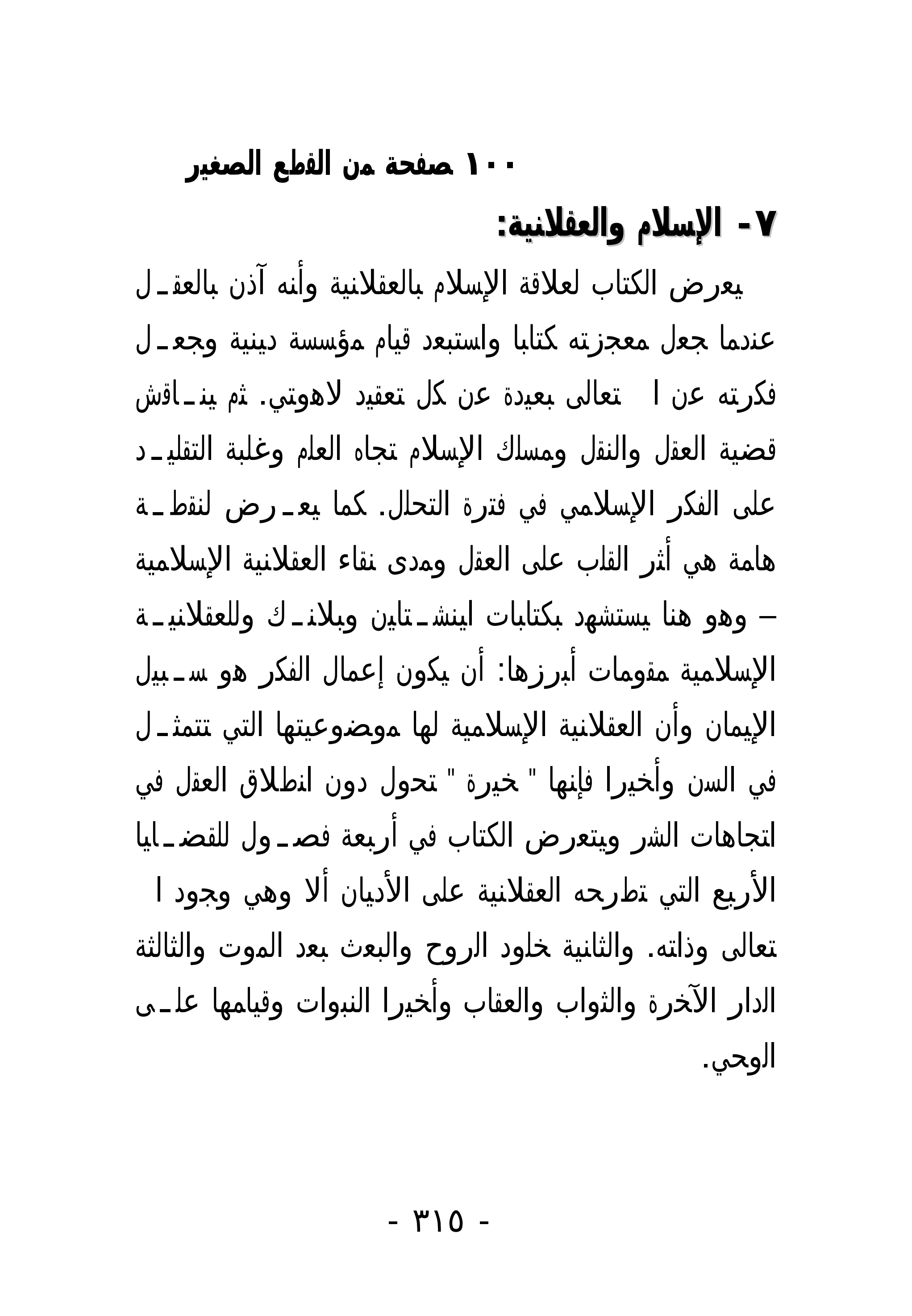
٥- تعميق حاسة العمل في المجتمع الإسلامي:

من أبرز الظواهر ضحالة الإحساس بالعمل لدى كثير من الناس ولعلاج هذه الظاهرة صدر هذا الكتاب، وهو يثـب أن العمل هو " مصداق الإيمان ومعيار الثواب والعقـاب " مـن واقع الآيات والأحاديث. ثم ينتقل إلى " أخلاقيـات العمـل " وهي القربى إلى ا والمبدئية الإسلامية. ويعرض لعلاقـات العمل في مجتمع إسلامي وكيف تتلاقى الحقـوق بالواجبـاة ويعرض مضمون العمل فهو النية والصلاحية. ويختم بخاتمة هامة مؤداها أن العمل هو الوسيلة المثلى اليوم للجهالة فـي سبيل ا .

١٤٤ صفحة من القطع الصغير

٦- لماذا يجب أن تكون للحركة النقابية عقيدة؟

يعرض الكتيب الرد على هذا التساؤل فالحركة النقابية " تكنيك " وليست نظرية، ولا بد لها من نظرية، وقد وجدت الحركة النقابية الأوروبية في الاشتراكية هذه النظرية، أما في مجتمعنا العربي فإن الإسلام هو الوحيد الذي يمكن أن يكون أن يكون عقيدة الحركة النقابية.



١٠٠ صفحة من القطع الصغير

٧- الإسلام والعقلانية:

يعرض الكتاب لعلاقة الإسلام بالعقلانية وأنه آذن بالعقـل عندما جعل معجزته كتابا واستبعد قيام مؤسسة دينية وجعـل فكرته عن ا تعالى بعيدة عن كل تعقيد لاهوتي. ثم ينـاقش قضية العقل والنقل ومسلك الإسلام تجاه العلم وغلبة التقليـد على الفكر الإسلامي في فترة التحلل. كما يعـرض لنقطـة هامة هي أثر القلب على العقل ومدى نقاء العقلانية الإسلامية – وهو هنا يستشهد بكتابات اينشـتاين وبلانـك وللعقلانيـة الإسلامية مقومات أبرزها: أن يكون إعمال الفكر هو سـبيل الإيمان وأن العقلانية الإسلامية لها موضوعيتها التي تتمثـل في السن وأخيرا فإنها " خيرة " تحول دون انطلاق العقل في اتجاهات الشر ويتعرض الكتاب في أربعة فصـول للقضـايا الأربع التي تطرحه العقلانية على الأديان ألا وهي وجود ا تعالى وذاته. والثانية خلود الروح والبعث بعد الموت والثالثة الدار الآخرة والثواب والعقاب وأخيرا النبوات وقيامها علـى الوحي.

والنتيجة التي ينتهي إليها القارئ هي أن الإسلام عقلاني في كل شيء باستثناء وجود ا تعالى وذاته التي لا يمكن للعقل الإنساني الإحاطة بها. وعجز عن تكييفها الفلاسفة. وأن عقلانيته نفسها - بحكم امتزاج العقل والقلب وتوجيه الإسلام، تحول دون انفلات العقل إلى بدوات الشر والشهوة.

٢٤٨ صفحة من القطع الكبير

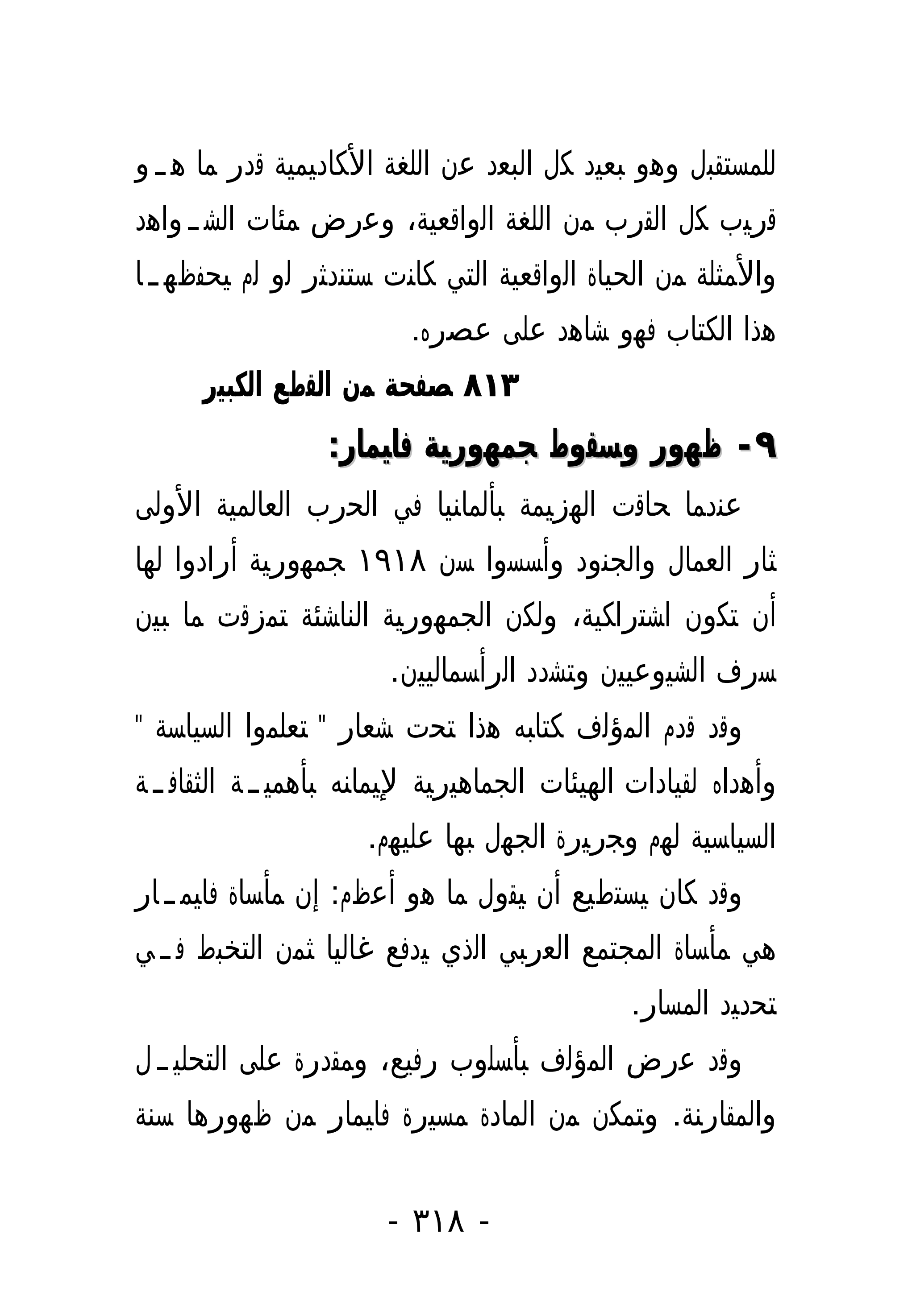
٨- الإسلام هو الحل:

لعل هذا (العنوان أن لا يكون العنوان الأمثل لهذا الكتاب الضخم (٨١٣ صفحة) ولكنه العنوان الذي اختير بوحي لحظة صدوره.

والكتاب دراسة مفصلة للتغيير الاجتماعي والقوى التي سيطرت على المجتمع المصري وحددت مصيره. بدءا من المرحلة الليبرالية ودستور ١٩٩٢٣ – وهي المرحلة التي تركت بصماتها على المجتمع المصري بحسناتها وسوءاتها وكانت أكبر سوءاتها اغترابها عن الإسلام، الأمر الذي أدى إلى قيام انقلاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢. ويحلل المؤلف بدقة طبيعة هذا الانقلاب وينقل الفصل الأول من كتاب كان قد كتبه في أغسطس سنة ٥٢ بعنوان " ترشيد النهضة "

وصدور وهو في المطبعة، ثم يشرح بتفصيل العلاقة بين عبد الناصر والإخوان المسلمين ومسئولية كل طرف في الشـقاق الذي حدث والذي أسفر عن مأساة ٦٧ والحكم الـديكتاتوري بسوءاته المعهودة. وحلل الكتاب مفردات وسيكولوجية الحكم الشمولي كما وضعها لينين – والتطبيق الناصري لـه وقـيم عمل عبد الناصر بأنه "أساء في كل ما أحسن وأحسن في كل ما أساء" وتحدث عن حصاد المسيرة الضالة في هزيمـة ٦٧ – وما أسفرت عنه من مجتمع الضياع وحلل مظـاهرات ٩ و١٠ يونيه وجنازة عبد الناصر إلخ.. وينتقل إلى السـادات وملابسات حكمه كآخر فراعنة مصر وشخصيته وسياسـته، ويقيم كامب دافيد تقييما موضـوعيا. ويشـير إلـى البـديل السادات عن الطغيان الناصري وهـو الحكـم بديكتاتوريـة الأغلبية ثم ينتقل إلى انتخابات أبريل ٨٧ وظهور المعارضة الإسلامية وسقوط اليسار وأسباب هذا وذاك. حتى ينتقل إلى "تحديات أمام الدعوة الإسلامية" وأخيرا الخروج من المأزق.

والكتاب أشبه بتقرير استراتيجي للسياسة التـي حكمـت مصر من سنة ٢٣ حتى الآن. وهو يعالج موضوعه بنسـق رفيع وأسلوب شيق واستشـهاد مـن التـاريخ واستشـفاف



للمستقبل وهو بعيد كل البعد عن اللغة الأكاديمية قدر ما هـو قريب كل القرب من اللغة الواقعية، وعرض مئات الشـواهد والأمثلة من الحياة الواقعية التي كانت ستندثر لو لم يحفظهـا هذا الكتاب فهو شاهد على عصره.

٨١٣ صفحة من القطع الكبير

٩- ظهور وسقوط جمهورية فايمار:

عندما حاقت الهزيمة بألمانيا في الحرب العالمية الأولى ثار العمال والجنود وأسسوا سن ١٩١٨ جمهورية أرادوا لها أن تكون اشتراكية، ولكن الجمهورية الناشئة تمزقت ما بين سرف الشيوعيين وتشدد الرأسماليين.

وقد قدم المؤلف كتابه هذا تحت شعار " تعلموا السياسة " وأهداه لقيادات الهيئات الجماهيرية لإيمانه بأهميـة الثقافـة السياسية لهم وجريرة الجهل بها عليهم.

وقد كان يستطيع أن يقول ما هو أعظم: إن مأساة فايمـار هي مأساة المجتمع العربي الذي يدفع غاليا ثمن التخبط فـي تحديد المسار.

وقد عرض المؤلف بأسلوب رفيع، ومقدرة على التحليـل والمقارنة. وتمكن من المادة مسيرة فايمار من ظهورها سنة

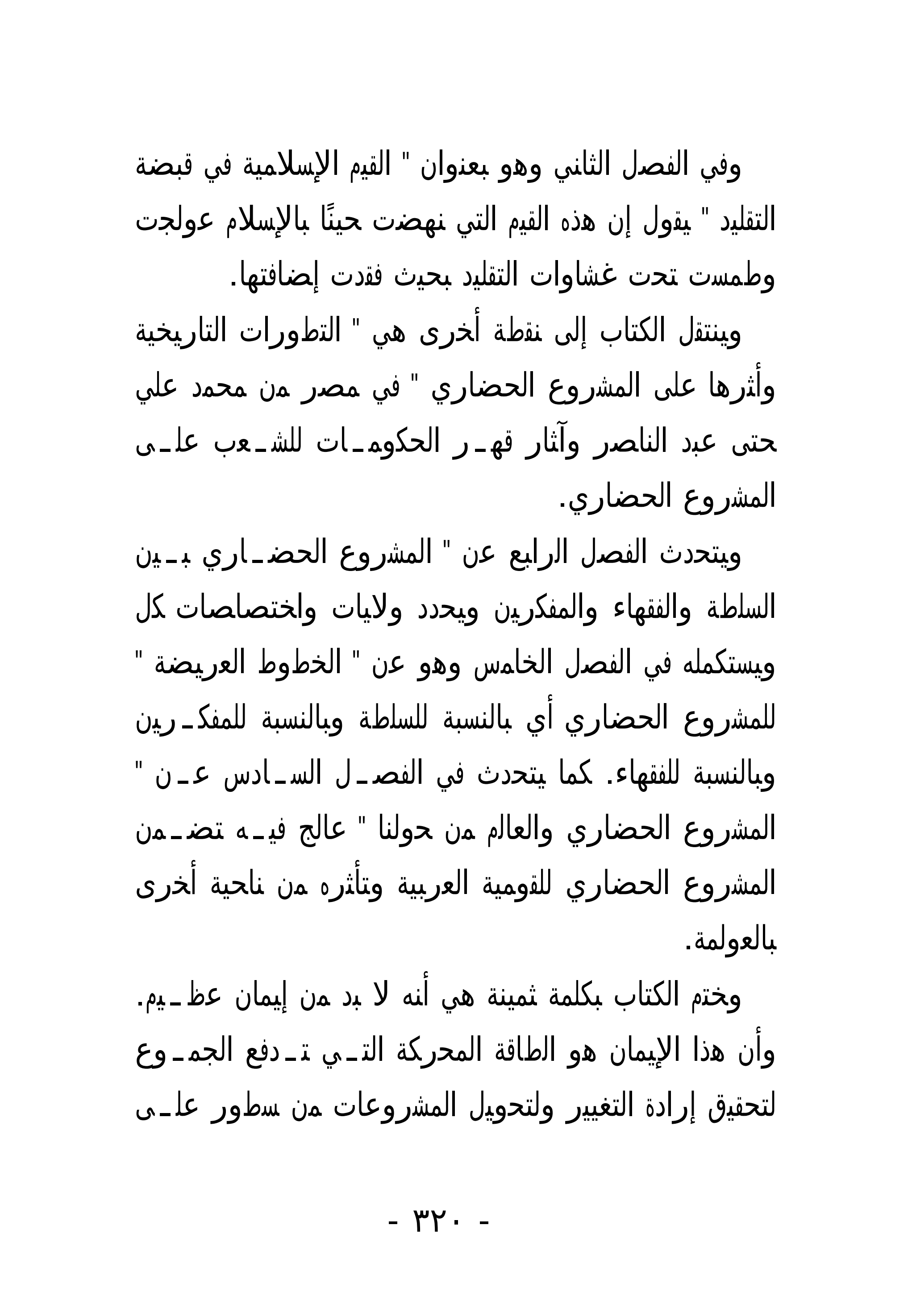
١٩١٨ حتى سقوطها سنة ١٩٣٣ والمأزق الـذي وضـعتها الأقدار فيه والدروس المستفادة مـن تجربتهـا الديمقراطيـة البرلمانية. كما عرض للنازية - وما أسهمت به في مجـال في السياسة والدور البارز للفكر الماركسـي فـي ظهـور وسقوط جمهورية فايمار.

والكتاب دراسة سياسية أصيلة حافلة بالأفكار الملهمة التي عنى المؤلف بإبرازها ليفيد منها كل مفكر، وكاتب، وعامـل في المجال العام.

٤٣٠ صفحة من القطع الكبير

١٠- المشروع الحضاري بصراحة:

يعالج هذا الكتاب الموجز قضية على أعظم جانـب مـن الخطورة وهو يبدأ بإيضاح أن الأزمة التـي نعانيهـا هـي بالدرجة الأولى أزمة حضارية، وليست أزمة فقر أو جهل ثم ينتقل فيقول إن الحضارة قيم وأن القيم الموضوعية لا يمكن أن تأتي إلا من ا تعالى. وأن النقص في القيم التي وضعها فلاسفة أوروبا هي أنها ليست موضوعية تماما فمن المستحيل أن يتخلص فرد من مكوناته وبيئته.



وفي الفصل الثاني وهو بعنوان " القيم الإسلامية في قبضة التقليد " يقول إن هذه القيم التي نهضت حينًا بالإسلام عولجت وطمست تحت غشاوات التقليد بحيث فقدت إضافتها.

وينتقل الكتاب إلى نقطة أخرى هي " التطورات التاريخية وأثرها على المشروع الحضاري " في مصر من محمد علي حتى عبد الناصر وآثار قهر الحكومات للشعب على المشروع الحضاري.

ويتحدث الفصل الرابع عن " المشروع الحضاري بين السلطة والفقهاء والمفكرين ويحدد ولايات واختصاصات كل ويستكمله في الفصل الخامس وهو عن " الخطوط العريضة " للمشروع الحضاري أي بالنسبة للسلطة وبالنسبة للمفكرين وبالنسبة للفقهاء. كما يتحدث في الفصل السادس عن " المشروع الحضاري والعالم من حولنا " عالج فيه تضمن المشروع الحضاري للقومية العربية وتأثره من ناحية أخرى بالعولمة.

وختم الكتاب بكلمة ثمينة هي أنه لا بد من إيمان عظيم. وأن هذا الإيمان هو الطاقة المحركة التي تدفع الجموع لتحقيق إرادة التغيير ولتحويل المشروعات من سطور على

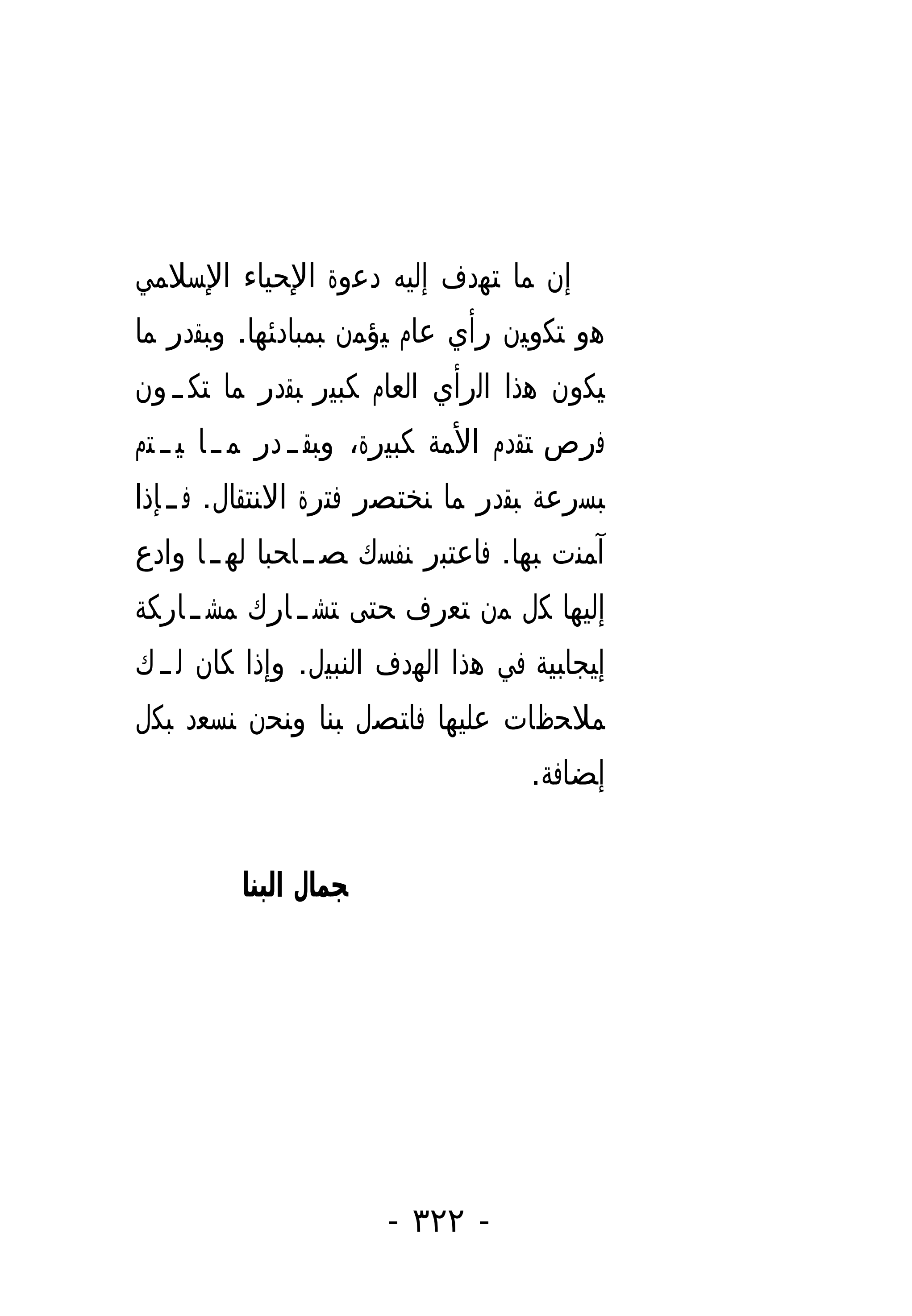
ورق إلى إنجازات وهو أشبه بالوقود الذي يرتفع بالطـائرة من أرض الواقع لتحلق في السماوات، وبدونه لا يمكن لهـا أن ترتفع وتنطلق.

إن الإيمان العظيم هو الذي يبلور ضمير الأمة وإرادتها ويحولها إلى طاقة تكتسح كـل الصـعوبات وتجـاوز كـل العراقيل.

١٠٤ صفحة من القطع الصغير

إننا – بالإضافة إلى هذه الكتـب التـي ألفـت وطبعـت ونشرت نعتزم المواصلة وتزويد مكتبة الإحيـاء بالمزيـد، وخلال عام ٢٠٠٠ هناك ثلاثة أو أربعة كتب ستصدر عن " التعددية في المجتمع من منظور إسلامي " و " العبودية أو أربعة رؤية بديلة " و " الإسـلام والأزمـة الحضـارية " فضلاً عن تلخيص للأجزاء الثلاثة من كتاب " نحو فقه جديد" في قرابة ١٦٠ صفحة حتى يمكن لكل واحد الإلمام بفكرته.

***



إن ما تهدف إليه دعوة الإحياء الإسلامي هو تكوين رأي عام يؤمن بمبادئها. وبقدر ما يكون هذا الرأي العام كبير بقدر ما تكون فرص تقدم الأمة كبيرة، وبقدر ما يتم بسرعة بقدر ما نختصر فترة الانتقال. فإذا آمنت بها. فاعتبر نفسك صاحبا لها وادع إليها كل من تعرف حتى تشارك مشاركة إيجابية في هذا الهدف النبيل. وإذا كان لك ملاحظات عليها فاتصل بنا ونحن نسعد بكل إضافة.

جمال البنا